THE BOOK WAS DRENCHED

TIGHT BINDING BOOK

الدرس التام في التاريخ العام

الملخص من كتب التواريخ الاوروبية والعربيه

في الساحة الخديويه

لقصد تدريسه لطلبة العلم بمدرسة دار العلوم المصريه

جمع وتعريب

العبد الفقير ابى السعود افندى

المترجم بديوان المعارف العموميه

ومدرس علم التاريخ العام في المدرسة المذكوره

جعله الله بالعناية الخديوية من المآثر المأثوره

آمين



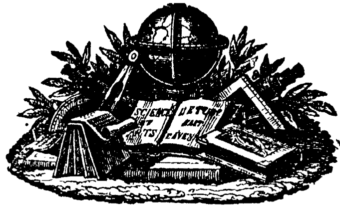
(طبعة أولى)

بمطبعة وادى النيل المصريه

الكائنة بخط باب الشعريه

بمصر القاهره

سنة ١٢٨٩



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى قص فى كتابه العزيز أحسن القصص من اخبار القرون الاولى وآثار الامم السابقين مافيه اسوة حسنه وقدوة مستحسنه لاولى الابصار من الملل والاقوام اللاحقين ونص فيه أمكن النص على مافيه أجل عبرة للمعتبرين وأكمل تبصرة للمتبصرين لقصد التربية والتعليم وجعل التواريخ مدرسة مستمره للتدبر والتجرب ومقبسة نيره للحكم والتأدب يهتدى بها فى ظلمات الاعصار كل ذى ذوق سليم **وأتم الصلاة وأعم التسليم** على سيدنا محمد أفضل مؤسس لجماعة بشريه من عمدان البنية الدينية وبنيان العمارة الوطنيه على أقوى أساسه وأكمل مقتبس للهداية التمدنيه ورعاية الامنيه باضوأ مقباس سمحت سيرته ووضحت سنته فهو أحسن أسوة يهتدى بها المهتدون وأمتن عروة يعتمد عليها المعتمدون فى السلوك للطريق المستقيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الناسجين على منواله والناهجين على مثاله الذين اعتنوا بما عليه اعتمد وابتنوا على ما كان لهم قد شيد وساعدوه على مارام وقاموا من بعده باعباء الامر أتم القيام ففازوا بمزية التكميل وحازوا فضيلة التتميم رضى الله تعالى عنهم ورضوا عنه فهم فى جنة النعيم المقيم

وبعد فيقول العبد الفقير الى الله المعيد المبدى والمخلوق الحقير المدعو باسم أبى السعود أفندى اننا فى عصر لا يقاس بالاعصر الاول وفى وطن وملة هما أفضل الاوطان والملل حدثت فيه حوادث جليله من أثار تمدن الملل الاوروبيه وغيرهم من الامم الاجنبيه لم يكن مثلها فى الازمان السالفة بموجود وبدع جميله لم يكن شئ منها فى الاوطان السابقة بمشهود كاستخدام القوة الكهربائيه فى سرعة نقل الاخبار الترسليه بالاشارة التلغرافيه وكاستعمال القوة البخاريه فى قضاء الحوائج السفريه البرية والبحريه وغير ذلك من الاختراعات العصريه وترتب على ذلك حصول حركة تقدمية شديده ورغبة تعلمية أكيده أخذ منها الملل الاوربية وغيرهم من أبناء هذا الجيل فى الممالك الاجنبية باوفر نصيب وأكبر سهم مصيب حتى صار لهم اليد العليا فى أمور هذه الدنيا ولزمنا كذلك معاشر ابناء العصر من أهل مصر ان نشمر عن ساعد الجد والاجتهاد ونسد بهذا النوع من الجهاد كل ثغر انفتح علينا من هذا الوجه باحكم سداد كل منا على قدر مقدرته ومدار منطقته ولكل مجتهد نصيب من عالى همته إما بوظيفة

بوظيفة معلم أو متعلم أو مؤلف أو مترجم أو مأمورا يا كان فى دائرة مأموريته وها هو سعادة افندينا خديو مصرنا وولى أمر عصرنا **ابو الفدا اسمعيل بن ابراهيم** بلغه الله من المقاصد الخيرية كل حظ عظيم أول داع أمامنا فى طريق التمدين والاسعاد وخير ساع قدامنا فى طريق التحسين والحصول على المراد يريد ان يمدننا ويود ان يصلح احوال ديننا ووطننا ويرغب أن ينور عقولنا ويكثر منقولنا ومعقولنا وما علينا الا أن نقفو اثره فى الطريقة الجاده ونسير وراءه فى منهج السعاده حتى نأخذ حظنا كغيرنا من الامم المعاصرين ونستوفى حقنا باسوة الملل المجاورين من هذه الحركة القهريه والبركة العصريه ونحصل لاوطاننا المصريه من ذلك الغرض المهم على أوفر نصيب وأتم وها هو أعزه الله وبلغه من مقاصد الخير مناه دليلا على شدة عنايته بمادة التعلم والتعليم وصداقة رغبته فى قضية نشر المعارف والعلوم قد أقام بالنيابة عن ذاته العليه فى مباشرة ادارة ديوان المعارف والاوقاف والاشغال العموميه الامير النجيب والوزير المصيب **سعادة حسين كامل باشا** ثانى انجاله الكرام فجلس فى دست هذه النظاره وقام باعباء هذه الوزاره ينظر فى الامور بعين الناقد البصير اذ كان قبل ذلك قد تصرف فى عدة من المصالح وعرف الاصلح منها والصالح وابدى فى حسن ادارتها ما استحق فيه مدح المادح وأقام فى جنبه بمقام الاستشاره حضرة العالم الفاضل والرئيس الكامل **على مبارك باشا** أحد رجاله العلماء الاعلام وأحاطه برجال عظام وابطال فخام كلهم أولو حنكة فى المواد التعليميه والادارة العموميه أفلا يجب حينئذ على كل واحد من الآحاد ان يكمل عقد نظام هذه الاعداد ويساعد على جميل هذا الاستعداد وهل يبلغ قصده من أعمل بمفرده جهده أم هل يصفق كف وحده كلا بل البركة كل البركه فى تمام الحركه وكما ان الاتباع لا بد لهم من امام فكذلك الامام يطلب أتباعه ويد الله مع الجماعه

وها هو من مقاصده الخديوية الحميده ومساعيه الخيرية العديده انشأ فى هذه الايام السعيده مدرسة اصلية جديده ومغرسة للعلم مفيده تسمى باسم دار العلوم الخديويه فضلا عن غيرها من المدارس الملكية والعسكريه ليتربى بها ما مست اليه الان الحاجه مع غاية الالحاح واللجاجه من المعلمين والخوجات اللازمين لسائر المدارس الميريه ولا سيما المكاتب الابتدائيه الجارى الاعتناء بانشائها فى كل بندر ومديريه بالعناية الداوريه ولتكون لنقل النقائل منها لقصد تربيتهم فى أراضى المزارع التعليميه من أنفع المغارس العلميه وحيث بكم أيها الشبان المصريون واجتمع بها هنا شملكم أيها الاخوان الازهريون مستوفين لشروط التجهيزات الاوليه اللازمة للاستفادة من الدروس العالية التى ترتبت لكم بمعرفة الديوان فى هذه المدرسة الاصليه لابراز هذا القصد السعيد من حيز الامل الى حيز الوجود وممن يجب منكم ينتخب من يصلح للتدريس فى المدارس الاخرى • وهذه لعمرى مرتبة عليا هى بالاجتهاد أحق واحرى

حيث تفوزون ان شاء الله تعالى من خدمة الاوطان وتأدية انفع وظيفة لامناء الاديان بسعادة الدارين الاخرة والدنيا اماقال النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عنه من كلامه المحكم ومن أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الاخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معا فعليه بالعلم « أوكما قال وقد ترتب لكم من الاساتذة فى خطة التربية والتعليم من لزم فى كل فرع من العلوم حتى تتنور منكم الافهام وتتربى فيكم ان شاء الله تعالى ملكة التدريس كما يجب حسب المرام وصدر لهذا العبد أيضا من لدن ديوان نظارة المعارف والاوقاف والاشغال الامر العالى الواجب الامتثال بان يتحمل لكم اعباء تدريس التاريخ العام ورؤى فيه الاهلية للقيام بهذا المقام وان كان لا يرى فى نفسه غير القصور عن ارتقاء مثل هذه القصور ووجب علينا لمناسبة التقلد بوظيفة تدريس علم التاريخ هذه الجديده ان نجعل براعة استهلالنا وحسن ابتداء مقالنا بان نقيد هنا فى هذه الخطبة هذه الحوادث التاريخية السديده والوقايع العصرية المفيده وحيث كان الاجتهاد عبارة عن بذل المجهود لنيل المقصود وبالاجتهاد ينال المراد وبالتأنى كما قيل يبلغ التمنى وكان هذا الدرس لم يسبق لاحد فى ديارنا هذه ان يلقيه فى محفل عام وها هو بالارادة الخديوية العليه والافادة النظاريه السنيه قد ترتب هنا هذا الكرسى لهذا المحفل الدرسى وهو بحر طام أو بركثير الازدحام يلزمنا وايا كم ان نلجه ونقتحم لججه ومن مواده العربيه والاوروبيه بقلم التعريب والتقريب والتلخيص والتهذيب نغوص عليه ونستخرجه فالله الله ولا حول ولا قوة الا بالله والهمة الهمه للحصول على هذه الشقة المهمه والبدار البدار لاجابة دعاء ولاة امورنا وحملة أعباء تدبيرنا على قدر ميسورنا لبلوغ هذه المقاصد الكبار فقد قيل من أحكم الاقوال فى الامثال ان همم الرجال تقلقل الجبال ويقال أيضا ان جميع الاعمال انما تعمل بالرجال وللرجال وهل على امام القوم الا أن يشير للطريق المستقيم ويسير فيه امامهم بالعزم والتصميم مع ارشاد القاصد بتسهيل الوسائل لتحصيل المقاصد وعلى كل من أتبعه أن يقتفى أثره بقلب قوى قويم وها نحن قد عزمنا وتوكلنا السير مع السائرين وصممنا على أن نؤدى فرض هذا الجهاد مع المسافرين ونبدى جهد المقل من هذا القصد الاجل على ان نسميه باسم **الدرس التام فى التاريخ العام** من قبيل حسن التفاؤل فى الاسماء والاعلام عسى ان يفوز هذا العمل من مزية التمام بتحقيق الامل بعناية افندينا ولى النعم الخديو الاكرم وبرعاية مولانا الامير المعظم نجله المكرم ويحوز بطول بقاء هذه الدولة المصرية الفخيمه والعائلة الخديوية الكريمه عند الله بالقبول والاكرام

وقل بذل رب لا تقطعنى * عنك بقاطع ولا تمهنى

من نورك الابهى المزيل للعمى * واختم بخير يا رفيع الرحما

والامل ان شاء الله تعالى ان يطبع وينشر أولا باول وينفع سائر المدارس وجميع الخواص والعوام والله سبحانه وتعالى هو الكفيل بتبليغ كل مرام

مقدمه
فى مبادى علم التاريخ

قال العلماء ينبغى لكل شارع فى علم من العلوم أو فن من الفنون ان يتكلم ابتداء على مباديه المنظومة فى الابيات المعلومة فى قول بعضهم

أن مبادى كل فن عشره * الحد والموضوع ثم الثمره
وفضله ونسبة والواضع * والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى * ومن حوى الجميع حاز الشرفا

وذلك ليعرف الطالب حقيقة ما هو قادم عليه من المطالب و يقف على ما هو متصدله من الرغائب و يكون على بصيرة تامه وخبرة عامه بالغرض المقصود له من الاشتغال بهذا العلم او الفن الذى يريد ان يشتغل به و يصرف فيه نفيس زمنه فينعطف قلبه عليه ويميل بكليته اليه والا فالوقت سيف بتار وفلك دوار والوقت كما قيل من ذهب يجب على العاقل ان يصرفه فيما ندب اليه اووجب والا فرّ منه وذهب ومن أضاع برهة من أوقاته سدى فقد خسر جملة من ثروته واضاع برهة من ميسرته وضل عن طريق الهدى وافعال العقلاء تصان عن العبث فلذلك وجب علينا هنا ان نبحث أولا فى مبادى علم التاريخ الذى نحن بصدده وننظر فى اسمه وحده وغير ذلك من المبادى المذكوره فى تلك الابيات المشهوره وذلك فى عدة مباحث فنقول

المبحث الاول

فى اسم هذا العلم وحده لغة واصطلاحا على اختلاف اطلاقاته وتفرع تقسيماته

اما اسم هذا العلم فهو علم التاريخ وهو الاكثر استعمالا على ألسنة الناس وقد يعبر عنه أيضا بعلم السير جمع سيرة وهى فى اصل اللغة قال فى الصحاح « السيرة الطريقة » ثم نقل اصطلاحا لما يرادف لفظ التاريخ ومنه قولهم السيرة النبوية وذكر اهل السير بمعنى المؤرخين كما لا يخفى وقد يسمى باسماء خصوصية بحسب اختلاف اعتباراته كما سيأتى قريبا عند الكلام على تقسيماته

واما لفظ التاريخ فمعناه التوقيت أى تعريف الوقت قال الجوهرى فى الصحاح « التاريخ تعريف الوقت والتوريخ مثله يقال أرخت الكتاب بيوم كذا وورخت بمعنى » وعبارة الفيروزبادى فى القاموس « أرخ الكتاب وأرّخه وورّخه وقته والاسم الارخة بالضم » وفى المصباح « ارخت الكتاب بالتثقيل فى الاشهر والتخفيف لغة حكاها ابن القطاع اذا جعلت له تاريخا وهو معرب وقيل عربى وهو بيان انتهاء وقته و يقال ورخت على البدل والتوريخ قليل الاستعمال وارخت البينة ذكرت تاريخا

وأطلقت أى لم تذكره » الى آخر ما أوضحه وأوضح من هذه العبارات عبارة كشاف اصطلاحات الفنون للشيخ الاجل المولوى محمدا على بن على التهاونى المطبوع فى مدينة كلكته (كرسى مملكة الهند) فى سنة ١٨٦٢ الميلادية الموجود فى الكتبخانه الخديويه المصريه فى ضمن هدية الكتب المقدمة للحضرة الداوريه ونصها « التاريخ فى اللغة تعريف الوقت فقيل هو قلب التأخير وقيل هو بمعنى الغاية يقال فلان تاريخ قومه اى ينتهى اليه شرفهم فمعنى قولهم فعلت فى تاريخ كذا فعلت فى وقت الشئ الذى ينتهى اليه وقيل هو ليس بعربى فانه مصدر المورخ وهو معرب ماه روز واما فى اصطلاح المنجمين وغيرهم فهو تعيين يوم ظهر فيه أمر شائع من ملة أو دولة أو حدث فيه أمر هائل كزلزلة وطوفان ينسب اليه أى الى ذلك اليوم ما يراد تعيين وقته فى مستأنف الزمان أو فى متقدمه وقد يطلق على نفس ذلك اليوم وعلى المدة الواقعة بين ذلك اليوم والوقت المفروض « كذا فى شرح التذكرة » الخ اهـ

وحاصل ما يؤخذ من مجموع كلامهم ان التاريخ فى أصل اللغة هو مطلق التوقيت أى تعريف الوقت تفعيل من أرخ الرباعى مضاعف أرخ الثلاثى المخفف يأرخ أرخا من الباب الثالث باب فتح يفتح فتحا فهو آرخ والكتاب مأروخ كفاتح ومفتوح والاسم منه الارخة كالمتعة ومضاعفه أرخ يؤرخ تأريخا وتاريخا بالهمز والتسهيل وقد يقال فيه ورخ يورخ توريخا بابدال الالف فى أوله واوا كما فى أكد ووكد ومنه قوله عليه الصلاة والسلام « من ورخ مؤمنا فقد احياه » وأما قول بعض الناس ترخ الكتاب فهو من غلط العوام وسقط الكلام الخالى عن الصواب اذ لم يسمع من هذه المادة ابدال الواو بالتاء كما فى وراث وتراث ولعل السبب كون الواو ليست فيها أصلية هذا نهاية القول فى لفظ التاريخ فى اللغه

وأما فى الاصطلاح فيطلق على جملة اطلاقات

الاول على ما يعم اقتصاص الحادثة مع التنصيص على الوقت الذى وقعت فيه

الثانى على يوم وقعت فيه حادثة شهيرة وواقعة كبيرة لامة من الامم أو دولة أو قبيلة أو مدينة أو شخص من الآحاد فجعلت مبدأ لغيرها من الوقائع تنتسب اليها ويعتمد فى اثباتها عليها كواقعة الهجرة المحمدية بالنسبة لامم الاسلام وميلاد المسيح عليه السلام بالنسبة لطوائف النصرانية ولكل ملة وقبيل تاريخ من هذا القبيل كتاريخ اليونان والروم والفرس والهنود وغيرهم ولا حاجة لنا هنا بتوضيح جميع هذه التواريخ المختلفة وعوائد الامم الغير المؤتلفه

الثالث على المدة الواقعة بين ذلك اليوم والوقت المفروض

الرابع يطلق لفظ التاريخ عند أهل الادب أيضا على ما يعرف عند البلغاء من كل جملة شعرية أو نثرية مستقلة بنفسها تتضمن ذكر حادثة على وجه مجمل بحيث يكون حاصل قيمة

حروفها

حروفها المكتوبة بحساب الجمل المعروف مساويا للتاريخ وقوع هذه الحادثة على وجه خفيف مألوف مثال النثر قول بعضهم فى تاريخ فتح السلطان محمد الثانى للقسطنطينية « بلدة طيبة » ومثال النظم كقول العبد الفقير جامع هذا المجموع اليسير مهنئا السعادة أفندينا خديو مصر وامام العصر ومؤرخا لحادثة تقليده بولاية الامر فى أول الشطرين من قصيدة محبوكة الطرفين مطلعها

« تدارك اسماعيل مصرا بعدله وادرك ما يحيى رجاها بعقله »

سنة ١٢٨٩

ومثله ما اتفق له أيضا من تأريخ واقعة تقرير وراثة الحكومة المصرية فى فرعه البكرى الكريم على عمود النسب المستقيم فى المصراع الاخير من بيتين من هذا القبيل وهو قوله « يرث مصرا آل اسماعيل » سنة ١٢٨٤

والتاريخ بهذا الاطلاق هو من التفننات الادبيه والانواع البديعيه والمقصود به تخليد ذكر بعض الحوادث على وجه مجمل بعبارة وجيزه وكلمة على اللسان خفيفة عزيزه بحيث تتناقلها أفواه الناس من جيل الى جيل ومن قبيل لقبيل على مر الازمان ويرجع اليها فى توقيت الحادثة عند النسيان وليس البحث فى التاريخ بهذا المعنى البديعى والمدلول التبعى من موضوع هذا الدرس بالنفس وانما تعرضنا له هنا ببعض الشرح لداعى كونه من اطلاقات لفظ التاريخ الاصطلاحية وعلى توقع انثار مما أوردنا منه شيئا فيما بعد لمناسبة بعض الوقايع الكبيره فى تاريخ القرون الاخيره على سبيل تشحيذ الاذهان والمقصود لنا بالذات البحث عن التاريخ بمعنى مطلق اقتصاص الحوادث البشرية مع الايضاح والبيان على قدر الامكان

والتاريخ بهذا الاطلاق الاصطلاحى عرفه المحققون من علماء أوروبا بأنه اذا حمل على أعم اطلاقاته هو اقتصاص مطلق واقعة تستحق الذكر من أحوال الموجودات الكونية أيا كانت قالوا ومن ثم انقسم الى قسمين عظيمين التاريخ الطبيعى والتاريخ المدنى

فأما **التاريخ الطبيعى** فهو ما تعلق ببيان أحوال سائر الكائنات المنحصرة فيما يعبر عنه **بالمواليد الثلاثة** وهى المعدن والنبات والحيوان بما فيه نوع الانسان من حيث كيفية حياتها وتركيب بنيتها وترتيب طبقاتها وبيان أحوالها الطبيعية وأطوارها الغريزية أى التى طبعها الله سبحانه وتعالى عليها وهى عبارة عن مجموع العلوم التى الغرض منها تعريف أحوال **الاجسام العضوية** أى ذات الاعضاء بمعنى القائم بها الحياة وهى الحيوان والنبات اللذان يوجدان على الارض **والاجسام الغير العضوية** أى الخالية عن الحياة بمعنى الجمادات وهى المعادن وسائر المواد التى منها قوام الكرة الارضيه وينقسم التاريخ الطبيعى على وجه التعميم الى ثلاثة أقسام

الاول علم حياة الحيوان وهو ما تعلق ببيان أحوال الحيوانات الطبيعيه ويدخل فيه نوع الانسان من حيث أحواله الجبليه وقد يطلق عليه اسم التاريخ الطبيعي بالخصوص ويسمى فى اللغة الفرانساويه بعلم الزوولوجيا (بزاى معجمة فواوين فى أوله)

الثانى علم النبات وهو ما تعلق بخصوص أحوال النباتات ويقال له علم البوتانيق

الثالث علم المعادن وهو ما تكفل بترتيب أنواع المعادن والمواد الارضية وبيان أحوالها وطبائعها كل منها على حدته وبيان فائدته ومزيته ويسمى بعلم الميترالوجيا

ومما يرتبط بهذا القسم الاول من التاريخ ما يسمى فى اللغة الفرانساوية (بالجيولوجيه بالجيم الاعجميه) أى علم أحوال الارض من حيث ما اعتراها من التقلبات والاطوار وبيان ماهى مبنية منه من الطبقات والادوار ويبحث فيه أيضا عن توزيع أنواع المعادن والاجسام التى تتركب منها الكرة الارضية وكيفية دخلها فى تركيب طبقاتها الهيولانية

وزعم بعضهم ان التاريخ الطبيعي ليس من علم التاريخ فى شئ وانما هو من علم الطبيعيات وكانه غفل عن كون التاريخ هو مطلق اقتصاص الحوادث التى تستحق الذكر ولعمرى ان تاريخ النبات والمعدن والحيوان لاولى بالذكر والاعتبار من تاريخ الانسان حيث كان التاريخ الطبيعي عبارة عن ذكر أحوال ثابتة وقوانين منتظمة تدل على بداعة الخلقة الالهيه وبراعة الحكمة الربانيه بخلاف تاريخ الانسان فانه انما هو عبارة عن حوادث شتى ووقايع غير ملتئمة تدل فى الغالب على سلطة الاقوياء على الضعاف وغلبة الباطل على الحق وانتصار الاجحاف على الانصاف

وهذا القسم الاول بجميع فروع تقسيماته المذكورة ليس من موضوع درسنا هذا وفيه تآليف خصوصية وله رجال مخصوصون من ابناء وطننا هم به عالمون وبتدريسه قائمون

واما التاريخ المدنى وهو التاريخ الحقيقي الذى ينصرف اليه اللفظ عند الاطلاق وفى الحقيقة هو العلم التاريخ المصداق فهو علم يبحث فيه عن الانسان من حيث التمدن والعمران أى من حيث هيئة اجتماعه وتأنسه وتعاونه على تحصيل مادة معاشه ومعاده بابناء جنسه وهذا هو المعبر عنه بتاريخ الجمعية البشريه والاوضاع الحضرية التى تبلغ الانسان لدرجة الكمال الامكانيه وتسمى بالتمدن والعمران أو تاريخ الامم والملل والاديان والنحل والممالك والدول وما اشبه ذلك

وهذا التعريف بالنسبة الينا هنا أيها الاخوان يحتاج لبعض تمهيد وبيان وتأسيس ينبنى عليه فيما بعد فهم ما يرد علينا فى سياق هذا المجموع من البيان وذلك كما أوضحه القاضى ابن خلدون رحمه الله فى مقدمة تاريخه حيث قال ما ملخصه

قالت الحكماء من الاصول الطبيعية والاحكام العقلية المرعية « ان الانسان مدنى بالطبع » وبيان ذلك ان الاجتماع أى حالة التأنس والعمران المعبر عنها فى اصطلاح الحكماء بالمدينة أو الحالة

المدنية

المدنية المقابلة لحالة العزلة والتوحش أو الحالة البدويه هو أمر ضرورى لنوع الانسان وطبع لابد له منه على أى حال كان وذلك ان الله سبحانه وتعالى ببديع حكمته وبليغ تدبيره وقدرته خلق نوع الانسان وركبه فى صورة بحيث علق مادة حياته وبقائه بالضرورة بمعنى ان الانسان ليس من صفاته الذاتيه صفة القيام بالنفس التى هى من خصوص الالوهيه فهو مضطر لامرين أصليين يتفرع عنهما جميع أنواع الكد والاعمال البشريه ويرجع اليهما سائر فروع الجهد والاشغال الحضريه المنحصرة فى مادة الزراعة والصناعة والتجاره (قال القاضى ابن خلدون) رحمه الله ما معناه قال بعضهم والاماره وعلى ذلك فالتقسيم رباعى وبعضهم يدرجها فى ضمن الصناعه فأما الزراعة فهى عبارة عن سائر الاعمال التى القصد منها استخراج محصول من الارض اما مباشرة كالحبوب والخضراوات وما أشبه ذلك وأما بواسطة كالحرير والعسل والصوف ونحو ذلك والصناعة عبارة عن جميع الاعمال اليدية التى تحتاج للتفكر والنظر ويعبر عنها بالصنائع والفنون كالكتابة والبناء والنجاره والحدادة والنشاره وما أشبه ذلك وأما التجارة فهى كل ما كان من الاعمال القصد منه ترويج المحصولات الزراعية والصناعية ونقلها الى حيث يسهل على الراغب فيها تناولها والامارة عبارة عن تقلد وظيفة من الوظائف العامة كالملك والسلطنة والقضا والوزارة وما أشبه ذلك

فالاول من الامرين اللذين يضطر اليهما الانسان هو عوزه لمادة الغذاء البدنيه حيث خلقه الله مضطرا لها فى معيشته وهداه لالتماسها بفطرته غير انه لا يتحصل على ذلك الا بواسطة الاستعانة بابناء جنسه وجماعته قال حجة الاسلام الغزالى فى الاحياء « ان الرغيف لا يوضع على المائدة الا بعد ان يمر بيد ثلاثمائة وستين صانعا » اه

والثانى احتياجه لمادة الدفاع عن نفسه من الصائل والتوقى من الغائل حيث خلقه الله ضعيفا بالنسبة لبعض الحيوانات التى خلقها الله سبحانه وتعالى أشد منه قوه وجعل لها أسلحة طبيعيه لاجل حفظها وبقائها والذب بها عن نفسها من غائلة أعدائها ولم يجعل للانسان فى نظير ذلك غير ما منحه سبحانه من قوة النطق والعقل أى الفكر والبيان ولم يجعل له سلاحا طبيعيا يبطش به كسائر أنواع الحيوان غير اليد واللسان وهما فيه عضوان ضعيفان ولا يتيسر له هذان الامران الضروريان المذكوران الا بالكون بين اقرانه والعون باخوانه ومن ثم احتاج للزوجة والولد والوالد وما أشبه ذلك من لوازم التناسل والتوالد وهذه الحالة هى ما تسمى بالعائلة او القبيله أو العشيرة المأخوذة من المعاشره وهى عبارة عن ضرورة الارتباط بروابط القرابة والمصاهره ومن ثم احتاج للكينونة بين اخوانه فى الوطن والدين والاستعانة بهم فيما يكون به قوام معاشه ومعاده من المواد الضروريه وسائر الحاجات الدنيوية والاخرويه وهذا هو معنى قولهم انما المرء باخوانه والسلطان بأعوانه وذلك هو ما يعبر عنه بحالة الجمعية البشرية أو الحضرية

أوالحضاره أوالعمران اوالعماره أوهيئة الاجتماع الانسانى أوحالة التأنس المدنى أوالعمرانى وما أشبه ذلك من أمثال هذه العبارات التى هى تقريبا مترادفات وكلها عبارة عن الارتباط بروابط الاخوة الوطنيه والوحدة الدينيه وتتركب من العشائر والقبائل المتحدى الاوطان والاديان فى أكثر الاحيان وقد يتحد الوطن ويختلف الدين فيقال لها الجمعية الوطنية أوالمدنيه وبالعكس فيطلق عليها اسم الجمعية أوالطائفة اوالجماعة الدينيه كما نقول جماعة المسلمين وطوائف النصرانيه وتسمى بحسب اختلاف الاعتبارات بالملة أوالامه أوالكافة أوالعامه وما أشبه ذلك من العبارات

ولا بد للناس فى هذه الصورة بالضرورة من دين ينبنى عليه أساس الجمعية المدنيه ويقال له دين الدولة أوالديانة الرسميه وهو عبارة عن معاملة العباد مع حضرة الالوهيه وما يلزم ان يترتب على ذلك بالادلة العقلية والنقليه فى الدار الآخرة من الثواب على الاعمال المستقيمه والعقاب على الاعمال السيئة السقيمه ولا بد للجمعية البشريه أيضا فى هذه الدار الدنيويه من وازع أى دافع بمعنى حاكم يدفع بعضهم عن بعض بمقتضى أصول وقوانين مربوطه وشرائع وأحكام مقيدة مضبوطه بالنسبة لمن لم يزدجر بتوقع الثواب والعقاب فى الآخرة لما تركب فى طباع الانسان الحيوانيه من الخصال العدوانيه وذلك بما يكون للوازع عليهم من الغلبة والصولة القهريه وهذا هو معنى الملك اوالسلطنة اوالدولة وولاية الامر العمومية اوالخصوصيه ولذلك قد يعبر عن هذه الحالة أيضا بالحالة الملكية بمعنى المدنيه ومن ثم تميز فى حالة الجمعية البشريه الراعى والرعيه والا استقل كل عضو من أعضائها أى افرادها بنفسه وكانوا فوضى بينهم بمعنى انهم لا رئيس لهم وخرجوا عن حالة الجمعية المدنيه ووقعوا فى حالة الاختلال التى هى أسوأ حالا من الحالة التوحشية البدويه

ومما لا بأس بالالماع لكم به هنا أيضا على سبيل الاستطراد وان كان فى الحقيقة ليس من موضوع غرضنا الاصلى المراد ان تعلموا كذلك أن ولاية الامر العموميه ويقال لها أيضا الامامة العامه أوالكبرى أوالخلافة تنقسم الى قسمين الولاية الروحانية أوالرياسة الدينيه والولاية المدنية اوالجسمانية أوالسياسية ويعبر عنها بالزمنيه

وهذه تنقسم كذلك الى ثلاثة فروع أصليه الولاية التشريعية أى قوة تشريع الشرائع ويلتحق بها الولاية القانونيه وهى قوة تقنين القوانين السياسية اللازمة لتأويل الاحكام الشرعية الاصليه وتوقيعها على مقتضى الاحوال الوقتيه والولاية القضائيه أى قوة تطبيق الاحكام وتوفيقها على افراد الجمعية البشريه والقوة التنفيذية اوالتجهيزيه وهى المنوطة باجراء مقتضى الاحكام الشرعيه والقوانين السياسيه وأصول الضبطيه المعبر عنها فى لسان السلف بالحسبه وهناك ما يعبر عنه بالقوة العسكريه وهى عبارة عن الجنود المجنده والجيوش المعدده

التى

التى تستعين بها القوة التنفيذية والقضائية عند الاقتضاء على تنفيذ الاحكام الشرعيه وتنجيز القوانين السياسيه. اعنى تحصيل الامنية لاعضاء الجمعية على نفوسهم واعراضهم واموالهم وانتظام أموالهم فى داخل بلادهم والذب عن الحوزة الوطنية والمرتبة الاهليه بالجهات الخارجيه لحفظ ناموس الجمعية البشرية بالقوة القهريه

وتتفرع القوة التنفيذية المذكورة كذلك الى عدة فروع أصلية قليلة أو كثيرة يتداخل بعضها فى بعض وقد تجتمع عدة منها على رأس رجل واحد من أهل الكفاءة والنهض بحسب جسامة الجمعية واتساعها أو خفة كثافتها واجتماعها وعلى حسب اختلاف أحوال الممالك والبلدان من امتداد الشوكة واتساع نطاق الملك والسلطان تسمى تلك الاقسام بالايالات اوالعمالات أوالولايات والمحافظات والحكداريات أوالمديريات وأقسام المديريات والاخطاط والقرى أوالنواحى وتسمى هذه الاخيرة فى اللغات الاوروبية بالقومونيات اوالمونيسيپاليته بمعنى المشيخة البلديه وهذه الفروع وهى ما يعبر عنه بالتقاسيم السياسيه أوالخطط الارضية السياسيه

وتتفرع الولاية العمومية أيضا الى عدة فروع أصلية تسمى بالوزارات أوالنظارات العمومية وهذه هى التقاسيم الادارية أوالوزارية أوالنظاريه وتسمى بالدواوين العموميه وهى

اولا ديوان المصالح الداخلية المنوط بالنظر فى تحسين الاحوال الاهليه ومواد الضبط والربط أوالحسبة ويعبر عنها فى ديارنا الآن بالضبطيه

ثانيا ديوان الامور الخارجية المنوط بالنظر فى المواد السفاريه وقضايا الطوائف الاجنبيه

ثالثا ديوان الحرب المعبر عنها بديوان عموم الجهادية أو نظارة الجهاديه وهى المنوطة بادارة أمور الجنود وتحصيل ما يلزم لهم من الآلات والادوات المعبر عنها بالمهمات العسكريه

رابعا ديوان البحر اوالبحريه وهو المنوط بادارة الاساطيل وهى السفن الحربيه

خامسا ديوان بيت المال المعبر عنه عندنا الآن بنظارة الماليه وهى المنوطة بالنظر فى مواد جباية أنواع الخراج والجمارك والعوايد الداخليه وضبط موادّ المصارف والواردات الاهليه وتسوية مادة البودجه المعبر عنها عندنا هنا بالميزانية الماليه

سادسا ديوان المعارف الاهلية والاشغال العمومية والاوقاف الخيريه وهى المنوطة بادارة مواد المدارس والمكاتب ونشر سائر المواد التعليميه والنظر فى الاوقاف والصدقات التبرعيه وصرفها فى مصارفها الشرعيه وفى ملاحظة الاعمال النافعة والاشغال الجامعة لمصلحة عموم الناس كمصلحة تزيين المدن والبنادر وتحسين المساكن والحواضر (المعبر عنها بالاورناتو) والنظر فى مصلحة الترع والخلجان والقناطر والجسور وما أشبه ذلك من مهمات الامور

سابعا ديوان المواد القضائيه المعبر عنها فى بعض الجهات بالعدليه ويعبر عنها عندنا بنظارة الاحكام المصرية أوالحقانيه وهى عبارة عن ادارة مواد القضاء والمحاكم الشرعية والمجالس المدنيه والنظر فى مواد الجنايات وسائر القضايا والدعاوى التعامليه

ثامنا ديوان المواد الزراعية والتجارية والصناعية المنوط بالنظر فى مواد ترقية المزارع والمتاجر الداخلية والخارجيه وتقديم الامور الصناعية الاهليه وقد تتداخل هذه النظارات الثلاث فى دائرة نظارة الداخلية او الخارجيه وقد يستقل كل منها بالخصوص بديوان مخصوص

تاسعا ديوان الدائرة الملكية أو السلطانيه المعبر عنها عندنا بنظارة الدائرة الخديوية السنيه وهى تختص بالنظر فى كل ما يتعلق بادارة أشغال ولى الامر الخصوصيه ومصالحه الشخصيه وكلها يعبر عنها عندنا هنا بمديرى العموم أو النظار والمراد بها ما يعبر عنه فى اصطلاح الممالك الاجنبية بطاقم الوزراء أو جماعة الوزراء أو أهل الدولة وهم أرباب المناصب الميريه واصحاب المراتب الملكية والعسكريه أو حاشية الملك أو السلطان على حسب اختلاف أحوال الممالك والبلدان وكلها ترجع للوكالة أو النيابة عن ولى الامر فى بعض الفروع المتفرعة عن عموم ولايته وذلك عبارة عن استعانته فى تمام تأدية وظيفته بأنواع الوزراء والمستخدمين والاعوان والامراء

ومما يقتضى لكم أيضا أيها الاخوان ان تعلموه وتتأملوا فيه وتفهموه ان ولاية الامر المعبر عنها بالدولة أو الحكومة تنقسم من حيث الهيئة والصورة الى ثلاثة صور أصليه ويعبر عنها بكيفية ترتيب ادارة البلاد الاساسية او السياسيه وهى

الاولى الحكومة الملوكية وهى عبارة عن ان تكون البلدة تحت حكومة رئيس واحد يلقب فى العادة بلقب الملك أو السلطان ويقال له فى الممالك الاوروبية الامبراطور بمعنى السلطان وتسمى البلاد التى يحكمها حينئذ بالملك أو المملكة او السلطنة أو الامبراطورية وهذه تنقسم أيضا الى قسمين (أحدهما) الحكومة الملوكية المطلقة وهى ما كانت فيها قوة النفوذ العليا أى مادة التصرف فى أمور المملكة بيد الملك لا يشاركه فيها أحد ولا تتقيد بقيد غير القوانين الاساسية والاصول السياسية الأصلية المبنى عليها ترتيب الدوله (وثانيهما) الحكومة الملوكية المقيدة أو القانونية ويقال لها أيضا المعدلة أو النيابية وهى التى تكون فيها قوة النفوذ العليا متوزعة بين رئيس المملكة ومجلس شورى النواب الاهليه وهو عبارة عن مجموع أناس ينتخبهم أهل كل خطة أرضية أى سكان كل بقعة من بقاع المملكة من ذوى الرأى او التدبير والديانة والخبرة بحقائق الامور ليبدوا رأيهم بعد المذاكرة بالنيابة عن سائر الناس فيما يطرأ من المسائل المهمة التى تتعلق بترتيب احوال البلاد وما ينزل من النوازل الوقتية على العباد وذلك بانتخاب الآحاد بطريق المباشرة ويسمى الانتخاب حينئذ الانتخاب بدرجة أولى أو بواسطة من ينتخبونه لذلك ويسمى الانتخاب بدرجة ثانية وتسمى مجالس الانتخاب بالدوائر الانتخابية ولذلك تسمى الحكومة حينئذ بالحكومة النيابيه ولا يصدق عليها هذا الاسم الا اذا كانت مبنية على ترتيب أساسى مربوط وقانون سياسى مضبوط

وقد تكون الحكومة الملوكية المذكورة بكلا قسميها اما وراثية فى عائلة ملوكية معينة أو انتخابيه

الثانية الحكومة الاعيانية اوحكومة الاعيان والاشراف و يطلق عليها فى اللغة الفرانساويه اسم الاريستوكراسيه ويعبر عنها عندنا بولاية أهل الحل والعقد وقد كانت فى الاصل عبارة عن كون ولاية أمر الجماعة بيد اتقاهم ذمة ديانيه وأرقاهم محبة وطنيه ولكنها آلت لان صارت هى عبارة عن ان تكون ادارة مصلحة البلاد بيد جماعة هم أعيان الطوائف الاهليه وأكثرهم شوكة وماليه وتسمى أيضا فى اللغة الفرنساويه باسم أوليجارشيه أى كون ولاية الامر بيد شرذمة قليلة من الطوائف الاهليه .

الثالثة الحكومة الاهلية و يطلق عليها فى اللغة الفرانساويه اسم الديموكراسيه وهى المعبر عنها أيضا بلفظ الحكومة الجمهوريه وهى عبارة عن كون ادارة مصالح الملة تكون بيدها أعنى انها تحكم نفسها بنفسها من غير سلطة عليها من ملك ولا سلطان ولا جماعة أعيان فهى بعكس الحكومة الملوكية والاعيانيه وتستلزم تساوى جميع افراد الجمعية البلديه فى جميع الحقوق المدنية والسياسيه وانعدام الامتيازات بالكليه وحيث كان لا يمكن لجميع آحاد الطوائف الاهلية ان يباشروا ولاية أمرهم بأنفسهم لزم بالضرورة نصب رئيس للجمهور يه اما ببعث نواب عن كل خطة أرضيه بالطريقة الانتخابية السالفة الذكر لتتركب منهم مجالس شورى نيابيه أو بأخذ الرأى العام من جميع من يعتد برأيه من آحاد أهالى البلاد ولذلك سميت بالجمهوريه والجمهور من الناس بالضم جلهم أى اكثرهم فهى بمعنى الحكومة الاكثريه

وسائر هذه التنظيمات والترتيبات الاداريه مع ماتدور عليه من التأسيسات الحضريه والانشاآت العماريه ومايتبع ذلك من أخلاق كل قوم وعوائدهم ومحاضرهم ومشاهدهم وقوانينهم وأحكامهم وشرائعهم وعلومهم وفنونهم ومعارفهم ومدارسهم ومزارعهم ومتاجرهم وصنائعهم كل ذلك هو مايعبر عن مجموعه بنظام الملك أوالسلطان أو ترتيب المملكة أو السلطنه أو الحالة المدنية أو البلدة المتمدنه أو هيئة الاجتماع الانسانيه وكيفية التأنس العمرانيه وغير ذلك من العبارات التى ذكرنا بعضها فيما سلف آنفا ومجموع ذلك كله هو مايسمى بالتمدن والعمران وموضوع علم التاريخ المدنى هو الانسان من هذه الحيثيه وبعبارة أخرى مختصرة تعريفه التاريخ **المدنى** هو علم باصول يبحث فيه عن الانسان من حيث التمدن والعمران واذا تقرر هذا التمهيد فى الاذهان على هذا الوجه من الايضاح والبيان ساغ لنا ان نقول الآن قال علماء الاوروباويين وينقسم التاريخ المدنى الى عام وخاص

أما التاريخ **المدنى العام** فهو عبارة عما يشمل تاريخ النوع الانسانى وحاله العمرانى كله من عهد الخليقة الى عصرنا هذا وهو الغرض المقصود لنا الاشتغال به فى درسنا هذا وذلك عبارة عن مدة نحو ستة آلاف سنة التى هى عمر الدنيا من عهد آدم الى هذا العهد حسبما حققه الحكماء المحققون واوقفت عليه العلماء المدققون من الجمهور باويين والاسلاميين وكما

سنوضحه بعد وقد جرت عادة المؤرخين من الافرنج بأن يقسموا التاريخ المدنى العام أعنى مدة الستة آلاف سنة المذكورة الى أربع مدد أو عهود أصليه

الاولى مدة العالم القديم أو الدنيا القديمة ويسمونه **بالتاريخ القديم** وهو تلك الاعصار الخالية والقرون الماضية من ابتداء خلق الدنيا الغاية سنة ٤٧٦ قبل المسيح عليه السلام وهى سنة زوال الدولة الرومانية باغارة أقوام شمال أوروبة عليها أعنى زوال دولة ملوك الروم الاولى التى كانت قائمة بمدينة رومية الكبرى (ببلاد ايطاليه) وذلك عبارة عن مدة نحو ثلاثة آلاف وخمسمائه وثلاثين سنة من عمر الدنيا

والتاريخ المدنى العام القديم عبارة عما يعم تاريخ الامم الشهيره والممالك الكبيره التى ظهرت فى تلك الاعصار العتيقة بجميع أقطار الارض المعموره وهم

أولا **القبط** أعنى دولة قدماء المصريين أو الفراعنة الاقدمين

ثانيا **اليهود** أى العبرانيون ويقال لهم بنو اسرائيل أو الاسرائيليون

ثالثا **الفنيقيون** أو الصوريون وهم سكان سواحل الشام السالفون

رابعا **الاسوريون** أو السريانيون والبابليون وهم قدماء سكان العراق وكردستان وجزيرة ابن عمر

خامسا **الميديون** وهم قدماء سكان أذربيجان والفرس المعروفين عند العرب بدولة العجم

سادسا **الليديون** وهم قدماء سكان الخطة الغربية من بلاد أرمنية أو ساروخان

سابعا **السيتيون** أو أقوام يأجوج ومأجوج وهم قدماء أهل بلاد الروسيه والتتر والترك

ثامنا **اليونان** أو الهيلينيون

تاسعا الروم أو **الرومانيون** وهم دولة ملوك الروم التى كان مقرها بمدينة رومية الكبرى ببلاد ايطاليه

عاشرا **القرطاجيون** وهم أهل مدينة قرطاجنة أو قرطاجنة القديمة أى قدماء سكان ايالة تونس الغرب

فهؤلاء هم الامم المشهورون والملل المعتبرون الذين اتفق جمهور المؤرخين الاوروباويين على ان يعبر عنهم بالتاريخ القديم حيث بقى لهم بعض آثار دلت عليهم أو ذكرهم فى الكتب المنزلة أو كتب المؤرخين السالفين من اليونان والروم بعض أخبار يسيرة أو كثيره أوقفتهم على بعض أحوالهم وأما من عداهم من سكان الارض المعموره فى الاعصار السالفة المذكوره كاهل الهند والصين واسلاف سكان جزائر الاوقيانوس (البحر المحيط الاعظم) المسماة باسترالية واسلاف سكان بلاد اسبانية المعروفة بالاندلس وكذلك اسلاف سكان جزيرة العرب فى أيام الجاهلية الاولى

و بلاد

و بلاد امريقة وغيرهم فجميع هؤلاء ليس لهم تاريخ مستقر يذكر ولا خبر ثابت يؤثر لعدم الوقوف لهم على شئ من الآثار والأخبار وان كان الظاهر انه قد كان لهم دول كبيره وملل متمدنة شهيره فى تلك الاعصار

المدة الثانية الاعصار المتوسطة أو القرون الوسطى ويسمونه بتاريخ القرون الوسطى أو **التاريخ المتوسط** وهى المدة المنقضية من بعد سنة ٤٦٧ قبل المسيح لغاية سنة ١٤٥٣ من بعد ميلاده وهى سنة افتتاح الدولة العثمانية لمدينة القسطنطينية أى زوال دولة الروم الثانية المعروفة بالسلطنة الرومانية الشرقية أو السلطنة السفلى التى كان مقرها بالقسطنطينيه على يد السلطان محمد الثانى من السلاطين العثمانيه عبارة عن ألف وتسعمائة وثلاثين سنة من عمر الدنيا وهى المدة التى بأثنائها انشأ دين **الاسلام** وظهرت أمة العرب واشتهرت على جميع أمم الانام

المدة الثالثة الاعصار الحديثة أو القرون المتأخره ويسمونه **التاريخ الحديث** أو المتأخر أو تاريخ القرون الاخيره وهى المدة الماضية من سنة ١٤٥٣ لغاية سنة ١٧٨٩ من تاريخ المسيح وهو تاريخ العالم الجديد أو الدنيا الجديدة أى تاريخ الامم المتأخرين والملل المتجاورين ببلاد آسية وافريقية واوروبة وامريقة والاوقيانوسية من الترك والفرنسيس والانجليز والالمان والاسكانديناوية والامريقانية وغيرهم من سكان المعموره فى المدة المذكوره وهى عبارة عن مدة الثلاثة قرون الاخيرة لغاية أواخر القرن الثامن عشر من الميلاد المسيحى

المدة الرابعة مدة العصر الحاضر ويسمى بالتاريخ العصرى أو المعاصر وهو تاريخ الامم المذكورة فى هذه المدة الحاضرة الاخيره أى مدة القرن التاسع عشر من الميلاد المسيحى

هذا هو تقسيم التاريخ المدنى العام على الوجه الجارى عليه الانقسام عند جمهور المؤرخين المتأخرين من العلماء الاوروباويين وبعضهم يدخل هذه المدة الرابعة فى ضمن المدة الثالثة أى مدة الاعصار الحادثة ويجعل الاقسام ثلاثة وهذا القسم أعنى التاريخ العام هو ما كتب فيه مثل كتاب الكامل لابن الاثير الجزرى وتاريخ ابى الفدا وتاريخ الخميس والمسعودى وما أشبهها

وأما التاريخ **المدنى الخاص** فينقسم أيضا فى اصطلاح المؤرخين الى قسمين

الاول التاريخ المدنى الخصوصى وهو عبارة عما يختص بغرض واحد معين كتاريخ مدينة أو اقليم أو مملكة أو سلطنة أو دولة أو عائلة ملوكية أو ذات مخصوصة ويطلق عليه فى هذه الصورة الاخيرة فى اللغه الفرانساويه اسم البيوجرافيه أى السيرة أو القصة أو الحياة الخصوصية كسيرة **سيدنا محمد** صلى الله عليه وسلم وتاريخ دمشق وحسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة للشيخ السيوطى والروضتين فى تاريخ الدولتين النورية والصلاحية للشيخ المقدسى ووفيات

الاعيان وأنباء أبناء الزمان للقاضي ابن خلكان وخلاصة الاثر فى أعيان القرن الثانى عشر للمحبي وما أشبه ذلك

الثانى التاريخ المدنى الجزئى وهو ما تعلق بخصوص مدة شهيرة أو حادثة كبيرة كتاريخ حرب الصليب وتاريخ حرب الثلاثين سنة وغير ذلك

ويطلق على التاريخ الخاص اسم التاريخ القسيسى أو السفارى أو السياسى أو الشرعى أو القضائى أو التجارى أو الزراعى أو الصناعى أو الادبى أو تاريخ العلوم والفنون أو غير ذلك من الموضوعات الخصوصية على حسب ما يقيد به المؤرخ تأليفه من المواد الخصوصيه والاغراض الشخصيه فان كتب التاريخ على حسب ترتيب السنين بقلم فحل ووجه محل قيل له تاريخ الحوادث السنويه وان كان بعض ما كتب على هذا الوجه قد يكتب بطريقة أدبيه واذا كان المؤرخ معاصر المـا سطره من الحوادث العصريه ومشاهدا لما حرره من الوقائع الدهريه وكان له فيها بعض مدخليه حيث شاهد بعينيه مشاهدها وعهد معاهدها سمى ما يكتبه بالتذكرة التاريخيه وان تعلق بذاته الخصوصيه سمى بالحياة الشخصيه

وينقسم التاريخ على وجه العموم من حيث طريقة تحريره وكيفية تسطيره أى بالنظر للطريقة المسلوكة فى اقتصاص الوقائع الزمنية الى ما يسمى فى اللغة الفرانساوية باسم الكرولونوجيه أى علم الازمان وهو ما يتبع ترتيب الاعصار على وجه الانتظام والى ما يسمى باسم الاتنوجرافيه وهو ما يتبع تاريخ كل أمة من الامم على حدتها فان تتبع جميع الحوادث الواقعة من الامم الشتى فى عصر واحد سمى باسم السنكرونيسم ويسمى التاريخ بالنظرى أو الفلسفى اذا كان المؤرخ قد اقتص الوقائع مع توضيح اسبابها ومسبباتها وغير ذلك

وينقسم التاريخ القديم من حيث أصل استمداده الى التاريخ المقدس أى المطهر أو الالهى وهو تاريخ اليهود لكون أصل استمداده من التوراة وهو المعبر عنه عندنا بقصص الانبياء والتاريخ الدنيوى أو البشرى وهو تاريخ من عداهم من الامم المذكورين آنفا لكونه من تأليف البشر ووضعهم

ومن فروع علم التاريخ العام علم الانساب وهو معرفة أصل كل أمة أو قبيلة أو رجل من مشاهير الرجال وكبار الابطال المذكورين فى التواريخ البشرية أو المقدسه

ومما يتحد بعلم التاريخ الاتحاد الشديد ويرتبط به الارتباط الاكيد ما يعرف بعلم **الجغرافية** أو الجيوجرافية أى علم وصف الارض وتقويم أحوال البلدان على ما هى عليه فى كل عصر وأوان ومما يقال ان علمى الكرونولوجية والجغرافية هما التاريخ عينان ويقال أيضا ان التاريخ والجغرافية اخوان يتعاونان وفرسا رهان يتسابقان ويتداخلان لان كل منهما فى الثانى اذ لا تتم معرفة حوادث الازمنه من غير وقوف على ما وقعت فيه من المواضع والامكنه

ومن

ومن فروع علم التاريخ أيضا ما يسمى فى اللغة الفرانساوية بعلم الاستاتستيك أى علم التعداد بمعنى احصاء الاشياء واستقصاء جميع المواد فى كل بلدة من البلاد .

وليس علم الجغرافية من موضوع درسنا هذا ولذلك نيط لعهدة مدرس فاضل من اخواننا المدرسين الذين هم لتعليمكم متعينون ليطلعكم منه مع ماسنلقيه اليكم من فوائد علم التاريخ العام على ماينور منكم ان شاء الله تعالى الافهام ويكون لكم فى معرفة حقيقة الكرة الارضية التى نحن أهلوها ودار الدنيا التى نحن ساكنوها كالاعلام اذ ليس من العار ان يجهل الانسان زوايا داره ولا يعرف كل ساكن بجواره والغرض المقصود لنا بالخصوص كما علمتم وبما أوضحناه لكم الى هنا فهمتم انما هو ايراد فوائد تاريخه وشواهد مختصرة مفيدة تفهمها الخاصة والعامه من أخبار الامم الذين ساكنونا فى هذه الدار واعتنوا فيها باسباب العمارة فى جميع الاقطار والامصار على تعاقب الايام والاعصار بطريق التاريخ الاتنوغرافى والوجه التعليمى التعريفى أعنى استئصال أحوال كل أمة أمة بمفردها واستقصاء أخبار كل ملة بعد ملة على حدتها من الامم المذكورة آنفا فى كل مدة بعد مدة من المدد المسطرة سالفا على وجه الاختصار هذا ما تجرد اليه منا القصد لنبذل فيه ان شاء الله تعالى الجهد والله هو الموفق للصواب واليه المرجع والمآب فان توهم جاهل أو قال قائل هؤلاء أمم قد خلت ومضت وملل اندرست وانقرضت أو أقوام فى أقطار نأت عنا وبعدت فما لنا ولاستئصال أحوالهم وأعمالهم وما الفائدة العائدة علينا من استقصاء أقوالهم وأفعالهم قلنا الجواب فى هذا المبحث الآتى بعد

المبحث الثانى

فى بيان ثمرة التاريخ واصله وحكمه وماذا ينتج من مطالعة علمه

قال القاضى ابن خلدون رحمه الله تعالى فى أول مقدمة تاريخه ما نصه « اعلم ان فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية اذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الامم فى أخلاقهم والانبياء فى سيرهم والملوك فى دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى أحوال الدين والدنيا » اه وفى هذه العبارة كفاية للدلالة على نفاسة فن التاريخ وبيان كثرة فوائده وثمرته وشرف غايته وان المقصود به هو علم الاخلاق وهو اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل بواسطة الاقتداء بما يراه الناظر فيه من الافعال المحمودة والانتهاء عن الاعمال المذمومة فى جميع أحواله الدينية والدنيويه .

وما أحسن ماذكره الشيخ شهاب الدين اسماعيل بن ابراهيم المقدسى مؤلف كتاب الروضتين فى تاريخ الدولتين النورية والصلاحية رحمه الله تعالى فى خطبة ذلك الكتاب حيث قال واصاب « أما بعد فانه بعد ان صرفت جل عمرى ومعظم فكرى فى اقتباس الفوائد الشرعيه واقتناص

الفرائد الادبيه عن لى ان أصرف الى علم التاريخ بعضه فأحوز بذلك سنة العلم وفرضه اقتداء بسيرة من مضى من كل عالم مرتضى فقل امام من الائمه الا ويحكى عنه من أخبار من سلف فوائد جمه منهم امامنا أبو عبد الله الشافعي رضى الله عنه قال مصعب الزبيرى ما رأيت أحدا أعلم بايام الناس من الشافعي ويروى عنه انه أقام على تعلم أيام الناس والادب عشرين سنة وقال ما أردت بذلك الا الاستعانة على الفقه « قال الشيخ المقدسى رحمه الله وأكرم مثواه » قلت وذلك عظيم الفائده جليل العائده وفى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أخبار الامم السالفه وأنباء القرون الخالفه ما فيه عبر لذوى البصائر واستعداد ليوم تبلى السرائر قال الله عز وجل وهو أصدق القائلين « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » وقال سبحانه وتعالى « ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر » وحدث النبى صلى الله عليه وسلم بحديث أم ذرع وغيره مما جرى فى الجاهليه والايام الاسرائيليه وحكى عجائب ما رآه ليلة أسرى به وعرج وقال حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج وفى صحيح مسلم عن سماك بن حرب قال قلت لجابر بن سمرة أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم كثيرا كان لا يقوم من مصلاه الذى صلى فيه الصبح والغداة حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قام وكانوا يتحدثون فيأخذون فى أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم وفى سنن أبى داود عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال « كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن بنى اسرائيل حتى نصبح الحديث » قال الشيخ المقدسى رحمه الله « قلت ولم تزل الصحابة والتابعون ومن بعدهم يتفاوضون فى حديث من مضى ويتذاكرون ما سبقهم من الاخبار وانقضى » الى أن قال » ولقد رأيت مجلسا جمع فيه ثلاثة عشر مدرسا وفيهم قاضى قضاة تلك الزمان وغيره من الاعيان فجرى بينهم وأنا أسمع ذكر من تحرم عليه الصدقة وهم ذوو القربى المذكورون فى القرآن فقال جميعهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وعدلوا جميعهم فى ذلك عما يجب فعجبت من جهلهم حيث لم يفرقوا بين عبد المطلب والمطلب ولم يهتدوا الى ان المطلب هو عم عبد المطلب وان عبد المطلب هو أبو هاشم فأحقهم بلوم كل لائم ان هذا اصل من أصول الشريعة قد أهملوه وباب من أبواب العلم جهلوه ولزم من قولهم اخراج بنى المطلب من هذه الفضيله فابتغيت الى الله تعالى الوسيله وانفت لنفسى من ذلك المقام فأخذتها بعلم أخبار الانام وتصحيح نسبتها وايضاح محجتها الى آخر عبارته التى لولا خشية اطالتها لاوردناها هنا برمتها

ومما قال فى ضمن هذه العبارة أيضا من الكلام المناسب لما نحن فيه من المقام « ورأيت ان المطلع على أخبار المتقدمين كأنه قد عاصرهم أجمعين وانه بما تفكر فى أحوالهم وتذكرهم كأنه كان معاصرهم ومحاضرهم فهو قائم له مقام الحياه وان كان معجل الوفاه » قال الشيخ

المقدسى رحمه الله » قال نعيم بن حماد كان عبد الله بن المبارك يكثر الجلوس فى بيته فقيل له الا تستوحش فقال كيف استوحش وأنا مع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعنى النظر فى الحديث » وأنشد لبعض الفضلاء

كتاب أطالعه مؤنس * أحب الىّ من الآنسه
وادرسه فيربنى القبر * ون حضوروا أعظمهم دارسه

قلت وقريب من هذا قول بعضهم

لنا جلساء لا يملّ حديثهم * البّاء مأمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم مامضى * وعقلا وتأييدا ورأيا مسددا
فان قلت أموات فلست بكاذب * وان قلت أحياء فلست مفندا

وقال ابن الاثير ايضا فى الكامل فى هذا المقام رحمه الله ولا بأس هنا بايراد ما أبداه ونصه » واقد رأيت جماعة ممن يدعى المعرفة والدرايه ويظن بنفسه التبحر فى العلم والروايه يحتقر التواريخ ويزدريها ويعرض عنها ويلغيها ظنا منه ان غاية فائدتها انما هو القصص والاخبار ونهاية معرفتها الاحاديث والاسمار وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره واصبح مخشلبا جوهره ومن رزقه الله طبعا سليما وهداه صراطا مستقيما علم ان فوائدها كثيره ومنافعها الدنيويه والاخرويه جمة غزيره وها نحن نذكر شيئا مما ظهر لنا فيها ونكل الى قريحة الناظر فيه معرفة باقيها فأما فوائدها الدنيويه فمنها ان الانسان لا يخفى انه يحب البقاء ويؤثر ان يكون فى زمرة الاحياء فياليت شعرى أى فرق بين مارآه أمس أو سمعه وبين ماقرأه فى ضمن الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين فاذا طالعها فكأنه عاصرهم واذا علمها فكأنه حاضرهم ومنها ان الملوك ومن اليهم الامر والنهى اذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة فى الكتب يتناقلها الناس فيرويها خلف عن سلف ونظروا الى ما أعقبت من سوء الذكر وقبيح الاحدوثة وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الاموال وفساد الاحوال استقبحوها وأعرضوا عنها وأطرحوها واذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها ومايتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم وان بلادهم وممالكهم عمرت وأموالها درت استحسنوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه وتركوا ماينافيه هذا سوى مايحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التى دفعوا بها مضرات الاعداء وخلصوا بها من المهالك واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخرا ومنها مايحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وماتصير اليه عواقبها فانه لا يحدث أمر الا وقد تقدم هو أو نظيره فيزداد بذلك عقلا ويصبح لان يقتدى به أهلا ولقد أحسن القائل حيث يقول شعرا »

رأيت العقل عقلين * فمسموع ومطبوع

ولا ينفع مطبوع ✻ اذا لم يك مسموع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

يعنى بالمطبوع العقل الغريزى الذى خلقه الله تعالى للانسان والمسموع ما يزداد به العقل الغريزى من التجربة وجعله عقلا ثانيا توسعا وتعظيما له والا فهو زيادة فى عقله الاول ومنها ما يتجمل به الانسان فى المجالس والمحافل من ذكر شئ من معارفها ونقل طريفة من طرائفها فترى الاسماع مصغية اليه والوجوه مقبلة عليه والقلوب متأملة ما يورده ويصدره مستحسنة ما يذكره واما الفوائد الاخروية فمنها ان العاقل اللبيب اذا تفكر فيها ورأى تقلب الدنيا باهلها وبنيها وتتابع نكباتها الى اعيان قاطنيها وانها سلبت نفوسهم وذخائرهم واعدمت اصاغرهم واكابرهم فلم تبق على جليل ولا صغير ولم يسلم من نكدها غنى ولا فقير زهد فيها واعرض عنها واقبل على التزود للآخرة منها ورغب فى دار تنزهت عن هذه الخصائص وسلم أهلها من هذه النقائص ولعل قائلا يقول ما نرى ناظرا فيها زهد فى الدنيا واقبل على الآخرة ورغب فى درجاتها العليا فياليت شعرى كم رأى هذا القائل قارئا للقرآن العزيز وهو سيد المواعظ وافصح الكلام يطلب به اليسير من هذا الحطام فان القلوب مولعة بحب العاجل ومنها التخلق بالصبر والتأسى وهما من محاسن الاخلاق فان العاقل اذا رأى ان مصاب الدنيا لم يسلم منه ذوكرم ولا ملك معظم بل ولا أحد من البشر علم انه يصيبه ما أصابهم وينوبه ما نابهم شعر

وهل أنا من غزية ان غوت ✻ غويت وان ترشد غزية ارشد

ولهذه الحكمة وردت القصص فى القرآن المجيد ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فان ظن هذا القائل ان الله سبحانه أراد بذكرها الحكايات والاسمار فقد تمسك من أقوال الزيغ بحكم سببها حيث قالوا هذه اساطير الاولين اكتتبها نسأل الله تعالى ان يرزقنا قلبا عقولا ولسانا صادقا ويوفقنا للسداد فى القول والعمل وهو حسبنا ونعم الوكيل انتهى كلام ابن الاثير فى الكامل

وفى عبارات هؤلاء العلماء الافاضل والفقهاء الاكامل ما لامزيد عليه فى التنبيه على مزية علم التاريخ وفضله والتنويه بفخامة قدر المشتغل بروايته ونقله وعلو مرتبته والتصريح بسنيته اى مندوبيته مع التلويح بكونه قد يكون فى بعض الحالات من الواجبات يعنى فروض الكفاية التى اذا قام بها البعض سقط الوزر عن الباقين كسائر العلوم والفنون والصنائع والحرف النافعة كما هو معلوم وها هو الشيخ المقدسى رحمه الله وبرد ثراه قد نص فى ضمن عبارته المنقولة هنا أعلاه على ان علم التاريخ هو من أصول الدين وهو كذلك بيقين وبيانه ان من الاصول المقرره والقواعد الاصلية المسطره ان شرع من قبلنا شرع لنا اذا لم يرد فى شرعنا

ما يناقضه وعلى ذلك ينبنى انه يقتضى لنا ان نعرف شرائع الامم الماضين ونقف على أحوال الملل الخالين حتى نقف على حقيقة حال شريعتنا ونعرف كيفية تركيب جسم جمعيتنا ونقابلها بأحوال من مضى ونعرف فضلها ومن يتها بالنسبة لاحوال الجيل الذى انقضى ولهذا المعنى يرجع ما فى قول الشيخ المقدسى اندرج من حديث حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج فضلا عما يجب مع ذلك من معرفة تواريخ نزول آيات القرآن الشريف لنعرف الناسخ منها والمنسوخ ومعرفة علم الانساب الذى توقف عليه كما أوضحه الشيخ المقدسى رحمه الله فى ضمن حكاية الواقعة المسطوره فى خطبته المذكوره من الانحراف عن الصواب والعدول عن اداء الواجب ومالا يتم الواجب الا به فهو واجب ولعل هذا هو معنى قول الامام الشافعى رضى الله عنه فيما روى عنه انه أقام على تعلم أيام الناس عشرين سنة وقال ما أردت بذلك الا الاستعانة على الفقه فلينظر ذلك وليتأمل وليعمل له من وفقه الله تعالى للعمل

وذلك فضلا أيضا عما يفتح من مطالعة علم التاريخ للناظر فيه من جليل العبر والاقتداء بجميل السير والانتهاء عن الفحشاء والمنكر والبغى والضرر فيما يتعلق بتحسين الاحوال فى الحال والاستقبال كما صرح به فى الآيات القرآنية المذكورة اعلاه ودل عليه حديث « من ورخ مؤمنا فقد احياه » وقد قالوا ان التاريخ مدرسة التجارب يتعظ فيها الحاضر بالغائب وغير ذلك وقد عد العلماء علم التاريخ من جملة العلوم الاثنى عشر الادبيه ويقال لها العربيه المضبوطة فى قول الشيخ حسن العطار المصرى رحمه الله

نحو وصرف عروض بعده لغة ❋ ثم اشتقاق قريض الشعر انشاء
كذا المعانى بيان الخط قافية ❋ تاريخ هذا لعلم العرب إحصاء

ولعل المراد بذلك هو ان هذه العلوم الاثنى عشر بالكيفية التى هى عليها فى اللغة العربية هى من علوم العرب التى اشتغلوا بها ودونوها لانها مختصة بهم على وجه بحيث انهم هم الذين اخترعوا أصلها او كونوها ولا نظير لها عند غيرهم من الامم فان من اطلع على اللغات الاجنبيه ولا سيما على لغات الامم الاوروبيه علم ان لكل أمة متمدنة نحوا وصرفا وعروضا ولغة وشعرا وتاريخا وغير ذلك من العلوم المنسوبة للعرب فى هذا القول الذى اشتهر وهى المعبر عنها بالنسبة لكل أمة بعلوم الادب والتاريخ بمعنى مطلق اقتصاص الحوادث هو علم قديم بقدر مدة قدم العالم تصعد أوليته بالضرورة لعهد آدم ومأخذ ذلك من قوله عند استيقاظه من نومته التى ألقاها الله عليه ليخلق حواء من ضلعه حسبما ورد فى التوراة « هذه عظم عظمى ولحم لحمى » اذ قوله هذا هو حكاية حادثة شاهدها وواقعة عهدها وما أشبه ذلك ثم ترقى التاريخ بهذا المعنى شيئا فشيئا كسائر العلوم البشريه والصنائع والفنون والحرف الحضريه حتى دونه السلف من الامم المتقدمين كالعبرانيين والقبط واليونان والرومانيين وجاءت ملة العرب المسلمين فاعتنوا به كذلك ودونوه كسائر العلوم الاسلاميه

والصنائع والفنون والحرف العملية والعلميه لغريزة الميل بالطبع لتناقل الاخبار والآثار لقصد الفخار الى ما يأتى من الاعصار ولضرورة تداول أحكام الشرع من السلف للخلف فى جميع الاقطار فان قيل وهل لعلم التاريخ هذا أصول ثابتة يستند اليها وقواعد قوية يعتمد عليها وهل له أسانيد معتبرة يؤخذ منها وموارد مستقرة يروى عنها أم هو كما قد يتوهم خبط عشواء وخلط عمياء وأقوال هوائية من روايات القصاصين وحكايات الراوين لا أصل لها والا فما مسائله واستمداده وما حالته التى آل اليها فى هذا العصر واستعداده والجواب عن ذلك فى المبحث الآتى ايراده

المبحث الثالث

فى قواعد علم التاريخ ومسائله واستمداده وما آل اليه من حالة كماله واستعداده

لاشك فى ان التاريخ علم متين وفن مكين مبنى على قواعد قويه وأصول ثابتة مستقيمة سويه وبيان ذلك ان التاريخ لما كان عبارة عن حكاية وقائع الزمان وحوادث الحدثان كان مبنيا اما على دلائل المشاهدة والعيان التى هى أقوى أنواع البرهان وأما على النقل عن الرواة الثقاة بالاسانيد المعتبره والروايات المعتمدة المشتهره كعلم تفسير القرآن والحديث بل يصح ان يقال انهما فرع منه فهو داخل فى ضمن قول بعضهم « العلم ما كان فيه حدثنا » وانما يرجع على كل حال لامانة حاكيه وديانة راويه على ان علم التاريخ لا يكتفى فيه بمجرد النقل والروايه بل لابد من النظر فيه أيضا بنور العقل والدرايه قال القاضى ابن خلدون رحمه الله فى صدر مقدمة تاريخه فى سياق قوله المنقول أعلاه «فهو (أى علم التاريخ) محتاج الى مآخذ متعددة ومعارف متنوّعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبه الى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط لان الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال فى الاجتماع الانسانى ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط فى الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا لم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة فى الاخبار فضلوا عن الحق وتاهوا فى بيداء الوهم والغلط ولا سيما فى احصاء الاعداد من الاموال والعساكر اذا عرضت فى الحكايات اذ هى مظنة الكذب ومطية الهذر ولا بد من ردها الى الاصول وعرضها على القواعد (انتهى كلام القاضى ابن خلدون رحمه الله)

ومن ثم يعلم ان علم التاريخ له قواعد يعتمد عليها وأصول يستند اليها وهى

أولا على دلائل المشاهدة والعيان فضلا عن النقل مع النظر في ذلك بنور العقل ومبناه في كلتا الحالتين حسبما أسلفناه وكما يفهم من أصل وضعه وتعريف معناه على أساس الصدق ومراعاة الحق من غير كذب ولا تملق ولا تعرض لقصد اكتساب حطام الدنيا الفانية كما انه لا ينبغي أيضا ان ينبني على انكار فضل الفاضل وعدم الاقرار بكمال الكامل وبخس الناس أشياءهم لحقد أوحسد أوحمية دينية أوغير ذلك من أنواع سوء الخلق فقد قالوا ان المؤرخ يقتضي ان يكون كحكم عدل وقاض منصف أوشاهد بالحق والانصاف ينقل الشهادة عن السلف للخلف من غير ميل ولا انحراف ومن هذا الوجه يخالف التاريخ ما يعرف الآن عند أدباء الافرنج باسم **رومان** بمعنى الحكايات المخترعه والخرافات المصطنعه لقصد الترغيب في مكارم الاخلاق والترهيب من المساوي والنفاق وان كانت قد تستند لاصل تاريخي ومأخذ واقعي حقيقي مع بعض زيادات وتلفيقات وتوفيقات وقد تعنون بلفظ التاريخ أوالقصة كقصة عنترة بن شداد والقصة المترجمة من اللغة الانكليزية باسم روبنصون كروزي أوالسندباد وغير ذلك

ثانيا من الاصول التي يعتمد علم التاريخ عليها والقواعد التي يرجع فيه اليها أصول العادة وهو المقصود بقوله ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالغائب ومعنى ورد ها الاصول العاده وقياسها باشباهها ونظائرها من الوقائع المضاهية لها وهذا أمر لا يحتاج من الايضاح لزياده

ثالثا منها أيضا كما نص عليه القاضي ابن خلدون رحمه الله في عبارته المنقولة عنه أعلاه قواعد علم السياسة أي سياسة الامم والدول والممالك وما يقتضي ان يكون عليه سيرها من الطرق والمسالك ومبنى ذلك كله بطريق الاجمال هو كما ذكره الفلاسفة المتقدمون وأوضحه الحكماء المتأخرون على العقد الاجتماعي اوالتأنسي اوعقد الشركة الانسانية وهو ما انعقد ضمنا في مبدأ كل اجتماع تأنيس بين كل رئيس ومرؤس اوصريحا فيما بعد بعقد المبايعة بين كل راع ورعية على الحقوق والواجبات اللازمة على كل من الطرفين المتعاقدين وذلك عبارة كما قالوه ونصوا عليه في مكانه واولوه عن كون المرؤسين بمجرد رضاهم بالسير امام رئيسهم المتقدم عليهم لمصلحة الدفاع عنهم في أول الامر مثلا كانهم قالوا له انما رضينا بترئيسك علينا بشرط ان تقوم لنا بكل ما يجب لحفظنا وما فيه تحصيل غرض راحتنا وسعادتنا والتزمنا لك في نظير ذلك ببذل نفوسنا وأموالنا معك وكل ما يلزم لك من المعونة والجنود للحصول على هذا الغرض المقصود وهو تقبل ذلك منهم بمجرد سيره بالفعل امامهم وكونه رضي بان تقدمهم وكذلك الحال فيما يترتب على المبايعة الشرعية الصريحه من الحقوق والواجبات الصحيحه الحاصلة بين الامام والرعيه بالوجه الصريح حسبما يقع عليه في صيغتها التصريح وبعبارة مختصرة أخرى أصول السياسة ترجع كلها الى أمرين أصليين أحدهما ما يجب على الراعي من حفظ الرعية وهو حق الرعية عليه وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام «كل راع مسئول عن رعيته» والثاني ما يجب

على الرعية من اعانته وهو حقه عليهم وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم عليه «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ماله وولده ونفسه التى بين جنبيه» كما هو مبسوط فى كتبه المخصوصة به رابعا من الاصول التى ينبنى عليها علم التاريخ كما نص عليه أيضا أعلاه القاضى ابن خلدون رحمه الله طبيعة العمران واختلاف أحوال اجتماع الانسان يشير بذلك الى ماذكره بعض الحكماء وأوضحه أيضا العلماء من انهم كما صوروا فى علم تعبية الجيوش العسكر فى صورة طائر له جناحان الميمنة والميسرة ورأس أو طليعة وذنب أو ساقة كذلك صور واكل اجتماع انسانى وتأنس عمرانى أو دولة أو مملكة أو بلدة أو خطة أرضية أيا كانت من مدينة أو اقليم أو قرية أو غير ذلك فى صورة جسم آدمى حى وهيئة شخص معنوى رأسه ولاة الامور والامراء وقلبه العلماء ويده العساكر والجنود وباقى الاعضاء والاطراف هم سائر طوائف الرعيه ومن ثم يعبر عن آحاد الناس فى كل جمعية عماريه باعضاء الجمعية البلديه وبنوا على ذلك ان لجميع الامم والملل والاديان والنحل وكل جمعية حضريه كالاشخاص البشريه من توالى الاعمار مايعتريه سائر الاطوار فلابد لهم من المرور بطور الطفولية والشبيبة والكهولة والشيخوخة والهرم وانه قد يعتريها فى اثناء ذلك من الاعراض بعض أحوال مرض وسقم ويختلف تاريخ كل أمة من الامم بحسب اختلاف أحوال تلك الاطوار قال القاضى ابن خلدون رحمه الله كلزوم العصبية فى أوّل أمر كل دولة من الدول أو ملة من الملل بخلاف ما اذا بلغت لحد الكمال والاستقرار وغير ذلك من الاحوال التى تختلف بحسب اختلاف الاعمار على ممر الاعصار وبهذا المعنى ألم أحمد بن الحسين المتنبى المشهور فى شعره المأثور بقوله

أتى الزمان بنوه فى شبيبته ❋ فسرهم وأتيناه على الهرم

خامسا من القواعد الاصلية والاصول الكلية التى ينبنى عليها علم التاريخ شكل الارض وطبيعة القطر والمكان الذى حصل فيه الاستيطان وبيان ذلك كما نص عليه غير واحد من المؤرخين الاورواويين وغيرهم من المؤلفين ان لاختلاف أشكال الاراضى وتنوع طبائع البلدان تأثيرا عظيما على أحوال من بها من السكان فلا تجد نزلة بشريه ولا استيطانة حضريه اللهم الا على ماء جار وعلى نهر من الانهار او على سواحل البحار ومن كان استيطانه من الامم على أرض خصبة صالحة للزراعة كان الغالب عليها العناية بالاعمال الزراعيه وان كانت اراضيهم جبلية ذات مراعى واعشاب توجهت عنايتهم لتربية المواشى والدواب والا كان الغالب عليهم فى تحصيل موادمعاشهم والتماس وسائل سعادتهم وانتعاشهم الاشتغال بالاعمال الصناعيه وترى الملل الذين استوطنوا سواحل البحار اكثرهم بحاره واغلب عنايتهم بالتجاره الى غير ذلك من اختلاف احوال الاقطار والممالك وحينئذ فيختلف تاريخ كل ملة من الملل بحسب اختلاف طبيعة اراضيها من سهل او جبل كما علم ذلك بطريق الاستقصاء وثبت بدليل النظر والاستقراء

فهذا هو ما تيسر لنا استنباطه من القواعد الاصليه والاصول الاساسيه التي ينبني عليها علم التاريخ الخاص والعام كما نبه عليه هؤلاء الائمة الاعلام

واما مسائل علم التاريخ فقد قال العلماء ان مسائل كل علم هي اصوله الكليه وقواعده الاصليه التي تتفرع عنها احكامه الجزئيه وبعبارة اخرى هي قوانينه الاجماليه المستنبطة من ادلته التفصيليه كقولهم في علم النحو مثلا كل فاعل مرفوع ينبني عليه ان زيد في قولك ضرب زيد يجب رفعه في مثل هذا المثال وهكذا على هذا المنوال وتطبيق ذلك على علم التاريخ ان نقول يقتضي ان تكون مسائل علم التاريخ هي قواعده الاصليه واصوله الكليه التي ذكرنا بعضها فيما سلف وعسى ان يأتي من بعدنا من يستقصيها فيمن خلف حيث تتفرع منها أحواله الاستقرائيه وأحكامه الجزئيه كقولهم مثلا ان كل دولة اومملكة في أول امرها يلزم لها العصبيه وان كل ملة بلغت الهرم صعب معالجة مالابدان يعتريها من المرض والسقم وعلى ذلك ينبني اننا اذا شاهدنا في التواريخ والاخبار دولة او ملة بهذه الاحوال والآثار رددنا تلك الاحوال الجزئيه الى هذه الاصول الكليه والقواعد الاصليه وهكذا على هذا المثال

وأما استمداده وأصل منبعه وايراده فهو من عدة أمور حسبما هو بعد مذكور

الاول الكتب الدينية التي بقيت على ممر الاعصار أو حصل العثور عليها في بعض الآثار المأثورة عن الامم السالفه والملل الآنفه وأسبقها التوراة صحف موسى عليه السلام حيث ذكر فيها تاريخ خلق العالم وقصص الانبياء السالفين وأخبار بعض الملوك المتقدمين وغير ذلك ولذلك يقول مؤلفو الافرنج عن موسى عليه السلام انه هو أول مؤرخ يعرف وان التوراة هي أول كتاب في التاريخ تدون وتألف ومن ثم اعتمدها المؤرخون من السلف في اقتصاص حادثة الخليقة وقصص الانبياء وأخبار العبرانيين وكثير من تواريخ الامم المتقدمين وقد ذكر منها أيضا في القرآن المجيد مقدار عديد عبرة لاولى الابصار وتبصرة لذوى الاعتبار

الثانى الارصاد الفلكيه وذلك عبارة عن مادتين أصليتين (احداهما) مجموع الارصاد النجمية التي جرت مدة ألف وتسعمائة سنة متعاقبة بمدينة بابل وبعثها الاسكندر بن فيليبش حين افتتح تلك البلدان الى بلاد اليونان فادرجها الحكيم بطليموس اليوناني في كتابه المعروف بالمجسطى (الثانية) حادثة كسوف الشمس المركزى الذى حصل احتسابه ببلاد الصين قبل تاريخ المسيح عليه السلام بمدة ٢٢٥٥ عاما وغير ذلك من الآثار التي صار الحصول عليها من هذا القبيل وبضاهاتها بمعرفة المنجمين المعتبرين والعلماء المشهورين وافقت ماذكر في نصوص التوراة من التواريخ والاخبار فحصل عليها الاعتماد وصار اليها الاستناد في تعيين تاريخ الخليقة وحادثة الطوفان وغيرهما من حوادث علم الازمان على قدر الامكان

الثالث التأليفات البشرية القديمه والقصائد الشعرية العتيقه التي ألفها بعض مؤرخي تلك

الازمان ونظمها بعض شعراء اليونان والرومانيين اوصنفها بعض قسس قدماء المصريين كالشاعر اليونانى الشهير باسم **اوميروس** المذكور فى قول بعض شعراء المسلمين « كانى أميروس لدين محمد » وذكر له ترجمة مخصوصة فى كتاب الملل والنحل للشهرستانى وغيره من الشعراء والمؤرخين السلف الذين ترجمت كتبهم من أصولها اليونانية واللاطينيه أى لغة أهل بلاد ايطالية القديمة الى اللغات الاوروبية الحديثة ووقف عليها الخلف وطبقوها على نصوص الكتب الدينية المأثوره والارصاد الفلكية المذكوره وغيرها من القواعد المتقدمة واستخرجوا منها النتائج المسلمه وذلك كتأليف المورخ اليونانى الشهير باسم **هيرودوت** داليكارناس بمعنى الاليكارناسى (نسبة الى قرية ببلاد اليونان) وتأليف المورخ الرومانى المشهور باسم **ديودور** الصقلى (نسبة الى جزيرة صقلية الكائنة فى بحر سفيد او البحر المتوسط الابيض) وكالقسيس **مانيتون** المصرى الذى ألف جداول ملوك الفراعنة السالفين بأمر أحد ملوك البطالسة الخالفين وغيرهم

الرابع ماعثر عليه السياحون المتأخرون من الامم الاوروباويين المعاصرين من الكتابات القديمة والتقييدات العتيقة المعروفة بالانتيقة أى الآثار القديمة التى وجدت فى بعض النواويس والقبور واطلال المدن والعمارات والقصور التى كانت قد تشيدت فى سالف تلك الدهور كالاهرام وغيرها من عمارات تلك الايام وذلك بواسطة ماانتدب اليه فى هذه المدة الحاضرة بعض العلماء الاوروبيين من كشف حقيقة مطالعة خطوط الامم السالفين والتوصل لمعرفة كتابة الملل المتقدمين كالقلم القبطى القديم المعروف باسم **الهيورجليف** وقلم اللغة السريانية والهندية المسمى باسم **السنسكريت** أى لغة أهل الهند القديمة وكذلك الصينية وغيرها وماتسطر أعلاه من الاسانيد المذكوره والموادّ المسطوره انما هو بالنسبة للتواريخ القديمة دون تواريخ القرون الوسطى والاخيره ومع ذلك فلا ينبغى ان يتصوّر ان المجتهدين من العلماء الاوروباويين مع بذل غاية مجهودهم وصرف أوقاتهم ونقودهم تحصلوا على تمام مقصودهم من الوقوف على حقائق أحوال الامم المعاصره لعهد خلقة العالم فى تلك الاعصار الغابره وغاية ماهنالك انهم توصلوا لمعرفة اسم ملك أو دولة كان قد سقط من سلسلة العائلات الملوكيه اوللوقوف على ايضاح بعض أحوال كانت غامضة من أحوالهم السلوكيه ولم تزل تلك الازمان من العموم غامضة سقيمه وتواريخها بعد غير مستقيمه واما بالنسبة لتواريخ القرون الوسطى والمتأخرة فبتعاقب الايام والاعصار حصلت البصيرة والابصار وانتشرت الانوار وباختراع صناعة الورق الذى يكتب عليه المسمى بالقرطاس أو الكاغد من الخلقان البالية وقش القمح أو الارز وغير ذلك من الموادّ الاوّليه انتشر فن الكتابة فى أكثر الامم والملل واعتنت الملوك والدول بضبط الاخبار وربط الآثار وكتب كل قوم تاريخهم وسيرهم وقيدوا قصصهم وأثرهم وجاءت بدعة

المطبعة العجيبه فى هذه الاعصر القريبه فسهلت نشر سائر المعارف والعلوم كما هو لكل أحد الآن من المعلوم وبذلك ضبط علم التاريخ كغيره وانتفع الخاص والعام بفائدته وخيره اذ كتب فيه من المولفات مالا يحصى وطبع فيه من المصنفات مالا يستقصى وصار من الاعتماد والاستعداد لحالة الاستقرار والسداد بحيث صار يدرس الآن فى البلاد الاوروبيه وغيرها من الممالك المتمدنة الاجنبيه فى ضمن الفروع التعليمية الاصليه ومواد التربية الاوليه كالنحو والصرف وسائر الاصول العلمية الضروريه للاطفال الصغار فى المكاتب الابتدائية الاهليه فضلا عن الشبان والكهول الكبار فى المدارس العالية الميريه الملكية والعسكريه وفضلا عما انتشر منه أيضا بمعرفة العلماء الاعلام بين طبقات العوام من الرسائل المختصره لقصد تقريب تناوله للافهام القاصره وها هو بالعناية الداوريه والرعاية الاميريه ساغ لنا بحمد الله وحسن توفيقه ان نستفيد كغيرنا من علم التاريخ والجغرافية اللذين بهما تنوير العقول وتكثير النقول وغيرهما من العلوم الرياضية المتكفلة بتربية الافهام وازالة الاوهام مالا بد منه من الفوائد ونستعيد من تلك المعارف البشريه والعلوم الضروريه ما كان قد ندعنا من الشوارد وصار يسهل لمثلنا ان نحصل على نتيجة مدارسهم ونأتى بثمرة مغارسهم وننقل زبدة اجتهادهم وتمارسهم ونهاية القصد من بذل هذا الجهد هو ان نلقى عليكم أيها الاخوان ونقيد فى هذا المجموع لكم ولغيركم من سائر أبناء الاوطان ومن شاء الله تعالى له أن يطلع على أيام الناس وأحوال البلدان من علم التاريخ العام زبدة ما استقر عليه الحال وأقره العلماء الاعلام لغاية الآن على الوجه التام الذى يقرأ به لقصد التربية فى المدارس الاوروبيه مع تحرى الصدق فى النقل والاتقان على قدر الامكان وهذا آخر ما تيسر لنا ان نقدمه لكم فى هذه المقدمة على سبيل التمهيد الضرورى لفهم ماسنبديه اليكم فى سياق الغرض المقصود من الايضاح والبيان

تنبيه قد جرت عادة بعض المؤلفين ولاسيما المؤرخين ان يكتبوا بعض مؤلفاتهم على صورة السؤال والجواب ظنا منهم ان فى ذلك تسهيلا على الصبيان ودليلا للاذهان وربما كانت هذه الطريقة من الصواب بالنسبة للعقائد الدينية وغيرها من العلوم الاولية التى يكون جل القصد منها الحفظ واكثر الاعتماد فيها على اللفظ ولما كان علم التاريخ يقتضى ان يكون الاستناد فيه على تعقل الطلبة ومفكرتهم أكثر من الاعتماد على حافظتهم ومذكرتهم وكان يكفى فيه تعليق مالا بد من تعليقه منه بالمعنى من غير حفظ اللفظ اذ لا يمكن فيه على ظهر القلب الحفظ استصوبنا ان نسطر هنا بطريق التكرار وعلى سبيل الاختصار ما تقدم فى هذه المقدمه من الفوائد المتقدمه وهكذا فى آخر كل باب من الابواب الآتيه على هيئة مسائل ارشاد المسؤل والسائل ولم نحرر الجواب بازاء السؤال اعتمادا فى تحصيل هذا العلم على التعقل والفهم ليأتى الطالب بالجواب من مظنته ويستخرجه مما سبق له تقريره فى الباب بقريحته تمرينا للاذهان وتبيينا لكيفية الامتحان على هذا الوجه الآتى بعد من البيان

مسائل

تشتمل على مختصر ما تضمنته المقدمه من مبادى علم التاريخ المتقدمه

المبحث الاول

١ ما اسم هذا العلم وما الاكثر استعمالا من اسمائه
٢ ما معنى السيرة لغة واصطلاحا
٣ ما معنى التاريخ لغة وما كيفية تصريفاته
٤ علام يطلق لفظ التاريخ اصطلاحا وما المراد منه فى اصطلاح البلغاء على الخصوص
٥ ما تعريف التاريخ اذا أخذ على اعم اطلاقاته ومن ثم الى كم قسم ينقسم
٦ ما المراد بالتاريخ الطبيعى وما كيفية تقسيماته
٧ ما المراد بعلم حياة الحيوان
٨ ما المراد بعلم النبات
٩ ما المراد بعلم المعادن
١٠ ما المراد بما يسمى فى اللغه الفرانساويه بعلم الجيولوجيه
١١ هل جعل التاريخ الطبيعى من ضمن علم التاريخ هو مسألة اتفاقية ام خلافيه وما توضيح هذ المقام
١٢ ما المراد بالتاريخ المدنى وما منشأ قول الحكماء ان الانسان مدنى بالطبع وما بيان ذلك
١٣ ماهى الاقسام التى تنحصر فيها الاعمال التمدنية او الحضريه
١٤ ما ضابط الزراعة والصناعة والتجارة والاماره
١٥ ما هما الأمران اللذان يضطر اليهما الانسان بالطبع وما المراد بالعائلة او القبيلة والعشير
١٦ ما المراد بقولهم حالة الجمعية البشريه او الحضريه او التمدن او هيئة الاجتماع الانسانى وما أشبه ذلك من العبارات
١٧ ما المراد بالجمعية الوطنيه او المدنية والجماعة الدينية أو الجمعية الدينيه
١٨ ماذا يلزم لانتظام الجمعية البشريه من الامور الاصلية الضروريه
١٩ ما المراد بالدين وما المقصود بقولهم دين الدولة او الديانه الرسميه
٢٠ ما معنى الوازع وما المراد بالملك والسلطنة او الدولة وولاية الامر العامة وما أشبه ذلك
٢١ الى كم قسم تنقسم ولاية الامر العموميه
٢٢ ما المراد بالولاية الروحانيه والجسمانيه
٢٣ ما المراد بالولاية التشريعية والقانونية والقضائية والتنفيذية او التجيزيه
٢٤ ما المراد بالقوة العسكريه وما الغرض المقصود منها

٢٥ الى كم فرع تتفرع الولاية التنفيذيه وما المراد بالتقاسيم السياسيه او الخطط الارضيه وما هى

٢٦ ماهى التقاسيم الادارية او الوزاريه او الدواوين وما المراد بكل واحد منها

٢٧ ما اقسام ولاية الامر من حيث الهيئة والصوره

٢٨ مامعنى الحكومة الملوكيه وكيف تنقسم وما الفرق بين الحكومة الملوكية المطلقه والمقيده اوالنيابيه وما المراد بمجلس شورى النواب

٢٩ كيف تنقسم الحكومة الملوكية من وجه آخر

٣٠ مامعنى الحكومة الاعيانية أو حكومة الاشراف وما المراد بهذا اللفظ

٣١ مامعنى الحكومة الاهلية او الجمهوريه

٣٢ وحينئذ ما المراد بنظام الملك او السلطان وما المراد بالتمدن والعمران وما أشبه ذلك

٣٣ ماموضوع علم التاريخ المدنى وما تعريفه بطريق الاختصار وكيف ينقسم

٣٤ ما المراد بالتاريخ المدنى العام وما المدة التى يستغرقها من الدهر على الاصح من اول عهد الخليقة الى هذا العصر

٣٥ كيف قسم المؤرخون من الافرنج التاريخ المدنى العام

٣٦ ما المراد بالتاريخ القديم وما المدة التى يستغرقها من عمر الدنيا

٣٧ يقتضى تعداد الامم الشهيرة الذين يعبر عنهم بالتاريخ القديم

٣٨ الم يكن يوجد فى الاعصار القديمة غير هؤلاء الامم المذكورين وهل لهم تواريخ ثابته

٣٩ ما المراد بالتاريخ المتوسط وما المدة التى يستغرقها من عمر الدنيا

٤٠ ما المراد بالتاريخ الحديث وما المدة التى يستغرقها من عمر الدنيا

٤١ ما المراد بالتاريخ العصرى وما المدة التى يستغرقها من عمر الدنيا وهل هو قسم مستقل بذاته أم كيف الحال

٤٢ ما المراد بالتاريخ المدنى الخاص وما تقسيماته

٤٣ ما المراد بالتاريخ المدنى الخصوصى والجزئى والقسيسى والسفارى وغير ذلك وما المراد بقولهم تاريخ الحوادث السنويه والتذكرة التاريخيه والحياة الشخصيه

٤٤ كيف ينقسم التاريخ المدنى من حيث طريقة تحريره وما المراد بما يسمى فى اللغة الفرانساوية باسم الكرونولوجيه والاتنوغرافيه والسنكرونيسم والتاريخ النظرى اوالفلسفى .

٤٥ كيف ينقسم التاريخ من حيث اصل استمداده وما المراد بقولهم التاريخ المقدس والتاريخ الدنيوى اوالبشرى

٤٦ ما نسبة علم الانساب وعلم الجغرافيه وعلم الكرونولوجيه وعلم الاستاتستيك لعلم التاريخ

المبحث الثانى

٤٧ ما ثمرة علم التاريخ لقارئيه وهل هو عبارة عن مجرد اقتصاص قصص واخبار للتفكه بها بين السمار وما الفوائد الحقيقيه والثمرات الدنيوية والاخرويه التى تنتج عنه حسبما يؤخذ من كلام العلماء الافاضل والفقهاء الاكامل الاسلاميين الذين صنعوا فيه

٤٨ ما حكم علم التاريخ

٤٩ ما مزية علم التاريخ خصوصا بالنسبة لعلم الاخلاق

٥٠ هل علم التاريخ معدود فى جملة العلوم الاثنى عشر المنسوبة للعرب وما المراد بذلك

٥١ ما أصل علم التاريخ وما كيفية ترقيه على ممر الازمان الى ان صار لحالة الكمال التى هو عليها الآن

المبحث الثالث

٥٢ هل لعلم التاريخ اصول ثابتة يستند اليها وقواعد مستقرة يعتمد عليها أم كيف الحال ومن أين يؤخذ ذلك

٥٣ ما هى القواعد التى ينبنى عليها علم التاريخ

٥٤ ما اول اساس يقتضى ان ينبنى عليه علم التاريخ وما الفرق بينه وبين ما يسمى باسم الزمان

٥٥ ما هى القاعدة الثانية التى ينبنى عليها علم التاريخ وما المراد برده لاصول العاده

٥٦ ما القاعدة الثالثة التى ينبنى عليها علم التاريخ وما المراد بقول الحكماء العقد الأنسى او السياسى اوعقد الشركة الانسانى

٥٧ ما هى القاعدة الرابعة التى ينبنى عليها علم التاريخ وكيف صوّر الحكماء فى صورة محسوسة كل اجتماع انسانى ومكان عمرانى وما المراد بذلك وهل يستأنس لهذا المعنى من قول بعض الشعراء المشهورين

٥٨ ما هى القاعدة الخامسة التى ينبنى عليها علم التاريخ وما المراد بذلك

٥٩ ما مسائل علم التاريخ وما كيفية تطبيق ذلك عليه

٦٠ ما هى الامور التى منها استمداد علم التاريخ وما توضيح كل مادة مادة منها وهل هذه المواد التى منها العلم التاريخ الاستمداد هى بالنسبة للتاريخ العام بجميع اقسامه ام كيف الحال وماذا آل اليه علم التاريخ الآن من حالة الكمال

٦١ ما فائدة تكرار ما تقدم فى المقدمة السالفه وفى آخر كل باب من الابواب الخالفه بطريق الاختصار فى صورة مسائل بالنسبة للمسئول والسائل

اذا تقرر هذا فى الاذهان ساغ لنا ان نشرع الآن فى الغرض الموضوع له هذا المجموع منقسما الى ثلاثة أقسام او فروع على مقتضى الترتيب الطبيعى والله سبحانه وتعالى هو المسئول فى تمام كل مشروع

القسم الاول

فى التاريخ القديم

معلومات اوليه وتقسيمات اصليه

مسألة عمر الدنيا

ذكرنا فى المقدمة ان التاريخ القديم عبارة عما يشمل احوال عدة أمم شهيره وملل كبيره فى مدة القرون الاولى من ابتداء حادثة خلق الدنيا الغاية حادثة زوال دولة الروم الاولى باغارة اقوام شمال اوروبة عليها فى سنة ٤٧٦ من ميلاد المسيح عليه السلام

والقرن فى اصطلاح المؤرخين وفى بعض اطلاقاته عند اللغويين وعلى حسب مايفهم من مدلول هذا اللفظ عند جريانه على الالسنه هو عبارة عن مسافة من الزمن معينة على الاصح بمائة سنه كما صرح به فى القاموس وتوضح فى شرحه المسمى بالاوقيانوس وقد يطلق هذا اللفظ ويراد منه الجيل أى اهل زمان واحد من غير تعيين مدة سنوات معينه قال فى الصحاح « والقرن من الناس أهل زمان واحد » (قال الشاعر)

« اذا ذهب القرن الذى أنت فيهم ❋ وخلفت فى قرن فانت غريب »

اه والسنة او العام عبارة عن مدة من الزمن متكونة من اثنى عشر شهرا والشهر أربعة أسابيع والاسبوع سبعة أيام واليوم عبارة عن المسافة الزمنية التى تدور فيها الشمس حول محورها حسبما يفهم ذلك من مبادى علم الفلك او الهيئة أو قسم الجغرافية الفلكية المندرج فى ضمن فروع علم الجغرافية العمومية وقد جرت العادة عند الملل المعتبره والامم المشتهره بتقسيمه الى اربع وعشرين ساعة والساعة الى ٦٠ دقيقة والدقيقة الى ٦٠ ثانية والثانية الى ٦٠ ثالثة وهلم جرا اذا احوجت الى مافوق ذلك الضروره

والشهر اما قمرى او شمسى فالشهر القمرى عبارة عن مدة الزمن المنقضية من ظهور هلال الى آخر وهى المسافة التى يدور فيها القمر حول الشمس وهى مدة ٢٩ يوما و ١٢ ساعة و ٤٨ دقيقه ولكن جرت العادة فى المعاملات المدنيه بجعل الشهور القمريه على التعاقب شهرا ٢٩ يوما وشهرا ٣٠ يوما

والشهر الشمسى عبارة عن مدة الزمن التى تسيرها الارض حول الشمس مسافة ثلاثين درجة وعدة الشهور الشمسية تارة ٣٠ يوما وتارة ٣١ يوما الا الشهر المسمى باسم فبريه او فبراير حيث يكون دائما ٢٨ يوما فى السنة البسيطة و ٢٩ يوما فى السنة الكبيسه

وبناء على ذلك تكون السنة اما قرية او شمسيه وكلتاهما اما بسيطة او كبيسه فالسنة القمرية هى التى تتركب من الشهور القمرية اعنى من دوران القمر حول الارض اثنتى عشرة مرة وعدة ايامها ٣٥٤ يوما و٨ ساعات و٤٨ دقيقه ولكن جرت العادة بجعل السنة القمرية ٣٥٤ يوما عددا كاملا وتسمى حينئذ بالسنة القمرية البسيطه واما السنة القمرية الكبيسة فهى مايضاف اليها فى كل اربع سنين يوم يحصل من حاصل جمع الزيادة المذكوره فتكون عدة ايامها ٣٥٥ يوما والسنة القمرية هى الجارى عليها العمل فى المواد الشرعية الاسلاميه والتواريخ العربيه

والسنة الشمسية هى المركبة من الشهور الشمسية وهى عبارة عن مدة دوران الارض حول الشمس وعدة أيامها ٣٦٥ يوما و ٥ ساعات و٤٨ دقيقة و٥٤ ثانية فهى أكثر من السنة القمرية بنحو احد عشر يوما وينبنى على ذلك ان كل دور ٣٢ سنة شمسية يساوى نحو ٣٣ سنه قمريه والسنة الشمسية هى المستعملة عند جميع الامم الاوروبيه وسائر طوائف النصرانيه فى معاملاتهم الشرعيه واستعمالاتهم السياسيه لكنهم يفرضون عدة أيامها ٣٦٥ عددا كاملا فقط وتسمى حينئذ بالسنة الشمسية البسيطة وفى آخر كل أربع سنوات يضمون مدة الزيادة التى هى نحو ست ساعات فيتكون منها يوم يضمونه الى تلك السنة الرابعة فتتم ايامها ٣٦٦ يوما وتسمى بالسنة الشمسية الكبيسة وانما ينقص عندهم عدد السنوات الكبيسة فى كل أربعة قرون سنة واحدة لداعى نقص مدة الزيادة المسطورة بنحو ١١ دقيقه فى كل سنة كبيسة

ومن السنوات الشمسيه مايسمى بالسنة القبطيه وغاية الفرق ان الانباط يجعلون شهورهم الشمسية كلها مركبة بطريقة مطردة من ٣٠ يوما ويضمون اليها فى آخر كل سنة عدة ايام لواحق يسمونها بايام النسىء (وهو فى اصل اللغة التأخير) وهو خمسة أيام فى السنة الشمسية البسيطة وستة ايام فى الكبيسة تتأخر فى كل سنة قبطية فيضمونها اليها لتتم عدة ايام سنتهم ٣٦٥ او ٣٦٦ يوما كعدد ايام السنة المستعملة عند سائر الطوائف النصرانيه والسنة القبطية هى التى عليها العمل فى مواد الحسابات الديوانيه والمواقيت الزراعيه بالديار المصريه

والقرن ان تركب من سنوات قمرية فهو قمرى والا فهو شمسى

وهنالك مايعبر عنه أيضا فى اصطلاح علماء الكرونولوجية اى علم الأزمان بالدور وهو عبارة عن المدة التى تدور فيها الحوادث الفلكيه وتعود الى مثل احوالها الاوليه وهو كذلك قمرى اوشمسى فالدور الشمسى ٢٨ سنة والقمرى ١٩ سنة ولكنهم جعلوه فى العمل ٣٠ سنة

واما العصر فهو والدهر بمعنى مطلق الزمن

والذى نحتاج لمعرفته هنا من جملة تواريخ الامم المتنوعة بمعنى الحوادث الشهيرة والوقايع الكبيرة التى

التى جعلوها مبدأ النسبة غيرها من الوقائع التاريخية اليها على حسب عوائدهم الغير المؤتلفه كما سبق توضيحه فى المقدمة عند الكلام على اطلاقات لفظ التاريخ الاصلاحية المتقدمه هو تاريخان

الاول التاريخ المسيحى او الميلادى لداعى انه هو الجارى عليه العمل فى كتب التواريخ الاوروبيه التى نعتمد عليها ونستند اليها فى ترجمتنا هذه الى اللغة العربيه وهو الذى عليه فى توقيت الحوادث التاريخية الاعتماد حيث يقال وقعت الحادثة الفلانية فى عام كذا قبل الميلاد او بعد الميلاد ومبدأه من ميلاد السيد المسيح عليه السلام والثانى تاريخ الهجرة المحمدية لكونه فى تاريخ القرون الوسطى هو مبدأ تمدننا الوطنى المحلى ومنشأ تاريخنا الدينى الاهلى والجارى عليه العمل عند جميع أهل الاسلام ومبدأه على الاصح من يوم الجمعة السادس عشر من شهر يوليه الافرنجى سنة ٦٢٢ لميلاد عيسى عليه السلام كما حققه العلماء الاعلام وهو يوم هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشرّف ومجد من مكة المحترمة الى المدينة المنورة المكرمه كما هو مقرر فى الافهام

اذا علمنا هذه المعلومات الاولية ساغ لنا ان نقول ان مسألة تعيين مبدأ خلقة العالم او المدة التى مكثها الى الغاية الآن المعبر عنها بعمر الدنيا او عبر عنها المؤرخ المحقق والملك العالم المدقق أبو الفدا اسماعيل ملك حماه فى مقدمة تاريخه بعمر الزمان هى مسألة خلافية حيث لم يحصل فيها الى الغاية الآن الوقوف على قول ثابت صحيح ولا رأى واحد رجيح يطمئن العقل اليه ويسكن القلب لديه وذلك ان العلماء الاوروباويين والمؤرخين المتأخرين مع بذل غاية ميسورهم وفضل مساعدة ولاة أمورهم لم يصلوا بعد للآن يعينوا لعلم الكرونولوجية مبدأ ثابتا عليه يعتمد ولم يعرف أحد لغاية هذا العهد متى خلقت الدنيا ولا وقف على اول الوقت الذى آخرج الله فيه آدم من جنة عدن الى الارض السفلى وان اصل الاشياء انما هو بعد مجهول حيث لم تصل اليه العقول واختلفت فيه النقول ولذلك تشعب الخلاف فى هذه المسأله الى نحو مائتى مذهب لا اقل قال بعضهم والذى هو للصحة والاعتماد من جميع هذه المذاهب اقرب هو قولان معتبران ورأيان شهيران

الاول ان المدة المنقضية بين حادثة الخليقة وولادة عيسى بن مريم عليه السلام هى ٤٠٠٤ اعوام وهذا هو التاريخ الذى قال به المؤرخ المدعو باسم اوسيريوس الارلندى (نسبة لجزيرة ارلندة من الجزائر الملحقة بمملكة انجلتره التى هى بلاد الانجليز) قال به المؤرخ المذكور فى سنة ١٦٥٠ بعد الميلاد ومشى عليه أشهر المؤرخين من الفرنسيس كالاسقف بوسوه والمؤرخ رولان ودانو وهذا القول هو المشهور والاكثر اتباعا عند الجمهور وبناء عليه فيكون مجموع مدة عمر الدنيا من أول عهد آدم الى الآن عبارة عن ٥٨٧٧ عاما حاصلة من جمع مبلغ الاربعة آلاف وأربع سنوات المذكورة آنفا على مبلغ ١٨٧٣ سنة التى بلغ اليها التاريخ المسيحى فى هذا العام وهو

قريب مع بعض نقص من مبلغ الستة آلاف سنه الذى ذكرناه فى المقدمة سالفا (١٣٣ سنه)

القول الثانى ان المدة المنقضية بين الحادثتين المذكورتين هى ٤١٣٨ عاما وهذا القول هو الذى أبداه المؤرخ الانجليزى المسمى باسم كلا نتون فى سنه ١٨٢٩ للميلاد ومشى عليه المؤرخ ويكتوردوروى وزير المعارف العمومية فى عهد الدولة الامبراطورية الفرانساوية الاخيره ورفقاؤه من جماعة المدرسين والمؤرخين الذين الفوا تحت ادارته الرسائل التاريخية الشهيره وبناء عليه فيكون مجموع مدة عمر الدنيا عبارة عن ٦٠١١ حاصلة من جمع المدة المسطوره مع مدة التاريخ الميلادى المذكوره وهو قريب من مبلغ عمر الدنيا الذى ذكرناه فى مقدمتنا مع بعض زيادة يسيره (١١ سنه)

ومن اطلع تفصيلا على جميع الاقوال التى ادّى اليها الخلاف فى هذا المجال علم انها كلها انما هى مبنية على حسابات مؤسسة على الاعداد الواردة فى أصل التوراة عند ذكر تواريخ الولادات والوفيات ومدد الولايات والاعمار لبعض الانبياء وغيرهم ممن ذكر فيها من مشاهير الرجال وانه لم يكن واحد من القائلين بهذه الاقوال يقول بان المدة المنقضية من ابتداء خلقة العالم لغاية ميلاد المسيح تزيد عن ٧٠٠٠ سنة ولا تنقص عن ٣٧٠٠ سنة وهذه الاقوال كلها لا مجال لها اللهم الا عند الملل الذين يعتقدون تقديس التوراة وكونها منزلة من عند الله تعالى على موسى بن عمران عليه السلام واتضح له أيضا ان هذا الخلاف انما هو ناشئ كما نبه عليه الملك المؤيد أبو الفدا فى مقدمة تاريخه عن تنوع نسخ التوراة وهى ثلاثة أصل النسخة السامرية والعبرانية والترجمة اليونانية التى نقلها اثنان وسبعون حبرا بالاسكندرية قبل ميلاد المسيح بنحو ٣٠٠ سنة لبطليموس ثانى الملوك اليونانيين الذين تولوا امر مصر بعد الاسكندر وتعرف بتوراة السبعين وهى التى لها على ماعداها الترجيح كما سيأتى لذلك فى موضعه زيادة توضيح على اننا اذا خرجنا عن تلك المعلومات المستنبطة من نسخ التوراة وجدنا فى هذا المقام ابشع الحسابات واشنع المبالغات وذلك ان كل واحدة من الامم الاقدمين والملل السالفين ارادت ان يكون لها قصب السبق والتقدم فى مادة العتاقة والهرم على غيرها من سائر الملل والامم فحسبت لنفسها من مدد الاقدمية فى مبداء تواريخها الاولية اعدادا تعد بآلاف الملايين من السنين لاجل الفخار ولقصد تقديم اصل وجودها فى بحر ظلمات الاعصار فمنهم من زعم انه متوغل جدا فى مادة القدم حتى انك ترى بعض ملل جعلوا لانفسهم قبل ان يترتب لهم عائلات ملوكية من البشر عدة دول من آلهة وانصاف آلهة مكثوا تحت حكمهم على حسب زعمهم مدة من الازمنه تبلغ ستة آلاف سنه وبعضهم أربعة وعشرين ألفا وبعضهم اثنين وسبعين ألفا وبعضهم أربعمائة واثنين وثلاثين ألف سنه

ومن هذا القبيل ماقال به وألف فيه رسالة مخصوصة بعض المؤلفين المتأخرين من علماء الفرنسيس المعاصرين بقبول ماذكره القسيس المصرى المسمى باسم مانيتون السالف الذكر من ان ديار مصر

فى سالف الدهر قبل ان يليها ملوك من البشر كانت محكومة بدول عديدة من الآلهة وارواح اناس من الاموات مدة مسافة من الزمن تبلغ ٥٧٣٠ سنة قبل الملك مينيس الذى كان اول من ولى مصر من البشر فى سنة ٥٧٧٣ قبل ميلاد المسيح حسبما اعتمد ذلك القائل وعارضه غيره من علماء هذا العصر

والذى يقتضيه الذوق السليم ويقضى به العقل المستقيم هو انه لاحاجة للمناقضة فى الستة قرون الاولى التى يقول بها الهنود ولا فى شأن الدول الآلهية التى يزعمها اهل الصين واهل جزيرة يابونية وقدماء المصريين وما يخرج عن حد العقل من عتاقة نسبة قدماء الكلدانيين أى العراقيين بل ولا فيما هو الطف من ذلك واخف من جميع ما هنالك مما حسبه لانفسهم قدماء الفرس المعروفين عند العرب الآن بالاعجام وانما الذى يصح التشبث به فى تحقيق هذا المقام هو ما يستنبط من النتائج التى هى اكثر علمية وان كانت هى ايضا حدسية تقريبية عن تأمل الارصاد الفلكية كمنطقة فلك البروج وغيرها من الآثار السماويه واكبر من ذلك كله الى الصحة اقربية هو ما نتج عن دقة النظر فى أحوال الكرة الارضية وكيفية تكونها وما اعتراها من التغيرات والاحوال الى ان صارت الى ما هى عليه الآن من المآل وهو المعبر عنه بعلم الجيولوجيه وذلك ان طائفة العلماء الاوروباويين المتأخرين المدعوين بالجيولوجيين (يعنى علماء الجيولوجية أى علم طبقات الارض كما سلف ذكره) قالوا باختيارهم ان الكرة الارضية على الحالة التى هى عليها الآن لا ينبغى ان تكون اولية خلقتها مؤرخة من مدة زمنية أكثر من ستة آلاف الى ثمانية آلاف سنة شمسيه حسبما أثبته الفيلسوف المحقق والعالم الطبيعى الفرانساوى المدقق المشهور باسم كوڤيه فى رسالته المعنونة بخطابة فى مادة تقلبات الارض فهم يرجعون ما يعرف فى اصطلاح المؤرخين بحادثة خلقة الدنيا الى زمن قريب مما يضعه فيه الكرونولوجيون (علماء الكرونولوجية اى علم ترتيب الازمان) من احبار النصارى العيسويين

قال المعلم كرلوس دريس (بكسر الدال وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحت) فى آخر مبحث الخليقة من كتاب الكرونولوجية العمومية الذى الفه من ضمن كتب التواريخ المؤلفة تحت ادارة ويكتوردوروى السالف الذكر ما نصه «وعلى كل حال فتعيين تاريخ للوقت الذى حصل فيه نفخ الروح المتفكر فى الحياة البشرية على الكرة الارضية بالقوة الآلهية هو من قبيل الجراءة الكلية ومع ذلك فمن اللزوم الضرورى ان نقدم عليه جريا على العادة التعليمية لنتخذ لنا مبداء نمشى عليه فى ترتيب الازمان بكتابنا هذا وهو قول المؤرخ كلانتون الانجليزى القائل بان حادثة خلقة الدنيا كانت قبل ميلاد المسيح عليه السلام بقدر ٤١٣٨ من الاعوام » اه معربا

قلت وهكذا قياسا على هذا الكلام يقتضى لنا ايها الطلبة الكرام ان نتخذ لنا أيضا فى سياق هذا الدرس التام فى التاريخ العام مبدأ تاريخيا نرجع فى توقيت سائر الحوادث اليه ومنشأ زمنيا نعتمد فى تاريخ الوقائع عليه وهو هذا القول الاخير والمذهب التاريخى الشهير لاسيما

وهو الجارى عليه العمل فى سائر الاصول الاوروبيه التى ننقل منها ونروى لكم عنها فى سياق درسنا هذا باللغة العربيه

طريقة تحويل التواريخ الميلادية الى الهجريه

وطريقة تحويل التواريخ الميلادية الى الهجرية أعنى ارجاع التواريخ الشمسية الى القمرية بالعمل حسبما قد تمس اليه الحاجة وكما قد يتعلق بذلك منكم الامل وليكون عليه فى معرفة تواريخ الحوادث التاريخية الاعتماد سواء كان ذلك قبل الميلاد او بعد الميلاد هى ان تجمعوا بالقواعد الحسابية الاصلية المعلومة لكم الى تاريخ كل حادثة مؤرخة بالسنوات الميلادية اذا أردتم ان تعرفوا تاريخها بالسنوات الهجرية وكان التاريخ المطلوب تحويله قبل الميلاد مبلغ ٦٢٢ الذى هو مقدار الفرق بين الهجرة المحمدية والولادة المسيحيه او تطرحوا هذا العدد الاخير من اصل التاريخ المطلوب تحويله اذا كان ذلك بعد الميلاد ثم تقسموا على كل حال من الحالين حاصل الجمع او باقى الطرح الجارى بين على العددين المذكورين على عدد ٣٢ على حسب اختلاف الصورتين وخارج القسمة يضاف الى نتيجة احدى العمليتين فيكون مجموعها هو التاريخ الهجرى المطلوب حسب المرغوب وتوضيح ذلك بالمثال لاجل ان يقاس عليه فى سائر الاعمال

مثال الصورة الاولى المطلوب تحويل تاريخ خلقة الدنيا وهو ٤١٣٨ قبل الميلاد بناء على القول الذى جرى عليه الاعتماد الى التاريخ الهجرى المعتاد اعنى معرفة تاريخ الخليقة كم كان من السنوات بالنسبة للهجرة كما حسبه المؤرخون الاوروباويون بالنسبة للميلاد والجواب هكذا على حسب ما هو مما قررناه بالضرورة يستفاد

٤١٣٨		
٠٦٢٢		
٤٧٦٠	٣٢	
٣٢	٢٤/٣٢	١٤٨
١٥٦		٤٧٦٠
١٢٨	٢٤/٣٢	٤٩٠٨
٠٢٨٠		
٢٥٦		
٢٤		

ومن ثم ينتج ان حادثة الخليقة قد كانت قبل الهجرة بقدر اربعة آلاف وتسعمائة وثمانى سنوات ونحو ثلثى سنة قمرية وذلك هو المطلوب وهو قريب مما ذكره الشيخ الكبير والعالم الولى الشهير محيى الدين بن العربى رضى الله عنه فى بعض تآليفه ونص عليه فى بعض تصانيفه

مثال الصورة الثانيه المطلوب تحويل تاريخ فتح القسطنطينية على يد احد سلاطين الدولة العثمانية وهو سنة ١٤٥٣ الميلادية الفاصل بين مدتى التاريخ المتوسط والاخير حسبما ذكره من مؤرخى الافرنج الجم الغفير الى التاريخ الهجرى الذى هو فى التواريخ الاسلامية مذكور والجواب عن ذلك حسبما هو بعد مسطور ١٤٥٣

		٦٢٢
	٣٢	٠٨٣١
٢٥	$\frac{٣١}{٣٢}$	٦٤
٨٣١		١٩١
٨٥٦	$\frac{٣١}{٣٢}$	١٦٠
		٠٣١

ومن ثم ينتج ان حادثة فتح القسطنطينية قد كانت بعد الهجرة المحمدية بقدر ثمانمائة وست وخمسين سنة هجرية مع زيادة سنة قرية واحدة ناشئة من كسر $\frac{٣١}{٣٢}$ بعد فرضه دورا كاملا وعددا صحيحا شاملا حتى تتم جملة ذلك ٨٥٧ وهذا هو المطلوب وهو عين تاريخ هذه الحادثة الشهيرة حسبما ذكره سائر المؤرخين الاسلاميين وارخه فى ضمن قوله (بلدة طيبة) بعض الادباء المعاصرين كما أسلفنا ذكره فى المقدمه

مثال آخر من الصورة الثانيه ـ المطلوب تحويل سنة ١٨٧٣ الميلادية الحاضرة الآن الى سنة هجرية أعنى معرفة السنة القمرية المقابلة للسنة الشمسية الحاضرة والجواب هو كما يظهر من هذه العملية الآتيه ١٨٧٣

		٦٢٢
	٣٢	١٢٥١
٣٩	$\frac{٣}{٣٢}$	٩٦
١٢٥١		٢٩١
١٢٩٠	$\frac{٣}{٣٢}$	٢٨٨
		٠٠٣

ومن ذلك ينتج ان السنة الهجرية المقابلة لسنة ١٨٧٣ الميلادية التى هى العام الميلادى الحال هى سنة ١٢٩٠ القمريه مع زيادة بعض اجزاء كسرية ($\frac{٣}{٣٢}$) ليس لها قيمة اعتباريه حيث كانت هذه الطريقة العملية انما هى فى الجملة تقريبيه والاوفى لمن أراد مقابلة السنوات الميلادية بالهجرية على وجه الضبط مع معرفة مبداء السنة القمرية باليوم والشهر من السنة الشمسية فليراجع الجدول الزمنى المسطر فى آخر الكتاب المسمى نظم اللآلى فى السلوك فيمن حكم فرانسا ومن قابلهم على مصر

من الملوك تعريب العبد الحقير المطبوع بمطبعة بولاق سنة ١٢٥٧ فى عهد أفندينا المرحوم محمد على باشا الكبير حيث ذكر فيه مقابلة كل سنة قريبة بنظيرتها من السنوات الميلادية من اول الهجرة النبوية الشريفة لغاية عقد ١٣٠٠ من السنوات الهجرية المنيفه

تقسيمات خاصة بالتاريخ القديم

ثم ان المؤرخين الاوروباويين قسموا التاريخ القديم بالخصوص من حيث السقامة وعدمها الى ثلاثة أجزاء اصليه وهى الاعصار الاوليه والاعصار الخرافيه والاعصار التاريخيه ثم قسموا الاجزاء الاصليه المذكوره الى مداد أصلية أخرى بالطريقة التى هى بعد مسطوره

فاما الاعصار الاوليه فهى فى اصطلاحهم عبارة عن مدة من الازمان اولها حادثة خلق الانسان وغايتها حادثة الطوفان وتبلبل الالسن وتفرق الناس الى البلدان ومن ثم انقسمت تلك الازمان الى مدتين عظيمتين احداهما مدة الخليقة الدنيويه والثانيه المدة الطوفانيه

واما الاعصار الخرافية فهى عبارة عن المدة المنقضية بعد تلك المدة من ابتداء تفرق الناس على الكرة الارضية وتأسيس الدول والممالك ببلاد الصين وآسية وبلاد مصر واليونان وما تلا ذلك من انشاء المدن والقرى وسائر أنواع العمران لغاية المدة التى نشأ فيها الانبياء المعتبرون والشعراء الشهيرون من الامم المتنوعين ووضعوا اوائل اسس تمدين العالم الدنيوى ولذلك انقسمت تلك الاعصار أيضا الى ثلاثة مدد اصليه

الاولى تسمى فى اصطلاحهم بالازمان الوثنية وهى تلك الازمان المتميزة بنشأة الدول والممالك ببلاد الصين وآسية ومصر وبلاد اليونان وانما سميت وثنية لداعى ميل جميع الامم الذين تكونوا فى تلك الازمان لترقية ملوكهم الاولين وارباب دولهم السالفين فى مرتبة الآلهة المقدسين

الثانيه تسمى عندهم بالازمان البطلية (نسبة للبطل بمعنى الشجاع) وهى تلك المدة المنقضية بعد ذلك مما حدث فيه من نوع البشر رجال اختطوا المدن واسسوها وابطال تعدى بعضهم على بعض فى تلك المدن وافتتحوها وكان الناس حينئذ قد اخذوا فى أن تنورت فهومهم وانتشرت علومهم وشرعوا فى أن يميزوا بعض التمييز الحقيقة الآلهية عن الطبيعة البشرية فاقتصروا على ان يدعوا من تميز من الرجال بخصلة من تلك الخصال بمجرد لقب الابطال او انصاف الآلهة بمعنى كبار الرجال ولذلك سميت تلك المدة الزمنية بالازمان البطليه

الثالثة تسمى عندهم الازمان النبويه او الشعريه وهى المدة التى نشأ فيها الانبياء الكرام والشعراء العظام ووضعوا أوائل اسس تمدن الامم والملل وتمكن الممالك والدول ولذلك سميت تلك المدة الزمنية بهذه النسبة الاصطلاحيه

واما الاعصار التاريخية فهى المدة التى أخذ علم التاريخ فيها فى أن يكون على بعض درجة من

الثبات والاستقامه بخلاف المدد السابقة على تلك المدة حيث كانت بمكان مكين من الغموض والسقامه ولذلك سميت هده المدة الاخيرة بهذا الاسم فهى تنقسم فى العادة الى ستة أقسام عند أهل العلم

الاول يقال له المدة التشريعية وهى المدة التى ظهر فيها فى عصر واحد تقريبا كل من المشرع اليونانى اللقدمونى (نسبة الى لقدمونية اقليم ببلاد اليونان) وهو المسمى باسم ليكورجه اوليكورغه (بالجيم اوبالغين المعجمة) فى مدينة اسبرطة ببلاد اليونان والمشرع الرومانى المعروف باسم نومه بونپوليوس ثانى ملوك رومية الكبرى ببلاد ايطالية والمشرع اليونانى الآتينى المشهور باسم سولون بمدينة أيينة اوآتينة (بالتاء المثناة الفوقية اوبالثاء المثلثة احدى مدائن بلاد اليونان الشهيره) وهو احد الحكماء اليونانيين السبعة المشهورين والمشرع الصينى المشهور باسم كونفسيوس (بضم الفاء الموحدة) فى بلاد الصين

الثانى مدة فخار بلاد اليونان

الثالث مدة الفتوحات الرومانية اى فتوح دولة الروم الاولى للكثير من البلدان

الرابع مدة الخلاف الذى حصل فى الجمهورية الرومانيه

الخامس مدة استفحال الامبراطورية الرومانية اى سلطنة دولة الروم الاولى

السادس مدة اضمحلال السلطنة المذكوره وهذه المدة تنتهى بنا الى سنة ٤٧٦ قبل الميلاد التى هى مبدأ تاريخ القرون الوسطى حسبما ذكرناه فى المقدمه

ملحوظات عامه

تتعلق بالتاريخ القديم على وجه العموم

ذكرنا فى المقدمة ان التاريخ القديم فى اصطلاح المؤرخين الاوروباويين هو عبارة عن تاريخ عدة أمم شهيره وملل كبيره كانوا فى تلك الاعصار العتيقة موجودين وهم المصريون والعبرانيون والفنيقيون والاسوريون والمديون والليديون والسيتيون واليونانيون والرومانيون والقرطاجيون

لكن تاريخ جميع هؤلاء الملل والامم ليس على حد سواء من حيث كونه منتظما اوغير منتظم ولذلك لزمنا قبل ان نتكلم على كل واحدة منها بالخصوص ان نلقى نظرة عامة اليها وذلك بعدة ملحوظات كما هو بعدآت

الملحوظة الاولى • انتظام تاريخ الرومانيين واليونانيين .

اما تاريخ الامة الرومانية فانه • كما هى ترجمة عبارة ويكتور دروى وزير المعارف العمومية

فى متأخر عهد الدولة الفرنساوية السلطانية • يتكوّن منه مجموع جليل وعقد منتظم جميل كأنه قصيدة شعرية من نوع القصائد الجدية او الهزلية التى تؤلف للعب بها فى المحال التياترية اى الملاعب التصويريه اذ يراه قاريه يتوارد على نظره وينكشف لبصره شيأ فشيأ من أول عهد نشأة مدينة رومية مع ما كانت عليه فى أوائل امرها من حالة الخمول على يد المدعو باسم روموليس الى ان بلغت الى اعلى درجة الكمال فآلت الى النزول حتى نزلت بها المصيبة الكبرى التى اوقعت هذه المدينة العظمى بعد ان كانت سلطانة سلاطين الدنيا اجمعين تحت اقدام رئيس قوم متوحشين وانما مثل مدينة رومية هذه كمثل حبة انبذرت فى ارض فنبتت ونمت وامتدت وسمت حتى صارت شجرة عظيمة ودوحة ذات فروع جسيمة فآتت اكلها واثمرت واستكملت عملها واشجرت حتى استقال فى ظلها واستقات بأكلها نحو ثمانين مليونا من الناس ثم مالت وذبلت وسقطت من ثقل ما حملت وانقطعت منها الانفاس وازف قدمها ماء الحياة فاعترتها الوفاة قال ويكتور دوروى المروى عنه أعلاه « واما بلاد اليونانيين فقد كان سكانها اقواما متنوعين ومدائن شتى عامرة بقبائل متشعبين ولم يكن ما يجذب نظر الناظرين فى تاريخ بلاد اليونان من حيث التمدن والعمران مدينة واحدة بل مدنا متعددة واقواما مترددة فان من أراد ان يقف على احوال مدينة اتينه او اثينه واسبرطة وكورنثة وأرجوس (بسكون الراء المهملة) ومدينة تيبة او طيبة (اليونانية بالطاء او بالتاء) ومملكة مقدونية وغير ذلك من قبائل اليونان المستعمره ونزائلهم المنتقلة الى بعض البلدان الغير العامره لزمه ان يردد نظره ويمد بصره على سائر نواحى بلاد اليونان وجميع سواحل البحر الابيض المتوسط او بحر سفيد بل والى اقصى بلاد آسية الى امد بعيد غير انه يرى من ذلك كله منظرا واحدا وتمدنا متحدا وامة لم تغير احوالها وعهدا ظاهر الوضوح والمعلومية من جملة كيفيات الحياة البشرية العمومية ومعيشة الملل والامم فى هذه الدنيا الدنيويه »

الملحوظة الثانيه عدم انتظام تواريخ الامم الباقية المعبر عنهم بالتاريخ القديم

وأما تواريخ الامم الاقدمين الباقين غير اليونانيين والرومانيين وهم المعبر عنهم فى اصطلاح المؤرخين الاوروبيين بالتاريخ القديم الحقيقى فليس لها رابطة معنوية تربطها ولا جامعة تمدنية تضبطها بل ترى قدماء المصريين والاسوريين والقرطاجيين والليديين والميديين والفرس وغيرهم من الامم المتقدمين يعيش كل منهم فى بلاده امة وحده بحيث لم يخلط بغيره عقائده الدينية ولا مصالحه المدنية ولا شيأ مطلقا من احواله الدنيوية والاخروية اللهم الا فى الازمان الاخيره من مدة التواريخ القديمة حين اجتمعت جميع هذه الامم غير القرطاجيين تحت ولاية ملك واحد وهو ملك العجم الملقب فى ذلك العصر بالملك الاعظم غير ان جميع هؤلاء الامم يجمعهم امر عام واحد وهو انهم انما مهدوا الطريق للتمدن والعمران لامتى الرومانيين واليونان وساعدوا

على

على ما تحصل عند الملتين المذكورتين من ترقي درجة هيئة اجتماع الانسان وسبب ذلك كون الملوك اليونانيين الخالفين للاسكندر حكموا اقاليم المدنية الفارسية وكذلك دولة رومية استولت على ممالك القرطاجنيين ويمكن لنا ان نقول ان ما كان قد تحصل في تلك الاعصار السالفة من العقائد الدينية والعلوم والفنون عند الاسوريين والمصريين انما هو والذي جوزته بلاد اليونان وجاءت بعد ذلك رومية وورثته منها واخذته عنها بحيث اننا اذا أردنا ان نعرف اوليه المعارف البشرية فلا ينبغي لنا ان نقف عند مدينة رومية ولا اثينة بل يجب علينا ان نسعى لحد تلك المدائن القديمة التي كانت هي التخوت العظيمة لتلك الممالك المشرقية الفخيمة وهي مدينة منفيس (مائة رهينه) وبابل وايكباتان (قال المعلم بوليت في معجم التاريخ والجغرافية العمومية ولعلها ما يعرف الآن بهمدان) ومدينة برسپوليس (المسماة الأن اتشيل مينار وهي التي توجد آثارها على القرب من استخار في الشمال الشرقي من شيراز كما في المعجم المذكور)

الملحوظة الثالثة ليس التاريخ القديم بعد الاعتبار عبارة عن تاريخ الامم المتوطنين على سواحل البحر المتوسط الابيض (اوبحر سفيد)

قال ويكتور دوروي المذكور آنفا «يبدو لنا ظاهر في التاريخ القديم انه لم يشتمل على تواريخ جميع الامم التي الذين كانوا في تلك الاعصار القديمة على الارض المعمورة كثيرين وانه لم يتعد على وجه العموم سواحل البحر الابيض المتوسط (أو بحر سفيد) الا الامم التي أما غير بعيد من جهة بلاد الفرس انا لا نعرف بعد من تواريخ الامم الموجودين في ذلك العهد خارجا عن المنطقة الضيقة المحيطة بذلك البحر غير شئ نزر وفي الواقع ونفس الامر نحن لا نعرف من التواريخ القديمة فيما يتعلق باسلاف سكان بلاد اسبانية (المعروفة عند العرب بجزيرة الاندلس) المسمين بالايبر اوالايبريين واسلاف سكان بلاد الجول اوالغالة (فرانسة) المسمين بالسلت اوالسلتيين ولا فيما يتعلق باسلاف سكان بلاد الالمان المدعوين باسم الجرمان اوالجرمانيين وأسلاف سكان بلاد سرماسية (بلاد اوروبة) المعروفين باسم الاسلاو والاسلاويين غير بعض أخبار مبهمة وآثار مظلمة ولا نعرف غير الاسم من أحوال الاقوام المسمين بالسيتيين (وهم ياجوج ومأجوج اى أسلاف سكان بلاد الروس والترك) وأما الهنود فان لهم علوما عظيمة وآدابا جسيمة لم تزل تنكشف للعلماء الاوروباويين المتأخرين شيأ فشيأ غير انهم ليس لهم تاريخ يؤثر لكونهم وان كانوا قد حفظوا بغاية الدقة والتحري عقائدهم الدينية في ضمن قصائد شعرية تذكر وافيها اتهم ويساتهم التخيلية فيما يتعلق بآلهتهم غير انهم لم يتعرضوا فيها الذكر حادثه تاريخية من أحوالهم الدنيويه

وكذلك ملة العرب المسلمين لا يعرفون شيأ من أخبار أسلافهم المتقدمين وأما الصينيون فان لهم حوادث سنوية منتظمة وتواريخ زمنية محققة مستقيمة تصعد الى أقصى الاعصار القديمة غير انهم يعيشون بكيفية معاشية لم تزل لغاية الآن مخالفة لكيفية عيشنا بالكلية ولم يزالوا بعد لغاية هذا

العهد متحصنين خلف أسوارهم العظيمة كائنين فى عالم وحدهم بحيث بقى البحث فيما يتعلق بالوقوف على حقيقة أخلاقهم وعوائدهم وكيفية دياناتهم وعقائدهم وترتيباتهم السياسية وهيئات اجتماعاتهم التأنسية وما اعترى بلادهم من التقلبات والأحوال منظورا فيه بعد بين العلماء الاوروباويين لغاية هذا الوقت الحال

ولا نعرف شيأ أيضا من تاريخ هذه الطائفة السودانية المعمرة لبلاد افريقية ولا من تاريخ الاقوام التابعين للطائفة المسماة بالماليزية الكائنة فى بعض جزائر البحر المحيط الغربى المسماة بالاوقيانوسية ولا تاريخ القبائل الامريقية المعروفين بذوى الجلود الحمراء مع انهم كانوا قد اسسوا ببلادهم الاصلية فى تلك الاعصار الخالية ممالك دولية قبل ان تنزل عليهم النزائل الاوروبية قال المكرم ويكتور دوروى المذكور وحينئذ فلم نؤت من العلم فيما يتعلق بتواريخ الامم القدم الا قليلا جدا وان كانت اجتهادات العلماء الحاصلة مع شدة العزم لم تزل تزيد فيه وتوسعه وتقويه » اه

هذا ما سطره ويكتور دوروى فى الباب الاول من مختصر تاريخه القديم وبنى عليه تبعا لرفيقه الموسيو جيلمان أحد أعضاء جمعية العلماء والمدرسين الذين الفوا الكتب التاريخية تحت ادارته المشى على ما جرت به عادة المؤرخين الاوروباويين السلف من تقسيم التواريخ القديمة الى قسمين أصليين

الاول تواريخ الممالك المشرقية وهى ممالك آسية وافريقة القديمة يعنى الامم الكبيرين والملل التمدنيين الذين كانوا قد انتشروا فى تلك الاقطار الشرقية وظهروا فى تلك الاعصار العادية ما عدا اليونان والرومانيين

الثانى تواريخ الممالك المغربية يعنى الامم الاوروبية الذين حصل الوقوف لهم على تواريخ حقيقية وهم اليونان والرومانيون ولذلك انقسم هذا القسم الثانى أيضا فى طريقة سلف المؤرخين الاوروباويين بالطبع الى قسمين متميزين أحدهما تاريخ اليونان والثانى تاريخ الرومانيين ولم يتعرض ويكتور دوروى المذكور من التواريخ القديمة لتاريخ من عدا هؤلاء الامم المذكورين من الامم السالفين كالعرب والهنود والصينيين وغيرهم من الامم المتقدمين وهذه هى الطريقة المدرسية القديمة أى الجارى عليها العمل فى تدريس التاريخ القديم بالمدارس الاوروبية من قديم الزمان وهى المعروفة بطريقة المؤرخ رولان وهى عبارة عن الاقتصار فى تأليف الكتب التاريخية القديمة وتدريسها للمتعلمين على ما كان قد التقطه قدماء مؤرخى اليونان والروم فى تلك الازمان من أفواه الناس المعاصرين لهم على حسب الروايات المتداولة بينهم فى تلك الاعصار الغابرة بأثناء سياحاتهم فى ممالك المشرق العامرة واودعوه فى ضمن كتبهم القديمة التى بقيت على ممر الازمان فنقلت الى اللغات الاوروبية الحديثة قضية مسلمة من غير تدقيق نظر ولا امعان وذلك كالمؤرخ هيرودوت الاليكارناسى وديودور الصقلى وغيرهما وسائر من حذا على حذوهما وهى

الطريقة التي مشى عليها ابن الاثير الجزري في الكامل والملك المؤيد أبو الفدا والقاضي ابن خلدون في تاريخهما وغيرهما من سائر علماء المسلمين في جميع ما سطروه وكتبوه وحرروه من أخبار الامم المتقدمين مع ما اعترى ذلك من الخلط والخبط والغلط والسقط في أسماء الرجال والبلدان الأعجمية بتحريف جهلة الناسخين وتصحيف العملة الماسخين من المترجمين وغيرهم في أثناء النقل الى اللغة العربية اذ لا سبيل لهم غير ذلك ولا مواد عندهم سوى ما هنالك

هذا وأما الآن فان العالم المدقق والمؤرخ المحقق الذي اشتهر باسم فرانسوا وفرانسيس لونورمان أمين كتبخانة الانستيتوت (أي جمعية العلماء الفرانساوية بمدينة باريس كرسي دولة الفرانسيس) انتدب لتأليف كتاب في قسم التاريخ القديم فريد وانتصب لتصنيف مؤلف في هذا الفن وحيد اشتمل على ثلاثة جلود يسمى بما معناه الرسالة اليدية في تواريخ الامم القديمة المشرقية لغاية الحروب اليونانية الميدية وقد طبع عدة طبعات اخراها المؤرخة في سنة ١٨٦٩ الميلادية أعني من منذ نحو أربع سنوات فنقل الى اللغة الانجليزية وشرع اليه من الناس ببلاد اوروبة الجم الغفير فاختطفوا نسخه المطبوعة في مسافة بعض شهور حتى صارت نادرة الوجود ممنوعة لا يوجد منها غير اليسير وذلك انه اقترح في قسم التاريخ القديم طريقة نظرية جديدة فلسفية مفيدة واحدث فيه عدة اصلاحات عديده على غير الطريقة المدرسية التي كانت لغاية تمام تأليفه هي المعهوده وضم اليه تتمات لم تكن في كتب التواريخ القديمة المتداولة في أيدى الناس بالمدارس الاوروبية مشهوده وعقد فيه أبوابا وفصولا لاخبار بعض امم من الملل الاقدمين كانت لغاية الآن في التواريخ القديمة مفقوده فتكلم فيه فضلا عن الامم المذكورة فيه بعد على تواريخ بلاد الهند وأخبار القبائل العربية في أيام الجاهلية مستندا في ذلك كله لثمرة الاستكشافات التاريخية التي وقف عليها السياحون الافرنجيون المتأخرون ومعتمدا على نتيجة المجادلات العلمية التي انتدب اليها العلماء الاوروبيون المعاصرون مبينا بازاء كل باب من الابواب التي عقدها أصل المواد المعتمدة التي اعتمدها والمواد المعتبرة التي أخذ عنها واستمد منها ثم اختصر تاريخه هذا الكبير حسب التمس منه الجم الغفير من الملتمسين ولاسيما دولة القوم المعروفين بجمهورية السويسرة او السويسيين في جزئين مختصرين وجلدين صغيرين لحاجة التدريس على مقتضاهما في المدارس الاوروبية من الآن فصاعدا على حسب هذه الطريقة النظرية الفلسفية عنون أحدهما بعنوان تاريخ القوم اليهود والثاني بتاريخ الامم المشرقيين والهنود والاول هو المعبر عنه في اصطلاح المؤرخين الاوروباويين بالسلف بالتاريخ المقدس كما اوضحناه في موضعه من المقدمة فيما سلف قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور في ديباجة الجزء الاول من التاريخ القديم المسطور ما معناه « وانما عنونت كتابي هذا بهذا العنوان لا بالتاريخ المقدس حسب الجاري فيه لغاية الآن لكوني بنيته في الاكثر على ملحظ تأسيسه على الوقائع البشرية أكثر من بنائه على مجرد اقتصاصه في التوراة العيسوية

وأسسته على اساس الاستكشافات العلمية العصرية كثيره من تواريخ الامم السالفين فى تلك المدة الدهرية مع ملاحظة ماهو مبنى عليه من التأسيس فى التأليف والتدريس على صفة التقديس اعنى كون هذه الامة الاسرائيلية لم تزل ملحوظة بعين العناية الالهية الى ان فسدت وبلغت للحالة الاضمحلالية ولم يتعرض المؤرخ المذكور فى الجزء الثانى لتاريخ العرب والصين وغيرهم من بعض الامم المتقدمين الذين ليس لهم تاريخ ثابت مبين وان كان قد عقد بابا مخصوصا للعرب قبل الاسلام فى تاريخه الكبير وقال فى ديباجة تاريخه المذكور ما ملخصه وانما لم اتعرض فى كتابى هذا لتاريخ أهل الصين مع كونهم من الامم القديمة أولى التواريخ المنظومة كما أشار على به بعض المشيرين لكونى لم أجد نفسى فى الحقيقة أهلا لتحرير تاريخ هذه الامة العتيقة ولداعى انه تراءى لى ان تاريخ الامة الصينية وان كان من التواريخ اليقينية هو دائما معزل بالكلية عن سائر تواريخ العوالم الدنيوية على وجه بحيث لا يليق ان يدخل فى دائرة كتابى هذا ولكونه لا مدخل له مطلقا فى اقتصاص أخبار أنواع الهيئات التمدنية التى كان لها تأثير قريب او بعيد على كيفية التمدن المتحصلة عند الامم الاوروبية فى هذه الحقبة الزمنية (اه معربا بالمعنى)

والحاصل من نتيجة هذه الملحوظات المرمية والفوائد التاريخية التقديمية ان لكتابة قسم التاريخ القديم وتدريسه من حيث كيفية بنائه وتأسيسه مذهبين مختلفين وطريقتين متباينتين

احداهما الطريقة التقليدية القديمة وهى المبنية على ما تضمنته كتب قدماء مؤرخى اليونان والروم من الروايات الاهلية والحكايات الاولية من غير تدقيق نظر ولا امعان وهى طريقه المؤرخ رولان ومن تبعه من مؤرخى الافرنج لغاية الآن وهى طريقة معيبة وكيفية فى اغلب تأسيس قسم التاريخ القديم على وجه العموم غير مصيبة ولذلك صارت متروكة فى هذا الاوان لا اعتماد عليها ولا استناد اليها اللهم الا فيما اثبتوه فى بطون تلك الاوراق من أخلاق القدماء وعوائدهم وديانتهم وعقائدهم لاستنادهم فيه الى دليل المشاهدات حيث تحقق فيما هو من هذا القبيل انه لا بأس بالاسترشاد بهم والاعتماد عليهم اذهم فى ذلك خير دليل بخلاف ما يتعلق بسلاسل الملوك وترتيب العائلات الملوكية وسائر أحوال الدول القديمة فان أكثر أقوال مؤرخى اليونان والروم العتيقة وجدت فى ذلك كله بالتحريات الاخيرة غير مصادفة للحقيقه

الثانية الطريقة الاجتهادية الجديدة وهى المبنية على السندات الاصلية والتحريرات الرسمية أى الكتابات الدولية المعتمدة والآثار الاولية المعتبرة التى كانت تلك الدول والملوك قد حرروها فى كتاباتهم الاهلية بنفوسهم وأودعوها فى داخل قبورهم ونواويسهم وعبروا فيها عن حقيقة أحوالهم وتفاصيل وقايعهم وأعمالهم حسبما اتضحت حقيقة ذلك فى هذا العصر الاخير بالبحث والتحرير بمعرفة الجم الغفير والعدد الكثير البالغين الى حد التواتر من السياحين المعتمدين

والعملة المشاهدين من الافرنج المتأخرين والعلماء المجتهدين المعاصرين حيث عثروا على تلك الآثار المعتبرة واختبروا هذه الاخبار المحررة بقراءة كتاباتهم المسطرة بعتيق أقلامهم فى اطلال قصورهم وعماراتهم وهذه هى الطريقة التى اقترحها المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان وهى الطريقة الجاده والمذهب القويم الذى يقتضى ان يكون لكل مؤرخ محقق ومعلم لعلم التاريخ القديم مدقق هو المادة ولذلك التزمنا ان نتبع فى تقرير قسم التاريخ القديم طريقة هذا المؤرخ اعظم أعنى اننا نترجم مايلزم من كتبه هذه غنيمة بارده ونضم اليه من مظانه المعتمدة المتفق عليها مالم يكن يوجد فيها من كل شارده عملا بقوله تعالى فى نص القرآن الكريم وهو أصدق القائلين « وأسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون » قال المفسرون المراد بالذكر فى الآية الشريفة التوراة كما نص عليه أبو البقا الحسينى فى كتاب الكليات وليست التوراة المنزلة مبدلة فى نصوص نسخها الاصلية ولا محرفة فى أصل كلماتها التنزيلية كما هو شائع من قبيل الاوهام على السنة أكثر العوام من أهل الاسلام والتغيير والتبديل انما حصل فيما طرأ عليها بعد ذلك من الشرح والتأويل كما قد يختلف علماء المسلمين فى تفسير بعض الآيات المتشابهة القرآنية اذ لا يعقل ان أمة تتجارى على تبديل كتاب مقدس متصف بالتنزيل عليها من لدن الحضرة القدسية كما نص عليه المحقق ابن خلدون رحمه الله فى أوائل الجلد الثانى من تاريخه المذكور أعلاه

وحينئذ فلا مرقع للاعتراض علينا بتضعيف سندنا من بعض سقماء الافهام بدعوى ان العدالة الشرعية مشروطة بالاسلام لانا نقول ان ذلك انما هو فى الدعاوى والخصومات وغيرها من أنواع المعاملات والعبادات حيث كانت الشهادة فيها هى مظنة الكذب والتدليس اللذين كثيرا ماينشأن عن الحمية الدينية بخلاف المواد العلمية فان الاصول الفقهية لاتأبى فيها الاعتماد على أهل الكتاب اذ التدليس فيها مأمون ولو اختلف الدين لان علماء كل أهل دين يؤلفون هذه الكتب فيها لانفسهم ويدرسونها بمدارسهم ولا شبهة فيها للغش والتدليس ولم يزل العلماء الاسلاميون السالفون يأخذون الفنون والعلوم بتعريب كتب اليونان والروم ويعتمدون عليها كل الاعتماد فى عهد الخلفاء العباسيين بمدارس بغداد وفى أيام الخلفاء الامويين وغيرهم بمدارس قرطبة وغرناطة بالاندلس كما يؤيد ذلك وله يستأنس بما يروى عن النبى عليه الصلاة والسلام من الاحاديث المشهورة والاخبار المأثورة فى قوله « أطلبوا العلم ولو بالصين » وقوله ايضا « الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها » أو كما قال عليه الصلاة والسلام وما أحسن قول القائل من بعض الاوائل فى هذا المقام

خذ العلوم ولا تنظر لقائلها * من أين كان فان العلم ممدوح
كدرة أنت تلقاها بمزبلة * ألست تأخذها والزبل مطروح

وانما العبرة بضبط التعريب لا بالترجمة على وجه التقريب والعمدة على ضبط أسماء الرجال

والبلدان الاعجمية سواء كان النقل من التوراة او من الكتب التاريخية الاوروبية المنقول منها الى اللغة العربيه وهذا هو ما نتحراه ونلتزمه ونتوخاه على قدر الامكان ان شاء الله والله المستعان فى كل ما نتعناه

وكل يدعى وصلا بليلى * وليلى لا تقر لهم بذاك

وبناء على ما توضح أعلاه من هذه المعلومات الاولية والتقسيمات الاصلية لزمنا ان نقسم هذا القسم الاول حسبما صار عليه من المؤرخ فرانسيس لونورمان المعول وكما هو الصواب الى عدة أبواب

الباب الاول وهو كالمقدمة لسائر الابواب التالية له فى تاريخ الاعصار الاولية والازمان الاصلية من ابتداء عهد خلقة الانسان الى عهد تبلبل الالسن ببابل وتفرق الامم ومنشأ الملل والدول بعد الطوفان

الباب الثانى فى تاريخ قدماء المصريين ودول الفراعنة المتقدمين

الباب الثالث فى تاريخ الاسرائيليين او العبرانيين وبلاد يهودا او فلسطين

الباب الرابع فى تاريخ الاسوريين والبابليين وأهل بلاد العراق واذربيجان السالفين

الباب الخامس فى تاريخ الميديين ودولة الفرس الاصليين

الباب السادس فى تاريخ الفنيقيين والصوريين وسكان سواحل الشام الاولين

الباب السابع فى تاريخ قدماء الليديين أى أهل أسية الصغرى أو بلاد أرمنية وأهل الشام المسماة سوريه.

الباب الثامن فى تاريخ قبائل العرب فى أيام الجاهلية وسالف الحقب

الباب التاسع فى تاريخ بلاد الهند وما عرف من أخبارهم بعد

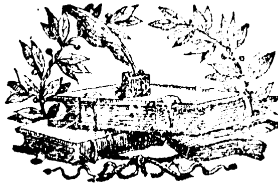
الباب العاشر فى تاريخ بلاد اليونان ودولها وحكمائها فى سالف الزمان

الباب الحادى عشر فى تاريخ الامة الرومانيه ومنشأ مدينة رومية الكبرى ببلاد ايطاليه

الباب الثانى عشر فى تاريخ القرطاجيين والامم الليبيين وهم سكان بلاد برقة وما والاها من الاقوام المغربيين

وحيث تجهزت منكم الافهام أيها الطلبة الكرام بهذه الافكار العامة والفوائد العلمية التامة التى أردنا ادخالها فى أذهانكم على هذا الوجه التام قبل الشروع فى تعليمكم واعلانكم بعلم التاريخ العام فلنشرع الآن فى الكلام على تاريخ كل قوم من هؤلاء الاقوام فى بابه بالخصوص على هذا الترتيب المخصوص عازين ماسنسطره لكم فى هذه الابواب من النصوص فيما يتعلق باساطير هؤلاء الامم الاولين بقلم التعريب الى أصل المؤلف الذى أخذنامنه واعتمدناه حتى تستندوا الى أصل الاستناد وتعتمدوا عليه كل الاعتماد فتفهموا معنى هذه القصص والاخبار وتعلموا مغزى تلك الحكايات والآثار الذى هو حسن التذكار والاعتبار باحوال من تقدمنا من السلف الصالح فى تلك الاعصار كما علمتم مما أسلفناه وكما هو الغاية القصوى من تعلم كل علم وتحصيل فحواه

ولكن تأخذ الاذهان منه * على قدر القرائح والفهوم



الباب الاول

فى تاريخ الاعصار الاولية والازمان الاصلية من ابتداء عهد خلقة الانسان الى عهد تفرق الامم بعد الطوفان

وفيه فصلان

(معربا من تاريخ اليهود المختصر للمؤرخ فرانسيس لونورمان وأصل مأخذه الباب الاول لغاية الباب الحادى عشر من سفر الخليقة من التوراة)

أفكار تقديميه وفوائد عموميه

هذه المدة تشتمل على تاريخ نوع الانسان من أول عهد مباديه أعنى من أول ما خلقه الرحمن فنشأ غريبا وحصل له على الارض اول الاستيطان قبل الطوفان وبعد الطوفان فنازلا الى عهد تفرق الامم وانتشارهم فى البلدان وهى تنقسم كما أسلفناه آنفا بفاصل حادثة الطوفان سالفا وخالفا الى عهدين مختلفين ومدتين أصليتين

الاولى من عهد خلقة الانسان لغاية حادثة الطوفان أعنى من ابتداء سنة ٤١٣٨ فنازلا لغاية سنة ٢٤٨٢ قبل ميلاد المسيح وهى سنة حصول حادثة الطوفان على الاصح أو الاقرب للصحيح كما اختاره علماء الازمان وهى عبارة عن مدة ١٦٥٦ سنة شمسية حسبما يؤخذ من نسخة ترجمة التوراة اليونانية المعروفة بالسبعين وكما اختاره المؤرخ الانجليزى المسمى باسم كلانتون وغيره من جمهور المؤرخين الفرانساويين ويعبر عنها فى اصطلاح المؤرخين الاوروباويين بالمدة السابقة على الطوفان

الثانية من عهد الطوفان لغاية تفرق الامم فى البلدان أعنى من ابتداء سنة ٢٤٨٢ قم فنازلا الى نهاية هى غير محققة بعد اذ لم يعلم تاريخ تعيين هذا العهد وانما يفهم من كلام بعض علماء الازمان الاوروباويين لا من قبيل اليقينيات العلمية بل من قبيل الحدسيات التاريخية ان النمرود كان قد اختط مدينة بابل العراق على شاطئ الفرات واختط أسور مدينة نينوى على نهر الدجلة فى سالف الزمان قد كان بعد الطوفان فى نحو سنة ٢٢٠٠ قم وبناء على ذلك تكون هذه المدة عبارة عن نحو ٢٨٢ سنة شمسية ويقال لها فى اصطلاح المؤرخين المدة اللاحقة للطوفان وذلك بعيد مما نص عليه أبو الفدا فى تاريخه حيث قال « ثم ولد لفالغ (بالغين المهملة فى آخره) (رعو) ولفالغ مائة وثلاثون سنة وعنده ولد (رعو) تبلبلت الالسن

الانسن وقسمت الارض وتفرقت بنو نوح وذلك لمدى ستمائة وسبعين سنة للطوفان ، اه ما ذكره ابو الفدا من التفصيل والبيان والفرق جسيم فلينظر وما قاله ابو الفدا هنا أيضا هو مخالف لما ننقله بعد عن المورخ فرانسيس لونرمان (فى الفصل الثانى من هذا الباب) من ان تبلبل الالسن وتفرق الامم كان فى زمن فالغ بن سام بن نوح عليه السلام وبالجملة فاقوال المؤرخين فى تلك الاعصار الاولية لبعدها عنا هى مضطربة فليتدبر وعلى كل حال فقد لزم ان يكون فى هذا الباب الاول فصلان

الفصل الاول

فى تاريخ الانسان من عهد الخليقة لغاية حادثة الطوفان (من سنة ٤١٣٨ فنازلا الى سنة ٢٤٨٢ ق م) وفيه عدة مطالب

مطلب اصل اخذ تاريخ اوائل الانسان وعدم امكان الوقوف على حقيقة أحوال أولية الدنيا قبل الطوفان وبعد الطوفان

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان لا نعرف من تاريخ أوائل الانسان لغاية حادثة الطوفان ولا فى شأن أصل النوع البشرى كيف كان غير ما أفادنا به الكتاب المقدس (يعنى التوراة) وان كان بعض الحوادث الاصلية من هذه التواريخ الازلية توجد مأثورة مع بعض تغيير وتبديل فى الروايات الاهلية والحكايات المالية المتداولة فى عدة أقطار شتى من الارض متباعدة بعضها عن بعض ولكن أهلها يتخاطرون بعدة ملايين من السنين

•ومن المستحيل فى الحالة التى صارت اليها المعارف البشرية فى هذا الجيل ان يتوجه أمل أحد الى تعيين تاريخ معين لاول منشأ النوع البشرى على وجه يقين فان التوراة لم يرد فيها عدد صحيح فى هذا الغرض وليس لها فى الحقيقة عد لازمان لا فيما يتعلق بالازمان الابتدائية السابقة على عهد نشأة الانسان ولا فى الحقبة الماضية من عهد الخليقة الى عهد الطوفان بل ولا فيما بعد الطوفان لغاية عهد سيدنا ابراهيم (عليه الصلاة والتسليم) والتوقيتات التى زعمها المفسرون للتوراة انما هى أقوال هوائية فليس لها قيمة اعتقادية من الحيثية الاعتقادية بل هى من قبيل الاعدادات التاريخية لا غير وغاية ما يصح ان يقال فى هذا المجال هو ان ظهور نوع الانسان على الكرة الارضية انما هو حديث عهد جدا بالنسبة لجسامة مدة الاعصار الجيولوجية التى توالت على مادة الخلقة الكونية وان ما يدعيه بعض الامم الاقدمين كالمصريين والكلدانيين (العراقيين) والهنود والصينيين من أسبقية وجودهم على غيرهم من العالمين بملايين من السنين فى روايتهم الخرافية على حسب زعمهم فى سالف الدهر انما هو بالكلية والجزئية حديث خرافة يا أم عمرو

مطلب خلقة الانسان ذكر فى أول سفر الخليقة الذى هو السفر الاول من التوراة ان الله سبحانه وتعالى خلق على هذا الترتيب النور فالفلك فالارض فالكواكب السيارة فالشمس فالاسماك فالطيور وسائر أنواع الحيوانات ثم تمم صنعه بخلقة الانسان وكان خلقة أبى آدم أولا

فى حالة براءة مطلقة من الذنوب ونزاهة محققة من العيوب وسعادة تامة ثم عصى ربه كبرا فى جنة عدن اللذيذة حيث كان أولا قد أسكنه فيها ثم أخرجه منها وحكم عليه لداعى هذا العصيان هو وخلفه بالكدّ والالم والموتان وصرح فى سفر الخليقة المذكور بان الله سبحانه كان قد خلقه من أول أمره للعمل غير ان هذا العمل صار اتعب وأصعب تكفير الخطيئته حيث قال الله تعالى له كما هو نص التوراة « ستأكل خبزك بعرق جبينك » وسرى هذا الحكم على سائر ذريته

مطلب تاريخ الآباء الاولين والانبياء السالفين - ولد لآدم وحواء اللذين هما أول زوج خرج الى حيز الوجود من يد الخالق المعبود ولدان

أحدهما **قاين** (وهو المعرب فى القرآن الشريف باسم **قابيل**)

الثانى **هابيل** وكان الاول قد اتخذ حرفة الفلاحة والثانى حرفة رعاية المواشى وهكذا نصت التوراة على أصعاد أولية هاتين الحرفتين الى أول عهد الخليقة البشرية وقتل قابيل أخاه هابيل حسدا منه وبغضا له حيث كافأ الله اخاه على تقواه ثم هاجر بحالة يأسه على قتل أخيه التى صار اليها يلوم نفسه وتوطن مع بنيه وعائلته وذويه على شرقى جنة عدن حيث انشأ هنالك أول مدينة حدثت منذ خلق العالم من المدن سماها **أنوشية** (بالشين المعجمة فى آخره) باسم ولده البكرى المدعو باسم انوش وكان الله سبحانه قد خلق الانسان على حالة من الهبات اللدنية العقلية والبدنية بحيث يقتدر على أداء الغرض المقصود من ابرازه الى حيز الوجود أعنى كونه ينشئ اجتماعات بشرية منتظمة ويحدث شركات تأنسية وترتيبات تمدنية تامة وقد نص سفر الخليقة المروى عنه أعلاه على ان عائلة قاين او قابيل هى التى ينتسب اليها أولية اختراع الفنون الصناعية ثم ذكر فيه انه ولد لانوش بن قاين أو قابيل

لامك او **لامخ** (بالكاف فى آخره وقد يعرب بالخاء المعجمة من فوق) وولد للامخ عدة أولاد منهم

جابيل الذى هو كالمنصوص بمتن التوراة أبو الرعاة والقاطنين تحت الخيام

وجوبال مخترع الموسيقى (وهو فن الالحان والمغانى)

وتوبال قاين او توبال قابيل الذى هو مبتدع فن سبك المعادن وصناعتها

ومنهم أيضا البنت المسماة **نعيمه** (على صيغة التصغير) وهى المخترعة لصناعة غزل صوف المواشى ونسج الاقمشة منه

ثم ولد لآدم ولد ثالث يسمى باسم **شيث** ووهب الله آدم عدة اولاد آخرين كثيرين لكن كان ولده شيث هو الذى عمر تسعمائة واثنتى عشرة سنة وصار له خلف كثير حافظوا بغاية الامانة على بقاء الروايات الدينية المأثورة عن النبوة الاولى فيهم الى عهد الطوفان بخلاف ما كان عليه غيرهم من بقية ذرارى آدم فى تلك الازمان من الاعتكاف على عبادة الاوثان والانهماك على الرذائل التى تخل بمرتبة الانسان ثم بعد ذلك صارت هذه الفضيلة وآلت تلك المنقبة الجليلة من أبناء شيث ابن آدم الى بنى سام بن نوح (عليه السلام) ومن أبناء شيث بن آدم

اينوس (بالسين المهملة فى آخره)
وقاينان او قينان (بتشديد الياء او بتخفيفها للتعريب)
ومهلائيل (بياء مهموزة ثم ياء أخرى مثناة من تحت)
ويرد او يزد (بالدال المهملة او بالذال المعجمة كما فى تاريخ ابى الفدا)
وحنوخ (بحاء مهملة ونون يليها واو فخاء معجمة فى آخره وهو ادريس كما فى تاريخ أبى الفدا)
وهو الذى سار فى سبيل المولى الباقى مدة ثلاثمائة وخمس وستين سنة ثم رفع الى السماء
ومن ولد حنوخ أيضا **ماتوزاليم او متوشلح** (بتاء مثناة من فوقها اوقيل بثاء مثلثة وآخره حاء مهملة كما ضبطه ابو الفدا) وهو اطولهم عمرا عاش تسعمائة وتسعا وستين سنة
ثم لامك او لامخ (آخر غير لامخ بن أنوش بن قاين لوقابيل السالف الذكر)
ثم نوح وهو أبو سام وحام و يافث وقد كان كل منهم اصلا للنسل كثير وخلف كبير (كما سيأتى توضيحه بعد) اه معربا من مختصر تاريخ فرانسيس لونورمان
تنبيه حصل فى هذا الفصل من تاريخ أبى الفدا نقلا عن ابن الاثير وغيره رحمهم الله تعالى أجمعين فى عمود نسب الآباء الاولين والانبياء السابقين خلط كبير وخبط لا يخفى على الناقد البصير وكلاهما فى ذلك معذور بالنسبة لما هو هنا مذكور من تصحيح النسب نقلا عن اصل التوراة الاصلية وهو أحرى بالالتفات اليه والتعويل عليه والشئ من معدنه لا يستغرب (رجع للنقل من مختصر تاريخ فرانسيس لونورمان)

مطلب ماحصل عليه العثور من الآثار الواهية للاجيال الانسانية الخالية

دلت الاستكشافات العلمية الجيولوجية الاخيرة على تمام تصديق ماقص فى نص الكتاب المقدس (يعنى التوراة) فى شأن اصل نوع البشر وكيفية مباديه فى أول الامر وذلك بواسطة ماحصل العثور عليه من الآثار العديدة والعلامات المفيدة الدالة على اصل وجود الانسان قبل الطوفان فى طبقة الاراضى المتلونة بمدة العهد السابق على مدة عهدنا هذا المنفصل منه بفاصل هذه الحادثة الكبيرة المذكورة فان بعض امتعة منزلية وآلات معاشية عمارية مصطنعة بيد الانسان مع بعض عظام بشرية من بقايا اجسام الناس فى تلك الازمان وجدت فى تلك الطبقة الارضية مختلطة بآثار عظام الحيوانات الغائلة والوحوش الهائلة التى كانت موجودة بتلك الاعصار فيما نحن مقيمون عليه الآن من الاقطار ثم زالت بحادثة الطوفان كنوع الحيوان المسمى باسم الماموت (اوالفيل ذى اللبد) ونوع الحيوان المعروف باسم الكركدان او الخرطيط (أوذى القرن القاتل للفيل) ذى الشعر الطويل وفرس البحر والنمر والذئب والضبع والدب وقد وجدت جميع تلك الحيوانات كلها اكبر جسما او اكثر قوة وعزما من انواعها الموجودة الآن ولقد كانت درجة الهواء الجوية من الكرة الارضية على العموم اوبالجهات المغربية منها بالخصوص

لا اقل في تلك الاعصار السالفة اشد قساوة وصعوبة على نوع الانسان مما صارت اليه بعد في الازمان الخالفة لغاية الآن فكانت اشبه بما هو متسلطن في هذا الزمان من درجة الهواء الجوية بالجهات الشمالية من بلاد الروسية وكان البرد الشديد متحكما بجميع بلاد اوروبة يقع فيها من الجبال قطع هائلة من الثلج فتبقى في جميع الاودية المرتفعة وكان وادي الرون (ببلاد اوروبة) مثلا ممتد الغاية جبال بورة وكان بعض انواع الحيوانات التي لا يمكن ان تعيش الآن الا في نواحي القطب تعيش على سواحل البحر الابيض المتوسط (بحر سفيد) في ذلك الزمان ومن ثم يعلم كيف كانت من حالة الشدة والصعوبة معيشة الناس قبل الطوفان في مثل هذه الدرجة من الاقليم وفي وسط وحوش غائلة يضطرون للدفاع عن أنفسهم منها على الدوام في كل حين واوان وفي الحقيقة يظهر ان ما كان قد قضى الله سبحانه وتعالى به على النوع البشري من الالم والنكد على سبيل العقوبة في نظير عصيان آدم عليه قد كان ظهر أثره على الناس في ذلك العهد منذ غدا المباشرة للذنب على وجه اصعب واتعب مما صار اليه الحال فيما بعد

وقد كان الناس الذين حصل العثور لهم على بعض الآثار في الاراضي السابقة على حادثة الطوفان من تلك الاعصار في أقبح حالة من التوحش والاعسار لا يعرفون زراعة الارض ولا رعاية المواشي ولا بناء مساكن يأوون اليها بل كانوا بعائلاتهم يهيمون في الغابات ويتقوتون بمجرد الثمرات الوحشية وما تيسر من الصيد ويسكنون الكهوف الجبلية ويستترون بجلود الحيوانات ليدفعوا عن أنفسهم شدة البرد وكانوا يجهلون صناعة المعادن فلا يتخذون منها الاسلحة الحربية ولا الادوات المنزلية ولم يكن لهم من الادوات في ذلك الزمان غير قطع من حجر الصوان مقطعة على هيئة غليظة او عظام حيوانات مسنونة ومع ما كان عليه نوع الانسان في تلك الازمان من حالة التوحش والبداوة يرى بديهيا انه كان له قوى عقلية وغرائز خلقية يفوق بها سائر أنواع المخلوقات من حيوان ومعدن ونبات وذلك ان الناس الذين كانوا موجودين قبل الطوفان كانوا بوسيلة ما بايديهم من تلك الاسلحة الغشيمة يغيرون على الوحوش التي تقشعر منها الابدان في هذا الزمان وبقوة التحيل والخداع يتوصلون للظفر بها والغلبة عليها فضلا عن مجرد الدفاع وكانوا يعتقدون في حياة أخرى غير الحياة الدنيا ويتخذون محافل جنازية على مقابر موتاهم ويعانون رسم صور بعض الحيوانات المحيطة بهم بسن حصاة يجعلونها كالاقلام على أحجار لينة او قطع من العظام فمن هذا القبيل ما حصل عليه العثور بهذا العصر في كهف باقليم بريجورد (ببلاد فرانسة) من صورة فرد من نوع الحيوان المسمى بالماموت السالف الذكر مرسومة بيد رجل من الناس الذين كانوا موجودين قبل الطوفان في سالف الدهر ولقد يرى في بعض تلك المبادي الاولية من الصناعة التصويرية ان نوع الانسان كان عنده الشعور بالامر النظر بعد وان كان لا يمكن لاحد ان يجتهد في تعيين وقت معين لاولية هذا النظر اللطيف

ولقد ثبت بدليل الاستكشافات الجيولوجية ان النوع البشرى كان قد انتشر قبل الطوفان على جميع سطح الكرة الارضية وانه لم يكن شاغلا منها لاقل من المسافة التى هو عليها الآن ودل كل ما استكشف من هذا القبيل من آثار ذلك الجيل على ان نوع الانسان قد كان فى كل مكان من الارض فى ذلك الزمان على مثل حالة التوحش التى كان عليها الجميع لا يتفاوت فى ذلك بعضهم عن بعض غير انه مما ينبغى التنبيه عليه ويقتضى التيقظ اليه ان البحث عن تحقيق هذا القصد لم يحصل بعد فى اقطار بلاد آسية التى اتفق جمهور العلماء عموما على انها كانت لنوع الانسان هى أول مهد وفى الواقع ونفس الامر قد كانت الامم الذين هاجروا من تلك الاقطار فى أوائل ذلك العصر قد مكثوا على الحالة التى كان عليها آدم عند خروجه من جنة عدن بخلاف القبائل الذين بقوا منهم على القرب من ذلك الوطن الاصلى والمهد الاولى فانهم كما يؤخذ من ذات حكاية التوراة كانوا هم الذين حصل فيهم تقدم التمدن الانسانى الحسى المتصور فى مادة انشاء أول المدن والتشبث بأول تربية المواشى وزراعة الارض واختراع صناعة المعادن وحرفة الغزال والحائك وذلك هو نهاية ما كان قد وصلت اليه درجة التمدن الانسانى فيما هنالك .

مطلب قصة الطوفان ومع ذلك فقد كان فساد اخلاق الناس فى ذلك الوقت لا يزال يزيد الى ما لانهاية له من الحدود وبلغ بغيهم وطغيانهم لغاية أن المولى سبحانه وتعالى غضب عليهم واراد أن يقطع دابرهم ويستأصلهم من أولهم الى آخرهم وكان نوح الذى هو من نسل شيث صديقى وحده بحال الاستقامة والصلاح فلذلك انعم الله عليه وأمره أن ينشئ سفينة ليقيم عليها هو وبنوه مع سبعة ازواج من جميع أنواع الحيوان ثم ابتدأت طامة الطوفان وهى عبارة عن غرق هائل عم جميع سطح الارض واناف على أعلى رؤس الجبال العليا وأهلك سائر الناس الذين كانوا موجودين فى ذلك العصر بجميع أقطار الدنيا غير نوح وعشيرته حيث التجأوا الى سفينته .

وتحقق فى ضمن الروايات الاهلية المتداولة عند أكثر الامم القديمة ذكرى حادثة الطوفان والرجل الصالح الذى أنجاه الله لقصد عمارة الارض بالثانى واستكشف العلماء الجيولوجيون عدة آثار عديدة تثبت حصول هذه الحادثة الطبيعية الشديدة وقرروا انها آخر الحوادث الكبيرة التى كانت سببا لتكوين الكرة الارضية وصيرورتها الى الحالة التى هى عليها الآن وقالوا ان الانقلابات التى هى من هذا القبيل كانت كثيرة فى سالف عهد خلقة الاكوان قبل ظهور الانسان وان كل دور جديد من أدوار تكوين الارض كان مسبباً عن طامة كبرى من هذا القبيل وكان دور هذا الطوفان الاخير هو الذى قارن وجود الانسان على الارض وانه هو آخرها وبه تشكلت الاراضى القارة (أى البرور المقابلة للجزائر والبحور) على الهيئة التى نراها عليها الآن من الجبال والسهول والوديان لم يتغير منها شئ فيما بعد عما كانت قد صارت عليه فى ذلك الزمان بحادثة هذا الطوفان اللهم الا فى بعض بقع يسيرة وقطع من الارض غير كبيرة لاسباب حوادث خصوصية وبواعث محلية .

مطلب تحقيق عينية الجبل الذى وقفت عليه سفينة نوح عليه السلام

ثم انه بعد ان مكثت المياه الطامية على سائر سطح الارض مسافة مائة وخمسين يوما اخذت فى التناقص وفى الشهر الثامن من ابتداء تاريخ الطوفان وقفت السفينة على جبل ارارت اوعرارات (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان) والمراد به الجبل المسمى باسم ايراراته عند سلف القبائل اليافثية الاولى وباسم ميرو عند أهل الهند وباسم جبل البرج عند الفرس أعنى بولورداغ أى جبل بولورا والربوة الالپية (نسبة الى جبال ألپه) المسماة باسم پامير فى ولاية بخارى الصغرى (أى بلاد تركستان الصينية) وليس على الجبل المسمى باسم عرارت ببلاد أرمنية قال المؤرخ المذكور هذا ما يدل عليه صريح نص التوراة وقضية ذلك انه قد تصرح فيها بان بنى نوح انما وصلوا الى سهل سنعار الكائن فيما بين دجلة والفرات من الموضع الذى وقفت عليه السفينة سائرين دائما من المشرق الى المغرب وهذا دليل لا يروج معه ان يظن كون مبداء سيرهم كان من بلاد الارمن بل من الكتلة الجبلية الكائنة بولاية بخارى الصغرى (ببلاد الصين) كما ينطبق عليه هذا الدليل على وجه تام مبين اه فتأمل هذا مع كون المكرم ويكتوردوروى مشى فى تواريخه على ان سفينة نوح وقفت على جبل ارارات ببلاد الارمن وقال أبو الفدا (صفحه عدد ١٠ من نسخه تاريخه المطبوع بمدينة القسطنطينية فى سنة ١٢٨٦ الهجرية) ما نصه « وكان استقرار السفينة على الجودى من أرض الموصل » اه كلامه بلفظه ومعناه وهو مخالف لما حققه المؤرخ فرنسيس لونورمان أعلاه فان أرض الموصل هى بلاد أرمنية بعينها وانما أخذ ابو الفدا قوله هذا من أقوال مفسرى القرآن الشريف حيث قال الزمخشرى فى الكشاف « الجودى جبل بالموصل » اه وزاد المولى أبو السعود فى تفسيره « الجودى هو جبل بالموصل أو بالشام او بآمد » اه وفى اتقان السيوطى « الجودى جبل بالجزيرة » اه ومن المعلوم يقينا ان جميع هذه الاماكن هى فى جهة الغرب من المكان المدعو باسم سنعار الواقع عند ملتقى دجلة والفرات من اقليم بابل القديمة (ولاية بغداد الآن) لانها كلها من ممالك غربى آسية كما هو مذكور فى جغرافية المعلم فورتنبير الفرانساوى الشهير واذا كان مبدأ سفر بنى نوح بعد الطوفان قد كان منها يترتب عليه ان سفرهم كان من المغرب الى المشرق بخلاف الوارد بنص التوراة فلينظر هذا مع ما حققه المؤرخ المحقق والعالم المدقق فرانسيس لونورمان السالف قال المؤرخ المذكور فى تاريخه الكبير ما ملخصه وأما سبق الظن لكونه هو جبل ارارات الكائن ببلاد الارمن فماذلك الالداعى ان القبائل الذين هاجروا من بلاد تركستان الى تلك الاوطان فى سالف الازمان اطلقوا على بعض الاماكن من أوطانهم الجديدة أسماء بعض أوطانهم القديمة كما هى العادة المعهودة اه معربا باختصار (رجع للنقل فيما يتعلق بالطوفان من كتاب مختصر تاريخ اليهود للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

قال مؤلف الاصل ثم أخذت الارض فى الانكشاف فارسل نوح عليه السلام حمامة من الحمام

الذى كان معه بالسفينة طارت ثم رجعت عند غروب الشمس وفى منقارها غصن من شجرة زيتون استدل به على ان المياه قد تقشعت عن الارض وانه يمكنه ان يخرج اليها ويستولى عليها حيث جفت ونشفت ولما خرج نوح من السفينة مع بنيه الثلاث ومن كان معهم من الاناث قرب للمولى سبحانه وتعالى قربانا شكرا له على ما أولاه من النجاة وعاد يزرع الارض كما كان وكان نسله كثيرا جدا حيث عمر بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة وكان مبلغ عمره حين لحقته الوفاة تسعمائة وخمسين عاما

الفصل الثانى

(فى تاريخ نوع الانسان بعد الطوفان من سنة ٢٤٨٢ فنازلا لغاية نحو سنة ٢٢٠٠ ق م)

مطلب تفرق الامم بعد الطوفان الى البلدان

قال مؤلف الاصل وكانت ذرية نوح قد تكاثرت جدا فى أسرع وقت غير انه من ابتداء ذلك العهد كانت اعمار بنى آدم قد تناقصت نقصا كبيرا وصاروا لا يعيشون كثيرا بل صارت الاعمار البشرية فى ذلك العصر على العموم لا تنيف على متوسط الاعمار المعتادة فى هذا العصر كما صار ذلك من المعلوم بدليل ما شوهد من هذا القبيل فى أقدم الكتابات المصرية العتيقة المؤرخة من نحو ألف سنة قبل بعثة ابراهيم عليه السلام وان كان سام بن نوح (وكذلك أخواه المذكوران بحسب التخمين) قد عمر عدة قرون وقد ذكر بنص التوراة ان أهل البيت الذى نشأ فيه ابراهيم عليه السلام كانت أعمارهم لغاية نشأة ابراهيم فيهم تطول أكثر من أعمار غيرهم من الناس الذين كانوا موجودين فى ذلك الوقت وذلك من غير شك ولا نكر لداعى ما كان قد اعتاد عليه الآباء الاولون والانبياء السالفون فى طريقة معايشهم من اخلاق القناعة والاكتفاء من العيش بالشئ النزر

وكان كل أهل بيت من البيوتات واعضاء كل عائلة من العائلات فى ذلك العصر يتكلمون فى أول الامر بلغة واحدة و يتفاهمون بلهجة متحدة فلما توالت بعد الطوفان عدة قرون من الزمان كانت ذرية نوح عليه السلام قد كثرت جدا واستقرت فى السهول المتسعة الكائنة من بلاد آسية فيما بين دجلة والفرات من تلك الاقطار وهى القطر المسمى فى مبادى ذلك العصر باسم **سنهار** ومعناه بلغة بنى سام القديمة بلاد النهرين ثم تحكم فيهم الكبر والعجب بانفسهم لداعى كثرتهم وزيادة قوتهم وشوكتهم حتى تخيل لهم انهم على كل شئ قادرون وتوهموا بجهلهم انهم بكل أمر جديرون فقال بعضهم لبعض هيا بنا نبنى مدينة وصرحا عاليا تبلغ رأسه السما فانتقم الله من كبرهم بان خلط لغاتهم بحيث صاروا لا يفهم بعضهم بعضا فاضطروا للتفرق فى البلدان وذهبت كل عائلة أو جملة عائلات مجتمعة بما بقى معها من اللهجة التى حفظتها فتكلمت بها من حينئذ ومن ثم تولدت فى اقطار العالم أنواع اللغات المتنوعة والالسن المتفرعة التى رتبها العلماء على عدة مراتب متميزة بحسب ما يوجد بينها من علائق المشابهة والموافقة وعلى هذا الوجه كان أصل منشأ الانسال البشرية

الثلاث الذين عمرت بهم الدنيا بالثانى بعد الطوفان وهم

ولد حام انتشروا فى قطعة من آسية وافريقيه

ولد سام باقطار آسيه

ولد يافث باقطار اوروبه

و بقى الصرح المذكور غير تام التشييد والتعمير يسمى باسم بابل ومعناه بلغة بنى سام السلف الاختلاط لداعى اختلاط الالسن واللغات فى ذلك الموقف وكانت حادثة تبلبل الالسن واللغات وتفرق الامم الى سائر الجهات كما يؤخذ ذلك من ظاهر معنى عبارة التوراة وان كانت قد كثرت عليها من المفسرين لها الشروح والتأويلات فى زمن ولد سام المسمى باسم فالغ (بالغين المعجمة فى آخره) وكان خامس ولد له وقد وقعت تلك الواقعة على عهد قريب من مولده فدعى بهذا الاسم ومعناه الفراق تذكارا منهم لهذا الحادث

تنبيه قف على هذا القول مع ما سبق عن أبى الفدا من النقل

قال مؤلف الاصل على انه لا يوجد فى نص التوراة ما يمنع من الظن بأن عدة عشائر من ابناء نوح الذين كان قد أعدهم الله لعمارة الارض بعد الطوفان بالثانى كانوا من قبل قد هاجروا من ذلك المكان الذى كان قد اجتمع فيه جلهم والتأم فيه شملهم وانشأوا بعض نزائل مستعمرة خارجا عن مركز هذا المجمع العام ودليل ذلك أن تناسل أولاد نوح عليه السلام من يافث وسام وحام على الوجه الذى ورد به فى سفر الخليقة من التوراة لم يتعرض فيه الا للامم الطائفة البيضا من نوع البشر ولم يذكر الطائفة الزنجية او السود ولا الطائفة الصفراء (بنى الاصفر) التى منها سكان بلاد الصين

مطلب ذرارى بنى نوح عليه السلام - نسل حام

يظهر ان من قبيل اليقينيات الراجحة والحوادث التاريخية الصحيحة كون بنى حام كانوا قد توطنوا اولا فى أكثر اقطار بلاد آسية الغربية والجنوبية قبل بنى سام وأن هؤلاء الاخيرين طردوهم منها وازالوهم عنها ودليل ذلك ما ذكر فى التوراة من أن النمرود الذى هو ولد كوش بن حام حكم ولاية بابل واختط مدينتى آراش وشالانة (مدينة أور) فى بلاد سنهار وكان اول من انشأ اقدم دولة و سلطنة فى سالف الاعصار وان جماعة من بنى حام كانوا أول من عمر البلاد المحاطة بنهر جيحون لغاية الصعيد الاعلى من مجرى نهر السند وقد اتفقت كلمة جميع العلماء الآن على الاعتراف بان الاقطار الكائنة على شواطئ نهر الدجلة من بلاد الميدية والفرس لغاية بلاد الهند كانت عامرة فى سالف العهد من بنى كوش بن حام قبل ان يشغلها بنو سام والقوم المسمون باسم الأريا أو الآريين الذين هم من ولد يافث بن نوح عليه السلام ولنا من الاسباب القوية ما يقتضى أن القوم المسمين بالسكاريين وهم أول سكان الجزء الاعظم من بلاد الارمن فى سالف الزمن كانوا أيضا من ولد حام ولا شبهة لاحد فى أن ولد حام المذكورين كانوا هم القوم المتحكمين دون غيرهم من الاقوام

السالفين

السالفين فى أول الامر على سواحل بلاد القرمان و بلاد الجيدروزية (وهى الاقليم المدعو الآن من بلاد ايران التى هى مملكة العجم باسم ميكران) وعلى طول سواحل البحر المحيط الهندى وسائر الاطراف الجنوبية من الجزيرة العربيه

وهكذا يرى مما ذكر أن بنى حام هم الذين كانوا أول المهاجرين عن مركز اجتماع الناس الاولين من الانسال الثلاثة الاصليين الذين تفرقوا بعد تبلبل اللغات والالسن بصرح بابل فى سالف الزمن وانتشروا أولا فى أوسع مسافة من الكرة الارضية وانشأوا أقدم الدول الملوكية وانهم كانوا هم الذين حصل فيما بينهم اسرع الحركات التقدمية فى امور التمدين المادية غير ان نوحا عليه السلام كان قد دعا باللعنة على ولده حام لداعى انه كان قد آساء الادب فى حقه اذ كان أبوه قد شرب خمرا فسكر فانكشفت عورته فضحك منه فغضب عليه أبوه فقال له انك لتكون خادما ليافث وسام ولقد تحققت تلك اللعنة على الوجه التام وذلك ان الممالك التى كان بنو حام قد أنشأوها لم تلبث ان تخالطت مع أقوام من نسل أخويه المذكورين فتنازعوها معهم وكانت الدائرة على أبناء حام والغلبة لابناء يافث وسام فاخذوها منهم واستوطنوها بدلا عنهم واقام ولد سام فى بلاد كلدة والشام وفلسطين وجزيرة العرب واقام منهم القوم المدعوون باسم الآريين فى بلاد الهند وفارس (بلاد العجم) ولم يبق لنسل ولد حام الملاعين دولة الا بافريقية وخصوصا بالديار المصرية حيث كان لهم بمصر فى ذلك العصر ابهى نزلة مستعمرة وابهج دولة ظاهرة (يعنى دولة الفراعنة الغابرة) بل استجيبت الدعوة الابوية باللعنة على بنى حام حتى فى تلك الاقطار فيما بعد على توالى الاعصار حيث كان بنو حام وان مكثوا مستبدين بدولتهم مستعلين بصولتهم فى تلك النواحى أكثر من غيرها لكنهم كانت عاقبة أمرهم فى آخر عصرهم بأن صاروا فيما بعد خدما لابناء سام وكذلك بعد أن مكثت بلاد الفنيقية والديار المصرية وشمال افريقية مدة مديدة من الدهر فى قبضة اليونانيين والرومانيين الذين هم من ولد يافث صاروا بعد ذلك أيضا تحت طاعة العرب المسلمين مسافة مدة مديدة من القرون واستولى الحبش الذين أصلهم أيضا من ولد سام على الاينيوبيين (وهم سكان بلاد الحبشة الاقدمون) وبالجملة فاذا كان ولد حام قد بقوا للغاية هذه الاعصار متوطنين فى بعض الاقطار على وجه بحيث يتكون منهم دائما اصل اهاليها فانهم منذ آلاف من السنين لم يتيسر لهم فيها ان يكون لهم حياة أهلية ولا هيئة اجتماع ملية خاصة بهم أعنى انهم لم يعودوا لأن يكونوا على صورة دولة او ملة مستقلة

مطلب ذكر ولد سام واما ولد سام فقد كانوا ثانى من انتشر فى الارض بعد مهاجرتهم من مركز المجمع الاصلى والمكان الاولى الذى كان قد اجتمع فيه افراد الانسان بعد الطوفان وتوطنوا فى النواحى الممتدة من عند النواحى العليا من بلاد الميزوپوتاميه (بلاد الجزيرة) لغاية جنوب جزيرة العرب ومن عند شواطئ بحر شفيد لحد ما وراء نهر الدجلة وحينئذ فمن ولد سام بن نوح

كان أصل الاسوريين (اوالسريانيين) والعبرانيين (أى اليهود أو الاسرائيليين) والعرب والسوريين (الشاميين)

مطلب ذكر ولد يافث وأما يافث بن نوح فدلول هذا اللفظ فى اللغة السريانية القديمة الانتشار وانما سمى بذلك لكون خلفه انتشروا على مسافة متسعة من الاقطار وقد كانوا آخر من اجتمع شملهم فهاجروا من المكان الذى كان قد اقام فيه نوح عليه السلام عند خروجه من السفينة (على الخلاف السالف الذى حصل فى هذه المسأله بين العلماء الاعلام) قال مؤلف الاصل وانما لم يذكر فى التوراة تعداد جميع شعوب بنى يافث الذين توطنوا فى جميع البلدان بعد الطوفان لداعى ان موسى عليه السلام كان قد اقتصر منهم بالضرورة على الامم المعروفين للعبرانيين المعاصرين له واما علماء هذا العصر الاورباويون فانهم استدلوا بالبراهين المستنبطة من المشابهات الفيزيولوجية (نسبة لعلم الفيزيولوجية أى علم منافع الاعضاء الحيوانية ومعرفة كيفية تركيب البنية الجسمانية) ودلائل العلائق اللغوية فتوصلوا فى هذه المسألة بطريق الاثبات لتتميم ماذكر من شهادة سفر الخليقة من التوراة وارجعوا عدة عديدة من الامم التى هى الآن موجودة لاصل الشجرة اليافثية واتفق جمهورهم على وجه العموم على ان من ولد يافث بن نوح فى بلاد اوروبة اليونان والرومانيين والجرمانا والالمان والسلتيين والاسكنديناويين والاسلاويين وفى بلاد آسية فارسا والميديين والبكتريين والطبقات العليا من أهالى بلاد الهند وذلك ان هؤلاء الاقوام المتأخرى الذكر كانوا قد اجتمعوا فى سالف العصر باسم الآريين ومكثوا امدة مديدة وأعصارا عديدة ملتئمين فى الاقطار التى يسقيها كل من نهرى جيحون وسيحون أعنى بالقطرين المسميين أحدهما ببلاد البكترية (وهى المسماة الآن بخانية بلخ من بلاد التتار المستقله ببلاد آسية) والثانى بلاد السوجديان (وهى ما يسمى الآن بخانية بخارى وخوقند وما يليهما من تلك البلدان) وقد كانت تلك الاقطار هى أول الأوطان التى أقام فيها جميع بنى يافث فى سالف تلك الازمان ثم تفرع منهم فرع توجه الى جهة الجنوب وتعدوا الى ما وراء الهند كوش او الهند كوه (بالشين المعجمة او بالهاء فى آخره) وهى سلسلة الجبال الكائنة فى وسط بلاد آسية فيما بين ٢٤ الى ٣٦ درجة من العرض الشمالى و ٥٩ الى ٧٢ درجة من الطول أعنى البلاد الممتدة (من عند تخوم مملكة فارس الى حد الشاطئ الايمن من نهر السند) وتوغلوا فى بلاد الهند بازالة من كان قد سبقهم اليها من ولد سام عنها او بادخالهم تحت طاعتهم وغلبتهم عليهم وتوطن فرع آخر منهم بالبلاد الممتده فيما بين بحر الخزر والدجلة وفى جبال بلاد الميدية وفارس بل يرى انهم كانوا قد خالطوا وافى بعض الاحيان من سالف الازمان الاسوريين وحكموهم مسافة عدة قرون من الزمان وحيث كان الامر كما ذكر يقتضى ان يكون ولد يافث هم من يعبر عنهم أيضا باسم النسل الهندى الاوروباوى للاشارة الى سعة ما استولوا عليه من الممالك والبلدان (قال مؤلف الاصل) وهذا هو النسل الذى نحن منه

وهو النسل الشريف الصحيح والفرع النوحى المدعو له بالوجه الصريح الذى نيط اليه من الملك المدبر لجميع الكائنات امانة تبليغ درجة الفنون والعلوم والفلسفة وسائر المعلومات الى درجة كمال لم يصل اليها غيرهم من النسلين الآخرين فقد ورد فى نص التوراة ان نوحا عليه الصلاة والسلام دعا ليافث بقوله « بارك الله فى يافث وأمدّ عقبه الى أمد بعيد واسكنه فى خيام سام وجعل حامًا له من الخدام والعبيد » ولقد تحقق هذا الدعا وتصدق هذا الرجا وظهر من هذا الخبر بالغيب اتم الاثر فان نسل يافث لم يكونوا فقط أكثر عددا وأكبر ملكا ومددا من سائر من عداهم من نسل أخويه بل هو النسل المتسلطن على الممالك الدنيوية ولم يزل يتقدم فى كل يوم الى ان يصير ليده مقاليد السلطنة العموميه

مطلب مراتب اللغات البشرية الاصلية اعلم ان كل واحدة من الفروع البشرية الاصلية الثلاثة التى ذكرنا كيفية نسبتها بناء على سفر الخليقة من التوراة يقابلها مرتبة أصلية وفصيلة اولية من مراتب اللغات البشرية التى حصل الاستدلال على ترتيبها بواسطة عز اشتقاق اللغات الانسانية ومقابلة بعضها ببعض من حيث المشابهات اللسانية وذلك انه قد تحقق بالادلة النظرية انه يوجد أظهر المشابهة اللغوية بين اللهجة الهندية المقدسة القديمة المسماة باسم السنسكريت ولغات فارس واليونان وايطالية القديمة والسنة الجرمانيين والاسكنديناويين والسلتيين والاسلاويين (بلاد أوروبة) وثبت عند العلماء الاوروباويين المتأخرين اتحاد المواد الاصلية والاصول الاولية التى قد كان منها منشأ اشتقاق جميع هذه اللغات المتنوعة واللهجات المتفرعة وعلم انها كلها ترجع الى لغة أصلية ولهجة اولية وهى لسان القوم المسمين لآريين السالفين فى قديم الزمان حيث استدل على معظمها الآن ومن ثم استنبطوا أعنى انهم جروا على ماتحقق عندهم من النسبة بين اللغات بانضمامها الى ماثبت من الروايات عن التوراة انه يوجد أصل عام لجميع فروع نسل يافث بن نوح عليه السلام

وغاية ما هنالك ان أصل مأجوج بن يافث هو المستثنى وحده من ذلك كله حيث تحقق ان اللغات التورانية (نسبة الى بلاد توران التى هى بلاد التتار المستقلة الآن فى مقابلة بلاد الفرس المسماة بايران) وهى اللغات التتارية (أى لغات قبائل الترك ببلاد آسية) واللغات الفنلندية (لغات بنى مأجوج ببلاد أوروبه) أعنى سائر لغات ولد مأجوج المذكور يتكون منها مرتبة لغوية منفردة وحدها وفصيلة من اللغات متميزة عن غيرها مستقلة بمفردها لكن هنالك بعض علامات تدل للظن بأن تقدمات العلم لابد وانها تصل ذات يوم لارجاع فصيلة اللغات المذكورة الى أصل اولى ومأخذ سابق من أصول مرتبة اللغات الهندية الاوروبية وعسى ان تكون هذه الطائفة اللغوية اليأجوجية انما هى فرع انفصل من أصل شجرة مرتبة اللغات الهندية الاوروبية العمومية قبل غيره من سائر الفروع اللغوية

وليس اتحاد لغات بنى سام باقل وضوحا من اتحاد مرتبة لغات بنى يافث وذلك انه قد تحقق عند علماء الافرنج الآن ان لغات الكلدانيين (أى البابليين اوقدماء العراقيين) والسوريين (أى قدماء أهل الشام) والعبرانيين والاسوريين والعرب والحبشة كلها مرتبطة بعضها مع بعض باشد الروابط القرابية واوكد العلائق النسبية بحيث يتكون منها مجموع مرتبة لغوية تام وأصل فصيلة لسانية عام ويقتضى ان ينضم اليه أيضا لسان الفنيقيين (أى الصوريين) وان كانوا من ولد حام بواسطة ولده كنعان لكنهم لما كانوا قد خالطوا بنى سام مخالطة شديدة مدة أعصار مديدة امتزجوا بهم بطريقة أكيدة جدا حتى تكلموا بلغتهم وصاروا من حيث ترتيب اللغات يعدون فى مرتبتهم وكذلك لغات بنى حام يتكون منها مرتبة لغات متميزة وفصيلة لهجات متباينة لم يزل نظر علماء اشتقاق اللغات البشرية يؤدى للوقوف عليها وأحسن ما عرف منها واهم وأقواه واتمه اللغة القبطية القديمة حيث ثبت بواسطة معرفتها والوقوف عليها الآن انه يرجع اليها بالضرورة لغة الليبيين (سكان جبال ليبية وهى بلاد برقة وماوالاها من بلاد افريقية) وهذه اللغة هى التى لم يزل يتكلم بها الغاية الآن الاقوام المعروفون بالقبائل والطوارق بشمال بلاد افريقية وكذلك اللغة الايتيوبية القديمة التى لم يزل يتكلم بها الغاية عصرنا هذا قبيلة العرب البشارية المقيمة على شواطئ نهر النيل الاعلى

تتمة

تشتمل على عدة مسائل

المسألة الاولى (من تاريخ جيلمان)

(قال مؤلف الاصل) قد تحصل لنا مما ذكرناه ان تاريخ تمدن بلاد المشرق الذى ذكرت أخباره وانتشرت آثاره عن السلف فى قديم الزمان يصح ان يقال انه يرجع لتاريخ طوائف ذرارى نوح الثلاث الذين تعمرت منهم الارض بالثانى من بعد الحادث الطوفانى وهى متباينة كل منها عن الاخرى كل التباين فى الاخلاق والعوايد والالسن والعقائد وهى كالمبين بعد

الاولى طائفة بنى يافث ويعبر عنها أيضا بالنسل الهندى الاوروباوى وهى تشتمل كما ذكرناه آنفا على الطبقات الشريفة العليا ببلاد الهند وفارس واهل جبل قوه قاف اوالقوقازية واهالى أقطار أوروبة كلها

الثانية طائفة بنى سام وهى تشتمل على جميع اهالى بلاد اسية الغربية والجنوبية من عند نهر الفرات الى حد بحر سفيد

الثالثة طائفة بنى حام وهى تشتمل على جميع أهالى أفريقية وخصوصا المصريين والايتيو بيين غير ان الفنيقيين والقرطاجيين الذين هم خلفهم وان كانوا من بنى حام بواسطة ولده كنعان

لكنهم لداعى اختلاطهم ببنى سام صح أن يلحقوا بهم ويعدوا منهم والذى دل على تمييز الطوائف أو الانسال الثلاثة المذكورة هو ما حصل بعناية علماء الافرنج المتأخرين من امعان النظر الدقيق وزيادة التأمل بعين التحقيق فضلا عن الاخبار التوراتية والآثار التاريخية ومقابلة الاشتقاقات اللغوية وكيفيات تركيب البنية الجسمية فى افراد كل واحد منهم حيث دلهم كل ذلك على اخوية سائر الامم المتنوعة والاقوام المتفرعة عنهم ورجوعهم الى أصل واحد منهم فمن ذلك ماثبت عندهم مثلا من ان اللغة الهندية المقدسة القديمة المسماة بالسنسكريت يوجد بينها وبين لغات فارس واليونان وايطالية القديمة مشابهة عظيمة جدا وان هذه اللغة العتيقة قد كانت مستعملة بالحقيقة فيما يتعلق باصولها الاصلية فى الاعصار الاولية لا اقل فى سائر الاقطار الممتدة من أول بلاد الهند لغاية بلاد الاسكندينافة (بلاد أوروبة) ومن ثم استنبطوا أن الهنود والفرس والجرمان أو الالمان واليونان كلهم يرجعون الى أصل واحد عام وهو يافث بن نوح عليه السلام وان عينية بنى يافث مع الطائفة الاهلية التى يعبر عنها فى اصطلاح العلماء المتأخرين من الملل الافرنجية بالطائفة الهندية الجرمانية أو الهندية الاوروبية قد صارت من أوضح الواضحات والعلوم البديهيات على الوجه التام .

وكذلك ثبت لديهم فيما يتعلق بطائفة ولد سام ان اللغة هى الرابطة العامة والعلاقة التامة الجامعة بين الكلدانيين والسوريين والعبرانيين والعرب باضافة الفنيقيين اليهم ولا غرابة فيما لوحظ من اتحاد لغة الفنيقيين مع لغات بنى سام وان كانوا هم من بنى حام اذا نظرنا لما علم من شدة اختلاطهم وماثبت خصوصا من كون الفنيقيين المذكورين كانوا قد صاروا تحت سلطة الساميين من أول الامر فى سالف الدهر (قال المؤرخ جيلمان المحكى عنه أعلاه) ومما كان يظن اولا منذ مدة مديدة من الزمان بين العلماء الاوروباويين ان لغة قدماء المصريين هى لغة مستقلة بذاتها ولهجة منفردة على حدتها غيران ما لم يزل يتحقق عند العلماء المتأخرين من العلائق العديدة والمناسبات الاكيدة بين اللغة الفرعونية والعبرانية يؤخذ منه كما هو المتبادر انه يقتضى ارجاع اللغة القبطية الى أصل جماعة اللغات السامية كما هو الظاهر (اه الى هنا معربا من تاريخ جيلمان)

قلت وهذا لا يخالف مانقلناه آنفا عن مختصر تاريخ اليهود للمؤرخ فرانسيس لونورمان من ان لغات بنى حام وهم المصريون والليبيون والايتيوبيون هى مرتبة من اللغات البشرية مستقلة وفصيلة متميزة من اللهجات التى اختص بها كل قوم من بنى نوح عند تفرقهم بعد الطوفان وذلك ان مرتبة اللغات الحامية وان كانت كذلك لكن ثبت عند بعض علماء الاشتقاقات اللغوية المتأخرين ان بينها وبين اللغات السامية مناسبة شديدة وقرابة أكيدة بحيث لا يمكن الا أن تكون كلتا الطائفتين طائفة متحدة وكأن لغات بنى سام وحام قد كانت فى الاصل واحدة كما ذكره فرانسيس لونورمان فى تاريخه الكبير فليتأمل .

(ثم قال المؤرخ جيلمان بعد ذلك أيضا) ومن ثم استقر الحال على ان بنى سام وحام ويافث هم الذين تكونت منهم الاقسام الثلاثة الاصلية التى ترجع اليهم المرتبة الاهلية البشرية البيضاء المسماة فى اصطلاح العلماء الاوروباويين المتأخرين بالقوقازية التى عمرت بلاد آسية الغربية وسائر الاقطار الاوروبية وشمال افريقية غير ان هناك مرتبتين اخريين وهما المرتبة الصفراء او المغلية (اى التتارية) التى اقامت دائما بالاقطار الشرقية والشمالية من آسية والمرتبة السوداء او الزنجية التى انحصرت ببلاد افريقية اما السوداء فلا تاريخ لها واما الصفراء التى منها قبائل المغل او التتار والصينيون فقد بقيت بمعزل تام عن مركز التمدن العام فلذلك لم نتعرض لتاريخ هاتين المرتبتين من المراتب الاهلية البشرية الى آخر ما ذكره وبنى عليه طريقته التاريخيه

المسئلة الثانية

مطلب ترتيب سكان الكرة الارضية على ثلاث مراتب أصلية

ما ذكر أعلاه فى ضمن عبارة المؤرخ جيلمان فيما عنه نقلناه هو جملة المراتب البشرية الاهلية التى تنقسم اليها سكان الكرة الارضية من حيث الصفات الطبيعية والعقلية التى تتميز بها كل مرتبة منها عما سواها وذلك ان علماء الاتنوغرافية والجغرافية رتبوا جميع سكان الكرة الارضية من هذه الحيثية على ثلاث مراتب أصلية يعبر عنها بالانسال أو الانواع الاهلية البشرية وهى تتميز تميزا ظاهرا وتتباين تباينا وافرا باختلاف الالوان وتقاطيع الوجه وشكل الرأس والشعر واللغات وغير ذلك حسبما بعد آت

الاولى المرتبة البيضا وهى عبارة عن النسل او النوع الابيض من جنس البشر او الآدميين وتسمى أيضا بالمرتبة القوقازية او القوهقافية (نسبة الى جبال قوقازة اوقوهقاف المسماة فى كتب العرب بجبال قاف وهى بسلسلة الجبال الكائنة فيما بين البحر الاسود وبحر الخزر وهى بلاد الجركس والاباظة وجرجستان) وانما نسبت هذه المرتبة اليها لكون تلك الجبال هى موضوعة تقريبا فى وسط الاقطار التى توجد فيها هذه المرتبة الاهلية ولداعى انه انما يوجد فى نواحى تلك السلسلة الجبلية أكمل افراد هذا النوع وأجمل انموذج لهذا الفرع من الخلقة البشريه

وتنتشر هذه المرتبة فى غربى القارة القديمة اعنى فى جميع بلاد أوروبة والنصف الغربى من بلاد آسية وشمال أفريقية وقد نزل منها عده نزائل مستعمرة وقبائل متكاثرة فى بلاد القسم الثالث والرابع من أقسام الدنيا العامرة ولاسيما فى بلاد أمريقة

والصفات الاصلية التى تتميز بها هذه المرتبة الاهلية هى كون الرأس منها على شكل بيضاوى منتظم والجبهة عريضة تكاد ان تكون افقية وسعة العينين مع كونهما فى الاكثر شقراوين اوزرقاوين وشعورها جعدة دقيقة متضفرة فى الغالب وعلى وجه العموم سمراء اوشقراء الا فى الاقطار الجنوبية من الكرة الارضية حيث تكون شعور هذا النوع سوداء وزاوية الوجه منه على العموم

منفرجة جدا (ونعنى بزاوية الوجه المتكونة من خطين متوهمين يبتدى أحدهما من ثقب الاذن والثانى من ابرز موضع من الجبهة ويتقاطعان عند اطراف الاسنان القواطع العليا) وأظهر ما تتميز به هذه الطائفة الاهلية من الصفات المميزة الاصلية هو كون البشرة الجلدية منها بيضاء وردية وقد يكون لونها مائلا للصفرة بل قد يكون أسود بالكلية فى الاقطار الجنوبية وهذه هى صفاته الجسية بمعنى الظاهرية واما ما يتميز به من الصفات العقلية والمعنوية بمعنى الباطنية فهو كونه ذا نشاط وأقدام على الامور وطمع كبير واليه ترجع جميع الامم والملل الذين بيدهم مقاليد رياسة التمدن ومقاويد سياسة قوة الدول

الثانية المرتبة الصفراء والنسل أو النوع البشرى الاصفر (وهو المعبر عنه عندنا ببنى الاصفر) وتسمى هذه المرتبة أيضا بالمرتبة المغلية (نسبة الى المغل بمعنى التتار أى التتارية) وانما نسبت هذه المرتبة البشرية بهذه النسبة الاصطلاحية لكون أقوام التتار هم الذين يوجد فيهم أتم أنموذج من افراد هذه الطائفة الاهلية وهى تنتشر فى جميع الاقطار الشرقية من بلاد آسية وقد يوجد منها أقوام قلائل وبعض قبائل فى شمال هذا القسم من الارض وفى النهايات الشمالية من بلاد أمريقة واوروبة وفى شمال الاوقيانوسيه

والصفات الاصلية التى تمتاز بها هذه المرتبة البشرية الاهلية هى كون وجوههم عريضة مستو وأنوفهم فطسا وأعينهم مستطيلة جدا مع كونها ضيقة مرتفعة مائلة الى الخارج وشعورهم سوداء مصقولة متوترة والوانهم مصفرة او زيتونية وزاوية وجوههم أقل انفراجا من زاوية وجوه المرتبة البيضاء وكثير من الاقوام الذين هم من المرتبة الصفراء هؤلاء ولاسيما أهل الصين قد كانوا من أقدم الامم المتمدنة فى سالف الاعصار واعتق الملل المتمصرة فى جميع الاقطار وكانوا قد عرفوا من قديم الازمان كما عرف أرباب المرتبة البيضاء عدة فنون بديعة وجملة صنائع عجيبة غير انهم بقوا فى مادة التمدن والحضارة على حالة واحدة من غير تقدم حتى فاقهم أرباب المرتبة البيضاء بكثير الآن واقصر سكان الارض المعمورة قامة وهم الاقوام المسمون بالاسكيميين واللابونيين (وهم سكان أقصى شمال اوروبة وآسية) هم من هذه المرتبة (وأطولهم قامة يبلغ أربعة أقدام أى نحو متر و ٣٥ سنتيمترا فى الاكثر)

الثالثة المرتبة السوداء او الزنجية وهى تنتشر فى وسط بلاد افريقية وفى جهة الجنوب منها وفى جنوب بلاد الاوقيانوسية كبلاد الاوسترالية منها ويعرف أهل هذه المرتبة بكون ألوانهم أما سوداء أو مسودة وجباههم منخفضة مع كون الفكين بارزين والاسنان مائلة مع كونها أطول من اسنان المرتبتين الآخريين وأنوفهم فطساء عريضة وشفاههم غليظة وافواههم متسعة جدا واصداغهم مرتفعة وشعورهم صوفية وزاوية وجوههم قليلة الانفراج وأهل هذه المرتبة هم أقل تمدنا والظاهر انهم أقل فهما وفطنة من أرباب المرتبتين السابقتين وقد استرق منهم الاوروباويون أقواما كثيرين

ونقلوهم الى بلاد امريقة بحالة المأسورين فاستخدموهم هنالك فى نزائلهم وأدخلوهم فى مستعمرات قبائلهم

هذه هى المراتب الاهلية الاصلية التى ارجع اليها العلماء الاوروباويون جميع أنواع الامم والملل الموجودين على سطح الكرة الارضية من الخلقة والبشرية وهنالك عدة فروع أو انسال بشرية ثانوية بمعنى انها غير مستوفاة للصفات التى تمتاز بها على وجه بحيث تعد من احدى تلك المراتب الاصلية بل يوجد فيها بعض صفات من كل واحدة منها فهى مشتركة بينها ولذلك سميت بمراتب البين بين الاهلية أو بالمراتب الفرعية او الثانويه فنها

أولا المرتبة الحمراء ويقال لها الامريقية وهى سكان بلاد امريقة المتوحشون أى اهاليها البلديون الاصليون وهم ذرارى الاقوام الذين كانوا متوطنين بتلك القارة الجديدة قبل أن ينزل الاوروباويون اليها و يستولوا عليها و يتميزون بكون جلودهم حمراء نحاسية وشعورهم مستوية متدلية واعينهم متسعة و رؤسهم مستطيلة وجباههم منخفضة وانوفهم كبيرة بارزة

واطول سكان الارض المعمورة وهم القوم المسمون بالبتجونيين أو البتغونيين (بالجيم المعجمة التحتية أو بالغين المعجمة الفوقية) هم من أهل هذه المرتبة الاهلية الفرعية (وهم أناس يبلغ ارتفاع متوسط قاماتهم من ٦ الى ٧ اقدام أى الى أكثر من مترين لا الى أكثر من ٨ اقدام أى الى ما يقرب من ثلاثة امتار كما بالغ فى ذلك بعضهم)

وقد ثبت عند العلماء الاوروباويين أن بعض الاقوام الامريقيين الاصليين فى الاعصار السالفة قبل أن تنزل عليهم النزائل من الاوروباويين قد كان لهم دول قوية وملل متمدنة غير انهم الآن انما هم أقوام متوحشون وقبائل ضعاف بدويون (انتهى الكلام على هذه المسئلة معربا باختصار من جغرافية فورتنبير الكبرى)

المسئلة الثالثة

مطلب حل مسئلة كبيرة ومنظرة هى بين العلماء الاوروباويين شهيرة وهى هل جميع سكان الأرض من مراتب الانسان هم من أصل نسل واحد ونوع متحد كسائر أنواع جنس الحيوان وهذه المراتب انما هى فروع عنه متفرعة أم هم أنواع مستقلة متنوعة و بعبارة أخرى هل افراد العالم هم من نسل آدم واحد بمعنى أنهم هل كانوا فى أصل نوعهم متحدين أم هم من انسال عدة أوادم متعددين وياهل ترى كيف الحال فى هذه المجال وحاصل ما يقال فى الجواب عن هذا السؤال هو ان هذه المسئلة خلافية فيها قولان شهيران ومذهبان مختلفان

القول الاول — قال بعض علماء الطبيعيات من الافرنج الآن وهم القائلون بتعداد أصل الانسان ان أصل جميع الناس من العالم متعدد وانهم ليسوا من نسل آدم واحد ولا نوع متحد قالوا بل هم انواع متنوعة لا فروع متفرعة و بنوا على هذا الكلام أن الطوفان لم يكن بعام واقوى دليل

دليل لهم على ذلك وغاية ما يروج مذهبهم هذا فيما هنالك هو ان سفر الخليقة من التوراة لم يتعرض فيه عند الكلام على عمود تناسل الامم والملل الاقدمين من ابناء نوح الثلاثة يافث وسام وحام لغير المرتبة البيضاء او بعض المرتبة الصفراء من العالمين ولم يتعرض لكيفية تناسل الاقوام الزنجيين ولا لاهل الصين وغيرهم من كثير من الامم والملل الذين يقتضى أن يكونوا من أول عهد خلقة العالم فى الاقطار المتنوعة من الارض المعمورة موجودين مع تنوع انسالهم وأنواعهم وتباين تقاطيع بنيتهم وطباعهم اذ منهم الابيض والاسود والاصفر والاحمر وما بين ذلك

القول الثانى — مذهب الطبيعيين القائلين بوحدة نوع الانسان على جميع الكرة الارضية من كل مكان سواء الابيض منه والاصفر والاسود والاحمر وبعموم حادثة الطوفان على سائر البلدان قالوا واختلاف الصفات والالوان انما هو ناشئ عن اختلاف أحوال الاكوان المعبر عنه عندهم بالوسط الذى يكون عليه الانسان أى اختلاف الاحوال الجوية والوسائل المعاشية والعوائد التمدنية التى يكون عليها الشخص بحسب اختلاف الاوطان وهذا هو القول الصحيح والمذهب المعتمد الرجيح الذى عليه جمهور علماء الانام من الافرنج وأهل الاسلام قال أبو الفدا فى تاريخه ما نصه

«« والصحيح ان جميع أهل الارض من ولد نوح عليه السلام لقوله تعالى «« وجعلنا ذريتهم هم الباقين »» فجميع الناس من ولد سام وحام و يافث أولاد نوح عليه السلام »» الى آخر ما ذكره

واستدل علماء الافرنج على وحدة النوع البشرى فضلا عن هذا الدليل النقلى بدليل آخر واقعى عقلى وهو ما شوهد فى جميع أنواع الحيوان من انه اذا حصل تزاوج نوعين مختلفين تولد منهما نتاج يصير عقيما كالبغل المتولد عن مزاوجة نوع الفرس والحمار و بالعكس وما أشبه ذلك من أنواع الحيوان بخلاف نوع الانسان حيث يتولد عن مزاوجة انساله كالابيض مع الاسود مثلا ذرية مولدة فرعية لا يزال يوجد فيها الصفات النوعية من التناسل وغيره كما يحصل تعلية الفرس العربى على البرذون اذ يترتب على ذلك تحسين مادة النتاج لا عدم الانتاج ومن ثم استنبطوا ان مراتب الانسان ترجع كلها الى نوع واحد وأصل متحد بمعنى انها فروع عنه متفرعة لا انواع متنوعة واجابوا عن اقتصار التوراة فى توزيع بنى نوح على الارض وذكر البعض دون البعض بانه انما ذكر فيها الامم المعلومة للعبرانيين فى ذلك العصر واستدلوا على عمومية حادثة الطوفان بما تحقق عندهم أيضا من البرهان على وجود طامة كبرى من هذا القبيل فى روايات اغلب الامم السالفين فى ذلك الجيل مع ذكر الرجل الصالح الذى نجاه مولاه وان اختلف منه الاسم فى رواية كل قوم منهم كما قدمناه وعلى كل حال من هذين القولين والمذهبين الشهيرين فبيان كيفية تناسل بنى نوح عليه السلام وانتشارهم فى اقطار الارض حسبما لمقص فى الباب الحادى عشر من سفر الخليقة من التوراة وكما دل عليه ما تحقق وثبت عند علماء

الافرنج المتأخرين من المعلومات هو كما فى هذا المطلب التالى آت

المسئلة الرابعة

مطلب تفصيل ما اجمل فيما تقدم عن المؤرخ فرانسيس لونورمان من الكلام فيما يتعلق يتناسل جميع أهل الارض من بنى نوح عليه السلام

عائلة حام نص فى سفر الخليقة من التوراة على أنه ولد لحام بعد الطوفان أربعة صبيان وهم أولا كوش (بالشين المعجمة فى آخره)

ثانيا مصرا و مصرائيم (بيائين أولاهما مهموزة فيم فى آخره)

ثالثا - فوت (بتاء مثناة فوقية فى آخره)

رابعا - كنعان (بفتح الكاف فى أوله ونون موحدة فى آخره)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى تاريخه الكبير اما كوش فولده الايتيوبيون وهم اسلاف الحبش حيث تحقق كون الكوشيين هم عين الايتيوبيين وذلك أن كل ما عثر عليه من الكتابات الهيوروجليفية المصرية العتيقة وجد فيه التعبير باسم كوش عن جميع الامم والاقوام الساكنين على شواطئ الصعيد الاعلى من النيل بجهة الجنوب من بلاد النوبة وبذلك ثبت ان كوشا هذا هو أبو السودان

وأما مصرائيم فهو أبو المصريين لما أنه كان يعبر عن وادى مصر فى التوراة دائما بلفظ مصرائيم ولم يزل العرب لغاية هذا العصر يسمون جميع وادى مصر بتمامه أو كرسى ولايته فقط باسم مصر (واخطأ من زعم أن مصرائيم هذا هو عين مينيس الذى هو أول ملوك مصر كما سيأتى توضيحه فى الباب الثانى)

وأما فوت فلم يثبت بعد على وجه التحقيق الجد عند العلماء الاوروباويين بهذا العهد أنه ابو الامم والاقوام الساكنين على السواحل الشمالية من افريقية وان كان قد ذهب جماعة من اعلمهم بهذه المادة ان اسم فوت هذا اذا أخذ على اعم اطلاقاته انما يدل على الاقوام الليبيين الاولين (أى أهل جبال برقة وما والاها من قبائل البربر المغربيين) الذين نزل بهم فيما بعد بعض قبائل من بنى يافث وتوطنوا معهم

وأما اسم كنعان فلا شك فى أنه يشمل الفنيقيين (أى الصوريين) وكل من انتسب اليهم بأكد القرابة من القبائل الذين كانوا قبل ان ينزل عليهم العبرانيون متوطنين بالقطر المدعو باسم كنعان (من سواحل الشام) أى فيما بين صيدا وغزة لغاية سدوم وجومورة (من قرى قوم لوط عليه السلام) اعنى سائر البلاد المنحصرة فيما بين بحر سفيد وبحيرة لوط وهى البلاد المسماة باسم يهودا او فلسطين أو بلاد القدس الشريف

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور ومما يظهر من قبيل الامور المحققة والظنون المصدقة ان بنى حام سكنوا فى اول الامر الجزء الاكبر من بلاد آسية الغربية والجنوبية قبل ان يتوطن بها بنو سام حيث جاء هؤلاء فطردوهم منها وأزالوهم عنها بدليل ان النمرود الذى هو من نسل حام حكم ولاية بابل واختط فيها المدينتين المسماتين باسم (أراش وشالانه) ببلاد سنهار أوشنغار وانه كان أول من أحدث دولة وأنشأ سلطنة فى قديم الاعصار وقد كان فى ذلك العهد من بنى حام أيضا أول من سكن البلاد المحاطة بنهر جيحون مما يمتد لغاية نهر السند ولذلك سميت سلسلة الجبال الكائنة بتلك البلدان باسم هندكوش وبقى هذا الاسم يطلق عليها لغاية الآن وقد اتفقت كلمة جميع العلماء الاوروباويين فى هذا الاوان على ان سواحل نهر الدجلة وبلاد فارس الجنوبية وجزءا من ذات بلاد الهند (حيث يدعون القبائل الذين هم هنالك من أصل بنى حام لغاية الآن باسم الكوشيكاس) قد كانت كلها معمورة بأقوام من بنى كوش بن حام قبل ان ينزل بها عليهم أقوام من بنى سام ومن الآريين الذين هم من بنى يافث وهنالك أدلة قوية تدل للظن بأن القوم المسمين باسم الكاريين الذين هم أول من توطن بجزء عظيم من بلاد آسية الصغرى أو أرمنية هم أيضا من ولد حام ولقد تسلطنت عائلة حام أيضا على سواحل بلاد القرمان وبلاد الجيدروزية (المسماة الآن باسم ميكران من بلاد فارس المسماة باسم ايران) وعلى طول البحر المحيط الهندى وجميع جنوب جزيرة العرب كما ذكر آنفا فى غير هذا المكان

عائلة سام — قال المؤرخ المذكور فى تاريخه الكبير أيضا ما معناه ذكر بنص التوراة انه ولد لسام بعد الطوفان خمسة صبيان وهم كالمسطر أدناه

أولا - ايلام (بكسر الهمزة فى أوله)

ثانيا - اسور (بمد الهمزة فى أوله)

ثالثا - ارفخشذ (بالذال المعجمة فى آخره) ومن ولد ارفخشذ عابر وقحطان

رابعا - لود (باللام والواو والدال المهملة فى آخره)

خامسا - آرام (بمد الهمزة والراء المهملة والميم فى آخره)

قال المؤرخ المذكور أعلاه ما معناه كان أول من ولد لسام بعد الطوفان حسبما ورد فى سفر الخليقة من التوراة مع غاية الايضاح والبيان هو ولده المدعو بايلام وهو أبو القوم المدعوين بالايلاميين الاقدمين الذين كانت مساكنهم ببلاد سوزيان (وهى المسماة ببلاد خوارزم الآن)

وأما آسور فهو الولد الثانى لسام وهو أصل القوم أولى الدولة القوية والصولة الشديدة المعروفين باسم الاسوريين أو السريانيين الذين كان لهم أعظم مدخلية فى تاريخ بلاد آسية الجنوبية قال المؤرخ

التوراة مانصه « اختط آسور كلا من مدينة نينوى وريزانة (مدينة رأس العين ببلاد الجزيرة) ومدنية كالاش » ودل على ذلك ماتحقق الآن عند علماء الافرنج المتأخرين من قراءة الكتابات الاثرية القديمة من أن اللغة التى كانت مستعمله فى أقليم بابل وبلاد كلدة (أى بلاد العراق القديمة) هى عين اللغة التى كانت يتكلم بها فى مدينة نينوى وهى اللغة السريانية العتيقة وكان أكثر الاهالى بتلك البلاد من نسل آسور وهذا وان كان أصل أساس الطوائف الاهلية الاصلية فيها هم من بنى حام بواسطة ولده كوش المذكور آنفا حيث كان أول تأسيس السلطنة فيها على يد النمرود كما ذكرناه سالفا وخالفا وبذلك علم ان سكان تلك الاقطار فى سالف الاعصار كانت مختلطة من بنى سام وحام وغيرهما من أصول الانام

وأما أرفخشذ فهو ثالث أبناء سام ومعناه فى اللغة السريانية متاخم كلدة (العراق) ومن ثم علم انه كان أصل جميع الامم الذين كانوا بأضيق رابطة النسب مرتبطين وفى تلك الازمان بعد الطوفان بتلك الاقطار متوطنين ومنهم تناسل العرب والعبرانيون وبيان ذلك ماذكر بالتوراة من ان من ولد ارفخشذ المذكور عابر الذى هو جد ابراهيم والملة العبرانية وقحطان الذى هو أبو قبائل العرب الجاهلية الأولى الذين اختلط بهم فيما بعد بنو اسماعيل وصار لهم الغلبة عليهم ويدل على ذلك أيضا ماسيأتى ذكره (فى الباب الثالث) من ان ابراهيم عليه السلام فى وقت بعثته كان متوطنا بين أظهر الكلدانيين

وأما لود فهو أصل أسلاف القوم الاقدمين المسمين بالليديين وبحسب الظن القوى قد كان هؤلاء القوم قد أقاموا فى اول الامر على القرب من بلاد الآسورية والجزيرة ثم هاجروا بعد ذلك فى سالف العصر وتوطنوا فى النهاية الغربية من بلاد آسية الصغرى (وهى أرمنية) حيث دلت انظار علماء هذا العصر الاخير فيما بقى من اللغة الليدية ورواياتهم الاهلية من الشئ اليسير على انهم من أصل الذرية السامية

وأما آرام فهو كما نصت عليه التوراة رابع أبناء سام وهو أصل نسل قدماء أهل الشأم الذين كانوا متوطنين فى الجهات الكائنة فيما بين بحر سفيد والفرات بل قد كان أيضا من الآراميين جماعة كثيرة فى الجهة الغربية من بلاد الجزيرة ولذلك كان العبرانيون يقسمون بلاد آرام الى عدة أقسام فيقولون

الاول آرام النهرين ويريدون بذلك ما كان يعبر عنه عند اليونان من الجهات ببلاد الميزوبوتامية اى مابين النهرين دجلة والفرات (وهى المعبر عنها عند علماء الاسلام بجزيرة ابن عمر أو بمطلق الجزيرة على الوجه العام)

الثانى بلاد آرام الحقيقية ويعنون بذلك بلاد الشأم الاصلية التى كان أقدم كراسيها وأعظمها من قديم الازمان هو دمشق الشأم.

الثالث آرام سبأ وهى القطر الذى فيه فيما بعد نشأ ملك مدينة بلمير (وهى تدمر)

عائلة يافث — ذكر بسفر الخليقة من التوراة انه ولد ليافث بن نوح عليه السلام بعد الطوفان سبعة صبيان وهم

أولا جومير (بامالة الميم على الياء المثناة من تحت والراء المهملة فى آخره)

ثانيا ماجوج

ثالثا ماداى (بياء مثناة تحتية مشددة فى آخره)

رابعا توبال (بالتاء المثناة الفوقية فى أوله)

خامسا مسوخ (بضم الميم فى أوله وخاء معجمة فى آخره)

سادسا تيراس (بكسر التاء المثناة الفوقية فى أوله وسين مهملة فى آخره)

سابعا جاوان (وهو المعرب بيونان)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فاما جومير فهو أصل العشائر القديمة والقبائل العتيقة التى كانت قد توطنت فى غابر الازمان حول بحر بنطش (بضم الباء الموحدة فى أوله وسكون النون وضم الطاء المهملة وبالشين المعجمة فى آخره) أو بحر بنتكسان وهو المسمى بالبحر الاسود الآن وفى شمال الجهة جزيرة الهيلينية (وهى بحيث جزيرة المورة ببلاد اليونان) وقد نسب لجومير هذا فى التوراة ثلاثة أولاد وهم

اولا اسكيناز (بفتح الهمزة فى أوله والزاى المعجمة فى آخره) وهو أصل الاقوام المعروفين الآن من الاوروباويين باسم الجرمان أو الالمان أو الجرمانيين أو الالمانيين والاسكنديناوة أو الاسكانديناويين وكانوا حينئذ متضمين بالشمال الشرقى من بحر بنتكسان

ثانيا قدريفات وهو أبو السلت او السلتيين والغالة أو الغاليين (أى اسلاف أهل البلدة المعروفة باسم فرانسة الآن) وقد كانوا فى أول الامر قبل أن يأتوا الى فرانسة متوطنين بالجبال المسماة فى قديم الزمان باسم جبال الريفة وهى المعروفة الآن بجبال الكربات (ببلاد اوروبه)

ثالثا توجارمة وهو أبو الارمن كما علم ذلك من الروايات المأثوره والحكايات التى هى لغايه الآن بين هؤلاء القوم مذكوره

وأما مأجوج (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى تاريخه الكبير السالف الذكر والبيان) فلا يزال مذكوراً فى نصوص التوراة (كما هو كذلك فى نص القرآن) مصحوبا باسم يأجوج والذى يفهم من اشارات انبياء بنى اسرائيل العديدة الى كثرة مفاسد هؤلاء الاقوام العنيدة هو انهم أقوام رحالة نزالة كانوا نازلين بجهة الشمال الشرقى المجاور لبحر الخزر وقيل هم قريبون مما يعبر عنه عند اليونانيين باسم الماسيجيتيين ومما هم يوسف مؤرخ اليهود باسم السيتيين والظاهر من جميع

ماذكر فى الكتاب المقدس أن يأجوج ومأجوج عبارة عن جميع القبائل العديدين المعبر عنهم عند العلماء الاوروباويين المتأخرين بالمرتبة التورانية وهى تنقسم الى نوعين كبيرين أحدهما الاوجريون الفنلنديون والثانى أيضا الى فرعين آخرين احدهما الفرع التركى وهم أهل بلاد تركستان وصحارى بلاد آسية الوسطانية (ومنهم نسل اتراك بنى عثمان المستولين على مدينة القسطنطينية الآن) ومنهم كذلك القوم المعروفون بالمجر المقيمون ببلاد اوروبة من مدة مديدة من الدهر والثانى الفرع الاورالى الفنلندى وهو يشمل القوم المعروفين باسم الفنلنديين والاستونيين والايتشوديين وسائر القبائل المتوطنين بالمنطقة الشمالية من اوروبة وآسية بخلاف قبائل الفرع الثانى من الفرعين المذكورين آنفا وهم الدراويديون حيث كانت مواطنهم بالجهة الجنوبية فهم مايتركب منهم الاهالى البلديون ببلاد هندستان وغيرهم من الاقوام الذين غلبت عليهم الاقوام الآريون واستولوا على ما كان لهم هنالك من الاوطان

وأما توبال فهو أصل القوم المعبر عنهم عند اليونان باسم التيباريتيين ومن نسلهم القبائل المتوطنون لغاية الآن باودية جبل قوه قاف

وأما مسوخ فهو أبو القوم المعبر عنهم فى تاريخ هيرودوت باسم المسوخيين الذين كانوا مقيمين بالارض الكائنة بين بلاد التيباريتيين المذكورين واقليم افريجية (ببلاد آسية الصغرى)

وأما تيراس فهو أصل القوم المسمين عند اليونانيين باسم الاتراسيين (أى أهل اقليم تراسية القديمة وهو الجزء الشمالى الشرقى من الايالة المسماة باسم الروملى الآن) ودليل ذلك ماذكر بكتب مؤرخى اليونان من أن الاتراسيين كان أصلهم من بلاد آسية الصغرى ثم هاجروا فى تاريخ لم يزل بعد مجهولا من اقليم بثنية (بكسر الباء الموحدة فى أوله) وهو الجزء الشمالى الغربى من الايالة المسماة باسم الاناضول الآن) وتعدوا بوغاز هيلسپون أو هيلاسپونتس (وهو بوغاز الدردانيل المدعو الآن باسم بوغاز شناق قلعه على لسان اتراك بنى عثمان) وتوطنوا بالاقطار الكائنة على شمال اقليم مقدونية من بلاد اليونان

وأما جاوان المعرب بيونان فهو أبو القوم اليونانيين المعبر عنهم الآن بالاجريكيين أو الهيلينيين فى بعض الاحيان وذلك انهم كانوا قد خرجوا من الاقطار الجنوبية من آسية الصغرى وامتدت أوطانهم على سواحل البحر المسمى فى سالف الزمان باسم بحر ايجة (وهو ما يسمى الآن بحر الارخبيل أو بحر جزائر اليونان وهو جون أى جزء من البحر داخل فى الارض من أصل البحر الابيض المتوسط أو بحر سفيد) وكذلك فى الجزائر الكائنة فى البحر المذكور ومن ابناء يونان أيضا سكان جزائر الارخبيل اليونانى وجزيرة كريد او جريد وكذلك أهل اقليم الايپير (وهم القوم المعروفون الآن باسم الارنئوط) وأصل كثير من سكان بلاد ايطالية الاقدمين

والحاصل ان العلماء الاوروباويين المتأخرين اتفقت كلمتهم على وجه العموم لما صار عندهم من

المقرر المعلوم على ان من بنى يافث بن نوح عليه السلام بلاد اوروبة كلا من اليونان والرومان والجرمان أو الالمان والسلت والاسكنديناوة والاسلاويين وفى بلاد آسية الفرس وعليه الاقوام المدعوين بالميديين والبكتريين والطبقة العليا من أهل بلاد الهند المجتمعين تحت اسم الآريين هذا حاصل ما اوضحه المؤرخ فرانسيس لونورمان من التفصيل والبيان فى تاريخه الكبير وان كان قد يستغنى عنه بما عربناه آنفا من تاريخه الصغير وهو بيان ماذكره أهل النسب والتواريخ من مجمل قولهم ان جميع أهل الارض بعد الطوفان هم من أولاد نوح الثلاثة وهم يافث وسام وحام فسام ابو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج وهو القول الصحيح كما قدمناه وذلك بواسطة ما توضح اعلاه من تعدد نسلهم فليعلم ذلك وهو غاية ما هنالك

المسألة الخامسة

مطلب ـ تفصيل ما اجمل فيما سلف عن المؤرخ فرانسيس لونورمان من الكلام على مراتب لغات نوع الانسان

قال فى القاموس ما نصه «واللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم جمعها لغات ولغون ولغا لغوا تكلم» اه وفى المصباح «ولغى بالامر يلغى من باب تعب لهج به ويقال اشتقاق اللغة من ذلك حذفت اللام وعوض عنها الهاء وأصلها لغوة مثال غرفة وسمعت لغاتهم أى اختلاف كلامهم اه وفى الصحاح «واللغة اصلها لغى أو لغو والهاء عوض وجمعها لغى مثل برة وبرى ولغات أيضا وقال بعضهم سمعت لغاتهم بفتح التاء وشبهها بالتاء التى يوقف عليها بالهاء والنسبة اليها لغوى ولا تقل لغوى» اه صحاح

وحاصل ما يفهم من أقوال اللغويين المنقولة أعلاه فضلا عن اختلافهم فى أصل مأخذ لفظ اللغة واشتقاقه ومبناه هو أن اللغة عبارة عن أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم فى معاملاتهم ومخاطباتهم ويعبر عنها أيضا باللهجة قال علماء اللغة اللهجة اللسان ويعبر عنها أيضا باللسان من باب تسمية الشئ باسم آلته الاصلية وهل اللغات الانسانية هى من الاوضاع الالهية أو البشرية هذه مسألة خلافية مشهورة بين العلماء الاوروباويين والاسلاميين والاصح عند الافرنج انها من الاوضاع البشرية ناشئة عن القوى الادراكية الخصوصية والمزايا النطقية التى اودعها الله سبحانه وتعالى فى نوع الانسان دون سائر أنواع الحيوان وعلى كل حال من هذه الاحوال وبناء على كل قول من تلك الاقوال فتاريخ أصل منشأ اللغات البشرية فى مبادى تلك الحقبة الدهرية هو امر لم يزل بعد من قبيل المجهول اذ لم يستدل على حقيقة حاله بمعقول ولا منقول كما ان حقيقة حال ذات الانسان فى مبادى أمره لم يوقف عليها الغاية الآن وغاية ما يصح أن يقال فى هذا المجال كما هو

ملخص ماشرحه المؤرخ فرانسيس لونو رمان فى تاريخه الكبير نقلا عن بعض علماء اشتقاق اللغات فيما يتعلق بهذا الامر فى هذا العصر الاخير هو ان اللغات البشرية على العموم لابد وانها مرت بثلاثة احوال دورية وان منها ما وقف عند بعضها ومنها ما مر بجميعها وهى

الاولى الحالة المقطعية بمعنى ان اللغات الآدمية كانت مركبة فى الاصل من مقاطع لفظية أى كلمات ساذجة بسيطة غير متصرفة ولا متغيرة الاخر ينطق بها الصوت دفعة واحدة وكانت تلك الكلمات اسماء وافعالا فى أن واحد بحيث تدل على معناها بقطع النظر عن كيفية استعمالها والذى يخصص المعنى المراد منها من الفعلية والاسمية انما هو كيفية اتحادها مع غيرها من الكلمات المستعملة فى الجملة الكلامية وهذه هى حالة اغلب لغات المرتبة الاهلية الصغرا المعبر عنها باللغات التورانية (أى التتارية ولغات أهل الصين القديمة والحديثة ولغات آهل الهند الصينى على وجه العموم وغيرهم ومن هذا القبيل اصل اللغة التركية العثمانية وان كانت قد ترقت بالاخذ من اللغة العربية والفارسية على حسب ما صار اليه اهلها من الحالة التمدنية)

الثانية الحالة الالتحامية أى اللغات التى ينضم فيها الى أصل بنية الكلمات الاصلية حروف زوائد للدلالة على اختلاف الاحوال المرادة منها وهى وان كانت متصرفة متغيرة الاواخر أيضا كاللغات المتصرفة الاتية لكنها لم تبلغ من حسن الحال لما عليه لغات الحالة الاتية بعد من درجة الكمال

الثالثة الحالة التصريفية أى اللغات ذوات التصريف بمعنى التى يعترى كلماتها من أحوال التغيرات الآخرية والتصريفات الفعلية ما يدل على اختلاف أنواع الدلالات المتنوعة حسبما يقتضيه اختلاف انواع الاستعمالات المتفرعة من العدد أى الافراد والتثنية والجمع والجنس أى التذكير والتأنيث والزمن أى الماضى والحال والاستقبال وما يتفرع عنه من أحوال الغيبة والتكلم والخطاب وغير ذلك من الاحوال حسبما يقتضيه المقال وهذه هى حالة لغات بنى سام ويافث المعبر عنها باللغات السامية أو اللغات الاوروبية الهندية أو اللغات الآرية (أى لغات سكان بلاد الهند الاقدمين المسمين بالاريا والآريين) ومن ثم فهم ان مرتبة اللغات المتصرفة تنقسم الى طائفتين كبيرتين وفصيلتين أصليتين احداهما اللغات السامية والثانية اللغات الاوروبادية الهندية أو الآرية والى هاتين الطائفتين اللغويتين ترجع لغات جميع الامم المتمدنة الشهيرة والملل المتحضرة الكبيرة التى تذكر تواريخها فى ضمن قسم التاريخ القديم ولذلك لزمنا هنا ايها الاخوان ان نسردها لكم لتكون عندكم من المعلوم فنقول

أما اللغات السامية فهى ثمانية

الاولى اللغة العبرانية وهى التى كان يتكلم بها بنو اسرائيل والفنيقيون بقيين وسائر القبائل الكنعانيين

الكنعانيين بطريق الظن والتخمين

الثانية اللغة الآرامية وهى التى كان يتكلم بها فى سالف الزمن ببلاد سورية (بلاد الشام) وهى تنقسم الى عدة فروع أو أقسام احدها مايعرف باللغة الآرامية التوراتية وهى التى تألف بها بعض أسفار التوراة فى القرن السادس قبل ميلاد المسيح عليه السلام الثانى الآرامية الترجمية وهى التى كتب بها ترجمة التوراة أى تفاسيرها التى تحررت فى أوائل التاريخ المسيحى الثالث اللغة السورية الكلدانية وهى اللغة العامية التى كان يتكلم بها اليهود ببلاد فلسطين بعد فساد لغتهم العبرانية فى وقت ظهور عيسى عليه السلام وكتب بها تأليفات احبارهم المسماة باسم الثلمود (بالثاء المثلثة فى أوله) الرابع اللغة النبطية وهى لغة قدماء سكان الشمال الغربى من جزيرة العرب الخامس اللغة السامرية (نسبة الى الارض المسماة باسم سامر به ببلاد فلسطين) وهى اللغة التى حدثت على الارض المسكونة باحد الاسباط أى قبائل بنى اسرائيل القديمة المدعو بسبط افرائيم بعد ان افتتحها الاسوريون ثم بقيت بصفة اللغة الادبية عند القوم المعروفين من اليهود بالسامريين وهم معتزلة الديانة اليهوديه

الثالثة اللغة السبئية (نسبة الى سبأ) وهى اللغة المستعملة لغاية الآن عند القوم المدعوين بالمندييين المتوطنين فى جنوب حوض الفرات وهم قوم وثنيون يتدينون بمذهب دينى مخصوص متكون من بقايا جاهلية الاسوريين والفرس الاقدمين

الرابعة اللغة السورية وهى اللغة التى كان يكتب بها فى كل من بلاد ايديس (وهى أورفة) ونصيبيين أو نصيب (وهى انطاكية) من بلاد الجزيرة فى القرن الثانى لغاية القرن السادس من تاريخ المسيح

الخامسة اللغة الاسورية أو السريانية وهى التى كان يتكلم بها أهل مدينتى بابل ونينوى وبها عثر الآن على بعض كتاباتهم المأثورة من قديم الزمان

السادسة اللغة الحميرية وهى لغة أهل جنوب جزيرة العرب فى سالف المدة العصرية ولا يوجد منها الآن غير بعض كتابات أثرية

السابعة اللغة الغيزية (بالغين المعجمة فى أوله) وهى لغة بلاد الحبشة القديمة وقد كانت موجودة فى تلك البلاد الافريقية حتى بعد ان تمكن بها دين النصرانية أعنى فى القرن الثالث من تاريخ المدة الميلادية

الثامنة اللغة العربية وهى التى يتكلم بها لغاية الآن دون جميع اللغات السامية التى كانت مستعملة فى سالف الزمان وتتفرع الى بعض لغيات يسيرة لا يختلف بعضها عن بعض مخالفة كبيرة وهذه اللغة وان كانت فى سالف الزمان لم تكن الا لغة بنى اسماعيل أو معد لكنها قد انتشرت

فيما بعد بانتشار القرآن فى كثير من البلدان بهذا الزمن من عند أقليم بابل لغاية مراكش ومن عند بلاد سورية لغاية بلاد اليمن

فهذه هى جملة اللغات المعبر عنها بالسامية وهنالك طائفة لغوية أخرى من اللغات الحامية تشاركها فيما لها من الهيئة والمزية يعبر عنها باللغات النيلية لكون معظمها ولاسيما اهمها وأعظمها وهى اللغة المصرية القديمة كان يتكلم بها من أبناء حام الاقوام المتوطنون بوادى النيل وأعظم اللغات التى هى من هذا القبيل هى

أولا – اللغة المصرية القديمة المعبر عنها بالقبطية أو بالهيروجليفية وهى أقدم اللغات التى بقى لنا منها كتابات أثرية وكانت قد بقيت يتكلم بها لغاية القرن السابع عشر من المدة المسيحية ثم غلبت عليها اللغة العربية فانعدمت بالكلية ولم يبق لها أثر الا فى صورة الادعية والصلوات التعبدية المستعملة عند قسس الطائفة النصرانية المصرية المعروفة بالقبطية

ثانيا – لغة القوم المعروفين باسم الجلى (بفتح الجيم المعجمة واللام المشددة المفتوحة) ببلاد الحبشة وما ألحق بها من سائر اللهجات المتنوعة التى يتكلم بها الطوائف السودانية المتوطنة فيما بين النيل الابيض (المعبر عنه بالبحر الابيض) والبحر الاحمر واسان أهل جزيرة مدغشقر ولغات بلاد النوبة وكردفان وهى كثيرة لا حاجة لحصرها غير انه لا بأس بأن يقال ان منها اللغة المسماة بالبشاريه التى لم يزل يتكلم بها القوم المسمون بهذا الاسم والظاهر انها بقايا اللغة التى كان قد كتب بها الكتابات الهيروجليفية المأثورة عن الدولة الايتوبية بمدينة ميرويه القديمة (التى كانت موجودة فى سالف الزمان ببلاد السودان وهى بامالة فتحة الميم على ياء مثناة تحتية يليها راء مهملة مضمومة ثم واو مفتوحة بعد ياء مثناة تحتية ساكنة فهاء ساكنة أيضا كآخر نحو سيبويه) وكذلك لغات أمم البربر (ببلاد المغرب) وهى بقايا اللغة الليبية القديمة ولم يزل يتكلم بها القبائل المتوطنة فى جهة الشمال والشمال الغربى من آفريقية كاللغة المعروفة بلغة القبائل ببلاد الجزائر المغربية ولغة الطوارق وغير ذلك مما يطول شرحه

فهذه هى طائفة اللغات الحامية النيلية وهى وان كانت مرتبة لغوية خصوصية تقابل مرتبة بنى حام فى جملة ما سلف ايضاحه من مراتب الانسال النوحية غير انه استقر الحال عند علماء اشتقاق اللغات من الافرنج المتأخرين على ان بينها وبين لغات بنى سام من العلائق القرابية والروابط النسبية ما يقتضى ان تعد منها وان كانت هى مرتبة من اللغات منفردة عنها وكأن لغات بنى سام وحام كانت فى الاصل واحدة كما قال به بعضهم وذهب اليه وتقدم فى موضعه التنبيه عليه

وأما اللغات اليافثية المعبر عنها أيضا بالهندية الاوروباوية أو اللغات الآرية فهى كثيرة جدا لا تكاد تنحصر عدا ولكنها مرتبة على ست مراتب فرعية

الاولى ـ اللغات الهندية وأصلها اللغة المعروفة باسم السنسكريت أى اللغة الالهية وهى اللغة المقدسة بمعنى المطهرة المحترمة عند أهل الهند حيث يوجد بها كتابات أصول ديانة أرباب المذهب المعروفين بالبراهميين وتدوين علومهم وهى لغة عتيقة كان يتكلم بها فى بلاد الهند مدة أكثر من عشرين قرنا ثم بقيت عندهم فيما بعد بصفة لغة أدبية وتولد منها اللغة المسماة بالپالية التى كان يتكلم بها فى سالف الزمان بشرقى ولاية هندستان ثم صارت هى اللغة العلمية لارباب المذهب المعروفين باسم البوديين فى جزيرة سيلان والمادورة والهند الصينى وسلطنة برمان (بكسر الباء الموحدة فى أوله) وكذلك لغيات بلاد الهند العامية التى كان يتكلم بها فى تلك البلاد فيما قبل الميلاد ثم الالسنة المتنوعة المتفرعة عنه فيما بعد وهى الهندى والهندستانى والبنغالى والجوزراتى والمهراتى والنيپالى وغير ذلك

الثانية ـ اللغات الايرانية وأصلها اللغة المسماة بالزندية وهى أصل اللغة الفارسية ومن هذه المرتبة أيضا من اللغات التى يتكلم بها لغاية الآن اللغة الافغانستانية والبيلوتشية والكردية والارمنية وغير ذلك

الثالثة ـ اللغات اليونانية اللاطينية المسماة أيضا بالپيلاجية فأما اليونانية فهى معلومة وأما اللاطينية فهى لغة أهل بلاد ايطالية القديمة ومنها تفرعت فى مدة القرون المتوسطة جميع اللغات الافرنجية المستعملة الآن فى بلاد أوروبة الجنوبية كالايطاليانية والفرانساوية والبروونسية والاسبانيولية والبرتقالية ولغة بلاد الجريزون (من جمهورية أسويجره ببلاد الاوروبة) ولغة ولايتى الافلاق والبغدان المسماة الآن باللغة الرومية

الرابعة ـ اللغات الليتية الاسلاوية ومن هذه المرتبة اللغوية اللغة الليتانية والبروسيانية والاسلاوية وهى المستعملة فى صور الادعية والصلوات التعبدية بكنائس بلاد الروسية والبلغارية والروسية والصربية والمجارية والتيكية والبوهمية وغير ذلك

الخامسة ـ اللغات الجرمانية او الالمانية وهى على فرعين أحدهما الجوتى أو الغوتى (بالجيم أو بالغين المعجمة) واليه ترجع اللغة الاسكنديناوية القديمة المسماة بالنورسية وهى أصل اللغة الدانيمرقية والاسويجية وكذلك اللغة السكسونية التى هى أصل الانجليزية واللغة الالمانية السفلى التى هى أصل الفلمنكية والثانى الفرع الالمانى الاصلى واليه ترجع اللغة الالمانية العليا والسوابية والنمساوية والفرانكونية

السادسة ـ اللغات السلتية وهى أيضا على فرعين أحدهما الابريطانية والثانى الغلية والى كل منهما يرجع بعض لغات فرعية لم يزل يتكلم بها لغاية الآن فى بعض الجزائر الابريطانية (جزائر بلاد الانجليز) و بعض الاقاليم الفرانساوية (اه هذا المطلب والذى قبله معربا من تاريخ فرانسيس لونورمان الكبير)

المسألة السادسة

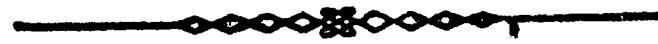
مطلب - اين كانت جنة عدن التى كان قد وضع فيها أبونا آدم فى أول الامر ثم اخرج منها وهل كانت فى السماء أم فى الارض وماذا كان صنف نوع الشجرة التى كان الله سبحانه قد نهاه عنها هذه مسألة لم تنحل بعد لغاية هذا العهد عند العلماء الاوروباويين ولا عند العلماء الاسلاميين أما الشق الاول منها فهذا هو تعريب ماذكره فيه المؤرخ فرانسيس لونورمان عند الكلام عليه فى تاريخه الكبير كما هو بعد مسطور قال المؤرخ المذكور كما أن مسألة تعيين تاريخ معين لاولية خلق الانسان هو مما لا حاجة اليه ولا سند قويا يشهد له ولا عليه فكذلك يقال فى حق من تتعلق منه الآمال بتعيين المكان الذى قد كان فيه أول مهد لنوع الانسان ولا اين كان موضع جنة عدن من الجهات على حسب ما يفهم من التوراة حيث لم يرد فيها دليل قطعى فى هذا الموضوع ولكون اعلم المفسرين لها وأكثرهم تعلقا بالاعتقاد فيها توقفوا فى هذا المشروع فوجب علينا أن نقتدى بهم فى ذلك ونقتصر على ما اشتهر من القول العام فيما هنالك وهو القول بان بلاد آسية هى التى كانت أول مكان لاول عائلة من نوع الانسان وأول مهد لكل تمدن وعمران اه كلامه وهو الصواب وان كان أكثر المتفلسفين من العلماء الاوروباويين على ان جنة عدن كانت بالارض فيما بين دجلة والفرات وكثيرا ما يعبرون عنها بالجنة الارضية ومن المعلوم ان معنى الجنة البستان وكون جنة عدن بالارض هو ما يجنح اليه أكثر ميل علماء الاسلام وان كانوا توقفوا فى هذه المسئلة أيضا عند تفسير ما ورد فيها من الذكر فى القرآن قال المولى أبو السعود رحمه الله عند تفسير قوله تعالى «وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها حيث شئتما رغدا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين» ما نصه

«والمراد بها (أى بالجنة) دار الثواب لانها المعهودة وقيل هى جنة بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحانا لآدم عليه السلام وحمل الاهباط على النقل منها الى أرض الهند كما فى قوله تعالى «اهبطوا مصرا» لما ان خلقه عليه السلام كان فى الارض بلا خلاف ولم يذكر فى هذه القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان أولى بالذكر والتذكير لما أنه من اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس وقيل انها كانت فى السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم أن الاهباط الاول كان منها الى السماء الدنيا والثانى منها الى الارض وقيل الكل ممكن والادلة النقلية متعارضة فوجب التوقف وترك القطع» اه

وأما الشق الثانى اعنى تعيين نوع الشجرة المأكول منها فهو أيضا مما كثرت فيه الاقوال قال المولى أبو السعود رحمه الله فى تفسير الآية الشريفة المذكورة اعلاه «والمراد بها (أى بالشجرة) الحنطة أو العنبة أو التينة وقيل هى شجرة من أكل منها احدث والاولى عدم تعيينها من غير قاطع» اه والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة الحال

المسالة السابعة

مطلب - أصل منشأ الممالك القديمة فى وادى النيل والفرات والدجلة (معربا من مختصر التاريخ القديم تأليف و يكتوردوروى) قال مؤلف الاصل ما معناه ان ماذكر اعلاه فيما يتعلق باولية الدنيا هو ما اقتص فى سفر الخليقة من التوراة ونص فيها أيضا على أن النمرود قد كان أول رئيس تقلد بسياسة الامم والملل غير أن سفر الخليقة من التوراة لم يتعرض فيه لبيان تأسيس اقدم الدول فيما سلف من تلك الاعصر الاول ولم يصل علم العلماء بعد من الاستكشافات التى حصلت فى هذا الوقت لما يسد فراغ ما حصل عليه منها الصمت وغاية ما يمكن أن يقال فى هذا المجال هو انه يظهر كون الناس قد اجتمعوا من أول الامر على هيئة الاجتماع والائتناس والتعاون بعضهم ببعض على ظهر الارض وانهم توطنوا فى سالف العصر على شواطئ الانهار الكبيرة التى أخصبت مياهها تلك الاقطار الشهيرة من الديار المصرية وبلاد الآسورية (بلاد العراق) حيث كانت طرق المعاش فى تلك السهول سهلة الحصول لكون الاقوات الضرورية فيها تكاد ان تخرج منها بمجرد القوة الطبيعية (أى من غير معالجة صناعية) (قال مؤلف الاصل) ولكن متى كان أول اجتماع الناس على هيئة الجمعية البشرية و يا هل ترى من كان رؤساءهم الاولين و زعماءهم السابقين وكيف كانت احوالهم وماذا كانت اعمالهم لاندرى ولانخال تدرى بل لانزال نجهل حقيقة هذا الامر الى آخر الدهر (ا معربا من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ و يكتوردوروى)



مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم فى هذا الباب الاول من الفوائد والافكار

مسألة عمر الدنيا

معلومات أولية وتقسيمات أصلية

١ - ما المراد بالقرن لغة واصطلاحا

٢ - ما المراد بالسنة أو العام والشهر والاسبوع واليوم والساعة والدقيقة والثانية والثالثة الزمنية

٣ - ما المرام بالشهر القمرى او الشمسى

٤ - ما المراد بالسنة القمرية أو الشمسية وما المراد بالسنة البسيطة او الكبيسة وما عدد أيام كل واحدة منها

٥ - ما الفرق بين عدد أيام السنة القمرية والشمسية البسيطة والكبيسة وماذا ينبنى على ذلك

٦ - ما السنة القبطية وما الفرق بينها وبين السنة الشمسية المعتادة

٧ - ما المراد بالقرن القمرى أو الشمسى

٨ - ما معنى العصر والدهر

٩ - ماهما التاريخان اللذان يحتاج اليهما فى تعليم علم التاريخ العام هنا من تواريخ الامم المختلفة

١٠ - ما المراد بالتاريخ المسيحى أو الميلادى وما مبدأه

١١ - ما المراد بالتاريخ الهجرى وما مبدأه

١٢ - ما قدر الفرق بين التاريخ الميلادى والهجرى

١٣ - ما المراد بمسألة عمر الدنيا وهل هى مسألة اتفاقية أم خلافية

١٤ - ماهما القولان الاقرب للصحة من جملة الاقوال العديدة التى تشعب اليها الخلاف فى هذا المجال وما أصل تشعب هذا الخلاف

١٥ - ما الذى يقتضيه الذوق السليم ويقضى به العقل المستقيم فيما يدعيه بعض الامم من الاسبقية فى القدم وماذا يصح التشبث به فى تحقيق هذه المسألة التاريخية

١٦ - ماهو القول الذى يلزم اتخاذه مبدأ تاريخيا ومنشأ زمنيا للمشى عليه هنا

طريقة تحويل التواريخ الميلادية الى الهجرية

١٧ - ماهى القاعدة العمومية فى تحويل التواريخ الميلادية الى الهجرية وما كيفية توضيحها بالامثلة العملية

تقسيمات خاصه بالتاريخ القديم

١٨ ـ كيف قسم المؤرخون الاوروبايون التاريخ القديم بالخصوص من حيث السقامة وعدمها

١٩ ـ ما المراد بالاعصار الاولية

٢٠ ـ ما المراد بالاعصار الخرافية والى كم قسم تنقسم

٢١ ـ ما المراد بالاعصار الوثنية والبطلية والنبوية والشعرية

٢٢ ـ ما المراد بالاعصار التاريخية والى كم قسم تنقسم وما المراد بالمدة التشريعية

ملحوظات عامة

تتعلق بالتاريخ القديم على وجه العموم

٢٣ ـ الملحوظة الاولى ــــ ماذا يلحظ فيما يتعلق بتاريخ اليونان والرومانيين فى جملة التاريخ القديم على وجه العموم من حيث كونه منتظما أو غير منتظم وماهو القول المروى فى هذا المعنى عن المؤرخ ويكتوردوروى

٢٤ ـ الملحوظة الثانية ــــ ماذا يلحظ من حيث الانتظام وعدم الانتظام فى شأن تواريخ باقى الامم القدام وماذا قال المؤرخ ويكتوردوروى فى هذا المقام

٢٥ ـ الملحوظة الثالثة ــــ ماذا يلحظ فى شأن تاريخ جميع الامم المذكورين فيما يعبر عنه بالتاريخ القديم على وجه العموم حسبما تراآى للمؤرخ ويكتوردوروى وماذا بنى على ذلك للتاريخ القديم من التقسيم

٢٦ ـ يقتضى التوضيح والبيان للطريقة التاريخية الجديدة التى مشى عليها المؤرخ فرانسيس لونورمان وماذا بنى عليه طريقته هذه من أقوى الاساس والبنيان

٢٧ ـ وحينئذ فما هما الطريقتان التاريخيتان المستعملتان عند متأخرى علماء الافرنج الآن وما أساس كل واحدة منهما وما أصوبهما

٢٨ ـ ما درجة قوة الاعتماد التى يعتمد عليها وما كيفية الاستناد التى يستند اليها فى تعليم علم التاريخ العام بهذا الدرس التام

٢٩ ـ ما عدد الابواب التى ينحصر فيها الكلام على قسم التاريخ القديم على مقتضى هذا الوجه من الاستناد القويم

الباب الاول

أفكار تقديميه وفوائد عموميه

٣٠ - ماهى المدة التى ينحصر فيها بالباب الاول الكلام وكيف يجرى عليها الانقسام على حسبما يؤخذ من كلام بعض علماء الازمان الاوروباويين وما مقدار تلك المدة على حسب قول بعض المؤرخين الاسلاميين وما حال أقوال علماء التاريخ فى توقيت الحوادث بتلك الاعصار التاريخية على وجه عام

الفصل الاول

٣١ - ما مقدار المدة التى يتكلم عليها فى الفصل الاول من الباب الاول وما مبدأها وغايتها من أصل جملة عمر الزمان

٣٢ - ما أصل مأخذ تاريخ أوائل الانسان وهل يمكن الوقوف على حقيقة أحوال أولية الدنيا قبل الطوفان و بعد الطوفان

٣٣ - ما كيفية ترتيب خلق المخلوقات حسبما ذكر فى التوراة وما الحالة الاولى التى كان الله سبحانه وتعالى خلق عليها الانسان ثم ماذا وقع منه بعد ذلك وماذا ترتب على ما حصل منه من العصيان

٣٤ - من هما ولدا آدم الاولان وماذا كانت حرفة كل واحد منهما وما أول خطيئة قتل نفس وقعت فى الدنيا وماذا ترتب على هذا البغى والعدوان

٣٥ - ما أول مدينة أنشئت فى الدنيا

٣٦ - كيف كان الله سبحانه وتعالى قد خلق نوع الانسان من حيث الهبات اللدنية العقلية والبدنية وأى عائلتى ولدى آدم الاولين ينتسب اليها اختراع الفنون الصناعية

٣٧ - من ولد أنوش بن قابيل ومن هم ولد ولده وما هى الخاصية التى ذكر بها كل واحد منهم فى التوراة

٣٨ - من هو ولد آدم الذى بقيت فى عقبه فضيلة حفظ الروايات الدينية المأثورة عن النبوة الاولى والى من انتقلت هذه الفضيلة بعد الطوفان

٣٩ - من هم أبناء شيث بن آدم وماذا ذكر فى التوراة لخنوخ أو ادريس بن شيث من خواص الصفات

٤٠ - من هم ولد خنوخ وماذا ذكر فى التوراة لكل واحد منهم من خواص الصفات وما عمود النسب من آدم الى نوح عليهما السلام

هل

٤١ - هل ما ذكر نقلا عن التوراة من تناسل بنى آدم لغاية نوح عليهما السلام هو موافق لما تناقلته أقلام الرواة من مؤرخى الاسلام أم كيف الحال فى هذا المقام

٤٢ - ماذا دلت عليه الاستكشافات العلمية الجيولوجية الاخيرة فيما يتعلق بأصل وجود نوع البشر وكيفية مباديه فى اول الامر

٤٣ - كيف كانت درجة الهواء الجوية من الكرة الارضية فى تلك الاعصار الاولية وماذا ينبنى على ذلك من حيث ما قضى الله به من العقوبة على بنى آدم فى تطير الخطيئة الابوية

٤٤ - كيف كانت حالة الناس قبل الطوفان من حيث مادة التمدن والعمران وماذا ثبت بدليل الاستكشافات الجيولوجيه من حيث انتشار نوع الانسان على سائر البلدان من الكرة الارضية بالنسبة لما هى عليه الآن واين كان اول مهد لنوع الانسان وماذا كانت قد بلغت اليه غاية درجة التمدن والعمار فى تلك الاعصار

٤٥ - ما زبدة قصة الطوفان على حسبما ورد فى نص التوراة من الايضاح والبيان وهل لذكرى هذه الحادثة العظيمة آثار فى ضمن الروايات الاهلية المتداولة عند بعض الامم القديمة غير العبرانيين وما قول العلماء الجيولوجيين فى شأن هذه المسألة الجسيمه

٤٦ - فى أى مكان كان الجبل الذى وقفت عليه سفينة نوح عليه السلام وما كيفية تحقيق هذا المقام

٤٧ - كيف عرف نوح عليه السلام ان المياه قد تقشعت عن الارض وماذا فعل من العبادات والاعمال بعد النجاة حسبما ورد فى التوراة وكم عمر نوح بعد الطوفان وما جملة عمره من الزمان

الفصل الثانى

٤٨ - ما مقدار المدة التى يتكلم عليها فى الفصل الثانى من تاريخ الانسان بعد الطوفان على مقتضى بعض الاقوال التى قيلت فى هذا الشأن

٤٩ - هل كانت مدة اعمار بنى آدم بعد الطوفان كما كانت قبل الطوفان وماذا آلت اليه بالنسبة للاعمار البشرية المعتادة الآن وهل هذه القاعدة كانت كلية ام لها بعض احوال استثنائية

٥٠ - ما قصة حادثة تفرق الامم بعد الطوفان الى سائر البلدان وما اسم المكان الذى كان قد اجتمع فيه بنو نوح عليه السلام من بلاد آسية بعد الطوفان وأين كان ذلك المكان وما منشأ تنوع مراتب اللغات والانسال الثلاثة البشرية التى تعمرت بهم الارض بعد الطوفان

٥١ - ما كيفية توزيع ذرارى نوح عليه السلام فى أقطار الارض المعمورة على وجه عام

٥٢ - فى زمن أى ولد من بنى سام كانت حادثة تبلبل الالسن وتفرق الامم فى سائر البلدان على حسبما ذكره المؤرخ فرانسيس لونورمان وما القول الذى يقابله من أقوال علماء الاسلام

٥٣ - هل فى نصوص التوراة ما يمنع من الظن بأن بعض عشائر من بنى نوح كانوا قد هاجروا من مركز جمعهم قبل حادثة تفرق أكثرهم وما دليل ذلك

٥٤ - من كان أول المهاجرين من بنى نوح عليه السلام عن مركز الاجتماع الاصلى وما كيفية سير بنى حام فى عمارة الارض بعد الطوفان وأى بنى نوح دعا عليه أبوه وماذا ترتب على تلك الدعوة من المترتبات حسبما ورد فى التوراة

٥٥ - من كان ثانى المهاجرين من بنى نوح عن مركز الاجتماع الاصلى وما كيفية سير بنى سام فى عمارة الارض بعد الطوفان ومن هم الملل المتناسلون منه

٥٦ - من كان آخر المهاجرين من بنى نوح عليه السلام عن مركز الاجتماع الاصلى وما معنى لفظ يافث فى اللغة السريانية القديمة ولماذا سمى بذلك وما الداعى لعدم ذكر شعوب بنى يافث فى التوراة وماذا توصل علماء الافرنج المتأخرون لارجاعهم الى ذلك النسل الاولى

٥٧ - ما مزية بنى يافث على النسلين الآخرين وما أصل ذلك حسبما ورد فى نص التوراه

٥٨ - ما مراتب اللغات البشرية الاصلية وما هى الادلة التى توصل بها علماء الافرنج المتأخرون لترتيبها وما حاصل ما تحقق عندهم فى هذه المسألة العلمية

٥٩ - ماذا ثبت عند علماء الافرنج المتأخرين فى شان اللغة القبطية القديمة بالخصوص

تتمة

المسألة الاولى

٦٠ - ما حاصل ما ذكر فى شأن عمارة الارض ببنى نوح عليه السلام بعد الطوفان وما الدليل العقلى على هذا الاثبات فضلا عن الدليل النقلى الذى يؤخذ من صريح التوراة

٦١ - ماذا كان يظن أولا فى شأن لغة المصريين القديمة وماذا تحقق عند علماء الافرنج المتأخرين فى هذا الخصوص وما كيفية التوفيق بين هذا القول وما سبق عن المؤرخ فرانسيس لونورمان من النقل فى النصوص

٦٢ - ما الذى استقر عليه الحال فى كيفية عمار الارض من بنى نوح عليه السلام بعد الطوفان

المسألة الثانية

٦٣ ـ ما كيفية ترتيب سكان الكرة الارضية على ثلاث مراتب أصلية وما حيثية تباينها

٦٤ ـ ماهى المرتبة الاولى وما المراد بها وما الداعى لتسميتها بالقوقازية وما مكانها من الكرة الارضية وما الصفات الاصلية التى تتميز بها هذه المرتبة الاهلية من الصفات الحسية والمعنويه

٦٥ ـ ماهى المرتبة الثانية وما المراد بها ولماذا سميت بالمغلية وما مكانها من الكرة الارضيه وما الصفات التى تتميز بها هذه المرتبة الاهلية من الصفات الحسية والمعنوية

٦٦ ـ من اقصر سكان الارض المعمورة ومن أى مرتبة أهلية هم من هذه المراتب المذكوره

٦٧ ـ ماهى المرتبة الثالثة وما مكانها من الكرة الارضية وما الصفات الاصلية التى تتميز بها هذه المرتبة الاهلية من الصفات الحسية والمعنوية وما درجتها من حيث التمدن والفهم بالنسبة للمرتبتين السالفتين

٦٨ ـ ما الفرق بين المراتب الاهلية الاصلية والثانويه

٦٩ ـ ما أشهر المراتب الاهلية الثانوية وماهى الصفات التى تتميز بها عن المراتب الاهلية الاصلية

٧٠ ـ من أطول سكان الارض المعمورة وما المرتبة الثانوية التى هم منها

٧١ ـ ماذا ثبت عند علماء الافرنج المتأخرين فى شأن تمدن أهل امريقة الاصليين فى سالف الزمان وما حقيقة حالهم الآن

المسألة الثالثة

٧٢ ـ هل جميع سكان الارض من نوع الانسان هم من أصل نسل واحد ونوع متحد كسائر أنواع جنس الحيوان ام كيف الحال يقتضى توضيح ما قيل فى هذه المسألة من الاقوال وما احتج به كل صاحب مذهب لمذهبه من وجوه الاستدلال وما القول الاصح والمذهب الارجح من هذه الاقوال

المسألة الرابعة

٧٣ ـ بيان تناسل ابناء نوح عليه السلام ـ من هم أولاد حام وسام ويافث ومن هم الامم والاقوام المتفرعة عن ذريه كل واحد منهم

المسالة الخامسة

٧٤ - بيان مراتب اللغات البشريه - ما المراد باللغة وماهى الالفاظ المرادفة لها وماهى الاحوال الدورية التى يقتضى ان اللغات البشرية قد مرت بها على تمادى الاعصار وما مرتبة اللغات السامية وكم هى وماهى والحامية واليافثية وما مراتبها والفروع المتفرعة عنها

المسالة السادسة

٧٥ - اين كانت جنة عدن التى كان قد وضع فيها آدم فى أوّل الامر وهل كانت فى السماء ام فى الارض وما معنى الجنة وما نوع الشجرة التى أكل منها وماذا قال علماء الافرنج والاسلام فى هذا المقام

المسالة السابعة

٧٦ - ماذا قيل فى شأن منشأ الممالك القديمة بعد الطوفان وما اقدم الممالك فى سالف الازمان



الباب الثانى
فى تاريخ المصريين والفراعنة المتقدمين

اعنى تاريخ الديار المصرية والنيل ومايعتريه من الاحوال السنوية واخبار دول الفراعنة السالفين فى الاعصار الغابرة من اول عهد تأسيس الدولة الفرعونية فى الديار المصرية لغاية افتتاحها بالدولة الفارسية

وأصل ما أخذ هذا الباب الاصلية هو

اولا من كتب التواريخ المأثورة عن مؤرخى السلف من اليونان والروم وغيرهم

ثانيا من مجاميع النصوص الاصلية وذات الكتابات الاثرية الاولية التى حصل العثور عليها فى نواويس قدماء المصريين وقبورهم واطلال عماراتهم وقصورهم وغير ذلك

ثالثا من تأليفات متأخرى العلماء الاوروباويين واهل الخبرة بأحوال المصريين المسمين بالايجيبتولوجيين وسياحات السياحين من الافرنج العصريين

افكار تقديمية وفوائد عمومية

جرت عادة المؤرخين الاوروباويين بأنهم يبتدؤن من الامم المذكورين فى قسم التاريخ القديم بتاريخ العبرانيين وكثيرا ما يفردونه بالتأليف ويعلمونه لاطفالهم فى المدارس الابتدائية باسم التاريخ المقدس أى المطهر الشريف وأكثرهم على الابتداء من ذلك بتاريخ قدماء المصريين والفراعنة المتقدمين وهى طريقة الجمهور ومذهب الجم الغفير وقد استصوبنا المشى على هذا المسلك الاخير لكون هذا البلد العظيم هو بلدنا وهذا الوطن الكريم هو وطننا وأول مايقتضى للانسان أن يتحلى به من انواع العرفان هو ان يعرف تاريخ وطنه ويقف على حقيقة التغيرات التى اعترت هيئة تمدنه واذا كان هؤلاء الاقوام من الافرنج الذين هم بدينهم كفار وليسوا المصريين من العمار يضربون آباط آلات البخار ويوفدون لسرعة سيرها فى البرور والبحار

ذخائر الفحم الحجرى من شديد وقود النار و يهرعون من أقصى بلادهم لمشاهدة ما بقى على ممر الاعصار لاوطاننا هذه من بعض الآثار و يسارعون للوقوف منها على حقائق التواريخ والاخبار و يبذلون نفائس أنفسهم وأموالهم ويصرفون اعزاوقاتهم وأحوالهم فى السفر لمعاينة مثل الاهرام وهى اقرب الينا من يدنا الى فينا وقائمة برأسها الى عنان السماء فينا وما منا من تتعلق رغبته بمعاينتها وتتشوق علقته لمشاهدتها حتى ان من جملة علمائهم وزمرة فلاسفتهم وحكمائهم طائفة من أهل العلم عندهم مخصوصين يعتنون بمعرفة أحوال ديار مصر بالخصوص ويعتنون بمطالعة ما يتعلق بها من الآثار والنصوص يقال لهم الايجيبتيولوجيون يعنى أهل العلم والخبرة بأحوال مصر فى سالف العصر افلسنا اولى منهم بالعناية بمثل هذا الامر وهل لا يقتضى أن يكون صاحب الدار ادرى بما فيها وأولى بمعرفة حقائق ظواهرها وخوافيها ورحم الله عصرا بمصر مضى ودهرا انقرض وانقضى كان فيه مثل الشيخ عبد اللطيف البغدادى الفقيه اللغوى الطبيب نزيل مصر رحمه الله وأكرم فى أعلى عليين من الجنان مثواه يذهب بنفسه و يتسلق اعلى الاهرام بجلالة قدره و يقيس ما عليه بناؤها من الابعاد والمقادير وينظر فى حقيقة احوالها نظر العالم البصير و يرجع الى خلوته فيكتب مثل رحلته المسماة (بالافادة والاعتبار فى الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر) واقد سرح بنا سائم الفكر الى ما آل اليه الحال من حيث العناية بالعلم فى هذا العصر ولا حول ولا قوة الا بالله واليه يرجع كل امر فلنكف عنان القلم ولانقطع بعناية الدولة الخديوية اعزها الله من اصلاح الاحوال فى الحال والاستقبال حبل العشم ونرجع لما نحن بصدده من تاريخ ديار مصر فى سالف الدهر ونبتدئ به جريا على الغالب فنقول ان فى هذا الباب مقدمة وعدة فصول تشتمل على جملة مطالب

مقدمة

فى بيان جغرافية ديار مصر الطبيعية وذكر احوال نهر النيل

المبارك وما يعتريه من احوال الزيادة والنقص السنوية

مطلب — ما المراد بما يعبر عنه بمصر فى كل عصر — قال الجوهرى فى الصحاح ما نصه المصر هى المدينة المعروفة تذكر وتؤنث عن ابن السراج والمصر واحد الامصار والمصران الكوفة والبصرة والمصر ايضا الحد والحاجز بين الشيئين قال (الشاعر)

وجاعل الشمس مصرا لاخفاء به * بين النهار و بين الليل قد فصلا

واهل مصر يكتبون فى شروطهم اشترى فلان الدار بمصورها اى بحدودها » الى آخر ما ذكره من المعانى اللغوية المعهودة فى هذه المادة العربية

وقال الفيروز بادى فى القاموس فى ضمن عبارته ايضا مانصه « والمصر بالكسر الحاجز بين الشيئين كالماصر والحد بين الارضين » الى أن قال « ومصروا المكان تمصيرا اجعلوه مصرا فتمصر والمصر المدينة المعروفة سميت لتمصرها ولانه بناها المصر بن نوح وقد تصرف وقد تذكر وجمع مصار ومصارى جمع مصرى والمصران الكوفة والبصرة ويزيد ذو مصر محدث » الى آخره

وقال صاحب المصباح مانصه « مصر مدينة معروفة والمصر كل كورة يقسم فيها الفئ والصدقات قال ابن فارس وهذه يجوز فيها التذكير فتصرف والتأنيث فتمنع والجمع امصار » الى آخرما أوضحه ومن ثم يفهم ان لفظ المصر وان كان فى الاصل علما جامدا مرتجلا لاحد ابناء حام بن نوح عليه السلام لكنه فى أصل اللغة العربية صار من جملة مدلولاته اللغوية هو الحاجز بين الشيئين والحد بين الارضين وان من اطلاقاته اللغوية ايضا المدينة المعروفة وهو فى هذه الحالة معرفة تامة من جملة الاعلام الخاصة وحينئذ يجوز فيه التأنيث على ارادة البقعة او البلدة فيمنع من الصرف للعلمية والتأنيث ويجوز تنوينه بناء على القاعدة النحوية المعلومة لكونه ساكن الوسط كهند اسم امرأة مخصوصة ويجوز فيه التذكير على ارادة البلد او المكان فيجرى مجراه وقد يطلق على القطر بتمامه كما أسلفناه وقد يكون نكرة عامة يطلق على كل مدينة عامرة وفى هذه الصورة الاخيرة يذكر و يؤنث ايضا ويجمع على امصار وفى عبارة بعضهم ان المصر هى كل بلدة اجتمع فيها حاكم شرعى وسياسى اى قاض ووال وحينئذ تكون مثل بنها العسل وطندتا ودمنهور ومنية ابن خصيب واسيوط وقنا واسنا وما اشبهها من مقر كل مديرية فضلا عن مثل القاهرة ودمياط ورشيد والاسكندرية من المدن المحكومة بما يعبر عنه بدواين المحافظات يصدق عليها اسم الامصار وهكذا الحال فى سائر الاقطار وفى هذه الصورة ايضا اشتق منه فعل متصرف يقال مصر البلدة تمصيرا فتمصرت اى صارت مصرا كما يقال مدنها تمدينا فتمدنت بمعناه فاللفظان مترادفان وعلى كل من الحالتين يجوز ان يدخل على لفظ المصر اداة التعريف كما يجوز فيه التذكير والتأنيث والتصريف وعدم التصريف كما يفهم من صريح عبارتى القاموس والصحاح خلافا لصاحب المصباح حيث خص جواز التأنيث والتذكير مع هذا الجواز الاخير بحالة التنكير كما يفهم من نص عبارته الذى هو بأعلاه مسطور

ومن الحالة الاولى ورد قوله تعالى « ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين » وقوله تعالى « وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا » وعلى الحالتين المذكورتين ورد قوله تعالى « اهبطوا مصرا » بالتنوين فى القراءة المشهورة وورد ايضا فيما يعرف « اهبطوا مصر » بدون ان يصرف قال المولى ابو السعود رحمه الله فى تفسير هذه الآية الشريفة مانصه « والمصر البلد العظيم وأصله

الجلد بين الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف لسكون وسطه أو بتأويله بالبلد دون المدينة ويؤيده انه فى مصحف ابن مسعود رضى الله عنه غير منون وقيل اصله مصرائيم فعرّب . اه

وقد تحصل لنا مما ذكر اعلاه ان لفظ المصر له حالتان تشتملان على ثلاث اطلاقات الحالة الاولى أن يكون منكرا يطلق على كل مدينة من سائر الاقطار اجتمع فيها بعض شروط على حسب اختلاف الاقوال فى ذلك وانها حينئذ تجمع على أمصار واشتق منها فعل يتصرف كسائر الافعال بمعنى التمدن والاستحضار

الثانية أن يكون معرفا وله فى هذه الحالة اطلاقان احدهما أن يكون علما على كرسى مملكة قطر مصر فى كل عصر وحينئذ فكل من مدينة منفيس أومنف (مائة رهينة) وطيبة الصعيد (مدينة آبو) وكذلك الفسطاط (مصر القديمة) والقاهرة المعزية كلها يطلق عليها اسم مصر بطريق العلمية الثانى أنه قد يطلق على سائر القطر الممتد من أعلى الصعيد يعنى من عند مدينة اسوان الى غاية البحر المتوسط الابيض أو بحر سفيد

ومصر بهذا المعنى الاخير تسمى ايضا فى اللغة اليونانية واللاطينية باسم اجيبتوس (بجيم فارسية بعدها ياء مثناة تحتية ثم باء فارسية بعدها تاء مثناة فوقية ينتهى بسين مهملة فى آخره كأكثر الاسماء اليونانية) وهو المرخم بلفظ (اجيبت) فى اللغة الفرانساوية والمعرب بلفظ القبط فى اللغة العربية وحينئذ فلفظ القبط كما يطلق على ذات القطر يطلق كذلك كما لا يخفى على هذه الطائفة النصرانية التى هى بقايا قدماء اهل مصر وجمعه اقباط كما يجمع لفظ العرب على اعراب والترك على أتراك وهكذا

وتسمى مصر ايضا فى اللغة القبطية اى المصرية القديمة باسم (كيمى ا والكيمية اى الخامية بمعنى أرض حام بن نوح عليه السلام)

ويعبر عنها فى التوراة بالعبرانية باسم مصرائيم (بيائين تحتيتين اولاهما مهموزة) كما سلف تعريف ذلك ومصر بهذا الاطلاق الاخير (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى مختصر تاريخه الصغير) هى هذا القطر المستطيل من الجنوب (المعبر عنه على لسان اهل البلاد بالقبلى) الى الشمال (المعبر عنه عندهم بالبحرى) وهو الكائن فى الزاوية الشمالية الشرقية من قسم افريقية اوكما كان السلف الاقدمون يقولون من بلاد الليبية (وهى برقة وما يليها من الاقطار المغربية) وذلك حيث تتصل افريقية ببلاد آسية بواسطة برزخ السويس وحد مصر من جهة الشمال هو البحر الابيض المتوسط او بحر سفيد ومن جهة الشرق برزخ السويس والبحر الاحمر او بحر القلزم ومن جهة الجنوب بلاد النوبة حيث يخترقها النيل قبل أن يدخل مصر من عند جنادل اسوان (المسماة أيضا بشلالات اسوان) وحدها من جهة الغرب صحارى يوجد فيها بعض الواحات أى أراضى خصبة ينبع فيها بعض عيون من الماء فتزرع ارضها ويسكنها الناس وهى المسماة بسلسلة الجبال الليبية أو البرقية وتمتد فى جهة الجنوب الغربى الى قريب من البحر الابيض كما أن الجبال الشرقية المسماة بسلسلة

الجبال

الجبال العربية تمتد الى سواحل البحر الاحمر وتمتد تلك الصحارى ايضا الى امد بعيد فى داخل ذات بلاد مصر وكل ما كان من ديار مصر لم يصل اليه الرى بزيادة نهر النيل السنوية فهو غير قابل لسكنى الناس فيه لكونه لا يخرج به اثمار من حبوب ولا خضراوات ولا اشجار ولا اعشاب مطلقا ولا يوجد فيه ماء غير بعض آبار على مسافات متباعدة بعضها عن بعض فى تلك القفار وبعض تلك الآبار اقل عرضة من بعض لأن يفيض ماؤها فى درجة من الجو هى على الدوام متقدة النار وفى صعيد مصر اى فى الجهة الجنوبية (الوجه القبلى) منها ترى المطر حادثة نادرة جدا وجميع ارض مصر عبارة عن رمال اوصخور ما عدا ارض وادى النيل وهو واد لغاية تفرع النهر فيه الى عدة فروع اعنى فى مسافة أكثر من ثلاثة ارباع طول الديار المصرية لا ينيف متوسط عرضه على أربعة فراسخ اوخمسة وفى بعض المواضع منها هو دون هذا القدر بكثير كما ذكره المولف روبيو

ولقد أصاب المؤرخ اليونانى المعروف باسم هيرودوت حيث قال ان ديار مصر كلها انما هى هبة من هبات النيل اه وذلك انه لو انعدم النيل من ارض مصر لكانت كلها صحراء جدبة وأرضا غير خصبة لا ماء فيها ولا زرع ولا نبات بها ولا ضرع ولو انحرف مجرى النيل من الجهة العلوية لانعدمت الديار المصرية بالكلية وكانت قد خطرت هذه الفكرة بخاطر أحد سلاطين بلاد الحبشة السالفين فى القرن الثالث عشر من التاريخ المسيحى ثم لرجل برتغالى يقال له الفونس دالبوكيرك كان عاملا لدولة البرتغال (احدى الممالك بأوروبه) على ما كانت قد استولت عليه مدة حقبة من الزمن ببلاد الهند الشرقية فى القرن الرابع عشر وأراد كل منهما أن يصرف نهر النيل عن طبيعى مجراه بأن يسده من اعلاه ويوجه مصبه الى جهة البحر الاحمر فلم يتيسر له تحقيق ما تمناه وفى الواقع ونفس الامر ترى نهر النيل فيه خاصية ظاهرة دون غيره من الانهار وهى كونه فى جميع الجزء الاسفل من مجراه لا يأتيه مادة أخرى تنضم اليه وانه بخلاف سائر الانهار يعتريه النقصان كلما نزل الى أدناه بدلا عن أن يزداد كلما اسفل لداعى كونه يفرغ ماءه فى الترع والخلجان المعدة لرى الاراضى ولا يصب فيه ما يجبر هذا النقصان (اه معربا من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

وعبارة المؤرخ ويكتور دوردى فى تاريخه القديم عند الكلام على ديار مصر لا بأس بايرادها هنا أيضا وهى هذه قال المؤرخ المذكور فى هذا الشان ما تعريبه ان ديار مصر عبارة عن واد تبلغ مساحته ٨٨٠ كيلومترا طولا (والكيلومتر عبارة عن الف متر والمتر ذراع وثلث ذراع بالذراع المصرى المعمارى المعتاد) وهو منحصر من جهة الجنوب بين سلسلتين جبليتين صوانيتين لا يبلغ عرض ما بين سفحهما ومجرى النهر غير بعض مئين من الامتار ثم تتباعدان شيأ فشيأ حتى تكادان أن تزولا بالكلية كلما نزل النهر الى جهة الشمال وتنتهى ديار مصر

من هذه الجهة بحر سفيد وأما حدها من جهة الجنوب فقد كان غير ثابت ولا شك فى أنه انما تعينت حدودها على وجه القطع من هذه الجهة بجنادل أسوان من بعد حروب طويلة حصلت بين الفراعنة المتقدمين وملوك بلاد الايتيوبية (ملوك الحبشة السالفين) وذلك انه يوجد فى ذلك الموضع من النهر بعض صخور تعطل مجراه كأنها حد فاصل للسفر فيه (وهى المعبر عنها بجنادل آسوان أو شلالات أسوان) ويمتد على ميمنة هذا الوادى وميسرته صحارى جدبة متكونة من رمال غير ثابتة تحركها الرياح كأنها بحر من البحار وكثيرا ما يحصل الغرق على هذا الاوقيانوس من البرارى وذلك ان تلك الرمال فى أغلب الاحوال قد تنقلها الرياح فتجتمع عندما نع يقابلها من بعض الصخور والجبال فتبتلع قوافل من السيارة كاملة بما معها من الاحمال والجمال ودائما يخشى من هذا الامر على وجود أرض مصر قال المؤرخ اليونانى المشهور باسم هيرودوت ما معناه ان أرض مصر هى هبة من هبات النيل ومعنى ذلك كما يظهر هو ان بحر سفيد قد كان فى سالف الزمان داخلا الى أمد بعيد فى هذا الوادى المديد ثم صار النيل على توالى الاعصار يأتى من أعلى الاقطار بما يجره معه من المواد الراسبة الكثيرة (وهى المعبر عنها بالطمى) حتى ارتفعت الارض التى يلقيها عليها ويدعها فيها بالتدريج شيئا فشيئا الى ان انسد البوغاز (يعنى الجزء من البحر الداخل فى البر كما هو معلوم من التعريفات الاصطلاحية المستعملة عند علماء الجغرافية) الذى كان متكونا من البحر الابيض المتوسط فى موضع ما يدعى من أرض مصر عند اليونان باسم (الدلتــه) من ذلك المكان وقد صار أرضا جافة تزرع بعد ان كان بحرا فيما بالسفن يقلع ولفظ الدلته هذا عبارة عن الجزء الاسفل من وادى مصر من عند افتراق النهر الى فرعين (المسمى على لسان أهل مصر ببطن البقرة أو فم البحر) الى سواحل بحر سفيد سمى بذلك لكون هذه القطعة الارضية من الديار المصرية مقفلة من جهة الشمال بالبحر الملح محاطة من جهتى الشرق والغرب بفرعى النيل الاصليين على وجه بحيث يتكون منها شكل على هيئة أحد حروف الهجاء اليونانية المسمى باسم الدلته وبعبارة أخرى أحسن من هذه انما سميت تلك القطعة بهذه اللفظة لكونها يتصور منها شكل مثلث قاعدته بحر سفيد ورأسه مفرق نهر النيل الى الفرعين الاصليين (انتهت عبارة المؤرخ ويكتور ردوروى) وانما أوردناها هنا فى هذا المكان مع عبارة المؤرخ فرانسيس لونورمان لاشتمالها على فوائد زائدة عنها وان كان فيها تكرار لبعض المعانى المفهومة منها وشكل حرف الدلته هذا قريب من شكل حرف الدال من حروف الهجاء العربية وذلك ما كان يسمى فى عهد الحكومة الخديوية السابقة بهذا العصر باسم مديرية روضة البحرين وهو مجموع مديريتى المنوفية والغربيه (رجع للنقل من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

مطلب الكلام على نهر النيل وصفة هذا الوادى الجليل — قال مؤلف الاصل ما معناه ان وادى النيل يكاد أن يكون فى جميع الامكنة من طوله منحصرا بين سلسلتين من الجبال

تسمى احداهما وهى الشرقية بسلسلة الجبال العربية والثانية وهى الغربية بسلسلة الجبال الليبية (أو البرقية أى جبال برقة وما والاها من سلسلة الجبال المغربية) وهاتان السلسلتان الجبليتان تتقاربان فى بعض الاماكن جدا احداهما من الاخرى ولاسيما فى جهة الجنوب من هذا الوادى حتى يتكون منهما ما يسمى (فى الاصطلاحات العسكرية بالمضيق أو الدربند الحقيقى) ومع ذلك فانك ترى الاقليم المعروف من ديار مصر باسم الفيوم الكائن على غربى النيل فى جملة الاقاليم المصرية الوسطى فوق المكان الذى كانت مدينة منفيس أو منف كائنة فيه يروى بواسطة خلجان تخرج من النيل بواسطة بحيرة هناك مصطنعة ولذلك ترى ديار مصر وان كانت من عند شلالات أسوان لغاية ذلك المكان ليست الا عبارة عن واد كنز يأخذ عرضها عند هذا الاقاليم فى بعض اتساع عظيم ثم اذا بلغ الوادى الى مادون مدينة القاهرة التى هى كرسى دولة مصر الآن) وهى كائنة على القرب من اطلال مدينة منفيس كرسى دولة الفراعنة فى سالف الزمان) ترى النيل يتفرع الى فرعين أحدهما وهو فرع رشيد يتوجه الى جهة الشمال الغربى والثانى وهو فرع دمياط الى جهة الشمال ثم ينحرف الى جهة الشمال الشرقى وقد كان السلف من الامم الاقدمين يعرفون للنيل خمسة فروع أخرى غير هذين الفرعين الاصليين ارتدمت الآن أو صارت غير صالحة للسفر بالسفن فيها وترى عدة ترع وخلجان ثانوية تخترق داخل ديار مصر السفلى أو الوجه البحرى من الديار المصرية

ثم ان النيل يتكون منه على القرب من البحر الملح عدة بحيرات أو برك كبيرة مقفلة من جهة البحر ببرازخ من البر متكونة من طين أو رمل متصلة ببحر سفيد بواسطة فرجات والبحيرات الاصلية منها ثلاث احداها بحيرة المنزلة فى جهة الشرق من الجهات البحرية الثانية بحيرة البرلس فى وسط السواحل المصرية الثالثة بحيرة مريوط وهى المسماة فى سالف الدهر باسم بحيرة مريوطيس فى جهة الغرب من سواحل مصر على القرب من مدينة الاسكندرية الشهيرة التى أنشأها الاسكندر الاكبر فى المكان الذى قد كان به القرية القديمة المسماة باسم راكوتيس وقد كانت تلك الجهة معمورة فى سالف العصر وتسمى المسافة المنحصرة فيما بين أبعد فروع النيل باسم الدلته (أو حرف الدال) لداعى موافقة شكلها الذى يكاد ان يكون شكلا مثلثيا الشكل الحرف المسمى بهذا الاسم من حروف ألف باليونانية اذا كتبت بقلم الثلث (قال مؤلف الاصل اه هذا القول منقولا من كتاب المؤلف روبيو)

مطلب زيادة نهر النيل الدورية — قال مؤلف الاصل وفى كل سنة فى وقت الانقلاب الصيفى اعنى عند أواخر شهر يونية الافرنجى أو حيزران الرومى (أى عند منتصف شهر بؤنه القبطى) يأخذ النيل فى الزيادة وفى مدة يسيرة تبلغ مياهه الى حد ضفتيه ثم تفيض عنها فتطفو وتنتشر طافية فى سائر الوادى لكونه على وجه العموم هو أسفل من ضفتى النيل وقد توصل أيضا

بواسطة أعمال الرى الصناعية انتشر خيرات النيل على أرض الديار المصرية الى أكثر من حدود زيادته الاصلية ثم فى اواخر شهر سبطمبر الافرنجى أو ايلول الرومى (منتصف شهر توت القبطى) تبلغ مياهه الى أعلى درجة من الزيادة وتمكث على هذه الحالة مدة أيام قلائل ثم تأخذ فى التناقص شيأ فشيأ حتى اذا جاء شهر دسمبر الافرنجى أو كانون الاول الرومى (أواخر هاتور القبطى) رجع النيل لحالته الاصلية وعاد مجراه لدرجة ارتفاعه الاولية وأخذ أهالى مصر فى بذر الارض (المعبر عنه عندهم بالتخضير) واستمروا على هذا العمل كلما تنازل النيل وسفل و ينضج الزرع عندهم فيحصد فى شهر مارس الافرنجى أو شهر اذار الرومى (برمهات القبطى) وان أعمال الحراثة عندهم لسهلة كثيرا حيث كانت أرض مصر خصبة مستعدة للزرع استعدادا كبيرا وفى مدة فيضان النيل ترى الناس منحصرين فى المدن والقرى حيث كانت كائنة على ربوات من الارض إما طبيعية أو صناعية قائمة فى وسط المياه كأنها جزائر فى وسط بحيرة أو بركة من الماء متسعة ينتظرون مع غاية القلق والضجر متى يعرفون الى كم تبلغ درجة فيضان النيل فى العام اذ بذلك يتعلق أمر كثرة الحصائد وقلتها وهو عندهم ميزان السخاء والرخاء أو القحط والغلاء (قال مؤلف الاصل انتهى هذا القول منقولا من كتاب روبيو ثم قال بعد ذلك ما معناه) وهذا الامر العجيب القائم بنهر يخرج من طبيعى مجراه فى أوقات معلومة ليروى الارض ثم يعود الى حالته الاصلية قد كان استغرب به الامم الاقدمون لكونهم لم يكونوا يعلمون ان جميع الانهار التى منابعها بالمنطقة الحارة هى بهذه المثابة فتوجهت أفكارهم وتنوعت أنظارهم فى تأويل هذه الحادثة الى عدة حدسيات غريبة وتوهموا فى هذه المادة جملة أوهام عجيبة من أراد أن يطلع عليها فليقرأ تاريخى المؤرخ هيرودوت داليكارناس المؤرخ اليونانى وديودور الصقلى السالفى الذكر والقول الصحيح فى سبب زيادة النيل انما هو كثرة نزول الامطار الدورية التى تنزل فى أعلى بلاد الحبشة حيث ينزل النيل منها وينقل فيضانه هذا عنها الا غير (اه معربا من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

وعبارة المؤرخ ويكتورو روى فى هذا المطلب لا بأس بايرادها هنا أيضا لاشتمالها على زيادة توضيح وهى هذه كما هو معرب قوله الصريح

ان نهر النيل كل عام عند حلول الانقلاب الصيفى فى يوم يكاد أن يكون معينا فيما بين ٢٠ شهر يونيه لغاية أول شهر يوليه (١٤ الى ٢٥ بؤنه) يزداد بالتدريج شيأ فشيأ مدة مائة يوم ثم يطفو على ضفتيه فى الاقاليم الوسطى وفى القطعة المعبر عنها من الديار المصرية باسم الدلتة و ينتشر فى سائر البلاد الى آخر شهر سبطمبر (أواخر شهر توت) فيسرى منه فى أراضى مصر كمية من الماء باجتماعها مع الانداء التى تتساقط عليها بالليل تكفى لغذاء النباتات فيها ثم فى أوائل شهر اقطوبر الافرنجى أو تشرين الاول الرومى (أواخر شهر توت القبطى) يأخذ فى التناقص حتى اذا

حل الانقلاب الشتوى يعود الى مجراه الاصلى و يترك على الاراضى التى رواها راسبا دسما خفيفا يكون للارض بمنزلة السماد (أو لدبال بالدال المهملة كلاهما بمعنى ما يعبر عنه عند العوام بالسباخ وذلك هو المعبر عنه باسم الطمى على لسان أهل البلاد) ولا يزال النيل يتناقص لغاية آخر شهر مايس أو مايه الافرنجى أو ايار الرومى (اواخر بشنش القبطى) ولابد من ان الزيادة تبلغ من ٧ الى ٨ أمتار ونصف متر حتى تعلو المياه على جميع سطح الارض الصالحة للزراعة فتأتى المزارع بالحصيدة الوافرة فان وقفت الزيادة دون ذلك المقدار لزم الاقتصار فى زراعة الارض على ما لحقه الرى فقط و بقى ما عداه منها غير منزرع (يعبر عنه بالارض البور او الشراقى) وان انافت الزيادة على ثمانية أمتار كانت مضرة حيث كانت المياه حينئذ تركد على الارض مدة مديدة فان كانت الزيادة فوق ثمانية أمتار ونصف كان الغلاء متحققا لان الارض تصير مستبحرة فلا يمكن زراعتها و يخشى على الديار المصرية حينئذ من وقوع الوباء فيها ولما كان النيل فى جهة الصعيد منحصرا بين ضفتين عاليتين لزم ان يتدارك فيه أمر رى الاراضى الزراعية بالطريقة الصناعية وقد علم بالحساب ان ارتدام الطبقة الارضية العليا من وادى مصر الناشئ عن تراكم راسب مياه النيل المعروف بالدامى يقتضى ان يكون يقدر ١٢٦ ٠ر٠ ميليمترا (أى مائة وستة وعشرين جزءا من الالف من المتر الواحد) فى كل قرن من الزمن

وهذه الحادثة وان كان قد تخيل للسلف من الامم المتقدمين انها من العجائب التى لم تعلم أسبابها صار لا وجه الآن لاستغرابها فانها من المعارف الضرورية وليست لنهر النيل بخصوصية حيث كانت جميع الانهار التى منابعها فى الاقاليم الحارة يعتريها أحوال فيضان ينشأ على وجه الانتظام عن الامطار الدورية التى تسقط بتلك الاقطار الارضية وذلك ان جبال بلاد الحبشة التى ينزل منها النيل لما كانت موضوعة فى جنوب دائرة الانقلاب لزم ان ينزل عليها فى كل عام فى موسم رياح الجنوب الغربى أعنى فى موسم سقوط الامطار على تلك الاقطار مقادير جسيمة من الماء تنحدر الى مجرى النيل فينقلها مع ما يتبعها من المواد التى تأتى معها من اعالى اراضيها الى اسفل وادى النيل ولولا ذلك الحال لكانت ديار مصر تسترها الرمال وكانت الصحارى تمتد بما هى عليه من حالة الجدب والقحولة الى حد البحر الاحمر بالسهولة ويا ليت شعرى ماذا كان يترتب على ذلك من المترتبات وما الذى كان يلزم عليه من جسيم المضرات لاشك اننا لو فرضنا ان ثنية من الارض منعت مجرى النيل من السير فى طريقه المعتاد الى جهة البحر الابيض المتوسط وصرفته الى جهة البحر الاحمر لزم عليه ان ديار مصر على الحالة التى نعرفها بها الآن أعنى كونها أحد مراكز تمدن العالم الدنيوى ومربط بلاد أوروبة ببلاد آسية وافريقية تمحى من خرطة بلاد الدنيا بالكلية وكانت بلاد اليونان لا يتيسر لها أن تستمد شيأ امامنها وكان الاسكندر لا يأتى اليها ولا يفتحها وبقيت بلاد افريقية أمة وحدها وبقعة منعزلة عن سائر بلاد الدنيا الى الابد وقام

مانع حصين وقاطع رصين لا يمكن تجاوزه بعد بين بلاد اوروبة وبلاد الهند حيث كان وادى النيل فيما بينهما هو الطريق الاعظم والمسلك الاقوم

مطلب ـ مصاب النيل (معربا من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ ويكتوردوروى) (قال المؤرخ المذكور) لما كان النيل فى الديار المصرية لا يستمد بمادة مائية تلتقى معه طبيعية وكان يخرج منه عدة ترع وخلجان صناعية تتفرع عنه لقصد رى الاراضى منه لزم ان يتناقص كلما قرب من البحر وهو يمر عند وصوله الى ديار مصر ببعض قطع من الصخر توجد فى مجراه وتظهر رؤسها منه على سطح الماء عند بلوغه لادنى درجة الارتفاع (المعبر عنها فى اصطلاح أهل البلاد بالتحاريق) وهذه الصخور هى ما يسمى بشلالات النيل او بجنادل النيل وكان لها شهرة كبيرة عند الامم الاقدمين ومع ذلك فلما كانت هذه الصخور قريبة من وجه الماء كانت غير مخوفة جدا وغاية ما هنالك انها تعطل السفر على النيل بعض التعطيل حيث يترتب عليها حصول بعض انحدارات مائية وتيارات نهرية ولكنها غير مانعة للسفر فيه بالكلية ثم ان النيل يجرى من عند اسوان الى مدينة منفيس او منف فى مجرى واحد حتى اذا بلغ الى قاعدة المثلث الذى يعرف باسم الدلته تفرع الى عدة فروع وذهب حتى يصب فى بحر سفيد بسبعة مصاب أصلية كانت تسمى فى سالف الزمن احدها بمصب قانوب اوقانوبوس (بوقير الآن) والثانى بمصب البولبيتية وهو المعروف الان بفرع دمياط والثالث بمصب سبنيت اوسبنيتوس (بالسين المهملة فى اوله) وهى الآن سمنود والرابع المصب الفاتمى اوالفاتنى (بالميم اوبالنون الموحدة الفوقية) وهو فرع رشيد والخامس مصب منديس أوالديبة والسادس مصب مدينة تانيس (المسماة ام فرج اوسان الآن) والسابع مصب مدينة بيلوز (وهى المسماة فى سالف الزمن بمدينة اواريس وفى التوراة باسم لبنه (بضم اللام) والان باسم تينه (بالتاء المثناة الفوقية فى أوله) ولم يبق الان من فروع النيل التى ينصب بها فى بحر سفيد غير فرعى دمياط ورشيد وما عداهما صار الآن من قبيل الترع والخلجان ولما كان النيل يطفو ماؤه فى اثناء جريانه على كلتا ضفتيه بدون مانع يمنعه لزم ان الخطة الارضية المتشكلة بين فرعيه الاصليين بشكل الدلته لا تمتد فى البحر الملح الاشيأ قليلا اعنى بنحو ثلاثة امتار واربعة فى كل عام حدا وسطا (قال المؤرخ ويكتوردوروى) وهذا بخلاف النهر المسمى باسم البو (بالباء الفارسية بعدها واو فى آخره) وهو المسمى بنهر پادوس (ببلاد ايطاليه) فانه حيث كان منحصرا بين جسرين كانت خطته الارضية المنحصرة بين فرعيه المسماه ايضا بالدلته ترتدم من قاع البحر بما يجره ماؤه معه من الرمل والحصا بنحو ٢٥ مترا فى متوسط كل عام (اهـ معربا من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ المذكور)

مطلب ـ اختلاف مناظر الديار المصرية بحسب اختلاف الفصول (وهو من الكتاب المذكور آنفا ايضا منقول)

يظهر لعين الناظر لهيئة غيطان الجهات البحرية من الديار المصرية ثلاثة مناظر أصلية تختلف بحسب اختلاف فصول السنة الزراعية فمن أول منتصف فصل الربيع من السنة العادية تجمع الحصائد وتشال عن الارض فلا يرى الناظر من مجموع أرض الديار المصرية فى هذه الجهة البحريه حينئذ غير أرض زرقاء غبارية يتخللها شقوق عميقة جدا بحيث لا يتيسر للسائر فيها ان يمر بها الا بغاية المشقة فاذا حل وقت الاعتدال الخريفى ترى الارض كانها بساط ممتد من ماء أحمر ملح يبرز من باطنه رؤس نخيل وقرى وجسور ضيقة هى الطرق الموصلة بين القرى بعضها البعض ثم متى نزلت المياه عن الارض لا يرى الناظر الى آخر الفصل غير ارض سوداء وحلية ولا تظهر محاسن الطبيعة وخيراتها البديعة الا فى مدة فصل الشتاء بالديار المصرية حيث ترى حينئذ من طراوة الهواء وقوة النبات الحادث وكثرة الثمرات التى تملأ سطح الارض ما يفوق كل جميل استغرب به الرأى فى أجمل بلاد الدنيا من هذا القبيل وذلك انك ترى ديار مصر من الاول الى الآخر كأنها مرج جميل اوروض ازهار جليل اواوقيانوس زاخر ويشتد ظهور هذا المنظر الخصيب بما يشاهد من ضده خصوصا من الرمال والجبال المحيطة به حيث لا ترى منها غير مطلق القحولة والجدب

وفى هذا الاقليم السعيد لا ترى الماء يجمد والثلج أمر مجهول لا يوجد والاشجار لا تكاد تسقط اوراقها الا ليخرج لها أوراق اخرى تستجد ولا ترى النبات فى الارض يتعطل عن العمل وترى الزراع فيها حيث لا يخيب منهم الامل لا يرون جميع فصول السنة الا كأنها فصل واحد ينتج الكثير من المحصول لولا ان تغير أحوال فيضان النيل يوجب الاقتصار على الزراعة فى بعض الفصول ومن ثم يعلم انه اذا تم استبدال اعمال الرى الطبيعية بأعمال صناعية لزم ان تعطى الاراضى المصرية حصيدتين الى ثلاث حصائد فى كل سنة زراعية وينضم لمامنح الله سبحانه وتعالى ديار مصر من المزايا الطبيعية ذكرى تمدن عتيق يصعد الى أقصى الازمان يسحر خصوصا نظر كل سياح ذى تبصر وعرفان وذلك ان بلاد صعيد مصر يكثر بها من مآثر الامم الاقدمين وتذاكر الاقوام السالفين فى الاعصار الغابرة ما يتخيل لناظريه ان تلك البلاد هى فى الحقيقة مسحورة وذلك هو ما يترآى حتى لاقل ذوى العقول تبصرا وأدناهم تدبرا وتفكرا فانه يوجد فيها نحو عشرين مدينة عتيقة وكثير من الاماكن الغير المعمورة كلها تظهر لعين السياح وهو على الدوام لا يزال يتعجب منها انها اطلال قصور وهياكل قديمة وآثار بدائع من فن العمارة عظيمة لا من حيث عظم اجرامها الجسيمة وهيئتها الدينية الكريمة فقط بل كذلك من حيث بساطة تركيبها وحسن هندسة ترتيبها وظرافة ما يوجد عليها من الصور والتماثيل الاشارية وكثرة ما هى مزينة به من أنواع الزينة التى تقف عندها الافكار وتنبهر منها الابصار حيث كانت كلها لا تخلو عن دلالات معنوية ومعانى تاريخية قال المؤرخ و يكتور دوروى (ناقلا هذه العبارة الآتية عن نص العالم الفرانساوى المدعو باسم دوروزيير الذى كان متوظفا بوظيفة رئيس المهندسين فى المعادن واحدا عضاء جماعة العلماء

الفرانساوية الذين كانوا حضروا مع غزوة الفرانسيس لديار مصر فى مبادى هذا القرن الثالث عشر لقصد النظر فى أحوال هذا القطر ما معناه بالعربية ؛؛ ومن ذلك مدينة طيبة صعيد مصر فانها وان كانت قد توالى عليها الكثير من تقلبات الدهر وصارت الآن اطلالا خربة وتلالا جدبة لم تزل تملأ من العجب والاستغراب قلب من أطلع على العجائب القديمة والغرائب العظيمة التى توجد بمدينة رومية الكبرى (كرسى مملكة ايطالية) ومدينة اثينة العظمى (كرسى بلاد اليونان) ولقد وقف عند منظر مدينة طيبة هذه على حين فجأة منهم جميع عساكر الفرنسيس المنصورة صائحين كلهم من شدة العجب والاستغراب صيحة واحدة ياللعجب العجاب وهذه المدينة التى اشهرها الشاعر اليونانى المشهور باسم أوميروس فى أشعاره وقد كانت فى عصره اجمل مدينة فى العالم الانسانى لم تزل لغاية الآن بعد مدة أربعة وعشرين قرنا من تخريب الزمان اعجب مدينة تنظر واغرب حاضرة تذكر فان من تأمل لجسامة اطلالها ونظر لعظمة آثارها وتلالها وفخامة عمارتها ومابقى بعد مما لايحيط به العد من بقايا اعظم سعتها تخيل له انه انما هو فى عالم رؤيا منامية وحالة توهمية لاحقيقة علمية (١٥ معربا من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ ويكتوردوروى)

تنبيه

مطلب صفة ديار مصر على حسبما هى عليه فى هذا العصر يقتضى أن يتنبه هنا الكون بعض ماذكره المؤرخ ويكتوردوروى وأبداه من أحوال النيل ومناظر الديار المصرية على حسب اختلاف السنة الزراعية فى ضمن المطلبين المسطرين اعلاه هو ليس بمتحقق الآن ولا صادق فى حيز الوجود والعيان وان ماذكره من وصف النيل ومصر من التفصيل والبيان انما هو بحسب ما كان فى سالف الزمان وأما الآن فقد تغير منظر البلاد بحسب ماحدث فيها فى هذا العصر من الاصلاح والاستجداد بالنسبة لما كانت عليه فى العهود السابقة من الاهمال والافساد وذلك ان ديار مصر منذ وليها المرحوم محمد على باشا الكبير عليه سحائب الرحمة والرضوان وهكذا بمدة ولاية بعض خلفه الامجاد لغاية الآن صار يتراءى عليها فى جميع فصول السنة على وجه العموم والاجمال والحق ينبغى أن يقال انها كأنها فردوس من الجنان أو كما قال فيه وتحقق قوله بعض التحقق تخيل الشاعر المفلق حيث قال

لعمرك ما مصر بمصر وانما * هى الجنة العليا لمن يتفكر
فاولادها الولدان من نسل آدم * وروضتها الفردوس والنيل كوثر

ولقد صدق فيها كل الصدق قول الآخر

من شاهد الارض وأقطارها * والناس أنواعا واجناسا
ولا رأى مصر ولا اهلها * فما رأى الدنيا ولا الناسا

ولذلك

ولذلك ترى افاضل الناس فى سائر الاعصار من سائر الاقطار يهرعون اليها ليتفرجوا عليها ويقتبسوا منها المعارف والانوار دون سائر الامصار و بيان ماصارت اليه الآن ديار مصر من المنظر الحسن بطريق التفصيل والبيان وبدليل العيان الذى هو أقوى برهان انه لو وقف من ديار مصر على مكان عال ناظر ذو بصر مديد اومسافر فى عربانات سكة الحديد يقلب نظره ذات اليمين وذات الشمال كلما انتقل من مكان الى آخر على حسب اقتضاء أحوال التنقل والارتحال لظهر له من حسن منظر هذا القطر وظاهر ما آل اليه من اصلاح احوال الامكنة فى هذا العصر بالنسبة لما كان عليه فى سالف الازمنة من اختلاف المنظر بحسب اختلاف الفصول حسبما هو آنفا منقول ماينتج على فؤاده نتيجة عمل السحر ويهيج من قلبه نفحات الشعر حيث يرى (اولا) ان جميع جهات القطر صارت متقطعة بفروع شجرة من سكك الحديد أصلها فى محطة مصر القاهرة وأغصانها متنوعة ظاهرة تمتد من نهايات الجهات السائرة الى أمد بعيد كأنها سدرة المنتهى المذكورة من القرآن الشريف فى بعض الآيات ويرى القطارات المجرورة عليها تظهر للناظر على البعد كأنها هى ماذكرها من عجيب الثمرات و يرى الناظر (ثانيا) منظرا آخر يسر الناظر ويروق الخاطر وهو ان هذا النهر الاكرم يخترقها و يزين فروع سكك الحديد ماهو قائم عليها من جميع الاطراف من قوائم الخشب الحاملة لسلوك التلغراف منحصرا الآن بين جسرين عظيمين يمسكانه عن الطغيان يسميان بجسرى العموم اوجسرى البحر الاعظم (لا كماذكر فى الوصف السالف البيان وانما ذلك بحسب ما كان) ومبداء انشائهما بصعد لمدة عهد المرحوم محمد على باشا الكبير عليه سحائب الرحمة والرضوان ولم تزل العناية بالمحافظة عليهما فى مدة الفيضان من الحكومات الخديوية الخالفة لغاية الآن ويتخللهما على النيل من الحافتين ويخرج منهما من الضفتين اقسام نحو مائة من كبير الترع والخلجان منحصرة كذلك بين مايليق بها من متين الجسور والقناطر ومكين البنيان شبيهة بغدران صالحة للسفر فيها بالسفن فى كل زمان وكلها صناعية مستجدة فى مدة عهود الدولة الخديوية العصرية بيد الانسان واكثرها يبلغ من الطول من خمسة عشر الى عشرين او ثلاثين فرسخا يتفرع عنها مساق وترع اصغر منها كثيرة تروى سائر الجهات المتباعدة عن شواطئ النيل والترع والخلجان الكثيرة الى حد بليغ جدا بحيث يصعب حصرها عدا وان كان البصر المديد قد يحيط بها مدا وهى تأخذ ماء النيل المبارك فى وقت الغيضان وتوزعه الى سائر النواحى والبلدان بحيث لاتبقى ناحية من فلوات ديار مصر منه بحالة الحرمان وتسمى حينئذ بالترع والخلجان النيلية ومنها مايعبر عنه بالترع الصيفية وهى مايبلغ قاعها الى استواء أدنى قاع مجرى النيل فى وقت تحاريقه فلايزال يجرى فيها ماؤه فى غير مدة الفيضان حتى يعود لعادة فيضانه فتسقى منها المزارع الصيفية أما بالراحة او بالآلة فمن ذلك مثل الترع الصيفية المسماة بالشرقاوية والبسوسية والاسمعيلية المعروفة ايضا بالترعة الحلوة الموصلة ماء

النيل الى جهات الترعة المالحة الموصلة بين البحرين الابيض والاسود بجهة السويس وكذلك بحرمويس والخطاطبة والمحمودية الموصلة ماء النيل الى نواحى الاسكندرية ورياحات القناطر الخيرية بالجهات البحرية ولاسيما الترعة الصيفية المستجدة باسم الابراهيمية فى الاقاليم الوسطى ونواحى صعيد مصر وغير ذلك مما تغير به نظر هذه الديار فى هذا العصر وصارت لا يصدق عليها اكثر ماقيل فى وصفها فى سالف الدهر حيث صارت جميع اراضى الوجه البحرى وكثير من اراضى الوجه القبلى من القطر المصرى الى مايعبر عنه على لسان أهل البلاد فى العادة فى الجهات البحرية بالرواتب وفى جهات الصعيد بالنبارى بمعنى مايسقى من ماء النيل بالراحة والارادة فى مقابلة ما كان يدعى بالملق بمعنى مايعمه ماء النيل الجارى بطبيعته ولا يمكن الحصول على زراعته بالمزارع النيلية والذى ينطبق عليها فى الحقيقة من الوصف الصادق والقول المحقق الآن هو كما يأتى بعد من وصفها بالتفصيل والبيان على قدر الامكان فى كل موسم واوان وذلك ان السنة الزراعية بالديار المصرية تنقسم الى ثلاثة مواسم فصلية

الاول موسم الزراعات الصيفية

الثانى موسم الزراعات النيلية

الثالث موسم الزراعات الشتوية

فاما ماسطره المؤرخ ويكتوردوروى فى شأن منظر الجهات البحرية من الديار المصرية فى هذا الجزء من السنة الزراعية أى فى موسم الزراعات الصيفية أعنى من أول منتصف فصل الربيع من الوصف البديع فهو كما وصف وتفنن فى التعبير عما عليه وقف غير انه وصف شيأ وغابت عنه أشياء وحكى ظاهر بارق حال تلك البلاد فى ذلك الاوان من كونها حفرا اقفرا كانها صحرا حسبما كان ولكن فاته شنب ماحدث فيها فى هذا الزمان من حسن المنظر بالاستجداد والاستحيا ولا بأس بان يقال له هنا على وجه التمثيل مع بعض تغيير فى البيت وتبديل كما قال الشاعر الفصيح

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مخضر مليح

المير الرائى الآن ان منظر البلاد فى مثل هذا الاوان بالوجه البحرى من القطر المصرى بل وفى الاقاليم الوسطى وبعض نواحى الصعيد قد تحوّل الى منظر حسن جديد بواسطة ماحدث الآن فى منظر تلك البلدان من تقطع الارض البور بما يتخلل المنظر المذكور من أصناف الزراعات الصيفية المعهودة لاهل مصر من سالف العصر مع ما ابتدع اوتوسع فيه من أصناف الزراعات الصيفية الجديدة كالنيلة والارز وقصب السكر والتنباك والاقطان حيث يمتلئ قلبه سرورا ويتفقأ لبه بهجة وحبورا اذا نظر لآلات الجلد المعبر عنها بالبوابير قائمة بمداخنها الشامخة

فى وسط تلك القفار وعلى الجانبين من شواطئ النيل وسائر الترع والخلجان تشغل معامل السكر ودواليب حليج الاقطان وتسقى تلك المزارع الخضرا مع السواقى المعروفة بالنواعير بدلا عن عمل الانسان مع حسن منظر القرى والنواحى والمدن محتفة بالبساتين والاشجار مصطفة فى وسط تلك الصحرا بما فيها من التين والزيتون والنخيل والاعناب وغير ذلك من أنواع الاثمار المير المسافر فى خط سكة الحديد المتوجه الى جهة الصعيد من سعة الاراضى المنزرعة بالقصب السكرى مايقضى منه العجب الميمد نظره الراكب على عربانات خط سكة الحديد المتوجه الى جهة السويس فيرى تلك المدن والعمارات المصرية القائمة برؤس منارات مساجدها وقباب معابدها فى وسط تلك الاراضى المتسعة المستحياة من تلك الجبال على الجانبين من الترعة الاسمعيلية المستجدة المعروفة بالترعة الحلوة وعلى ترعة برزخ السويس الحادثة المسماة بالترعة المالحة حيث يجد ان الارض الزراعية قد اغارت من تلك الجهات على الاراضى الرملية واستولت منها على مقدار وافر خرج عن حالة الموات وصار أرضا منزرعة تسر الناظر وتروق الخاطر ولا يخلو ان يلاقى نظر الناظر فى خلال تلك المزارع الوسيعه والمناظر البديعة حقير منظر رجل فلاح ضئيل يعمل بالشادوف على بئر مصطنعة لسقى مقدار قليل من أرض له ضيقة منزرعة بالذرة البلدية او ببعض الاقطان (نحو نصف فدان) ولعمرى ان هذا المنظر الحقير لاولى بان يقف عليه نظر الناظر البصير من تلك الوسايا المتسعة من حيث سايدل عليه ذلك المنظر الحقير من صبر الفلاح المصرى على كدّ العمل وكونه بكل مشقة على مصلحة معاشه يتحيل . . . . .

فاذا حل موسم الزراعات النيلية أعنى وقت الاعتدال الخريفى اواوان فيضان النيل صح من وصف الواصف المسطر آنفا ماقيل غير انه فاته انه بصيرورة أكثر الاراضى من قبيل الرواتب اوالنبارى صارت تزرع أكثر تلك الاراضى الشبيهة بالقفار والبرارى بالمزارع النيلية كالاصناف الخضارية والذرة المعروفة بالذرة الشامية وغيرها من المزارع المتنوعة البلدية و ينضم اليها ما يبقى على الارض من المزارع الصيفية فيحدث من مجموع ذلك منظر جميل حيث تسقى المزارع من الآن بالراحة من ماء النيل فيستتر وجه الارض فى ذلك الاوان فى كثير من الجهات بما هو أشبه ببساط من سندس أخضر جليل

ثم اذا حل موسم الزراعات الشتوية وعمت عملية التخضير كان منظر وادى مصر فى مثل هذا الاوان بهذا العصر ابهى وابهج وانور وازهى وازهر وأخضر مما هو فى الوصف السالف مسطر يفوق خصوصا فى ذلك الاوان ماهو فى كتب الادب العربية فى جملة منتزهات الدنيا السبع قديذكر من وصف غيضة دمشق الشام بل جنة عدن التى سبق عليها الكلام وكل ذلك بعناية الدولة الخديوية ورعاية الهمة الداورية فى هذه الحقبة العصرية .

وبالجملة فاعلموا ايها الاخوان ان وطننا هذا بحسب موقعه الجغرافى الجليل الشان و بعض ماذكر

أيضا من وصفه التعريفى أعنى كونه الوصلة بين بلاد آسية واوروبة وافريقية والطريق الاعظم الى بلاد الهند الشرقية ومخزن ميرة الحرمين الشريفين والجامع الآن خصوصا بواسطة ما حدث من جدول برزخ السويس بين البحرين (الاحمر والابيض) هو اجمل الاوطان وان بلدنا هذا هو افضل البلدان ولعل هذا هو معنى ما سارت به الركبان من القول بان مصر هى ام الدنيا ومصداق ماورد فيها من الآيات القرآنية والروايات النبوية ذات السندات العليا كقوله صلى الله عليه وسلم «مصر اطيب الارض ترابا وعجمها أطيب العجم» وغير ذلك مما ذكره المقريزى وغيره فيما يعلم وان هذا البلد العظيم والمقام الكريم لا يحيط به الوصف ولا يسع المتكلم عليه غير أن يقف متمثلا بقول سيدى عمر بن الفارض الشاعر المصرى رحمه الله فيما نواه بقوله هذا وعناه

وعلى تفنن واصفيه بوصفه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

مطلب - الكلام على ماورد فى بعض التواريخ القديمة من ذكر دولة ميرويه (معربا من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ ويكتوردوروى)

قال المؤرخ المذكور طالما قيل انه كان يوجد فى قديم الزمان على جنوب الديار المصرية فى القطر المسمى على وجه المجاز باسم جزيرة ميرويه أعنى فيما هو كائن من البلدان فيما بين نهر النيل والغدير المعروف عند السلف باسم الاستابوراس (وهو الغدير المسمى الآن فى بلاد الحبشة باسم ادبرة او التاجازة) دولة ايتيوبية قديمة ذات شوكة عظيمة كان منها على ما يقال قد قامت أقوام من أسلاف سكان بلاد الحبشة تحت قيادة بعض قسس معبود قدماء المصريين المسمى باسم اوزيريس وساروا على مجرى النيل الاسفل الى جهة الشمال حتى نزلوا بصعيد مصر واختطوا مدينة طيبة الصعيد وانشأوا هنالك معابد فى مدينة تيس (بكسر التاء المثناة من فوق مدينة مصرية عتيقة بصعيد مصر لم يوجد لها الآن أثر) وفى جزيرة ايليفنتين (المسماة عند العرب بجزيرة الساج وهى جزيرة اسوان) وجمعوا ما كان متفرقا هنالك على شواطئ النيل من رعاة المواشى وحراث الارض واحدثوا منهم دولا صغيرة ثم عمروا بالتدريج نواحى الاقاليم الوسطى من الديار المصرية ثم ما يعرف باسم الدلتة من الجهات البحرية وهذا القول لا اصل له فلا ينبغى الالتفات اليه ولا التعويل عليه اذ لم يعثر لغاية الآن فيما يوجد بصعيد مصر من البلدان على آثار عمارات قديمة سابقة على عهد العائلة الملوكية المصرية الثانية عشرة من البنيان (انتهى كلام المورخ ويكتوردوروى فى هذا المقام)

والقول المعتمد الآن فى اصل عمارة ديار مصر فى سالف الزمان هو ما يأتى بعد منقولا عن المؤرخ فرانسيس لونورمان (ترجم للنقل من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

مطلب - تقسيم قديم تاريخ الديار المصرية الى ثلاثة أقسام أصلية - قال المؤرخ فرانسيس لو نورمان فى مختصر تاريخه القديم ما معناه اعلم ان تاريخ ديار مصر هو اقدم تاريخ علم له على حوادث تاريخية مؤرخة بالسنوات تذكر وانه يشتمل على أكثر مدة من القرون الصاعدة الى أقصى الدهر تحصر وقد عدّ قدماء المصريين لانفسهم فى تلك المدة المديدة والاعصار العديدة احدى وثلاثين دولة او عائلة ملوكية تداولت الولاية بطريق التوالى واحدة بعد واحدة على بلادهم. وقد جرت عادة المؤرخين السلف ان يميزوهن بصفات تعدادهم على حسب ترتيب وجودهم فيقولون العائلة الملوكية الاولى والثانية والثالثة وهكذا الى آخرها ثم جاء المحققون من المؤرخين الخلف فاثبتوا للديار المصرية فى تلك المدة الدهرية ثلاث مدد كبيرة او عهود تاريخية شهيرة بناء على ما تحقق عند العلماء الاوروباويين المتأخرين من التحريات العلمية والتفحصات التاريخية ورتبوا تلك العائلات الملوكية الكثيرة والدول المصرية المذكورة الى ثلاث مراتب أصلية وهى ما يعبر عنه فى اصطلاح المؤرخين الاسلاميين بدول الفراعنة السابقين وهى هذه

الاولى ما يعبر عنه بالدولة المصرية القديمة وهى عبارة عمن ولى ديار مصر فى سالف العصر من ابتداء العائلة الملوكية المصرية الاولى لغاية العاشرة وذلك عبارة عما يشمل مدة من الزمن يمكن حصرها بوجه التقريب فيما بين سنة ٤٠٠٠ فنازلا الى سنة ٣٠٠٠ ق م

الثانية الدولة المصرية الوسطى وهى عبارة عن العائلات الملوكية المصرية من ابتداء العائلة الحادية عشرة لغاية السابعة عشرة وتشتمل على المدة الزمنية المنقضية من بعد نحو سنة ٣٠٠٠ فنازلا الى سنة ١٧٠٠ ق م

الثالثة الدولة المصرية الحادثة ومبدأها من العائلة الملوكية الثامنة عشرة أى من القرن السابع عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام لغاية العائلة الملوكية السادسة والعشرين اعنى سنة ٥٢٧ ق م

ولنتكلم على تاريخ مصر فى سالف العصر على هذا الترتيب حسبما سطره المؤرخ فرانسيس لو نورمان المذكور فى مختصر تاريخه الصغير موزعا على عدة فصول فنقول

الفصل الاول

فى الكلام على الدولة المصرية القديمة

مطلب ذكر أصل الامة المصرية ومنشأ عمارة ديار مصر فى سالف المدة الدهرية ـ قال المؤرخ فرانسيس لونورمان لاشك ولا تردد الآن فى ان اول السكان لمصر فى سالف العصر هم من ولد حام بن نوح عليه السلام ومن ذرية ولده المسمى باسم مصرا ومصرائيم وانهم وفدوا الى الاقطار النيلية من بلاد آسية بطريق صحارى بلاد سورية وتوطنوا فى وادى النيل الكريم وهذه حادثة تاريخية ثابتة من طريق العلم وواقعة محققة اكدت كل التأكيد ما ورد عن موسى عليه السلام بنص التوراة من الذكر المفيد وأما ما كان يقال سابقا وكان مقبولا عند الجهور من القول بان أصل الامة المصرية ينتسب الى نسل من الانسال الافريقية كان أول مركز تمدنه فى مدينة ميرويه وانه نزل بالتدريج من أعلى صعيد شواطئ النيل الى حد سواحل بحر سفيد فهذا قول بعيد لا يسوغ ان يعتمد به الآن بدليل ما ثبت بطريق العلم من البرهان وقضية ذلك اننا نعلم علم اليقين الآن بدليل قراءة ما وجد على العمارات المصرية القديمة من النص والبيان على ان أقدم مركز للتمدن بالديار المصرية قد كان فى القطر الكائن حوالى مدينة منفيس اعنى فى الاقاليم الوسطى والسفلى أى البحرية من الديار المصرية قبل ان يحصل لمدينة طيبة الصعيد بمصر العليا التأسيس وانه يمكننا ان نتتبع أثر التمدن المصرى ناشئا بالتدريج فى سالف العصر من ثمة فصاعدا مع صعود وادى النيل فى اتجاه بلاد الايتيوبية بعكس ما كان قد توهم أولا فى بادئ الامر غير ان أخبار الاعصار الاولية التى كان قد أقام فيها بنو مصرائيم على تلك الارض التى كانوا قد توطنوا عليها قد ضاعت فى بحر ظلمات الروايات الخرافية وانقطعت عنا بالكلية وصار تاريخ الديار المصرية لا يعتد به الا من حين ان قامت بها دولة وراثية وولاية سياسية محضة خالصة عن الولاية الدينية يظهر عليها ظهورا بينا اثر القوة العسكرية اعنى انها جاءت فاحدثت الولاية الملوكية بدلا عما كانت الديار المصرية محكومة به لغاية ذلك الحين من الولاية الالهية بمعنى نوع الولاية التى ولاة الامر فيها معتبرون كأنهم يلون امر الرعية بطريق الوزارة والتفويض من لدن الحضرة الالهية (انتهى معربا من تاريخ فرانسيس لونورمان الصغير)

مطلب ما ذكر فى كتب التواريخ القديمة للديار المصرية من الولاية عليها بالدولة القسيسية (معربا من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ ويكتور دوروى) ـ قال المؤرخ المذكور اعلم ان تاريخ الديار المصرية فى سالف الحقبة العصرية يكاد أن يكون مجهولا لنا بالكلية وانما حكى القسس المصريون للمؤرخ اليونانى الشهير باسم هيرودوت ان الآلهة المعبودين للمصريين كانوا قد حكموا هذا القطر فى سالف العصر مدة حقبة طويلة من الدهر يريدون بذلك ان خرقة

القسس كانوا قد مكثوا مدة مديدة من الدهر وبيدهم مقاليد ولاية الامر على ديار مصر ثم احوجت ضرورة المدافعة عن تلك البلاد من غارات الاقوام الرحالة النزالة بالصحارى والجبال لاحداث الطبقة العسكرية وبعد توالى عدة اجيال قام بعض الجنود فاجبر الطبقة القسيسية على ان تقتسم معها الولاية الامرية العمومية وتعترف بصفة الملوكية لاحد رؤساء القوة العسكرية (اه) (رجع للنقل من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان كما كان)

مطلب أحداث الولاية الملوكية بالديار المصرية — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان وقد كان المباشر لهذه الحادثة السياسية رجلا جنديا من قواد العساكر المصرية يدعى باسم **مينيس** اصل مولده بمدينة تينيس بالاقاليم الوسطانية وهى التى دعيت فيما بعد من ذلك العهد بمدينة آبيدوس (بمد الهمزة فى أوله) وقد كان هو الذى اختط مدينة منف أو منفيس واتخذها قاعدة مملكته وكرسى سلطنته ولقد نص على اسمه سائر المؤرخين اليونانيين والرومانيين المعتمد على تأليفاتهم فى تدريس علم التاريخ بالمدارس الاوروبية عند الكلام على ديار مصر فى سالف العصر واكدما ذكروه عنه منطوق السندات الاصلية الاهلية حيث لم يزل مينيس هذا يذكر فيها دائما بنعت مؤسس السلطنة المصرية وبالجملة فلم نعثر لغاية الآن على أثر عمارة معاصرة لعهد هذا الملك الذى قد كان من ذريته ملوك العائلة الملوكية المصرية الاولى

مطلب ذكر العائلات الملوكية المصرية الاولية — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان ثم جاءت العائلة الملوكية المصرية الثانية وكان أصلها كالاولى من مدينة تينيس المذكورة آنفا ولا شك انها كانت من أقاربها حيث لم يميزها المؤرخون السالفون دائما عنها وكثيرا ما يخلطونها بها ولقد عثرنا على بعض عمارات اثرية معاصرة لعهد هذه العائلة الملوكية المصرية يشاهد عليها اعلامات البداوة الاولية والغشامة الاصلية وعدم ثبات طريقة الابنية العمارية مما يدل على ان الفنون الصناعية المصرية فى عهد العائلة الملوكية الثانية كانت لم تزل تبحث عن الطريق المستقيم وأنها لم تكن قد بلغت بعد لغاية ذلك العهد لتمام الاهتداء الى سواء السبيل اللهم الا بشئ قليل

وبعد انقراض هذه العائلة الملوكية الثانية كانت قد جاءت عائلة ملوكية ثالثة أصلها من مدينة منفيس وأخذت بزمام الولاية المصرية فى تلك الحقبة العصرية ومن هذه العائلة الملوكية كان أول من خرج فيما يعرف من **الفراعنة الفاتحين للممالك الاجنبية** من تلك الارض الفرعونية وذلك انه عثر فى صخور جبل الطور على نقش بارز يشاهد فيه تمثال الملك المسمى باسم **اسنفرو** (بهمزة مكسورة فى أوله يليها سين مهملة ساكنة فنون موحدة فوقية ممالة على فاء موحدة فراء مهملة يليها واو فى آخره) **الذى هو الملك السلف لآخر ملك من ملوك العائلة الملوكية الثالثة**

مصوّراً على هيئة الزاجرا قبائل عرب البوادى الكائنة بالشمال الغربى من بلاد العرب وقد استدل بما حصل عليه العثور من العمارات المعاصرة للعهد المذكور على ان هيئة التمدن المصرى فى ذلك العهد الدهرى كانت قد بلغت من درجات التمام وحسن الانتظام لمثل ما كانت قد صارت عليه فى مدة اقتناح ديار مصر بدولة الفرس والمقدونيين (أى اليونان أو الروم) غير انها كانت فى ذلك العصر متكيفة بكيفية خصوصية وصفة شخصية قائمة بجامع جميع العلامات التى تدل على انها قديمة جداً متوغلة فى حيز وجود سابق طويل من سالف الدهر وبيان ذلك ان سكان وادى النيل كانوا قد بلغوا فى ذلك العصر لتأنيس سائر أنواع الحيوان النافعة لنوع الانسان بل وبعض أنواع حيوانية من ذوات الثدى لا تعرف لنا الآن الا بالحالة الوحشية فمن ذلك أنهم كانوا يستخدمون البقر والطيور العوامة فى مصالحهم منذ مدة مديدة وكان المقتنون منهم لتلك الحيوانات قد توصلوا الآن تحصلوا من كل نوع من هذه الانواع على أصناف عديدة وكانت اللغة المصرية قد تكونت تكوناً تاماً وتحصلت تحصلا منتظماً بما هى عليه من الصفات الخاصة بها وتميزت عما سواها من سائر اللهجات المجانسة لها

مطلب عمر الاهرام الكبيرة وبيان تاريخ انشاء هذه العمارات الشهيرة - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فيما سطره بمختصر تاريخه القديم وانشاه ما معناه

فلما جاءت العائلة الملوكية الرابعة وهى من مدينة منفيس أو منف كالثالثة استنار تاريخ الديار المصرية وتكاثرت بها العمارات الاثرية وفى ذلك العصر كان انشاء الهرمين العظيمين اللذين انشأهما فى أرض مصر بجوار مدينة منفيس الملوك الثلاثة المصريون وهم الملك **كيوپس** (بامالة الكاف على ياء مثناة تحتية فواو فباء فارسية بعدها سين مهملة فى آخره) والملك **كفرين** (بامالة الكاف على فاء موحدة) والملك **ميسيرينوس** فأما كيوپس فقد كان ملكاً حربياً كما دل على ذلك ما عثر عليه بصخور جبل الطور من النقش البارز الذى فيه مسطور ما يشهر نصرات الملك المذكور على قبائل البدوان العربية حيث كانوا يناوشون نزائل العمال المصريين الذين كانوا متوطنين بذلك القطر من أرض مصر لقصد استخراج معادن النحاس التى كانوا يعملون عليها فى ذلك العصر والذى خلد ذكر هذا الملك على ممر عدة قرون من الدهر انما هو الهرم الذى أنشاه وشيد بناه حيث تحقق بذلك ان يتخلد اسمه ما دام يوجد على ظهر الدنيا نوع بشر وذلك ان مائة الف عامل كانوا يعملون كما يقال بطريق التبادل فى كل شهر على اعمال هذه العمارة الهائلة مدة ثلاثين سنة كاملة من العمر لقصد أن تكون له بمنزلة القبر ولقد صارت اعجب المصنوعات التى صنعتها ايد الناس من العمل من حيث جسامتها الأقل وان ما يدل عليه بناء الاهرام من تقدم قدماء المصريين فى فن العمارات لعظيم جداً ولم يكن قد فاقهم فيه احد أبداً حتى فى عصرنا هذا

حيث

حيث انه مع ماوصلت اليه العلوم من درجات التقدم لم يزل يصعب حل مسألة كون المهندسين المعمارية من قدماء سكان الديار المصرية كيف توصلوا الان يبنوا فى مجسم عظيم كالاهرام بيوتاودهاليز فى باطنها لم تزل على ما كانت عليه من كمال الحال الاصلى وحسن الانتظام الاولى ولم يعتروها أدنى خلل فى أى مكان منها كان بعد نحو ستين قرنا من الزمان مع ماعليه مجسم تلك الاهرام من التحمل بثقل ملايين من الكيلوجرام (والكيلوجرام ألف جرام والجرام عبارة عن نحو ثلث درهم بالوزن المصرى) .

وبالجملة فان عصر العائلة الملوكية الرابعة هذه هو نقطة أوج تاريخ مصر فى سالف الدهر والظاهر ان ما كانت قد بلغت اليه الديار المصرية فى عهد ملوك هذه العائلة الملوكية من العظمة والثروة الداخلية كان أمرا عظيما جدا كما يدل عليه عماراتهم العجيبة وتأسيساتهم الغريبة وكانت حدود مملكتهم تمتد لغاية جنادل النيل غير ان قاعدة دولتهم كانت بمدينة منف أو منفيس ومركز حياة سلطنتهم باقيا حواليها لاغير

مطلب بيان كيفية تمدن ديار مصر فى ذلك العصر — وقد كانت عمارات العائلة الملوكية الرابعة هذه التى مكثت حاكمة على الديار المصرية مدة ٢٤٨ سنة وعمارات العائلة الخامسة التى كانت كذلك منفيسية وقد أقامت مستولية على كرسى المملكة المصرية مدة ٢٥٨ سنة مع ما كانت عليه تلك العائلة الملوكية الرابعة من درجة التمدن المرتفعة عديدة جدا وذلك انه قد استكشف بفأس العمال حول مدينة منفيس عدة قبور تحت الارض لجملة أناس من اعيان ذلك العصر كانوا من أرباب المناصب العالية فى دولة ملوك هاتين العائلتين من فراعنة مصر وبها استدل على ان الجمعية البشرية المصرية فى تلك الاعصار الغابرة جدا من الحقب الدهرية كانت متكيفة بهيئة سيادية تامة وذلك ان القوة النفوذية أعنى ان ولاية أمر العامة بتلك البلاد كانت منحصرة بيد طبقة عسكرية قليلة الافراد يذعن لها بتمام الطاعة والانقياد سائر الطبقات الاهلية من الامة المصرية وكانت تلك الطبقة الجندية على درجات قرابية بعيدة اوقريبة كلها تنتسب لاصل العائلة الملوكية الاصلية وكانت افراد هذه الهيئة السيادية بصفة كونهم ارباب اوسية عظيمة اعنى اصحاب املاك جسيمة يقطعهم السلطان اياها بشرط أن يكونوا تحت الامانة والطاعة له يتوارثون جميع المناصب العلية والوظائف السفية العسكرية والسياسية ويتعاقبون من الآباء الى الابناء على ولاية الاقاليم المصرية بل تغلبوا أيضا على الوظائف القسيسية واحتكروها لانفسهم كسائر الطوائف السيادية السالفة فى مدة الاعصار الوثنية وذلك ان ما عثر عليه بالاستكشاف من قبور الملوك المنفيسيين والاعيان المصريين السالفين فى مدة العائلة الملوكية الرابعة والخامسة انما يشاهد على جوانبها صور ومناظر من أطوار الحياة البشرية المنزلية والزراعية وبواسطة هذه التصويرات تيسر لنا أن نقف على اسرار كيفية وجود الهيئة

السيادية التى كان عليها أعيان اهل مصر منذ ستين قرنا من الدهر وتتفرج على ما كانوا يتخذونه فى حبالكهم وأملاكهم الارضية من متسع الضياع والمواطن الزراعية ونعرف زراعتهم حيث يعد فيها رؤس المواشى بالآلاف وتوجد فيها الحيوانات ذوات القرون الفارغة والطير المسمى بالكركى والاوز ومن سائر الاصناف يقتنونه فى منازلهم بالحالة التأنسية ويعتنونه على اختلاف الجنسية ونشاهدهم ذاتهم فى داخل مساكنهم الجيلة محاطين بغاية الاحترام والطاعة من أتباعهم بل يصح أن يقال من عبيدهم ونعرف أنواع الازهار التى كانوا يزرعونها فى بساتينهم واطقمة المغنيات والراقصات وأنواع الملاهى التى كانوا يحوزونها فى منازلهم لترويح أنفسهم ونراهم من أشد غواة الصيد والقنص وغير ذلك

مطلب ذكر اواخر الدولة المصرية القديمة ـ قال المؤرخ فرانسيس لونورمان ـ وبانتهاء مدة العائلة الملوكية السادسة انتهت المدة التاريخية الحقيقية التى يطلق عليها اسم الدولة القديمة المصرية وذلك ان الديار المصرية بمدة عهد العوائل الملوكية الخمس الاولى كان الظاهر ان حالة السلم الداخلية كانت فيها قد بلغت الى درجة التمام وان حالة البلاد كانت فى غاية الانتظام وان أرباب الوسايا الكبار كانوا منضبطين تحت الطاعة والوقار والرعايا محمايين لثقل الظلم والصغار وكذا العمل الذى كان يجبرهم عليه كبرولاة الامور المنشئين للاهرام حتى جاءت العائلة الملوكية السادسة فظهرت فى عهدها اوائل الفتن الاهلية والمحن الداخلية والظاهر ان مدة حكم الملوك الاولين من أعضاء هذه العائلة الملوكية قد كانت ساكنة وان البلاد كانت فى عهدهم آمنة مطمئنة ومنهم الملك المسمى باسم **فيوپس** (بفتح الفاء الموحدة فى أوله يليها ياء مثناة تحتية فواو فباء فارسية فسين مهملة فى آخره) حكم ديار مصر مدة قرن كامل من الدهر وهذه حادثة تاريخية فريدة لم يعهد لها نظيرة معهودة فى تاريخ العالم بتمامه وقد كانت مدة حكمه هذه على ديار مصر لا تخلو عن فخر اذ وقف له على آثار بعض عمارات نص فيها على انه غزا بعض غزوات وانتصر عدة نصرات على أقوام الزنوج المتوطنين بصعيد وادى النيل الاعلى وغيرهم من القبائل الرحالة النزالة الواردين من نواحى بلاد آسية حيث كانوا يسعون بالفساد على ثغور البلاد من تلك الجهات غير انه قد كان فى مدة عهد هذا الملك المديد اذ قام رجل من ذوى البغى والطغيان يقال له ا **كتويس** (بفتح الهمزة فى أوله) ورفع لواء العصيان بمدينة هيرقلو پوليس أو هيرقلية الصغرى (مدينة مصرية قديمة كانت موضوعة على مسافة ٢٥ كيلومترا من شرقى مدينة تانيس وهى المسماة الآن باسم أهناس المدينة) بنواحى الدلتة النيلية .وعزل من بلاد السلطنة الفرعونية عدة أقاليم مصرية واتخذها لنفسه مملكة خصوصية وجاءت بعد الملك فيوپس هذا المملكة المصرية المسماة باسم **نيتوكريس** (بكسر النون الموحدة فى أوله) **المعروفة فى التواريخ** بنعت (الحسناء ذات الخدود الوردية) وقد اطرى القسيس مانيتون المصرى والمؤرخ

هيرودوت اليونانى ما كانت عليه هذه المملكة من درجة الحكمة والكمال وشدة الحسن والجمال فأرادت ان تجتهد فى اطفاء نار الفتنة والاختلال وكانت قد اشتعلت حتى وصلت الى كرسى المملكة الفرعونية الاصلية فلم تبلغ تلك الامنية بل أدركتها المنية فى اثناء المباشرة لهذا العمل فهلكت وقد خاب منها الامل ومكثت الديار المصرية مدة تقرب من ثلاثة قرون دهرية وهى منقسمة الى مملكتين ومتوزعة بيد دولتين متفرقتين احداهما مستولية على نواحى الدلتا المصرية والثانية على بلاد بحرى النيل الصعيدية وكانت العائلة الملوكية التاسعة والعاشرة من ترتيب المؤرخ مانيتون المصرى حاكمة على الجهات البحرية والثامنة والحادية عشرة على الجهات القبلية

مطلب بيان انحطاط درجة التمدن المصرى فى ذلك العهد العصرى قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى مختصر تاريخه القديم السالف الذكر والبيان ما معناه ومن وقت ان افتتحت حادثة تعدى الرجل الباغى المسمى باسم اكتو يس المذكور آنفا عهد الفتن الاهلية بالديار المصرية كان قد اعترى شمس التمدن المصرى فى ذلك العهد العصرى على حين بغتة منه حادثة انكساف كلى من حوادث الزمان لا يعلم لها سبب بعد لغاية الآن وذلك انه انقضت بعد ذلك مدة نحو ثلاثة قرون دهرية ونحن لا نرى للديار المصرية آثار عمارة أثرية مطلقا وكأن ديار مصر فى خلال ذلك العصر قد انمحت بالكلية من مراتب الامم والملل ولما انقضى من رقدة تمدنها هذا الاجل كأنه قام يستأنف السير فى طريقه بالثانى بدون ان يقفوا أثره الماضى

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور وفى عبارة المؤلف ماربيت المشهور (وهو ماربيت بك ناظر الانتيقخانة المصرية الكائنة الآن على ميمنة نهر النيل ببولاق مصر المحمية اى ناظر مخزن الآثار القديمة الفرعونية وهو من لدن الحضرة الخديوية بالحفر والبحث عن المواد التى يحصل عليها العثور فى الاطلال القديمة المعروفة بالكفرية لقصد الاستدلال بها على الحقائق التاريخية العلمية مأمور) ما نصه كما هو بعد مسطور

«ولعمرى ان المنظر الذى يظهر من حال ديار مصر فى عهد الدولة المصرية القديمة لهو جدير جدا بأن يقف عليه الناظر البصير وذلك انه بينما كان سائر جهات الارض المعمورة فى الحقبة المذكورة منغمسين فى ظلمات التوحش والبداوة وكان أشهر الملل والامم الذين صار لهم فيما بعد فى المصالح الدنيوية من العناية والمدخلية المنصب الاعظم لم يزالوا بعد متلبسين بالحالة الوحشية كانت سواحل نهر النيل تظهر لعين الرائى فى منظر حسن جميل ومرأى زاه زاهر جليل تغذى قوما من الناس فى سالف تلك الحقب أولى حكمة وتمدن وأدب ودولة ذات شوكة قوية تعتمد على حسن ترتيب هائل من أرباب المناصب والعمال الدولية تحكم فى نوازل الملة بالاسباب والادلة ومن أول وقت لحظنا فيه هيئة التمدن المصرية «فى سالف تلك الاعصار الدهرية» ولو بلغت ما بلغت

من التوغل فى الاعصار الماضية لم نزل نراها بحالة كمال على وجه بحيث تكاد ان لا تحتاج لاكتساب فائدة جديدة من الاعصار التالية وان كانت ايامًا كانت عديدة بل ربما صح ان يقال ان تمدن ديار مصر من بعض الحيثيات اعتراه التناقص والانحطاط حيث صار لا يبنى فى عصر من الاعصار من العمارات مثل الاهرام» (انتهى معربا)

الفصل الثانى

فى تاريخ الدولة المصرية المتوسطة

مطلب يقظة تمدن مصر فى سالف ذلك العصر - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور اعلاه فى مختصر تاريخه الصغير ما معناه «فى وقت ان كانت الدولة المصرية القديمة قد ظهرت الى تلك الدرجة العظيمة من ذلك العهد لم تكن مدينة طيبة الصعيد توجد بعد والظاهر ان تلك المدينة التى كان المصريون يعتقدونها حرما للمعبود هم المدعو باسم **آمون** كان أول تأسيسها فى مدة الاختلال والخول التى اعترت الديار المصرية بعد العائلة الملوكية السادسة حسبما هو آنفا منقول وكانت هى أول مهد لتلك النشأة الثانية التى نتج عنها اشراق الملك والتمدن المصريين بالثانى وقد جرت عادة المؤرخين بالتعبير عن تلك المدة فى اصطلاحهم بمدة الدولة المصرية المتوسطة وكأنها هى مدة القرون الوسطى بالنسبة لديار مصر العتيقة وان كانت سابقة على كل تاريخ يعهد فى الحقيقة وقد كان من مدينة طيبة هذه منشأ الملوك الستة الذين قاتلوا عصبة البغاة الخارجين على الدولة المصرية الاصلية مع غاية الهمة والثبات بالاقاليم البحرية وغيرهم بحسب التخمين من الغزاة المتعدين على الديار المصرية من ملوك البلاد الاجنبية وكانت عاقبة أمرهم ان استرجعوا دولة مصرهم لايديهم بالثانى قال المؤرخ ماريت بك (فى مختصر التاريخ القديم الذى ألفه للديار المصرية بأمر الحضرة الخديوية) ما تعريب عبارته هكذا

«وفى العهد الذى تشاهد فيه الديار المصرية بعد العائلة الحادية عشرة الملوكية قد استيقظت من طول رقدتها كانت الروايات المأثورة فيها من قديم الزمان قد انزوت فى زوايا النسيان وحدثت أمور أخرى جديدة فتبدلت أسماء الاعلام التى كانت معتادة للمصريين فى تسمية العائلات الاهلية وتغيرت الالقاب والنعوت بالوظائف التى كانت تعطى لارباب المراتب المصرية وأصحاب المناصب الميرية وتغير كل شئ فى مصر بذلك العصر حتى كيفية الكتابة الاهلية وحقيقة الديانة الملية وزالت وظيفة قاعدة المملكة السلطانية عن كل من مدينتى تينيس وايليفنتين (جزيرة أسوان) ومنفيس وصارت بمدينة طيبة من غير سابقة ذكر لها فى المأثورات المصرية السابقة هى قاعدة السلطنة الفرعونية وكرسى الشوكة المصرية السلطانية غير ان دولة مصر فى ذلك

العصر كانت قد زالت يدها عن كثير من أملاكها الارضية وصارت مملكة ملوكها الحقيقيين لا تمتد على غير مقدار يسير لا يتجاوز حدود القطر المعبر عنه بلفظ الطيبايد (أى البلاد الطيبية بمعنى الصعيد) ولقد أكد النظر فى العمارات العصرية التى حصل الوقوف عليها فى ذلك العهد للديار المصرية تلك الملحوظات العمومية كل التأكيد وقضية ذلك ان تلك العمارات لم يزل يتظاهر عليها اشارات الغشامة والقساوة و يتبادر منها علامات الغلظ والبداوة و بالاطلاع عليها يظن الناظر اليها ان الديار المصرية فى عهد العائلة الحادية عشرة الملوكية قد عادت تستأنف ما كانت قد تلبست به من حالة الطفولية فى عهد العائلة الثالثة الملوكية » (انتهى معربا من تاريخ مصر القديم للمؤرخ ماريبت بك)

مطلب ذكر العائلة الملوكية المصرية الثانية عشره ــ قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أعلاه بعد ذلك ما معناه

ثم جاءت بعد ذلك عائلة ملوكية أخرى هى بحسب الحدس والتخمين لهؤلاء الملوك الطيبيين الاولين فى النسب من الاقربين وأصل منشأهم كلهم من مدينة طيبة الصعيد المذكورة وهى التى يعبر عنها فى اصطلاح المؤرخين بالعائلة الملوكية الثانية عشره وسائر ملوك هذه الدولة المصرية كلهم يدعون أما باسم **اوزورتوزان** او باسم **آمونهه** وكانت قد أقامت على كرسى السلطنة مدة **٢١٣** سنة ولقد كان عصر هذه العائلة الملوكية على الديار المصرية من السعادة والرفاهية وحسن الانتظام والسلم فى الامور الداخلية والهيبة الفرعونية لدى الممالك الاجنبية على وجه تام وذلك ان ملوك العائلة الحادية عشرة المصريه هذه كانوا قد استردوا ما كان بأيدى الدولة المصرية السالفة من بلاد الجزيرة العربية الشماليه الغربية وكانت قد انفلتت من ايديهم فى مدة الفتن الاهلية والمحن الداخلية التى كانت قد اعترت الديار المصرية فى سالف الحقبة العصرية وادخلوا تحت الطاعة الفرعونية بالطريقة القطعية بلاد النوبة مع جزء من بلاد الايتيوبية وانشأوا بعض عمارات اثرية عجيبة وابنية غريبة تضاهى من حيثية الغرابة عمارات العائلة الملوكية الرابعة وان كان بعضها أعلى منها درجة من حيث كونها نافعة فمن ذلك المغارة المشهورة والبركة المذكورة كل منهما باسم مغارة موريس و بركة موريس (بنواحى الفيوم) حيث كان انشاء هاتين العمارتين العجيبتين و بناء هذين الاثرين الغريبين فى عهد ملوك هذه العائلة الملوكية على وجه بحيث يتخلد بهما منهم الذكر ويبقى لهم بهما الفخر فيما بعد على ممر الدهر

مطلب الكلام على بركة موريس وأصل الباعث على أنشاء هذا الاثر النفيس ــ قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى هذا الشأن ما تعريبه هكذا.

فأما بركة موريس فقد كانت معدودة عند الامم الاقدمين من عجائب ديار المصريين وكانت مع ذلك من انفع المصنوعات الاثرية المأثورة عن المملكة الفرعونية المصرية وبيان ذلك كما أوضحه المؤرخ مارييت بك فى مختصر تاريخه القديم المذكور ونص عبارته (معربة) كما هو بعد مسطوره «انه فى ذلك العصر قد كان نهر النيل بديار مصر اذا كانت زيادته الدورية غير كافية لرى الاراضى الزراعية بقى بعض الاراضى بدون رى وصار بالضرورة غير منزرع واذا خرج النيل عن مجراه الطبيعى بشدة طغيان قلع القناطر والجسور وافسد الترع والخلجان وأغرق القرى والبلدان وأجدب الاراضى الزراعية بدلا عن ان يخصبها وكانت ديار مصر على ممر الدهر لا تزال مترددة بين آفتين هائلتين متحيرة بين طامتين غائلتين فلما ولى ديار مصر الملك المسمى باسم امونمهه الثالث من ملوك العائلة الملوكية الثانية عشرة استيقظ لهذه المضرة فانشأ لتداركها عمارة جسيمة جدا وذلك انه يوجد فى غربى الديار المصرية بسلسلة الجبال الليبية واحة متسعة من الارض الصالحة للزراعة وهى ما يدعى الآن بالفيوم تتصل بأرض الوادى الذى يرويه ماء النيل بما هو أشبه ببرزخ من الارض كما هو من المعلوم وكانت تلك الواحة ضائعة لا انتفاع بها فى وسط تلك الصحرا وفى وسط الواحة المذكورة هضبة متسعة تساوى درجة استواء سطحها درجة استواء سطح أرض وادى مصر المنزرعة على وجه العموم وعلى جهة الغرب منها منخفض عظيم من الارض يتكون منه واد توجد فيه بركة طبيعية تبلغ عشرة فراسخ طولا وهى التى تسمى **بركة قارون** ففى وسط الهضبة المذكورة شرع الملك امونمهه الثالث فى ان يحفر حفيرة أو بركة أخرى صناعية على نحو عشرة ملايين من الفراسخ المربعة فتم هذا العمل وصار النيل اذا جاءت زيادته غير كافية لرى الاراضى المصرية المنزرعة توجهت تلك البركة المصطنعة فسالت المياه المخزونة فيها وسقت أرض الفيوم وغيرها من أراضى الشاطئ الايسر من النيل لغاية ساحل بحر سفيد وان جاءت الزيادة فوق الحد المحدود وخشى على القناطر والجسور من هذا المحذور تركت مخازنها المتسعة مفتوحة حتى اذا طفا الماء على شواطئها انصرف ما يفيض من تلك البركة الصناعية بواسطة قنطرة الى بركة قارون الطبيعية» (اه منقولا من تاريخ مصر القديم للمؤرخ ماريت بك)

مطلب ذكر ما عثر عليه من العمارات الاثرية المنسوبة الى هذه الحقبة الدهرية ـ قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى مختصر تاريخه القديم السالف الذكر والبيان ـ لا مناقضة الآن فى ان عصر العائلة الملوكية الثانية عشرة قد كان فى تاريخ الديار المصرية من أعظم الاعصار بل يصح ان يقال قولا لا يخشى عليه من رد ولا انكار بأن تمدن الدولة الفرعونية فى تلك الحقبة الزمنية كان قد بلغ الى أعلى أوج الافتخار وأتم درجة الانتشار والازدهار غير ان غارة الملوك

المعروفين فى تاريخ الديار المصرية بالملوك الرعاة الذين جاؤا من جهة بلاد آسية وتغلبوا على بلاد وادى النيل بعد ذلك بقليل كانوا كما يظهر قد وجهوا جل همتهم واعملوا شدة فظاظتهم وغلظتهم نحو اتلاف كل ما يبقى به للملوك العائلة الثانية عشرة هذه أدنى ذكر وأثر فاقتفوا آثارهم واخربوا ديارهم وأزالوا ما كان هؤلاء الملوك المصريون قد أنشأوه من الابنية العظيمة والعمارات الجسيمة حتى انهم لم يبقوا لهم أثرا عظيما مطلقا من معبد ولا غيره ومع ذلك فقد حصل العثور لحالة الصنائع والفنون المصرية فى العهد المذكور على مقدار كثير من النموذجات والعينات المفيدة فى جملة اعمدة اثرية عديدة وجدت فى قبور بعض الموتى من آحاد الناس ولم يزل يوجد منها العدد الكبير فى ذات القبور الكائنة بالناحية المشهورة ببنى حسن من بلاد الصعيد المصرية وقد نقل منها شئ كثير الى مخازن الانتيقخانات الاوروبية

وهذه المقابر العجيبة والملاحد الغريبة هى مقابر بعض اناس من اعيان قدماء المصريين كانوا متقلدين بأعلى المناصب الميرية وأكبر المراتب العمومية فى الدولة المصرية وكانوا يعيشون عين كيفية المعاش السيادية التى كان عليها الامراء العظام والاعيان الكرام فى عهد الدولة المصرية القديمة أعنى على الوجه الذى هو من سالف ذلك العصر معهود من انهم كانوا يعيشون بمنزلة الاسياد وباقى الرعية لهم بمنزلة العبيد بل كانت حالة وجودهم الاجتماعية قد آلت بحسب الظن فى هذا العهد من الزمن من أنواع الحكومات الدولية الى صورة الحكومة الاعيانية الوراثية التامة فمن ذلك قبر رجل من ارباب الوظائف العامة يقال له **آمينى او آمونى** (بمدّ الهمزة فى أوّله يليها ميم ممالة على ياء مثناة تحتية ساكنة او مضمومة يليها واو ممدودة ثم نون موحدة بعدها ياء مثناة تحتية فى آخره) وجد فيه عمود من هذا القبيل مسطرا عليه بالقلم المصرى القديم نص اثر طويل يحكى فيه مناقب حياته بنفسه قائلا « انه بوظيفة قائد عسكر غزا غزوة بلاد السودان ونيط اليه أمر خفر القوافل الحاملة لمعادن الذهب المجلوبة من بلاد النوبة الى مدينة قبط (المسماة باسم قبطوس عند اليونان) » واختصر قصة مدة حياته بوظيفة عامل اقليم من الاقاليم المصرية (المعبر عنها الآن بالنظار المديرية) بقوله « وقد كانت جميع الاراضى الكائنة تحت ولايتى من الشمال الى الجنوب محروثة مغروسة ولم يسرق شئ من معاملتنا ولم ازعج ما عشت طفلا صغيرا ولا آذيت أرملة قط بل أعطيت عطائى للارملة والمتزوجة بالسوية ولا قدمت كبيرا على صغير فى جميع الاحكام التى صدرت عنى » (انتهى نص كلامه معربا بمعناه حسبما نقله المؤرخ ماريت بك فى تاريخ مصر القديم ورواه)

مطلب — ما حصل فى نظام الدولة المصرية المتوسطة من الاختلالات الاهلية والفتن الداخلية

ثم بانقراض العائلة الملوكية الثانية عشرة عادت الفتن الاهلية والمحن الداخلية فى الدولة المصرية بالثانى وذلك ان العائلة الملوكية الثالثة عشرة وعدة ملوكها ستون ملكا كلهم من مدينة طيبة وسائرهم الا قليلا منهم يسمى أما باسم سيبخوطيب أو باسم نيفروطيب (باما لة الطاء المهملة على ياء مثناة تحتية يليها باء موحدة فى آخره) هى وان كانت قد ابتدأت مدة ولايتها على كرسى الدولة الفرعونية بالاستيلاء على جميع أراضى الديار المصرية من غير منازع ولا شريك بالكلية بل كانت قد امتدت حدود المملكة المصرية فى تلك الحقبة العصرية من الجهة الجنوبية والشمالية بدليل ما عثر عليه مما هو من قبيل الصور الهائلة (المعروفة بابى الهول) المصور فيها ملوك هذه العائلة الملوكية فى المكان الكائن فيه اطلال مدينة تأنيس (سان) باقصى جهة الشمال الشرقى من ديار مصر وفى جزيرة ارجو (بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة) على القرب من دنقلة غير انها بعد مدة يسيرة من ولايتها كانت قد قامت عليها فى الجهات البحرية من الديار المصرية عائلة ملوكية باغية أصلها من مدينة اكسويس (بكسر الهمزة فى أوّله وهى الآن سخا) وهذه العائلة الملوكية الحادثة هى المعدودة فى ترتيب المؤرخ مانيتون المصرى بالرابعة عشرة

مطلب ذكر غارة الملوك الرعاة على الديار المصرية «من القرن الحادى والعشرين فنازلا الى القرن السابع عشر ق م» — وفى هذه المدة الدهرية كان قد اعترى الديار المصرية مصيبة هائلة وبلية غائلة هى أعظم المصائب وأدوم النوائب المسجلة فى سجلات تواريخها السنوية حيث جاءت فقطعت ثانى مرة ما كان حاصلا على شواطئ النيل من سير التمدن الجميل ومحت ديار مصر من مراتب الملل والامم مدة حقبة من الدهر وبيان ذلك ان عدة من قبائل العرب والشام الرحالة النزالة وكان من أعظمهم شوكة وأفواهم عصبية الاقوام المسمون بالهيثيين من بنى كنعان انتهزوا الفرصة مما كان واقعا بين العائلة الملوكية الطيبية والاكسويسية من العداوة والاختصام وما ترتب على ذلك فى تلك البلاد بالضرورة من اختلال النظام فجاءوا الى الديار المصرية وأغاروا عليها وأدخلوها تحت طاعتهم وهذا هو ما يعبر عنه فى اصطلاح اهل التاريخ الاوروباويين بغارة الملوك الرعاة على الديار المصرية (ويقال له عند المؤرخين الاسلاميين ملك العمالقة على ديار مصر) وهو آخر مدة الدولة المصرية المتوسطة وقد كان من اخبار الملوك الرعاة المذكورين انهم بعد أن تمكنوا من ديار مصر أخذوا فى أوّل الامر كما فعل التتار ببلاد الصين فى انهم وجهوا جل همتهم واعملوا كل فظاظتهم وغلظتهم نحو اتلاف كل ما قابلهم من عمارات القوم السالفين ثم انتهى أمرهم بعد مدة يسيرة من السنين بان أذعنوا الى تمدن القوم المغلوبين وتخلقوا بالاخلاق المصرية وتعودوا بالعوائد البلدية الاهلية فاتخذوا لهم مثل العائلات الملوكية المتقدمة بيوت ملك منتظمة وكانت جهة الصعيد لم يزل بها من القوم المصريين الاصليين من لم يطرأ عليه شائبة اختلاط الدم الاجنبى

الاجنبى فبقيت فيه العصبية الاهلية والشهامة الاصلية فقام منهم قوم على هؤلاء الاغراب بمقر مملكتهم وخرجوا عن طاعتهم وانقسمت البلاد الى مملكتين وانتظم فيها أمر دولتين مميزتين احداهما فى الجهة الجنوبية وهى مصرية محضة قام بها ملوك العائلتين الملوكيتين الطيبيتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة وكانت قاعدة ملكها مدينة طيبة والثانية بالجهة الشمالية بيد الملوك الرعاة وقاعدة ملكها مدينة تانيس (سان) المسماة أيضا مدينة أواريس وقد كان فى مدة دولة احد اواخر هؤلاء الملوك الرعاة المسمى باسم **ابوفيس** ان حضر يوسف بن يعقوب الى الديار المصرية فصار له وزيرا وتوطنت عائلة يعقوب على الشواطئ النيلية ودليل ماذكر اعلاه انه لم يعثر لغاية الآن للملوك الرعاة على آثار عمارات ولا بنيان اللهم بمدينة تانيس هذه التى كانوا قد اتخذوها قاعدة مملكتهم وجعلوها كرسى سلطنتهم ولقد اتضح بالاطلاع على الآثار المذكورة ان صناعتها كانت أجل وان العمل فيها كان ادق وأكمل من العمارات المأثورة عن العائلات الملوكية المعاصرة لها بالجهات القبلية وماذلك الالداعى ان المملكة التى كانت بيد نسل هؤلاء القوم البغاة كانت بالضرورة أغنى وأهنأ واثرى وامرأ مما كان قد بقى بيد دولة الملوك المصرية الاصلية من بعض الاقاليم الجنوبية التى كانت لم تزل تقاتل مع غاية المشقة والجهد لقصد خروجها عن طاعة الملوك الرعاة

ولقد يشاهد فى تلك الآثار من صحيح الاخبار ان الملوك الرعاة المذكورين كانوا قد انتهى أمرهم بأن صاروا فراعنة حقيقيين وتلقبوا بعين الالقاب التى كان يتلقب بها أعضاء العائلات الملوكية السابقين بل تدينوا أيضا بديانة أهل مصر وادرجوا بطريق القهر فى ضمن معبوداتهم المصرية الملية وأصنامهم الاهلية ما كانوا يعبدونه فى بلادهم الاصلية من الاله المسمى باسم (سيت) وانتهى امره بأن بقى مندرجا فى جملة معبوداتهم الاهلية بالطريقة القطعية لا على وجه كونه فى أول مرتبة الالوهية كما أرادوا أن يجعلوه فى أول الامر ولكن بدرجة ثانويه ولقد كانت اخلاقهم وعوائدهم هم ورعاياهم هى عين عوائد المصريين الاصليين مع بعض عوائد خصوصية قليلة كانوا قد حضروا بها من أقطار آسية التى هى اوطانهم الاصليه

مطلب انقاذ الديار المصرية من يد الملوك الرعاة — كانت ديار مصر قد مكثت مدة اربعمائة سنة من الدهر منقسمة بين القوم الاغراب البغاة المعروفين بالملوك الرعاة والملوك المصريين الاصليين من القوم الصعيديين بل كان هؤلاء القوم المذكورون فى أكثر تلك المدة ليسوا بانفسهم مستبدين بل كانوا اتباعا لدولة القوم المتغلبين حتى جاء وقت أحس فيه القوم البلديون بأنهم صاروا من البأس والقوة على درجة بحيث يمكنهم أن يتخلصوا من ربقة القوم الباغين الذين هم عليهم من بلاد آسية من الاغراب الطارين وكان قد قام على كرسى مملكة طيبة الصعيد بيت ملك جديد كان أربابه أولى شجاعة تامة وبأس شديد وأصحابه ذوى

حرب عنيد فكان أول من تقلد منهم بتاج المملكة الصعيدية الملك المسمى باسم **اموزيس** (بعد الهمزة فى أوله بعد ها ميم فواو فزاى معجمة فياء مثناة تحتية فسين مهملة فى آخره) وكانت حادثة تقليده على المملكة قد اشتهرت بحرابة لقصد انقاذ الوطن يظهر انها وان كانت غير مستطيلة لكنها كانت حربا شديدة وذلك ان الملك آموزيس هذا غلب الملوك الرعاة وظفر بهم واستولى بطريق العنوة على قاعدة ملكهم وادخل تحت طاعته سائر البلاد المصرية لغاية حدود أرض كنعان وانتقلت علية القوم الرعاة الى ما وراء برزخ السويس وفروا الى بلاد آسية ورخص الملك آموزيس لمن بقى منهم فى حيازة قطعة من الارض كان اسلافهم قد تغلبوا عليها ليزرعوها ويتعيشوا منها قال المؤرخ مارييت بك المذكور أعلاه فى هذا المقام ما معناه ولقد تكون منهم فى شرقى الاقاليم البحرية من الديار المصرية نزلة اجنبية بالشروط التى كان قد اقام عليها بديار مصر بنو اسرائيل فى ذلك العصر غير انهم لم يكن لهم حادثة هجرة وطنية اى قصة خروج من ديار مصر حكيت فى سفر مخصوص من التوراة مثلهم وبالتقادير الازلية العجيبة نرى انهم هم الاقوام الغريبة اولو البنية القوية والوجوه الكشرة المستطيلة الذين هم لغاية الآن على شواطئ بحيرة المنزلة سكان (اه)

الفصل الثالث

فى الدولة المصريه الحادثه

مطلب — ذكر العائلة الملوكية الثامنة عشرة المصرية (اعنى تاريخ ديار مصر فى القرن السابع عشر **ق م** من سالف العصر)

اعلم ان حادثة طرد هؤلاء القوم البغاة المعروفين فى تاريخ الديار المصرية بالملوك الرعاة هى أول البشرى العظيمة بقدوم مدة حكم العائلة الملوكية المصرية الفخيمة المعدودة بالثامنة عشرة وذلك ان الملك آموزيس بعد ان أعاد حدود السلطنة الفرعونية الى درجة كمالها الاصلية التفت لاصلاح الاحوال الداخلية وجبر ما اتلفته يد الغارة الاجنبية فأعاد عمارة مدينة منفيس بالثانى وكانت قد أخربها الملوك الرعاة المذكورون واشاد المعابد والهياكل فى سائر المحال وكانت قد صارت من قبيل الاطلال واستمر على أعمال العمارة والانشاء بالثانى سائر خلفائه الذين اقتفوا آثار من الملوك الاولين المدعوين باسم الفراعنة **الطوطمسيين والآمينوفيسيين** حيث كانت الديار المصرية فى مدة عهد هؤلاء الملوك المصريين ايضا قد دخلت فى طريق الفتوحات وشنت جيوشها على بلاد آسية أشد الغارات وكأن ذلك لقصد ان تنتقم لنفسها مما فعله بها تعدى هؤلاء البغاة فاستولت على جميع ارض كنعان

وتعدت الى ما وراء صحارى الشام من البلدان واغارت على الاسوريين (العراقيين) ببلاد الجزيرة وقد كانوا لم تبلغ لدرجة الكمال دولتهم ولم تتم مادة تكوين مدنيتهم وان كانوا فى ذلك العصر قد استولوا على مدينتى نينوى و بابل ومن مغازيهم هذه كان المصريون قد جاؤا والى الديار المصرية بنوع الفرس حيث لم يشاهد له رسم فى تصويراتهم ولا عهد له ذكر فى تذكيراتهم بعد بل يظهر انه قد كان امرا مجهولا لهم لغاية ذلك العهد

مطلب — ذكر فرعون طوطميس الثالث (اعنى تاريخ الديار المصرية فى نحو سنة ١٦٠٠ **ق م** وكان قد حكم الملك المذكور على ديار مصر مدة نصف قرن من الدهر)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور اعلاه ما معناه ان اعظم ملوك ذلك العصر ولربما صح ان يقال ان اعظم من تسجل له ذكر فى سجلات التواريخ السنوية بديار مصر هو الملك المسمى باسم **طوطميس** او **توتميس** الثالث (بالطاء المهملة او بالتاء المثناة التحتية) وكان الملك المذكور قد صعد على كرسى مملكة مصر بعد مدة طويلة من الدهر قد أقامها وهو بحالة القصور فاستولت على المملكة المصرية بالطريقة التوكيلية اخته المسماة باسم **هاتاسو** وكانت عاقبة امرها ان تغلبت على سائر الامر من ولاية مصر حتى نال اخوها هذا أشده و بلغ رشده فوضع يده على مقاليد المملكة الفرعونية وأدار بنفسه فيها الحركة السياسية وان عمارات عهد هذا الملك لهى كثيرة جدا لا تنحصر عدا وانها الجليلة الصنعة جليلة البدعة وان ديار مصر لتظهر لعين المتأمل لها فى ذلك العصر فى صورة الحكم المرضى الحكومة والقاضى النافذ الكلمة بين سائر الامم والملل المتمدنة فى تلك الحقبة من الدهر اذ كان سائر بلاد وادى النيل الاعلى مع ما يكاد ان يكون لغاية درجة خط الاستواء الاقصى داخلا تحت قبضة ملك الفراعنة فى ذلك العصر وكانت الاساطيل المصرية بمعنى السفن البحرية قد استولت مع ذلك على جزيرة قبرس و بعد عدة غزوات لم تزل تتجدد على الدوام مدة ثمانى عشرة سنة من الاعوام كان فرعون طوطميس هذا قد أطاع لسيفه سائر بلاد آسية الغربية وكانت مملكة مصر فى مدة ولاية هذا الملك المتحلية بالعز والفخر كما هى عين عبارة بعض أرباب الادب والشعر من أهل ذلك العصر «تضع حدودها أين شاءت وتنتقل بثغورها حيث اشتهت وأرادت» وكانت تخوم سلطنتها تمتد على ما يعبر عنه الآن ببلاد الحبشة والسودان و بلاد النوبة والشام و بلاد الجزيرة (بمعنى بلاد الموصل) و بلاد العراق العربى واليمن مع أرمنية وكردستان ولم يعتر شوكة الفراعنة الخارجية ولا كيفية سعادتهم الداخلية وهيئة رفاهيتهم الاهلية فى مدة العهدين التاليين عهد الملك طوطميس الرابع والملك آمينوفيس الثالث أدنى انحطاط ولاشين حيث كانت آثار هذين الملكين كذلك تضاهى فى الكثرة واتقان الفن والصنعة آثار سلفهما هذا من غير شك ولا مين

مطلب — ذكر مااعترى الديار المصرية فى تلك الحقبة العصرية من الفتن الدينية والمحن الوطنية (فى القرن السادس عشر ق م)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى مختصر تاريخه القديم السالف الذكر والبيان وبعد وفاة الملك آمينوفيس الثالث حدثت فى أحوال الديار المصرية حادثة من أغرب الحوادث واعجب الوقائع المقيدة فى دفاتر التواريخ الفرعونية وذلك ان امينوفيس الثالث المذكور كان قد توفى عن عدة أولاد ذكور كان أرشدهم واكبرهم سنا واشدهم ولده البكرى المسمى أيضا باسم آمينوفيس فخلف أباه على تخت المملكة المصرية غيرانه فى مدة ولايته على السلطنة الفرعونية ترك نفسه بالكلية فى طاعة والدته المسماة بالملكة **طية اوتية** (بالطاء المهملة أو بالتاء المثناة الفوقية) وقد كانت غريبة المولد والحسب وليست بمصرية المحتد والنسب فشرع هذا الملك طاعة لسوء تدبيرها واذعانا لجاهها عنده وتأثيرها فى أن ينسخ الديانة المصرية المأثورة من قديم الزمان ويبدلها بالاعتقاد والايمان باله واحد يسمى اتان (بالتاء المثناة الفوقية) يعبد فى صورة اشراق جرم الشمس قال بعضهم وليس قوله هذا مبنيا على غير اسباب قوية انه هو الاله المعبود باسم آدوناى (بمد الهمزة فى أوله وتشديد الياء المثناة التحتية فى آخره) ببلاد آسية عند الامم السامية فتوجهت بامر هذا الملك عملية ظلم وتعذيب منتظمة على سائر افراد الرعية بسائر جهات السلطنة الفرعونية وأغلقت فيها معابد الاصنام القديمة ومحيت صورهم واسماؤهم التى كانت مثبتة فى أساطير تلك العمارات العظيمة خصوصا اسم وصورة الصنم الشهير المعبود باسم آمون بصفة الاله الكبير فى مدينة طيبة الصعيد وتغيرت الاسماء والنعوت المعتادة بين الناس فى تلك الاعصار الى شكل غير معهود حتى ان الملك ذاته بدل اسمه وبعد أن كان يسمى باسم آمينوفيس سمى نفسه باسم **شواناتان** ومعناه اشراق جرم الشمس وأراد أن يقطع بالكلية والجزئية كل مواصلة تربطه بمأثورات اسلافه السابقين واجداده العتيقين فترك كرسى مدينة طيبة المعهود واختط لنفسه كرسى مملكة فى مكان آخر جديد هو ما يعرف الآن باسم تل العمارنة بجهة الصعيد وبعد وفاة الملك آمينوفيس الرابع المذكور بقيت الديار المصرية بحالة اختلالية لداعى ما كان قد شرع فيه هذا الملك من تبديل عقائدها الدينية فقام ثلاثة من أعيان أرباب دولته وأصحاب المناصب العالية فى مملكته كان كل منهم متشرفا بمصاهرته أعنى متزوجا كل واحد منهم بواحدة من بناته وتعاقبوا على كرسى السلطنة بعد وفاته وتنازعوا منصب السلطان مدة حقبة من الزمان حتى قام ولده الثانى المسمى باسم **هارانهيبى** فأعاد انتظام الامر واخذ بزمام الولاية الصحيحة على بلاد مصر

مطلب — ما يظن من قبيل الآرا التخمينية من تداخل الامة العبرانية فى هذه الفتن الدينية

قال المؤرخ المسطور اعلاه فى هذا المقام ما معناه ولربما يقال هل كان للامة العبرانية بعض مدخلية فيما كان قدهم به وان كان لم يتم الملك آمينوفيس الثالث من اغرب الحوادث اعنى ماحصل منه من الاهتمام والالزام بالاعتقاد فى الوحدانية الالهية والحال انهم كانوا قد تكاثر عددهم وتوفر مددهم بمصر حيث كانوا قد توطنوها منذ عشرة اجيال من الدهر لغاية ذلك العصر والجواب عن ذلك انه لامانع من الحدس والتخمين بما هنالك بدليل ان مبدأ اضطهاد العبرانيين بديار مصر وتحميلهم باثقال الاسر والاصر حسبما روى فى ضمن قصة خروجهم من تلك الديار بالتوراة قد كان بما يكاد ان يكون من قبيل الضبط واليقين معاصرا من الزمان لوقت قطع دابر من كان قد تعدت يده للاستيلاء على كرسى السلطنة الفرعونية من هؤلاء الثلاثة الاعيان البغاة واسترداد الاخذ بالثانى بزمام الولاية الملوكية ايدى مستحقها من أهل بيت المملكة المصرية وان لنا من التخامين العديدة والظنون الاكيدة مايدل على أن ماذكر بنص التوراة من القول بأن «الفرعون الذى لم يكن يعرف يوسف» هو عين **سيتوس** الاول وأما ماورد بالكتاب المقدس المذكور من أن مدينتى بيتوم ورمسيس بالشمال الشرقى من بلاد مصر انما كان بناؤهما بعمل بنى اسرائيل فى ذلك العصر حيث كان فرعون قد حكم عليهم بالاعمال الشاقة فقد دل على ذلك ماتصرح به فى عدة مواضع من أساطير العمارات المصرية القديمة من الشهادة بان الملك رمسيس الثانى ملك مصر هو الذى شيد المدينتين المذكورتين فى ذلك العصر

مطلب — ذكر فرعون سيتى أو سيتوس الاول وفرعون رمسيس الثانى (أعنى تاريخ مصر فى القرن الخامس عشر والرابع عشر **ق م** من ذلك العصر)

قد كان فرعون سيتوس الاول وفرعون رمسيس الثانى من أرباب العائلة الملوكية التاسعة عشرة التى خلفت بطريق المصاهرة العائلة الثامنة عشرة وقد كانت مدة ولاية كل من هذين الملكين ولاسيما المدعو منهما باسم **رمسيس** الثانى وهو المعروف عند اليونان باسم **سيزوستريس** متحلية بالبهجة والفخار ممتلئة بوقائع حربية كبار ولم يعهد لملك من ملوك مصر على ممر الدهر ان أبقى أكثر ولا أجسم ولا أفخر مما وجد لهذا العصر على ممر الاعصار بوادى النيل من العمارات والآثار وكلها كان انشاؤها وتشييد عماراتها وبناؤها بعمل اسرى الحرب الكثيرين الذين كان يأخذهم كل من هذين الفرعونين الشهيرين فى غزواتهما المستمرة على القبائل الرحالة النزالة ببلاد العرب والكنعانيين والفنيقيين (أى الصوريين) والهيثيين وهم قوم كانوا متوطنين على شواطئ نهر الاورنت أو الاورونتس (وهو النهر النابع من جبال لبنان الى حيث يصب فى بحر سفيد ويسمى باسم نهر العاصى الآن) وعلى الاسوريين (أى العراقيين) والارمن وغيرهم من سكان بلاد آسية الصغرى والزنوج والليبيين ولقد دل على واقعية تلك الحروب ماحصل العثور عليه من القصائد الشعرية المصرية المسطرة على قشر النبات المصرى القديم

المسمى بالبردى (بضم الباء الموحدة فى أوله) والاساطير الاثرية المحررة بغاية التطويل والبيان كالقصائد الشعرية والتصاوير المنقوشة على الجدران من الهياكل والمعابد الاهلية ولقد صار الحصول الآن على مقدار وافر جدا من السندات الرسمية والنصوص الاصلية التى يستدل بها على صحة واقعية هذه الوقائع الحربية ولا يتأخر ان يتيسر للمؤرخين العصريين أن يقصوا تلك الحوادث التاريخية على ماهى عليه من حقيقتها الواقعية لغاية أدق أحوالها التفصيليه

ولقد يظهر الآن من فحوى تلك السندات الاصلية والنصوص الاهلية مزية مدة حكم فرعون سيزوستريس هذا بالنسبة لغيره من الفراعنة المصرية على خلاف ما كانت قد تظاهرت به لاعبين مؤرخى اليونان فى سالف الزمان بالكلية حيث كانوا قد اغتروا بما شاهدوه فى تلك الازمان لهذا السلطان من عجيب البنيان وغريب العمارات الاثرية والذى تقتضيه العدالة التاريخية هو ان الملك رمسيس الثانى المعبر عنه على لسان مؤرخى اليونان باسم سيزوستريس هذا لم يكن قد وسع السلطنة المصرية اذ كانت من قبله قد أبلغها طوطميس الثالث لغاية العظمة الدولية ونهاية ما تيسر لسيزوستريس من ذلك الغرض النفيس هو انه اجتهد فى حفظ ما كانت اسلافه قد أحاطت بدها عليه من سعة الفتوحات والقبض على ما كانوا قد استولوا عليه من الممالك والولايات ولقد دل جميع مدة حكمه على أن الشوكة الفرعونية الفخيمة والصولة المصرية العظيمة التى كانت ملوك العائلة الثامنة عشرة قد أبدعوها وشيدوا بناءها وصنعوها كانت قد كادت تريدان تنقض وقارب بناؤها ان ينتقض حيث ترى جميع الامم الذين كانت دولة ملوك مصر السالفين المدعوين بالطوطميسين والآمينوفيسين فى جميع الجهات من الجنوب الى الشمال ومن المغرب الى المشرق قد أرغموا أنوفهم وقمعوهم واستولوا عليهم وأطاعوهم كانوا قد أخذوا فى القيام عليهم والخروج عن طاعتهم وترى السودان قد أخذوا فى اشتعال نيران الفتن والثوران وترى حيطان الهياكل الدينية والمعابد الوطنية مملوءة بتصويرات سائر الانتصارات التى كانت ولاة بلاد الايتيوبية المنصوبون من لدن الدولة المصرية يظفرون بها على هؤلاء الاقوام الخارجين عليها وترى من جهة أخرى جزيرة صغيرة بارزة من الصحارى الكائنة على غربى الدلتة المصرية يخرج منها أقوام رحالة نزالة أولو عيون زرقاء وشعور شقراء (وهم الاقوام المعروفون باللبيبين) ينزلون فى ذلك العهد من جزائر البحر المتوسط الابيض (أو بحر سفيد) على قارة افريقية فيهددون الاقاليم الشمالية أو البحرية ولا تضبطهم الجيوش المصرية الا بغاية المشقة والجهد وترى كذلك بلاد آسية مثل هذا الامر مما هو من قبيل ردّ الفعل وعود الكرة على ديار مصر حيث يشاهد من هذه الجهة أيضا القوم المسمون بالهيتيين وهم قوم أولو شجاعة وبطش شديد يقاتلون على عرابات حربية قد عادوا

للتعصب من عهد جديد مع عشرين قوما آخرين وعقدوا فيما بينهم عقد مخالفة على المصريين من أشد ما يعقد من هذا القبيل ويعهد وبعد ان حاربهم الملك رمسيس هذا مدة ثمانى عشرة سنة متوالية لم يحصل من نتيجة محاربتهم الغير المنقطعة الى غير عقد شروط مصالحة معهم على أن يترك لهم سائر ما بيدهم من الاملاك الارضية ولقد حفظت نسخة هذا العقد ووصلت الينا فى هذا العهد واتضح منها ان الشروط التى اشتملت عليها هى أكثر عودا للفخر على الهيثيين منها على فرعون مصر

مطلب ذكر ما ثبت من الظلم والجور عن فرعون رمسيس الثانى ملك مصر

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أعلاه ما معناه كلما تأمل الناظر البصير فى حقيقة تاريخ رمسيس الثانى ملك مصر عرف ان هذا الملك كان غير جدير بنعت الملك الكبير الذى كان قد وصفه به أولا بادئ الرأى اسلاف المترجمين لاساطير العمارات المصرية القديمة من العلماء الاورباويين ولقد استقر الحال الآن بما فيه مقنع كاف لذوى العرفان من الدليل والبرهان على انه يصح أن يقال عنه انه انما كان رجلا دنى النفس شديد الطمع والكبر محبا للابهة والفخر الى ما ليس له نهاية وانه كان ملكا جائرا للغاية قد بلغ من حب التظاهر والفخار الى ان محا من سائر العمارات والآثار التى تيسر له فيها ذلك العمل أسماء الملوك السالفين الذين كانوا قد أنشأوها ووضع اسمه عليها بدلا عنهم كانه هو مؤسسها وبانيها وقضى سائر مدة ولايته مفتخرا بغزوة غزاها فى عصر شبيبته مستندا فيها لما حصل منه من الجراءة وهو ابن عشرين سنة فى مبدأ وقائعه الحربية مع الهيثيين وقد دارت عليهم دائرة الحرب وعادت عليهم كرة النزال والضرب فوقع فى مكيدة كمين لهم وتوصل لأن تخلص منهم وليس معه من الخفر غير نفر يسير ولم يتكرر له واقعة حربية على سائر العمارات التى هى عن مدة ولايته مأثورة غير هذه الحادثة المذكورة وهى التى اشهرها الشاعر المصرى العتيق المدعو باسم **بنتاؤور** فى قصيدته المشهورة التى اتقن ترجمتها الناعى اللغة القبطية الى الفرانساوية العالم الفرانساوى الشهير باسم لوقونت دو روجه (بالجيم الفارسية) ولم يصل الينا غيرها من الاشعار الفخرية والمؤلفات الادبية المصريه

وقد وصف الملك رمسيس الثانى هذا فى سفر قصة خروج بنى اسرائيل من مصر فى التوراة بالملك الجائر لداعى ما اثقل به على العبرانيين من اثقال الظلم والاسر وتعديه ايام باحمال المشقة والاصر ولعمرى ان هذا النعت هو ما يصفه به التاريخ متى تم عمل الكشف عن سائر اعماله وتحققت حقيقة افعاله وان ذات الاهالى المصريين قد كانوا هم أيضا فى مدة ولايته على هذه الديار

يقاسون اقسى طريقة من المذلة والصغار ولقد حصل العثور الآن على سندات أصلية أثرية وقيودات أهلية مصرية مشرو حافيها باقوى ما يأخذ بمجامع القلب حقيقة أحوال ما كانت تقاسيه أهالى الارياف فى عهده من الضنك والكرب

مطلب — ذكر فرعون ميرانفته (فى القرن الرابع عشر ق م)

قال المؤرخ المحكى عنه اعلاه ما معناه وقد كانت مدة حكم فرعون ميرانفته وهو ابن رمسيس الثانى السالف الذكر وخلفه على كرسى مملكة مصر كله عصر نحس وشؤم حيث توالت فيه مصائب الدهر على رأس ديار مصر بسوء عاقبة ما كان قد حصل من ابيه فى مدة حكمه من الجور والظلم وذلك ان الليبيين بانضمامهم الى الاقوام الپيلاچيين (بالباء الفارسية فى أوله والجيم الفارسية أيضا قبل ياء النسبة فى آخره يعنى اليونانيين) المتوطنين فى جزائر بحر سفيد وعلى سواحله والاقوام المسمين بالآشيين والتيرانيين والسيكوليين والسوردونيين (من سكان البلاد المسماة ببلاد اوروبة الآن) كانوا قد تعصبوا على المصريين واغاروا على ثغور الديار المصرية من الجهة الشمالية الغربية واضروا بجميع بلاد الدلتة أو الاقاليم البحرية وبلغوا من ورآء مدينة منفيس الى حيث لم تحصل عليهم الغلبة والنصر من أهل مصر الا بغاية المشقة والصبر ولم يكن قد حصل دفع هذه الغارة الشديدة حتى بدأ أمر الفتن العديدة وظهر سر المحن المتنوعة التى كان قد تسبب فيها على مصر بنو اسرائيل فى ذلك العصر وانتهت بحادثة هجرتهم يعنى خروجهم من ديار مصر حيث كانت هذه الحادثة التاريخية فى مدة ولاية هذا الفرعون على الديار المصرية وانتهت مدة ولايته بغارة أخرى جديدة حصلت على ديار مصر فى ذلك العصر أيضا من الاقوام المتوحشين والامم الرحالين النزالين من الآسيين واعقب تلك النازلة الكبرى عصر فتن أهلية ومنازعات داخلية استغرقت سائر آخر مدة ولاية العائلة الملوكية التاسعة عشرة المصرية ولم تنته مدة تلك الحركة الفتنية الا بوقت ان قام على سرير مملكة الديار الفرعونية الملك رمسيس الثالث على رأس عائلة جديدة ملوكية

مطلب — ذكر رمسيس الثالث ملك مصر (وهو آخر مدة القرن الرابع عشر ق م)

قال المؤرخ المذكور اعلاه ما معناه وقد كان هذا الملك المسمى بهذا الاسم وهو الذى بنى القصر المتسع المشيد الكائن بالناحية المسماة بمدينة آبو من طيبة الصعيد هو آخر الفراعنة الحربيين العظام وخاتمة الملوك المصريين الفخام غير ان سائر وقائعه الحربية انما كانت بمجرد دفعية (يعنى انها لم تكن من قبيل الغارات البدائية) وكانت جميع همته متوجهة على الدوام والاستمرار نحو مقاومة ما كان يتوارد على ثغور مملكة مصر فى آخر ذلك العصر من امواج الامم المتوحشين وافواج القبائل البدويين الذين كانوا يتوافدون اليها ومن كل جانب يغيرون عليها وينذرون على تلك الديار بتقارب الخراب والاندثار فمن ذلك ان الحيثيين الذين هم اشد اعداء فراعنة الدولة المصرية

المصرية الحادثة كانوا قد بلغوا مقاصدهم من عقد محالفة شديدة على المصريين وتعصبوا عصبة جديدة مع اقوام كثيرين دخل فيهم لغاية القوم الاقدمين المسمين بالدردانيين الذين هم سكان اقليم ترواده الشهيرين واتحدوا أيضا مع عصبة الامم البيلاچيين وقد كان رأس عصبتهم فى ذلك الحين القوم المعروفون بالفلسطينيين الخارجين من جزيرة كريد وكان هؤلاء القوم المذكورون قد عقدوا سالف عهودهم على المصريين من جديد مع الاقوام الليبيين وشنوا الغارة كلهم دفعة واحدة على سائر الاقاليم والولايات الداخلة تحت طاعة الدولة الفرعونية من جهة الشرق والغرب والشمال فنزل الليبيون على غربى الاقاليم البحرية والهيثيون على الديار الشامية ونزلت الاساطيل البيلاچية على سواحل أرض فلسطين ودارت رحى الحرب والقتال على البر والبحر معا فى عدة محال وقد عثر فى آثار أهل مصر القديمة على صورة جميع وقائع هذه الحرب العظيمة منقوشة على واجهة ابواب القصر الملوكى الكائن بجهة مدينة آبو حيث ترى الملك رمسيس الثالث هذا مصورا فيها على هيئة الخارج منصورا من المعركة وفى صورة الحامى لجميع ممالكه المتسعة من غائلة المهلكة وانه يدفع صائلة الليبيين ويقمع شوكة الاقوام الآسيين ببلاد الشام مع كون اساطيله البحرية رافعة الاعلام تتلف الاساطيل البيلاچية والسفن الفلسطينية غير ان ظفره بجميع هؤلاء الاقوام لم يكن على وجه تام بحيث أنه لم يضطر لأن يفعل كما فعل أمبراطرة الرومانيين بوقت انحطاط دولتهم حين كرت عليهم داهية الاقوام المتوحشين ولم يمكنهم الظفر بهم بالكلية وذلك انهم بعد ان انتصروا عليهم وغلبوهم اضطروا لأن اقطعوهم اقطاعات أرضية من بلاد الدولة الرومانية وهكذا فعل فرعون رمسيس الثالث فى آخر تلك الحوادث حيث نرى عدة قبائل عديدة من الليبيين مكثوا متوطنين بالاقاليم البحرية من الديار المصرية ونرى الفلسطينيين وان كانوا قد اضطروا للاعتراف بسيادة فرعون مصر عليهم لكنهم بلغوا غرضهم الاصلى من شن الغارة على بلاده حيث نراهم قد استقروا فيما حوالى غزة وعسقلان ونشاهدهم وقد صاروا قوما أولى قوة عظيمة وصولة جسيمة بعد قرن من الزمن لأكثر كما هو فى سفر القضاة من التوراة قد ذكر وتقرر

مطلب — ذكر مبدأ ضبط الكرونولوچية المصريه (أى ذكر الحوادث التاريخية بتواريخها الزمنية على وجه الضبط والصحة اليقينية)

قال المؤرخ المحكى عنه أعلاه مامعناه ان الكرونولوچية المصرية يعنى علم الازمان التاريخية أى اقتصاص الحوادث بأوقاتها الزمنية كان قد أخذ من بعد مدة ولاية فرعون رمسيس الثالث هذا فى أن يكون على وجه الضبط والصحة اليقينية وذلك انه قد عثر على تاريخ فلكى متيد بزيج منقوش على جدران قصر مدينة أبو المذكور آنفا حسبه العالم الفرنساوى المشهور باسم بيوت ومنه استنبط ان تقليد هذا الملك بولاية الديار المصرية قد كان فى سنة ١٣١٢

قبل ميلاد المسيح عليه السلام وقد دلت نصوص القيودات الهيرو غليفية التى استكشفها المؤرخ ماريت بك فى اطلال مدينة منفيس أو منف فيما يتعلق بمدة ولاية الملوك الخالف فى داخل قبور الاثوار المقدسة التى كان يعبدها المصريون السلف ويسمونها باسم آبيس (بمد الهمزة فى أوله يليها باء فارسية فياء مثناة تحتية فسين مهملة فى آخره) على تاريخ ولاية كل ملك تقلد فيما بعد على كرسى الديار المصرية من هؤلاء القوم بالسنة والشهر واليوم ونسخة اصل هذه القيودات موجودة بمخزن الانتيقخانات المحفوظة بسراية ملوك الفرنسيس المسماة بقصر لورد (فى مدينة باريس)

مطلب — ذكر انحطاط المملكة المصرية (من القرن الثالث عشر فنازلا الى القرن العاشر ق م)

قال المؤرخ المذكور أعلاه ما معناه وقد تعاقب على مملكة مصر عشرة ملوك كلهم يدعون باسم رمسيس من العائلة المتممة للعشرين مدة قرن ونصف من الدهر وفى مدة تعاقبهم على سرير المملكة الفرعونية كانت قد انفلتت من ايديهم شيأ فشيأ سائر الاقاليم الآسية التى كانت تابعة للدولة المصرية وكان هؤلاء الفراعنة المذكورون من قبيل الملوك الكسالى الذين هم فى جملة ملوك ديار فرانسة بهذه الصفة مشهورون وذلك انه فى مدة سلطنتهم على ديار مصر كانت كبار قسس عبادة الصنم المعبود للمصريين السالفين باسم (آمون) فى مدينة طيبة الصعيد بذلك العصر قد تغلبوا شيأ فشيأ على جميع ولاية الامر المصرية وانتهى أمرهم بأن تجاروا على التتوج بتاج المملكة الفرعونية غير ان تعديهم هذا لم يقرّهم عليه كافة أهل البلاد بل كانت قد قامت عليهم بالاقاليم البحرية عائلة ملوكيه أخرى وانصبت خصما للطائفة كبار القسس الصعيدية وحيث كانت هذه العائلة الملوكية الجديدة قد ظفرت بهم وانتصرت عليهم فى وقائع حربية عديدة كانت بالضرورة هى التى تسجلت فى جملة بيوت الملك التالية بصفة كونها هى العائلات الملوكية المصرية والدول الصحيحة الشرعيه

مطلب — ذكر العائلات الملوكية المصرية الناشئة بالاقاليم البحريه (من القرن العاشر فنازلا الى القرن الثامن ق م)

قال المؤرخ المذكور أعلاه ما معناه ومن وقت ان انهزمت كبار القسس الذين كانوا قد تقلدوا بمنصب السلطنة المصرية فى الاقاليم القبلية من الديار المصرية ثم زالت دولتهم وتولت صولتهم كانت مدينة طيبة قد زال عنها ما كانت عليه من درجة الاعلوية بالكلية وصارت العائلات الملوكية الخالفة تخرج كلها من الاقاليم البحرية وفيها جعلوا مقرّ ملكهم واتخذوا فيها قاعدة سلطنتهم وصاروا من الآن فنازلا عبارة عن عائلات ملوكية حقيقية من قبيل الدول المصرية المعروفة بدول المماليك البحريه التى استولت على بلاد مصر الاسلامية بمدة القرون

الوسطى من الاقسام التاريخية وذلك ان ملوك تلك الدول المصرية الحادثة كانوا كلهم يخرجون من الطوائف العسكرية الاغراب عن الديار المصرية الذين كان الملوك الحاكمون على شواطئ نهر النيل يتخذون منهم خاصة طوائف حرسهم الملوكية ومن أشهر العائلات المذكورة العائلة الملوكية الثانية والعشرون التى كانت قاعدة مملكتها مدينة بوباستيس (وهى المعروفة بتل بسطة الآن) وقد حكمت على سرير الملك من سنة ٩٨٠ الى سنة ٨١٠ ق م اذ كانت هى خصوصا مشهورة بأول ملوكها المسمى باسم فرعون سيزونخيس (بسين مهملة فى أوله يليها يا المثناة تحتية فزاى معجمة فواو فنون موحدة فخاء معجمة فياء مثناة تحتية فسين مهملة فى آخره) وهو الذى غلب الملك روبوام ملك يهود من أرض فلسطين او استولى على مملكة بيت المقدس واستلب خزائن الهيكل المقدس ومن تأمل فى جداول انساب سائر الملوك الخارجين من سلسلة هذه العائلة الملوكية استغرب كل الاستغراب وقضى غاية العجب العجاب حيث يظهر له بالطريقة الجلية ان أكثر أسمائهم هى محض أسورية (أى سوريانية بمعنى عراقية) كنمرود ونجلات وسرجون وما أشبه ذلك ولا شك ان هذا دليل قطعى وبرهان اقناعى يدل على منشأ ملوك هذه العائلة الاصلى .

مطلب — ذكر الملوك الايتيوبيين والاسوريين الذين استولوا على دولة الملوك المصريين (من سنة ٧٢٥ فنازلا الى سنة ٦٦٦ ق م)

قال المؤرخ المذكور أعلاه ما معناه وكان قد تعاقب على سرير المملكة المصرية من بعد العائلة الملوكية البوبسطية خمسة ملوك أصلهم من مدينة تانيس (سان) ومدينة اكسويس (سخا) تركبت منهم العائلة الملوكية الثالثة والعشرون والرابعة والعشرون وكان آخرهم الملك المشهور باسم فرعون بوخوريس الملقب بالمشرع أو القانونى وهو الذى كان قد عزله عن كرسى الديار الفرعونية وقتله فى سنة ٧٢٥ ق م اقوام اتيوبية كانوا قد أغاروا تحت قيادة ملكهم المدعو باسم ساباكون على ثغور الديار المصرية الجنوبية واستولوا على سائر بلاد مصر مدة حقبة من الدهر تبلغ تسعا وعشرين سنة وتكونت منهم عائلة ملوكية مركبة من ثلاثة ملوك لا غير ثم طرأ عليهم الاسوريون وتنازعوا معهم مملكة مصر حيث كانت قد صارت فى ذلك العصر حالة العجز وعدم القيام بالذات وأصبحت مفتحة الابواب بالكلية لكل من أراد أن يطرقها من الامم الاجنبية حتى ان الملك سيناغريب (ملك العراق) كان قد استعد لفتحها ووصلت مقدمة جيوشه الى مدينة بيلوز (وهى المسماة تينة الآن أو عين شمس المسماة أيضا باسم اواريس فى سالف الزمان) من تلك الديار ثم رمى الله سبحانه وتعالى عساكره فى حصار القدس على وجه غريب بداهية الموتان العجيب فاضطر للرجوع الى بلاده بالثانى وفى سنة ٦٧٠ ق م انتزع الملك آسارادون ملك نينوى الديار المصرية من يد الملك طهراقة ملك الايتيوتية وبعد مدة يسيرة من الزمن قام الملك طهراقة بالثانى فطرد الآسوريين منها واستولى

ثانيا عليها ولما تولى مملكة العراق الملك آسور بانيبال بعد الملك آسارادون المذكور آنفا عاد بالكر فى سنة ٦٦٧ ق م على طهراقة ببلاد مصر ومكث الايتيو بيون والآسوريون يتنازعون فيها الامر واشتد بينهما القتال وامتد الحرب والنزال مدة ثلاث سنوات مرت على بلاد مصر وهى فى غاية الذل والاضمحلال حيث كان يطأها العسكران ويدوسها الطرفان حتى تخربت البلاد وهما فيها يتنازعان وأبيحت حرمة مدينة طيبة لانتهاك العسكر فسلبت ونهبت وكثر فيها الفساد وكادت أن تخرب بالكلية وتصير من قبيل الاطلال وفى آخرة الامر تمت الكرة على الآسوريين وبقيت البلاد بيد الايتيو بيين

مطلب — ذكر الدولة المصرية الاثنى عشرية وولاية العائلة الملوكية الصالجرية (فى سنة ٦٦٣ ق م)

قال المؤرخ المذكور أعلاه ما معناه ولما خرج الآسوريون من الديار المصرية لم يبق للايتيو بيين ولاية ثابتة من غير منازع لهم فيها الا بالاقاليم الصعيدية من تلك البلاد وأما الاقاليم الشمالية أو البحرية فكانت قد تحصلت لنفسها على مزية الاستقلال والاستبداد وقام فيها بولاية الامر اثناعشر ملكا صغار تشاركوا فيها واقتسموها وكان بعض الكهنة قد أخبر بان مصر كله ينتهى أمره لان يكون لمن يصب شرابا فى اناء من نحاس على ذكر الصنم المعبود لهم باسم ملك **افتاء** على انه الاله الاكبر بمدينة منفيس واتفق ذات يوم ان اجتمع الاثناعشر ملكا المذكورون فى محفل دينى ليقربوا قربانا للصنم المذكور فقدم لهم كبير القسس أقداحا من ذهب كانت قد جرت عادتهم باستعمالها فى محافلهم ونسى او تناسى فأتى بأحد عشر قدحا للاثنى عشر ملكا الحاضرين بالمجلس فبادر أحدهم المسمى باسم **ابسماتيك** او ابسماتيكوس ملك قسم مدينة سيس (صالجر) حيث بقى دونهم بغير قدح فنزع خودته عن رأسه وكانت من نحاس وصب فيها ما كان قد أعد للقربان من الخمر ولربما كان قد دبر لنفسه هذا الامر من قبل فى السر ليكون هو الملك المشار اليه فى خبر الكاهن كما قد يظهر ولما حسده على ذلك رفقاؤه من الملوك الاثنى عشر اضطر لأن فر واختفى فى بعض البحيرات بالاقاليم البحرية حتى تيسر له ان استعان بقوة امدادية اجتمعت له من جموع الاغراب اليونانيين والكاريين وتوصل لأن غلب بهم عصبة اخوانه الملوك المصريين الذين كانوا قد اقتسموا معه مملكة الاقاليم البحرية وذلك فى واقعة حربية قطعية وقعت بينهم فى الناحية المسماة باسم مومانفيس وأخرج كذلك الايتيو بيين من الصعيد وأعاد للديار المصرية حدودها الارضية الاولية أعنى من الشلال الاول لغاية بحر سفيد

مطلب — ذكر مدة ولاية الملك ابسماتيكوس على جميع الديار المصرية

قال المؤرخ المذكور أعلاه ما معناه ولما كان الملك ابسماتيكوس انما نال الرفعة على كرسى

سائر ممالكة مصر فى ذلك العصر باعانة الاغراب استمر على ان يدعو اليه منهم الجم الغفير ويستصحب منهم الجمع الكثير من الاصحاب فترتب على ذلك ان قام عليه قوم من الجنود المصرية وهاجروا الى بعض البلاد الاجنبية وكان قد ساعد مادة التجارة الخارجية وأحدث طرق مخالطات اهلية مستمرة مع بلاد اليونان والفنيقيين وأخرج بذلك الديار المصرية عن حالة العزلة السرية التى كانت قد انحصرت فيها منذ عدة قرون من الزمن بسياسة ملوكها السالفين وبحسن تدبيره واتقان سياسته كانت الديار الفرعونية فى مدة عهده وعهد من خلفه من الملوك الذين تكونت منهم العائلة الملوكية السادسة والعشرون المصرية قد عادت لعظمتها الاولية واسترجعت عالى مرتبتها الاصليه

مطلب — ذكر حروب الدولة المصرية ببلاد سوريه

قال المؤرخ المذكور اعلاه مامعناه وحيث كان الملك ايسماتيكوس المذكور اراد ان يثبت أقدام عائلته الملوكية على كرسى المملكة المصرية بواسطة المفاخر العسكرية تشبث بان يسلك سنن الطريقة السياسية التى كان قد اسنتها اسلافه من ملوك العائلتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة فى بلاد آسية وتعلقت رغبته بأن يفتح بلاد سورية فلم يتيسر له أن يستولى منها الا على بلاد الفلسطينيين ثم جاء من بعده ابنه **نيخاو وانيخاووس** (بالسين المهملة وعدمها فى آخره) فاستمر على ما كان قد بدأ به والده من شن الغارة المصرية على بلاد سورية وظفر فى أول الامر فى مغازيه بكثير من النصر وهزم الملك يوزياس ملك يهودا من أرض فلسطين فى مدينة ماجيدو (بتشديد الدال المهملة بعدها واو ولعلها ما تسمى الآن باسم مجدله) حيث قتل الملك المذكور (فى سنة ٥٠٩ **ق م**) فى حومة المقتلة واستولى فرعون مصر استيلاء وقتيا على جميع بلاد سورية وذلك انه كانت قد ظهرت فى ذلك العصر ببلاد العراق فيما بين دجلة والفرات الدولة الملوكية الكلدانيه البابلية (يعنى العراقية) وكانت قد دنت من أن تبلغ الى أعلى درجة من الشوكة الدولية بمدة الملك المدعو باسم **نابوكودونوزور** الاكبر وهو المعروف عند العرب باسم **بختنصر** ولزم ان يتصادم الدولتان المصرية والعراقية بالبلاد الشامية حيث كان كل منهما يدعى ان له ببلاد آسية درجة الاعلوية فالتقى هنالك الجيشان وتلاطم العسكران تحت أسوار مدينة جرجيسية فظفر بختنصر المشهور ولم يكن بعد غير ولى عهد للمملكة العراقية بفرعون نيخاووس المذكور ولم يحتج بختنصر فى استلاب جميع فتوحاته بالديار الشامية وطرده الى الديار المصرية لغير هذه الواقعة الحربية

مطلب — توسيع الدائرة التجارية بالديار المصرية فى تلك الحقبة العصرية

قال المؤرخ المروى عنه اعلاه مامعناه غير ان هزيمة الدولة المصرية هذه ببلاد سوريه كانت قد انجبر ضررها وانسد عورها بما كان قد حصل فى الديار المصرية بتلك الحقبة العصرية من

تيسير اسباب السعادة الداخلية وتوسيع دائرة التجارة الاهلية وكانت الفنون والصنائع بشواطئ النيل قد تلبست فى ذلك الجيل بآخر لباس زاه زاهر جميل وذلك ان الملك نيخاووس كان قد شرع فى أن يفتح الخليج من نهر النيل الى البحر الاحمر أو بحر القلزم وكان قد حفره من قبله الملك سيتوس ثم ترك العمل فيه ولم يتمه بانذار بعض الكهنة له وبعث الملك نيخاووس أيضا اسطولا من السفن الفنيقية (أى الصورية) للسفر فى البحر حول دائر سواحل بلاد افريقية بالابتداء من البحر الاحمر الى بحر سفيد لقصد ان يحدث من ذلك لمادّة التجارة طريق جديد

مطلب — ذكر فرعون ابرييس — قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه ثم ظهر بعد الملك نيخاووس حفيده المسمى باسم **ابرييس** وكان قد عقد العهد مع الملك سيدياس ملك يهودا من أرض فلسطين على مدافعة صولة الآسوريين لكنه لم يتيسر له أن يحضر فى الوقت اللازم لمساعدة مدينة القدس اذ كان قد حضر اليها بختنصر وحصرها وانتهك حرمتها ودمرها وانما كانت الاساطيل المصرية قد توجهت الى جهة سورية من الطريقة البحرية فظفرت بكثير من الظفر والنصر على سواحل بلاد الفنيقية ثم بعد ذلك بمدّة يسيرة حصل للملك ابرييس هزيمة كبيرة فى حرب وقعت بينه وبين القوم اليونانيين المتوطنين (من بلاد برقة) بمدينة قورين وحينئذ ثارت على فرعون ابرييس هذا ثورة من جنوده فعزلوه وفتكوا به وقتلوه وولوا بدلا عنه على كرسى السلطنة المصرية رجلا من سفلة الناس كان قد ترقى الى أعلى المراتب العسكرية يقال له **امازيس** وذلك فى سنة ٥٧١ ق م

مطلب — ذكر فرعون امازيس — قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه وقد كان امازيس هذا ملكا ماهرا سعيدا وسلطانا قاهرا شديدا استرجع جزيرة قبرص ليد المصريين وكانت قد خرجت عنهم واستولى عليها الاسوريون ثم البابليون وكان أكثر ملوك عائلته الملوكية اعانة لاجتلاب الاغراب من اليونان الى الديار المصرية وفى مدة ولايته السلطانية يشاهد انه قد نشأ على حدود الدلتة المصرية بالاقاليم البحرية المدينة الهيلينية (بمعنى اليونانية) المسماة باسم نوكراتيس (وهى المعروفة باسم فوّة الآن) حيث كان الملك امازيس هذا قد أذن فى سالف ذلك الزمان لجماعة من الهيلينيين (بمعنى اليونان) ان يبنوها ويتخذوها لهم وطنا ويعمروها فبلغت من درجة النجاح والفلاح الى ما بشر بما تكون عليه فيما بعد من ذلك مدينة الاسكندرية

مطلب — زوال الدولة الفرعونية وسقوط استقلال الديار المصرية (فى سنة ٥٢٨ ق م)

قال المؤرخ فرنسيس لونورمان المكرر الذكر والبيان فيما تقدّم أعلاه مامعناه ان ديار مصر كانت تظهر لعين الرائى فى عصر الملك امازيس على وجه من الرونق والفخار يضاهى ما كانت عليه فى أى عصر كان من سالف الاعصار غيران هذا المنظر كان لايحجب الاعلى وجه غير تام ما كان قد ظهر فى كافة أهل مصر فى ذلك العصر من فتور العقل العام وتغير القلوب من الخواص

والعوام وتفرق الكلمة الاهلية وتمزق عروة العصبية الاصلية وضعف التراتيب الملية فان تراتيبهم الملية وان كانت فى الاصل مبنية على قواعد قوية لقصد أن تكون مخلدة أزلية تقاوم صدمات الدهر كان تمدن أهل مصر فى سالف العصر لا يمكن أن يستمر الا ببقائه على حالة واحدة وكيفية ثابتة فلما اعترا فى ذلك الزمان الاختلاط بحركة التقدم والسريان الطارئة عليه من طبيعة تمدن اليونان لزم بالضرورة ان يعتريه الفساد والموتان وبيان ذلك ان الطائفة العسكرية فى تلك الحقبة الدهرية كانت قد هاجرت بتمامها تقريبا من الاوطان المصرية فبقيت الملة بدون جنود أهلية وحل فى مكانهم للمحافظة عليها جنود من الاغراب كان المصريون ينفرون منهم ويبغضونهم وكان قد اشتد فيهم الغضب العام حتى آل الحالة الثورة والقيام وكان قد قام فيهم رجل من أهل الجراءة والعصبية وتغلب على كرسى المملكة الفرعونية حيث رأى الديار المصرية متوجهة فى تلك المدة الزمنية الى طريق جديدة تمدنية فساعد على اجتلاب الاغراب فيها أكثر من كل من كان قد سبقه من الملوك السالفين عليها وكان هذا هو السبب فى اكتساب الديار المصرية لدرجة الغنى والثروة الاهلية غير انه كان هو السبب أيضا فى فتح أعين ذوى الاطماع من الملوك الفاتحين اليها ولما قدموا عليها وجدوا فيها قوما كانوا قد فقدوا عادة استعمال الاسلحة الحربية ولذلك كان الملك **ابسماتيكوس** الثالث ابن امازيس لم يصعد على كرسى مملكة مصر النفيس بعد أبيه الا ليرى نفسه مضطرا للتنازل عنه والسقوط منه بعد مدة يسيرة من توليه اذ كان قد شن الغارة على القطر المصرى الملك قبيز الفارسى واستولى على ديار مصر بطريق العنوة والقهر ومن تاريخ ذلك العصر كانت قد زالت عنها الحالة الاستقلالية وصارت بالتبعية للدولة الفارسية (فى سنة ٦٢٨ ق م)

الفصل الرابع

فى بيان كيفية تمدن ديار مصر فى سالف العصر

مطلب — ذكر ما كان عليه أهل الديار المصرية فى سالف الحقبة العصرية من تركيب الهيئة الاجتماعية الاهلية وترتيب الجمعية الانسانية الملية

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أعلاه ما معناه ان ترتيب الامة بديار مصر فى سالف العصر على مراتب أو طوائف أهلية قد كان باتفاق المؤرخين المتقدمين هو القاعدة الاصلية التى ينبنى عليها تركيب الهيئة الاجتماعية بتلك الديار فى تلك الاعصار وكان منصب الملك بها هو الرأس لها وانما وقع بينهم الخلاف فى عدد تلك المراتب فقط فعدها هيرودوت اليونانى سبعا وهى طائفة القسس وطائفة الجنود وطائفة رعاة البقر وطائفة رعاة الخنازير وطائفة أرباب الحرف والصنائع وطائفة التراجمة وطائفة النواتية وقال ديودور الصقلى انها كانت

خمسا الاغير وهى مرتبة القسس والمحاربون والفلاحون والرعاة وأرباب الصنائع والفنون ولقد يدل هذا الخلاف الحاصل فى هذا المقام بين المؤرخين المذكورين مع كون كل منهم ماشاهد بنفسه واخترق بذاته جميع الديار المصرية فى تلك المدة الدهرية على أن مانقلوه لنا من الفوائد التاريخية فى هذا الشان كان غير تام التحقيق ولا مستنبطا بوجه التدقيق وطالما كان العلماء الاوروباويون يذهبون بناء على تأويل مثل هذه الشهادات التاريخية على غير وجوهها الحقيقية الى ان الملة المصرية قد كانت فى تلك المدة الدهرية منقسمة على وجه الضبط والدقة الى خرق متميزة وفرق متفرقة وليس هذا القول بصحيح ولا لهذا المذهب مايشهد له بالترجيح وقضية ذلك ان مايعبر عنه بالخرقة الملية اوالفرقة الاهلية انما يتحقق فى صورة الوجود الخارجية بثلاثة شروط أصلية وهى أن يكون أربابها ممنوعين ألبتة من الاحتراف ببعض حرف أو صنائع خصوصية وان يكونوا ملزومين بعدم المصاهرة الا مع ابناء خرقتهم وبالاستمرار على الارتباط باتخاذ ماتوارثوه من أبائهم من صنعتهم فى عين فرقتهم والحال اننا لم نجد شيئا من ذلك واقعا بالديار المصرية فى سائر تلك الحقب الدهرية والقول الصحيح فى هذه المسألة التاريخية هو انه نعم قد كان بديار مصر فى سالف العصر مراتب تدريجية بمعنى طوائف أهلية على درجات بعضها فوق بعض يسوغ لكل أحد ان يترقى فيها من مرتبة الى أعلى منها أما بفضله أو بتفضل السلطان عليه بذلك لا انها كانت خرقا ملتزمة وفرقا متحتمة بالمعنى المذكور آنفا أى بمعنى ان كل فرقة كانت مغلقة الابواب عن كل أحد ممن فى سواها من الارباب والاصحاب وأما كون الحرف والصنائع بديار مصر فى تلك الازمان كانت تتوارث من الاباء الى الابناء فى أغلب الاحيان فلم يكن ذلك بوجه من الوجوه قاعدة جبرية ولا شريعة قهرية بحيث يصح للقائلين بهذا القول ان يأخذوا القولهم هذا منه أدنى توجيه

مطلب — ذكر ما كان عليه منصب الملك بديار مصر فى سالف العصر

قال المؤرخ المروى عنه اعلاه مامعناه قد كان ترتيب أمر الولاية المصرية من الحيثية السياسية فى جميع مدة السلطنة الفرعونية المديدة وتلك الاعصار الزمنية العديدة على حال واحد لم يتحول وطريق ثابت لم يتبدل أعنى على صورة الحكومة الملوكية المطلقة بل ربما كان أطلق ما وجد من أنواع الدول الملوكية وأنفذ تصرفا من سائر ماعهد فى العالم بتمامه من أنواع الولايات السلطانية المحققة اذ لم يطرأ عليه أدنى تغيير ولا تبديل ولا اعتراه شائبة تحويل لا بتداول الدول والعائلات الملوكية عليه ولا بتنازع الملوك المتنازعين فيه بوجه من الوجوه مطلقا قال المؤرخ ديودور الصقلى فى تاريخه مانصه ان المصريين يحترمون ملوكهم ويعبدونهم كالآلهة ويرون ان ماتقلده الملوك بالحكمة الالهية من ولاية الامر السلطانية والقدرة على نشر الاعمال الخيرية انما هو من صفات الالوهية (انتهى كلامه) وهذه العبارة التى ذكرها

المؤرخ

المؤرخ اليونانى المذكور موافقة بالكلية لما ينتج من الوقائع التاريخية بدليل النظر فى العمارات الاثرية وذلك انه منذ اقصى أعصار العائلات الملوكية المصرية الاولى لم يزل يشاهد وجود هذه الحرمة اللانهائية المتوجهة من سائر افراد الرعية بالديار المصرية للمرتبة الملوكية الفرعونية البالغة لدرجة الربوبية والعبادة الحقيقية بحيث كان يتصورلهم ان فرعون هو الاله المحسوس لسائر الرعية ولم يكن الملوك المصريون متقلدين بمنصب السلطنة العليا مع رياسة الديانة القصوى فقط بل كانوا معدودين عند رعاياهم المصريين فى جملة آلهتهم الحقيقيين ومعبوداتهم الصحيحين وكانت طائفة امناء الديانة المصرية فى مطلق التبعية للمتقلد بمنصب المملكة الفرعونية يتصرف فيها كيف شاء بجميع أنواع التصرفات الملكية وكان من جملة الالقاب السلطانية التى تنضم بطريق الفريضة الضرورية لاسم كل فرعون من فراعنتهم فى سائر تلك الاحقاب الزمنية العنوان (بابن الاله الشمس) مع كونهم يتلقبون أيضا بلقب (الاله الكبير) و (الاله الرحيم) وكانوا يتجسمون ويتحدون فى ذات معبود المصريين الكبير المسمى باسم (هوروس) حيث كانوا فى تلك الاعصار يرون كما هو نص ماوجد مكتوبا فى بعض الآثار ان الملك بين الاحياء انما هو صورة معبودهم المسمى باسم را (براء مهملة يليها ألف ممدودة وهو الشمس) وكان الملك متى صعد على كرسى المملكة كانه انسلخ عن الصورة البشرية وتصور فى أعين الرعية بالصورة الالهية وصار وهو فى قيد الحياة الانسانية يتوجه اليه هيئة عبادة حقيقية

ولا يخفى على كل ذى مفهومية ما كان يترتب من التأثيرات الوهمية فى تلك العهود على مثل هذه المبالغة المجاوزة للحدود فى المرتبة الفرعونية لتفخيم الصولة السلطانية وتجسيم الشوكة الملكية فكان المصريون بالنسبة لملوكهم انما هو بمنزلة العبيد المسترقين يجب عليهم بمقتضى ذات الاحكام الدينية ان يمتثلوا قضية مسلمة لاوامرهم السلطانية وينقادوا من غير نظر فى الاسباب الموجبة لارادتهم العلية وكان أرباب أعلى المناصب العالية وأقوى أصحاب المراتب العمومية بالدولة الفرعونية يرون أنفسهم انما هم عبارة عن خدم للدائرة الشخصية الفرعونية وعبيد للذات العلية السلطانية ومن ثم يعلم ان المصريين فى تلك الاحقاب الزمنية المصرية لداعى كونهم استطاعوا لمثل هذه الطريقة من الهيئة الاجتماعية وارتضوا باعدام صورة وجودهم الذاتية وازالة مرتبتهم النفسية بالكلية أعنى كونهم لم يأنفوا من اعتبار نفوسهم بمنزلة مجرد عمال لمفاخر اسيادهم الفراعنة السالفين والآت اشغال ممتثلة لاهواء هؤلاء السلاطين كانوا خالين بالكلية والجزئية عما به تمام قوة الامم المتأخرين وقوام شرف الملل الاوروباويين المعاصرين وما كان قد أخذ يدب فى طباع اليونانيين والرومانيين من الاحساس بما يقتضى ان يكون قائما بكل نفس بشرية من صفة الحرية الشخصية ومعرفة قيمتها الانسانية الخصوصية

مطلب — الكلام على شرائع المصريين وقوانين الفراعنة السالفين

قال المؤرخ المروى عنه اعلاه ما معناه ان القوانين المصرية القديمة هى من الشهرة العظيمة فى درجة كبيرة معلومة بحيث يجب على كل مؤرخ الالتفات اليها فلا يسوغ لنا ان لا نتكلم عليها فنقول قال المؤرخ الشهير باسم الاسقف بوسوه الفرنساوى ما نصه «قد كانت ديار مصر فى سالف العصر منبع كل سياسة حميدة وأصل كل ضابطية سديدة» (اه) وذلك ان ما نقل الينا عنها من الاخبار فى هذا المقام وان كان غير تام غير انه يسهل على كل من تأمل فى كتب التواريخ المأثورة عن السلف ان يعرف ان شرائع المصريين كانت مبنية على احترام سائر الحركات العظيمة التى تحس بها الروح البشرية مع الوفاء بجميع الامور التى تمس اليها حاجة نظام الهيئة الاجتماعية الانسانية ولنذكر بعض أحكامهم هنا نقلا عن نص عبارة المؤرخ المشهور باسم ديودور الصقلى اذ كان كلامه أتم ما قيل وأصدق ما ذكر فى هذا القبيل حيث قال ما معناه كما سطر أدناه ان من جملة أحكام المصريين فى الاعصار السالفة انهم كانوا يعاقبون على اليمين الكاذب بالقتل لداعى ان خيانة العهد جامعة لذنبين هما أعظم الذنوب التى يتصور فى العقل ارتكابهما وهما الاساءة لذات الآلهة المقسم بهم والاضرار بالناس المكذوب عليهم ومن أحكامهم أيضا ان من رأى فى طريقه رجلا يصول عليه قاتل أو صائل مطلقا ولم يغثه وهو يقدر على ذلك عوقب كذلك بالقتل فان لم يتمكن فى الحقيقة من اغاثته وجب عليه ان يسعى بالمذنب عند الحاكم ويرفع أمره الى المحاكم وان لم يفعل ذلك كان جزاؤه الحد بالضرب بالقضيب الى عدد محدود مع الحرمان من الطعام مدة ثلاثة أيام ومن اتهم أحدا بالباطل وثبت عليه ذلك كان جزاؤه عقاب المغتاب وكان من الواجب على كل مصرى ان يسلم الى القاضى وثيقة مكتوبة تشتمل على بيان أسباب معاشه فان كان ما تقرر فيها كاذبا أو اتضح ان أسباب معاشه غير مأذونة شرعا حكم عليه بالقتل وكل من قتل نفسا عمدا سواء كان المقتول حرا أو عبدا كان قصاصه القتل وذلك ان مطمح نظر الشارع هو نية القاتل لا اختلاف أحوال المقتول وكان من أحكامهم مع مراعاة جانب الرقيق حسبما ذكر ان العبد مأمور بأن لا يتعرض أبدا لاساءة الحر بوجه من الوجوه مطلقا هذا فيما يتعلق بالجنايات

وأما فيما يتعلق بالاحكام المدنية بمعنى المعاملات الحاصلة بين الناس فى الجمعية البشرية فقد وصل الينا أيضا من أحكامهم ما ليس أدنى مما ذكر أعلاه شهرة ولا أقل منه بالتنبيه عليه جدارة فمن ذلك ما يعزى الى فرعون بوخوريس من تشريع عدة قوانين تتعلق بالمعاوضات التجارية منها ان جاحد الدين يصدق بيمينه فى سقوطه عنه اذا لم يكن عند المدعى سند يشهد له به ومنها انه فى أى حساب كان لا يجوز أن يكون الربح المستحق زائدا عن رأس المال وان الدين يتعلق بمال المدين لا بنفسه لان الشارع نظر لكون ذات الشخص مملوكة للدولة بحيث يسوغ لها ان تطلبه لخدمتها فى كل وقت شاءت اما فى الحرب أو فى السلم ومن ثم كان حبس النفس ممنوعا عندهم فى أى حال كان

وقد ذكر المؤرخ هيرودوت الاليكارناسى أيضا للمصريين السالفين قانونا غريبا وحكما شرعيا عجيبا يعزى الى الملك أوزورتازان الثالث وهو انه كان يباح لهم ان يقترضوا بالرهن على جثث آبائهم المصبرة وان يضع المقرض مع ذلك يده على قبر المقترض بحيث اذا لم يدفع اليه دينه كان له ان يمنعه من الدفن عند موته فى مقبرة عائلته وان يمنع من الدفن فيها أيضا كل من مات من ذريته مدة بقاء الدين فى ذمته الى غير ذلك من الاحكام والقوانين التى تروى عن قدماء المصريين

مطلب — الكلام على ما كان يتخذه المصريون من الحرف والصنائع والفنون

قال المؤرخ المحكى عنه أعلاه ما معناه انه يلزم كتابة جملة مجلدات للاحاطة بكل ما استفيد من آثار العمارات المصرية القديمة فيما يتعلق بأخلاقهم وعوائدهم الاهلية وكيفية معيشتهم المنزلية وملخص ذلك ان قدماء المصريين كانوا اناسا فلاحين وأرباب صنائع وفنون ورجالا محاربين معا اما من حيث الزراعة فان أرض وادى النيل الخصبة كان يزرعها أهلها الكثيرون وينتفع بها سكانها العديدون فى كل جيل وأما من حيث الصنائع والفنون فان أهل مصر وان كان لم يتيسر لهم فى كل عصر ان يتحصلوا على الآلات الصناعية والدواليب الحقيقية المعينة على الاعمال البشرية وكان اصطناع أمتعة المعاش الضرورية والمواد التى تمس اليها الحاجات اليومية انما يحصل عندهم بواسطة طرق ساذجة بسيطة تشبه ما كانوا يستعملونه من الآلات والادوات الزراعية غير ان ما كانوا ينحلونه من أمتعة الترف والرفاهية قد كان لعمرى أمرا ظريفا وصنعا لطيفا مع كونه أكثر كلفة ومصروفا ولقد كانت جميع هذه المواد الترفهية تصطنع بيد أرباب الصنائع والفنون الاهلية بالديار المصرية من أوائل الحقب الدهرية فان جميع الانتيقخانات (يعنى مخازن التحف العتيقة والطرف القديمة) بالبلاد الاوروبية يوجد بها من الادلة القطعية العديدة والبراهين القوية السديدة على اثبات هذه الحقيقة التاريخية المفيدة ما لا يمكن معه توهم أدنى شك ولا شبهة فى هذه القضية ولقد كان بديار مصر فى ذلك العصر جم غفير وجمع كثير من العمال يعملون فى صناعة نسج الاقمشة الجيدة الغنية وآخرون يشتغلون بصناعة صباغتها بالالوان المستحسنة البهية وكانت صناعة المعادن واتخاذ الاوانى القيشانية (المعروفة بالصينية) وصناعة الزجاج وتحضير مواد الطلا واستعمال اللصق بالمصطكى فى عمل لصق النقوش الزواقية كل ذلك كان قد بلغ بشواطئ وادى النيل من مبادى ذلك الجيل الى أعلى درجة من التمام والتكميل وبالجملة والاختصار فقد كانت حواصل الصناعة المصرية تجلب فى تلك الاعصار على البرور وعلى البحار الى أقصى الاقطار غير ان المصريين كانوا لا يعرفون فى مدة تلك العهود استعمال المسكوكات وصناعة النقود بل كانوا يتعاملون فى تلك الازمان بطريق المبادلة فى الاعيان أو باستعمال المعادن لا بهيئة النقدية بل على صورة القضبان أعنى بحسب مبلغ قيمتها بالاوزان

مطلب — ذكر طباع الامة المصرية فى سالف الحقبة العصرية

قال المؤرخ المذكور أعلاه ما معناه قد كانت طباع المصريين على وجه العموم سهلة هينة واخلاقهم جزلة لينة قال المؤرخ هيرودوت المكرر الذكر أعلاه فى هذا المقام ما معناه لم يوجد فى الامم اليونانيين من يوافق طباع المصريين من حيث خصلة احترام الشبان للشيوخ غير المقدونيين وذلك انهم كانوا اذا لاقى منهم الفتى شيخا أخلى له الطريق وانحرف الى أحد الاجناب واذا أقبل الشيخ على مجلس فيه شاب قام له الشاب وكانت تحية المصريين اذا تلاقوا لا بالالفاظ بل بالانحناء الشديد والركوع الاكيد لغاية ان تبلغ الايد منهم الى الفخذ (اه)

مطلب — ذكر ما كان للامة المصرية من عوائد معيشتهم المنزلية وكيفية حياتهم فى ديارهم الداخلية

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المكرر الذكر والبيان قال المؤرخ هيرودوت المذكور أعلاه فى هذا المقام ايضا وتحقق جميع ما ابداه من الاخبار بدليل ما اتضح من النظر فيما أثر عن سلف اهل مصر من العمارات والاثار ونص عبارته فى هذا الشان ايضا ما معناه «لم يكن فى جملة الامم السالفين والملل الاقدمين بعد الليبيين اناس اتم صحة واكمل من حيث اعتدال المزاج نعمة ونحلة من المصريين . . . . . . وذلك انهم كانوا متيقنين من ان اصل منشأ جميع الامراض البشرية انما هو من المواد الغذائية . . . . (اه) وقد كانوا يتخذون خبزهم من صنف الحنطة ذات السنابل الشعرية ويشربون فى بعض الاقاليم من الديار المصرية نوع الشراب المعروف بالبوزة ويأكلون الاسماك النيئة من بعد تجفيفها بحرارة الشمس او تمليحها بوضعها مدة من الزمن فى ماء او مائع آخر مع الملح وكانوا يتناولون ايضا من لحوم الطيور النيئة كلحم السمانى والبط وغيره من صغار الطير مع العناية بتمليحها قبل اكلها وبالجملة فقد كان المصريون يتغذون من سائر انواع الحيوانات والطيور التى كانت توجد فى بلادهم ويتعاطونها اما مشوية او مسلوقة ما عدا انواع الطيور والاسماك التى كانت محترمة عندهم بحسب عقائدهم الدينية وعوائدهم التنسكية

وقال المؤرخ هيرودوت المحكى عنه اعلاه ايضا ما معناه «وقد كانت ملابسهم متخذة من غزل الكتان عبارة عن خرقة من القماش تدار حول الخصر كالازار ولها اهداب تسقط على الافخاذ ويتدثرون عليها بعباءة أو دفئية متخذة من قماش الصوف الابيض غير انهم كانوا يخلعونها اذا كانوا فى معابدهم وهياكلهم ولا يدفنون بها اذ كان ذلك ممنوعا عندهم بمقتضى احكامهم الدينية وقوانينهم التعبدية» (اه)

مطلب — الكلام على ما كان يتخذه قدماء المصريين من كيفية دفن الموتى فى القبور وصناعة التصبير

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور اعلاه ما معناه قد كانت العناية بشأن الجثة بعد الموت والحرص على وقايتها من سائر ما يمكن ان يعتريها من اسباب الفساد من اهم الامور وذوات البال عند اسلاف المصريين بتلك البلاد ومن ثم حدثت عندهم عوائد تصبير الموتى واتخاذ التوابيت لدفنهم فى القبور والنواويس المعبر عنه فى اصطلاح ارباب النظر فى المواد المصرية القديمة بلفظ المومياء واصل مبنى ذلك على ما كان مركوزا فى اذهانهم من الافكار الدينية المتعلقة بما يعترى الروح البشرية من الاحوال الاخروية ولذلك كان يتراءى لهم لزوم جعل البدن بعد الموت فى وقاية من الانهتاك والفساد حتى تعود اليه الروح بالثانى فى يوم النشر والمعاد فتجده حينئذ محفوظا على حالته الاولية وباقيا فى صورته الاصلية ولهذا الباعث نشأ عندهم ما نشأ من أنواع العنايات الشديدة وأصناف الاحتراسات العديدة لحفظ جيف موتاهم وعثر لهم على ما لا يحصى كثرة ولا يستقصى حصرا وعبرة مما يعرف باسم المومياء المصرية وهى عبارة عن جثث الاموات المصبرة (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان) وذلك مما قد امتلأت به الانتيقخانات الاوروبية ولا زال يوجد منه العدد الكثير والقدر الغزير فى كل ناحية من الديار المصرية القبلية والبحرية ومن أراد ان يطلع على كيفية التصبير فليقرأ ما أورده المؤرخ هيرودوت المذكور فى تاريخه من الوصف العجيب والبيان الغريب لاعمال التصبير التى كان قدماء المصريين يعملونها على جثث موتاهم حيث كانت تختلف باختلاف مراتبهم فى الجمعية البشرية من أمير وحقير وعلى حسب درجاتهم الدنيوية من غنى وفقير

مطلب — الكلام على القلم المصرى القديم المسمى بالهيوريجليف

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المكرر الذكر والبيان أعلاه ما معناه كان اليونان يطلقون على كيفية الكتابة الاهلية المصرية اسم الهيوريجليف وهى كلمة يونانية مركبة من كلمتين معناهما فى الاصل النقوش المقدسة بمعنى المطهرة أو المحترمة اى الدينية حيث كان قدماء اليونان يتوهمون انها كلها مركبة من صور أشياء مادية وليس الحال كذلك كما ستقف عليه بالتفصيل والبيان وهذا الاسم وان كان غير صحيح الوضع فى الاصل غير انه سارت به الركبان ولا زال يستعمل عند العلماء المتأخرين من الاوروباويين على وجه من الشهرة والاعلان بحيث لا يمكن الآن استبداله باسم آخر أضبط منه ولم يحصل التفات مطلقا لا من اليونان ولا من الرومانيين بوقت استيلائهم على بلاد المصريين لتعرف كيفية قراءة هذا القلم المصرى القديم ولا اشتغل احد منهم بشئ مما يقتضى له من التعلم والتعليم حيث كانوا يتوهمون انه سر مكنون وعمل مصون مع كون الاهالى المصريين البلديين كانوا لم يزالوا يستعملونه فى سائر مدة ولايتهم عليهم واقامتهم فيما بين ظهرانيهم وبقيت الكتابة الهيوريجليفية المذكورة مدة اعصار مديدة واجيال عديدة محاطة بسحب مظلمة ومستورة بحجب كثيفة غير نافذة ولم ينقل عن سلف المؤرخين

المتقدمين فى مدارس الاوروباويين من اليونان والرومانيين شئ مطلقا يدل على انهم تعرضوا الا يساعد على فهمها وكان قد حصل اليأس بالكلية من الوقوف على علمها حتى برز الى حيز الوجود فتى فرانساوى ذو قريحة ثاقبة وفطنة صائبة فتوصل منذ لأكثر من خمسين سنة لأن كشف عنها القناع وتحصل على تحقيق ما كان عليه حصتها من شدة الامتناع وحقق بعجيب اجتهاده من طريق الاستنباط والقوة التفرسية اعظم استكشاف حصل فى مدة القرن التاسع عشر هذا من الميلاد المسيحى فيما يتعلق بدائرة العلوم التاريخية الا وهو الشاب الذى اشتهر باسم يوحنا فرانسيس **شامپوليون** المولود بقرية فيجاك من اقاليم اللوت (ببلاد فرانسة) فى الثالث والعشرين من شهر دسمبر سنة ١٧٩٠ وتوفى بمدينة باريس فى رابع شهر مارس سنة ١٨٣٢ (ميلادية) وذلك انه توصل لأن وضع أصول قراءة الحروف الهيروجليفية على قواعد قوية وجاء بعده جم غفير وجمهور كثير من العلماء الاوروباويين فاحتذوا حذوه واتفقوا خطوه فى تلك الطريق التى افتتحها وكان من اشهرهم واعظمهم وأكبرهم واعلمهم من طائفة الفرانسيس كل من العالم الشهير باسم امپير والفاضل الكبير المشهور باسم دوروجه وحضرة ماريت بك ومن طائفة الالمان المحقق ليبسيوس وجناب الموسيو بروكش وببلاد انجلترة العالم الانجليزى المشهور باسم بيرش واجتهد كل منهم فى هذه المادة غاية الاجتهاد وانفد فيها وسعه كل الاستنفاد حتى بلغ استكشاف الشاب شامپوليون هذا بواسطة بذل مجهودات هؤلاء العلماء الاعلام وما حصل منهم من المواظبة على الاشتغال بهذا المقام الى درجة الكمال والتمام واتسعت دائرة ثمرة هذا الشان فى سائر الاماكن والبلدان وصار لا يشك فيها أحد الآن واقد أصبح فلم كتابة قدماء أهل مصر يترجم الى جميع اللغات الاجنبية فى هذا العصر بما يضاهى من حيث الصحة والضبط ترجمة كتب الآداب المأثورة عن اسلاف ادباء اليونان والرومانيين المعتمدين فى مدارس الامم الاوروباويين المتأخرين ومثل الافرنج المعاصرين قال العالم الفرانساوى المعروف باسم روبيو ما نصه «ولقد صار من المستحيل الآن ان يقول أحد بما كان يقال به منذ مدة مديدة واعصار عديدة من الزمان بان القلم الهيروجليفى هو من قبيل الادوار السرية المكنونة والالغاز المصرية المصونة التى اختص بمعرفتها الكهنة المصريون واحتكروا بواسطة الاختصاص بها جميع العلوم القديمة التى كان يعرفها هؤلاء القسس المتقدمون والقول الصحيح الذى يقتضى ان يعول عليه فى هذا المقام هو ان القلم المصرى القديم انما هو أمر عام كان يكتب به الخواص والعوام بدليل ان الكتابة الهيروجليفية تشاهد منقوشة فى كل مكان من الديار المصرية وغيرها سواء كان على العمارات العمومية كالهياكل والمعابد وما اشبهها او على الامتعة المستعملة فى موادا المعاش المنزلية وفى القصص التاريخية وفى ضمن المدائح الشعرية والنثرية المؤلفة لقصد تخليد ذكر بعض الملوك معدة لغاية انشر والاعلان وبقاء الذكر الى آخر الخلف على ممر الازمان كما توجد

مسطورة فى الاصول الاثرية المعدلبيان اعلى العقائد الدينية المصرية ومن الخطأ البعيد جدا عن طريق الحق والوهم الخالى عن شائبة الصدق ايضا مذهب من يرى ان الكتابة الهيروجليفية قد كانت كلها او على وجه العموم فى تلك الاوقات عبارة عن مجرد رموز واشارات نعم لاشك فى انه كان من جملتها بعض اشكال رمزية لكنها قد كانت غالبا سهلة الانفهام وكثير منها هو اشكال تمثيلية او تصويرية بمعنى انها عبارة عن صورة ذات الشئ الذى يراد الدلالة عليه بالطريقة الخطية واكثر ما يوجد فى جميع العبارات والنصوص الاصلية التى حصل العثور عليها مكتوبة بالقلم الهيروجليفى المصرى القديم انما هو اشكال صوتية اعنى دالة على صوت يدل على مقاطع لفظية او على حروف هجائية وهذه الحروف هى ايضا عبارة عن رسم صور بعض معانى يكون اسمها مبدوءا بذلك الحرف كان الاشكال المقطعية التى هى عبارة عما يعرف فى اصطلاح اهل الادب من انواع الالغاز والاحاجى بالمعميات تدل ايضا على معنى يشار اليه بالمقطع اللفظى الموضوع له والطريقة التى توصل بها لفطن الشاب اللبيب والاديب الاريب المشهور باسم شامپوليون المذكور اعلاه لاعادة ما كان قد اندثر من معرفة سائر مجموع طريقة الكتابة الهيروجليفية واصول اللغة القبطية القديمة هو مضاهاة الحروف المكتوب بها بعض اسماء الاعلام الدالة على ذوات بعض الملوك حيث راها مسطورة مع ترجمتها باللغة اليونانية فى بعض النسخ الاصلية المحررة باللغة القبطية القديمة (كالاثر المشهور باثر رشيد) فاستدل بها اولا على تعرف اوائل قراءة بعض حروف الهجاء المصرية ثم استعان على معرفة سائرها بمعرفة اللغة القبطية الحادثة المتفرعة عن اللغة المصرية العتيقة وهى لغة قريبة منها لم تزل تستعمل فى الادعية والصلوات الدينية لغاية عصرنا هذا عند طائفة الاقباط اى نصارى الديار المصرية» (اه)

مطلب الكلام على ديانة المصريين وعقائد سكان وادى النيل السالفين

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور اعلاه ما معناه تعجب المؤرخ هيرودوت اليونانى بوقت سياحته فى الديار المصرية من شدة مبالغة سكان ديار مصر فى الاعمال التعبدية وكثرة تغاليهم فى التنسكات الدينية فقال ان المصريين هم ادين جميع سكان الارض اجمعين واكثر عبادة لآلهتهم من سائر الملل والامم الآخرين وبيان ذلك ان كل شئ فى ديار مصر بذلك العصر كان يظهر عليه طابع الدين وكانت جميع كتاباتهم مملوءة بالاشارات الدينية والرموز الى الخرافات الآلهية وكان استعمالها فى اعداد المواد الدينية التى هى من هذا القبيل يكاد ان يكون من قبيل المستحيل وكانت علومهم وآدابهم عبارة عن فروع من العلوم الآلهية وصنائعهم وفنونهم ليس الغرض منها غير اشهار الاعمال التعبدية واظهار مفاخر آلهتهم اوفراعنتهم البالغين عندهم لمرتبة الالوهية وقد كانت احكامهم الدينية واوامرهم التعبدية كثيرة جدا لغاية انه كان من المستحيل لاحد من اهل الديار المصرية ان ينتحل حرفة لمعاشه او يشتغل حتى

بتحصيل مادة اقواته الضرورية وحاجاته الاصلية الاولية بدون ان يكون على الدوام والاستمرار مستحضرا فى ذهنه وفهمه ومتصورا فى خزانة حافظته وعلمه جميع القواعد المقررة والاصول المحررة من لدن الطائفة القسيسية وقد كان للمصريين بكل اقليم من الاقاليم المصرية طائفة آلهة واصنام مخصوصين ومحافل دينية وانواع حيوانات معبودة لهم بطريقة خصوصية

وقال المؤرخ المروى عنه اعلاه أيضا ما معناه أن دين النصرانية لم يخش من ان يتكشف لجميع الناس من غير تستر ولا التباس ومع ما عليه عقائده من الدقة والتعمق بالغ لأن صار مقبولا عند الكبار والصغار والعلماء والجهال لكونه هو الدين الحق الازلى المخاطب به جميع النوع البشرى بخلاف سائر الاديان الباطلة التى كانت تتعلق بها الامم السالفة حيث كان كل ما احتوت عليه من الاسرار الدقيقة والافكار الفلسفية العالية الرقيقة بقى منحصرا فى دائرة المحراب ومحتكرا من وراء الحجاب فى قبضة يد طائفة امناء الاديان المذكوره وجماعة من الخواص واصحاب الاسرار محصوره لقصد رفع مرتبتهم وجر منفعتهم وفى الحقيقة ونفس الامر قد كان يوجد بديار مصر فى سالف العصر كما كان الحال كذلك فى جميع الاقطار والبلدان المتدينه بعبادة الاوثان فى تلك الازمان دينان متباينان احدهما دين طبقات العوام وهو عبارة عن مجموع بشيع وتلفيق شنيع من الحشو الاوهام واوحش ما تتعلق به الافهام والثانى يختص به المتوغلون فى العلوم الدينية وهو يشتمل على بعض عقائد اعلى مرتبة واشرف منقبة يتكون منها نوع من علم الالهيات الدقيقة (وضرب من المعارف التوحيدية المسمى عند اهل الاسلام بعلم الحقيقة) وهو دين الخواص حيث يتضمن فى باطنه عقيدة وحدة الله سبحانه وتعالى التى هى العقيدة العظيمة والفكرة النورانية الفخيمة وذلك ان المؤرخ هيرودوت اليونانى صرح لنا فى الواقع بان المصريين بمدينة طيبة الصعيد كانوا يؤمنون بآله واحد فريد لا أول له يعرف ولا ينبغى ان يكون له آخر عليه يوقف غير ان هذه العقيدة العالية الشان اعنى معنى الوحدانية الالهية السامية المكان التى يقتضى ان يكون أصل موردها الهام وحى سابق كانت قد اعتراها من أول الامر فيما بعد من سالف العصر الالتباس والابهام بسحائب الجهل والظلام ففسدت بتصورات قسسهم وجهل العامة وبما ابدعوه فى شأن الحقيقة الالهية من عند انفسهم من التخيلات الخرافية واختلطت عندهم شيأ فشيأ حقيقة الذات العلية بمظهر صفة القدرة الالهية وتشخصت فى اعينهم الصفات الالهية الاصلية ونعوت الذات الاولية فى صورة عدد كثير ومقدار غير محصور من ذوات ثانوية مساعدة للذات الالهية الكبرى اعنى من آلهة أخرى كانوا يعتقدون انهم يقربونهم (كما هو نص القرآن الشريف) الى الله زلفى وزعموهم على مراتب تدريجية وزعموا انهم كانهم يساعدون على حسن نظام المخلوقات وحفظ سائر الموجودات ومن ثم نشأ عندهم تعدد الآلهة

المعبودين وكثرة الاوثان العديدين وآل هذا الامر على مايظهر من حقيقة ما اتضح لنا مما كان لهم من الاشارات العجيبة والرموز الغريبة المتعلقة بعبادة المعبودات لأن شمل جميع الكائنات من الكواكب والمعادن والنباتات وأنواع الحيوانات

مطلب — بيان ما كان يعبد فى الديار المصرية من الآلهة الملية والاوثان الاصلية

قال المؤرخ المروى عنه اعلاه ما معناه ولا سبيل لنا هنا الى استقصاء جميع الذوات المؤلهة التى كان يعتقد قدماء المصريين نصبها فى درجة ثانية حول عرش الحضرة الآلهية العليا حيث يطول شرح ذلك ويضل السارى فى بحر ظلمات تلك المسالك والآلهة الاصلية منها هى الآله الكبير المسمى باسم (آمون او آمون را) وهو عبارة عن الشمس والآله المدعى باسم (اوزريس) والآله المسمى باسم (هوروس) وهذه الآلهة الملية قد كانت فى الاصل صفات ونعوتا للذات الوحيد والفرد القديم الازلى الواجب الوجود ثم آل امرها فى اعتقادهم لأن نسب اليها صورة وجودية وهيئة ظاهرية خاصة بها وصارت يمكن تعددها الى ما لا نهاية وجاءت أوهام العوام فلم تقصر فى ذلك للغاية ومن تأمل فى ماهية هذه الآلهة الاصلية والمعبودات الكبيرة الملية من قرب ظهر له انها ليست متباينة الحقيقة فى الوجود الخارجى وانها عبارة عن شئ واحد فى التصور الظاهرى ويتضح له بالطريقة الجلية انها قد يلتبس بعضها ببعض ولا يتأخر ان يستنتج من دقة النظر فى حقيقة هذا الامر ان تلك الخرافات المصرية وسائر افراد المعبودات الملية فى تلك الاعصار الفرعونية ترجع فى الباطن الى عدد يسير ومقدار محصور من الاصول الآلهية ثم تتنوع افرادها الى ما لا نهاية وتتوزع آحادها للغاية فى صور الوجود الظاهريه

اما فى دائرة الديانة العامية المرئية اعنى فى الاحتفالات الخارجية التى كانوا يشهرونها فى الهياكل التعبدية أمام أعين العوام فقد كانت تلك الآلهة مصورة باصنام متميزة الهيئة والقوام متباينة المرتبة والمقام وكانت العامة تؤمن بها على هذا الوجه بخلاف طائفة القسس وكل من كانوا قد اطلعوه على اسرار الحقيقة الدينية فانهم كانوا يعرفون حقائق العقائد الاصلية ويقفون على دقائق الديانة الملية ومن ثم يعلم بيقين ان دين المصريين وان كان مبناه الاصلى ومنشأه الاولى على الاعتراف الصريح بالوحدانية الآلهية قد كان يظهر لاعين الناس فى صورة تعدد الآلهة المعبودين وعبادة الاوثان العديدين الى ما لا نهاية له ولا حصر ويتراءى لمن لم يتأمله بدقة النظر انه يشتمل على جملة معبودات عجيبة الهيئة والشكل غريبة الصورة والجمل بل فى الاكثر شنيعة المنظر بشيعة المخبر وهكذا كان يظهر لاعين عوام الملة ولسائر الجهلة والسفلة من الامة لا غير

مطلب — الكلام على ما كان قدماء المصريين يعبدونه من انواع الحيوانات المحترمة والدواب التى كانت عندهم معظمة

قال المؤرخ المحكى عنه أعلاه ما معناه وقد كان استعمال الاشارات والرموز من أصل طبيعة قريحة

الامة المصرية واساس دياناتها الاهلية وقد كانوا أسرفوا الاسراف الكلى فيما كانوا قد جبلوا
عليه من هذا الميل الجبلى وتجاوزوا الحد فى هذا الطبع الاصلى لغاية انهم صاروا من حيث
صورة عباداتهم الملية الظاهرية وهيئة مناسكهم الاهلية الخارجية الى أفحش طرق الضلال
وأوحش مايعود اليهم بالوبال وذلك ان قسيسى ديانة المصريين السالفين لقصدان يتخذوا من
الرموز والاشارات ما يلزم لتصوير ذوات آلهتهم المتنوعين وتشخيص ما أوجبوه لهم من النعوت
والصفات فى صورة ذوات آخرين كانوا قد بحثوا لاتخاذ كل شئ من الكائنات حتى استعملوا
لهذا الغرض أنواع الحيوانات فاتخذوا الثور والبقرة والكبش والهر والقرد والتمساح وفرس
الماء والباز والطير المسمى باللقلق حتى اتخذوا الدلك الجعل والخنفساء وغيرهما من انواع الدواب
والهوام وجعلوا كل واحد من هذه الحيوانات رمزا واشارة الى ذات مخصوصة كانوا يعتقدونها
من الذوات المعبودات وكانوا يصورون كل آله معبود لهم بصورة ما جعلوه له علامة وامارة على
سبيل الرمز والاشارة من انواع هذه الحيوانات بل كانوا فى اكثر الاوقات يعبرون عن كل
ذات آلهية معبودة لهم بصورة تلفيق غريب وتوفيق عجيب خاص بالديار المصرية يركبونه من تمثال
جسم انسان عليه صورة رأس ذلك الحيوان ومن ثم حدثت عندهم عبادة الحيوانات المحترمة
وتأليه انواع الدواب المعظمة التى كان اليونان والرومانيون لها يستغربون ومنها يتعجبون وكان
المصريون يعتنون كل العناية ويحرصون اتم الحرص والرعاية على علف كل واحد من هذه
الحيوانات المقدسة والدواب المكرمة على حسب ما تشتهى نفسه فى داخل الهيكل المعد لعباد
المعبود الذى اتخذوه [illegible] عليه وجعلوه رمزا واشارة اليه ومتى مات ذلك الحيوان صبروه
ودفنوه فى قبر [illegible] كما كانوا يعملون بجثة الانسان وكانت كل مدينة أو اقليم من
الاقاليم المصرية تختار [illegible] بعض افراد انواع من هذه الحيوانات بمزية خصوصية
اذ لا ينبغى ان يتوهم انهم كانوا [illegible] النوع على [illegible] العموم بل كانوا يخصون بالعبادة
والتكريم بعض افراد محصورة من الحيوانات المذكورة وكان بعض افراد معينة منها ينفق عليه
من طرف الدولة ويخدمه بعض أعيان من أكابر ارباب المناصب والصولة وكانت القطط مثلا
اذا ماتت تنقل من بعد تصبيرها الى مدينة بوباستيس (تل بسطة) والبازات الى مدينة بوتو
(البنا والرهاوة) واللقالق الى مدينة هورموبوليس (مدينة مصرية قديمة) وكانوا كذلك
اذا خصوا بعض انواع الحيوانات بالعبادة لا يعبدونها فى جميع الاقاليم فكانت فرس الماء مثلا
معظمة فى الاقاليم المسمى باسم بپريس من ديار مصر القديمة وكان نوع التمساح ليس بمعبود الا باقليم
طيبة الصعيد مع انه كان يصاد ويحارب باشد الطعان فيما عداه ذلك الاقاليم من كل مكان
ومن ثم يعلم ان دين الملة المصرية فى سالف الاحقاب الدهرية كان عبارة عن اختلاط غريب مبهم
وتلفيق عجيب لا يكاد يفهم من بعض عقائد عالية تخلفت عن وحى سابق كان قد تلاشى أمره

وبقى أثره مع بعض تصورات مبتدعة وتخيلات مخترعة أكثرها غير مستقيم وكلها فى درجة المبالغة والتفخيم فيما يتعلق بالماهية الآلهية واصل الخليقة الدنيوية يتخللها طريقة مكارم اخلاق مهذبة نقية مع صورة عبادة حقيرة دنية تتصم الجلة أوهام عامية وتصورات فاسدة أهلية من أخش ما يكون وأرذل ما يتعلق به الظنون قال الشهير النصرانى المعروف باسم كليمان الاسكندرانى ما معناه « المبادا دخلت هيكلا من المعابد المصرية فى تلك الاعصار لأفاك قسيس بهيئة الوقار وهو يتلو بعض تمجيديه فى حق الذات العلية ورفع لك طرف الستارة ليريك الحضرة الآلهية رأيت فى اعراش من وراء الحجب اماهرة أو تمساحا أو ثعبانا أو غير ذلك من أنواع الحيوان المؤذى لنوع الانسان ولا ترى حينئذ غير بهيمة مفترسة تتمرغ على بساط من حرير الارجوان فهذا هو اله أهل مصر فى ذلك العصر » (انتهى كلام المؤرخ الآنف الذكر)

مطلب ـــ الكلام على أعظم عمارات أهل مصر فى سالف الايام وهى الاهرام

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور عنه أعلاه ما معناه لم ينكر أحد ان أعظم العمارات المصرية من حيث الحجم واغرب الابنية الفرعونية من حيث التوغل فى القدم هو اهرام الجيزة وقد أسلفنا الكلام فى غير هذا المقام على كثرة لزوم بنائها من العمال وغزارة ما اقتضى لانشائها من الاعمال ومن لم يكن نظرها يتيسر له ان يتصورها على وجه الضبط تقريبا اذا عرف ان أكبر هذه الاهرام وهو هرم الملك كيوپس اوخيوپس (بالكاف او بالخاء المعجمة فى أوله والباء الفارسية بعدها سين مهملة فى آخره) هو بنيان مخروطى عظيم وعمران هرمى جسيم مركب من اكثر من ستة ملايين متر مكعب من البناء بالاحجار المنحوتة الكبيرة الحجم والكتل البليغة الجرم جدا وقد كان ارتفاعه فى الاصل قبل ان يعتريه الفساد يبلغ ١٣٠ مترا اعنى نحو مرتين بقدر ارتفاع برج الكنيسة الكبرى المسماة باسم (نوتردم) يعنى كنيسة سيدتنا اى مريم بمدينة باريس وان مساحة قاعدته تبلغ ٢٣٣ مترا مربعا وان مجموع الاحجار التى يتركب منها بناؤه يتكون منه مجسم يبلغ القدر هائل المنظر يبلغ خمسة وعشرين مليونا مترا مكعبا بحيث يمكن ان يبنى منه جدار يبلغ من الطول الف فرسخ على ارتفاع ستة امتار ولاجل اعانة قاعة التابوت الملكى على مقاومتها من الثقل العظيم دبر المهندس المعمارى المصرى القديم فى اعلى عمارة هذا الهرم الجسيم عدة فراغات فى ذات العمارة المذكورة جعلها عدة قيعان اخرى واطية صغيرة وفيها قاعة تابوت ثانية كائنة على وجه الضبط تقريبا تحت القاعة الكبيرة غير انها ليست من اصل البناء بالحجر بل هى فى ذات صخر الجبل محفورة ووضع هذه العمارة الهائلة بالنسبة لوضع الشمس هو على طريقة مضبوطة كاملة بحيث ترى جهاتها الاربع مقابلة بغاية الضبط والدقة للجهات الاربع الاصلية

واما الهرمان الآخران فهما كذلك على هذا الوجه من الضبط موضوعان غير ان بناءهما ليس فيه فراغ كبناء الهرم الاول وهما فى ذات الصخر من الجبل مصطنعان والهرم الثانى هو دون الاول فى الارتفاع لكن الاول موضوعا على مكان من الجبل هو أعلى من الثانى و بناء هذا الهرم الثانى هو كذلك دون بناء الهرم الاول من حيث كمال الصنعة والاتقان وكان القصد بانشائه ان يدفن فيه جثة الملك شفرين بانيه المذكور فى غير هذا المكان ولم يبق من جميع الاهرام مابقى عليه طبقة نطبيقه بالحجر المنحوت من الخارج غير هذا الهرم الثانى لاغير

واما الهرم الثالث فلا يبلغ من الارتفاع الى ثلث الهرم الاول غير انه اكثر منه نقشا وزواقا وقد عثر فيه من الخشب على تابوت الملك ميسيرينوس وهو الذى كان قد أنشاه وشيد عمارته وبناه والقاعة التى وجد فيها تابوته وجدت كلها مطبقة الجدران من الظاهر بالحجر الصوان وحيث كان الجبل الذى يؤخذ منه نوع الحجر الذى هو من هذا القبيل لا يوجد الا بأعلى صعيد وادى النيل على القرب من جهة اسوان لزم انهم كانوا يجلبونه على السفن من ذلك المكان وقد كان على هذا الهرم فى سالف الزمان كذلك طبقة من الظاهر بالحجر الصوان المجلوب من جهة اسوان غير انه يظهر عليه انه اقرب عهدا من بناء ذات الهرم المذكور وانه أضيف اليه فيما بعد من انشاء الملكة نيتوكريس التى هى من ملوك العائلة السادسة كما هو فيما تقدم مسطور

مطلب — شرح القول على التمثال العظيم المعروف باسم أبى الهول

قال المؤرخ المروى عنه اعلاه مامعناه واما التمثال العظيم (المعروف على لسان العامة باسم ابى الهول) الذى يشاهد فى اسفل الاهرام الكبيرة المذكورة وكأنه كان ذيلا وتتمة لهذه العمارات الشهيرة فهو فى الاصل من انشاء الملك شفرين المذكور وان كان لم يتم سائر عمارته فى مدة ولايته وقدر مساحته نحو ٩٠ قدما طولا على نحو ٧٤ قدما ارتفاعا ومساحة رأسه من عند اسفل الذقن الى اعلى الجمجمة ٢٦ قدما وهو منحوت فى ذات صخر الجبل الذى هو قائم عليه ومنقسم الى ست مناطق افقية بقدر الطبقات الطبيعية الكائنة فى ذلك الجبل الذى هو مصطنع فيه وقد اتخذ له فم فى أحد الشقوق الفاصلة بين تلك الطبقات الجبلية وابو الهول العظيم هذا هو صورة معبود قدماء المصريين المسمى باسم (هارماشو) وهو عبارة عن الشمس فى وقت الغروب وقد كان من عقائدهم الدينية انه بالاصالة اله الجنائز وفيما بين مقدم يديه محراب صغير معد لعبادة الاله المذكور كان قد اعاد انشاءه بالثانى الملك طوطميس الثالث قال العالم السياح الفرنساوى المشهور باسم امپير فى كتاب رحلته مامعناه ان هذا التمثال العظيم مع ماوقع عليه من التشويه الجسيم لا أحد يجامع قلب الناظر اليه و يؤثر عليه تأثير الامر العجيب وكأنه لعمرى طيف خيال غريب ظهر ظهورا ابديا لاعين الناظرين من أرواح الاقوام السالفين وكأن ذلك الخيال المتصور من الحجر ذو روح يكاد يسمع و يبصر وكأن اذنه الكبيرة

اتصفى لما يلقى اليها من اخبار الماضين وفى كيفية مواجهة نظره لبصر الناظر اليه دقة ظاهرة وحقيقة باهرة تسحر قلب كل من القى نظره عليه وانه ليشاهد لعمرى على وجه هذه الصورة العجيبة التى نصفها صنم ونصفها جبل مهابة غريبة ونوع من البشاشة بل ربما كان يرى عليها أيضا نوع من اللطافة والهشاشة » (اه)

مطلب ذكر عوائد المصريين فيما يتعلق بدفن موتاهم وما كانوا يتخذونه لذلك من المغائر والقبور وما كانوا يعتنون به من كثرة الزواق والتصوير

قال المؤرخ المروى عنه اعلاه مامعناه قال ديودور الصقلى مانصه «قد كان المصريون يسمون مساكنهم فى الحياة الدنيا بما معناه الملجأ أو المثوى أو المأوى لداعى انهم يأوون اليها مدة قصيرة من الزمن و يسمون قبورهم بالدور الابدية لداعى انها هى دار الخلود ولذلك كانوا لا يعتنون بزواق منازلهم الدنيوية بخلاف مقابرهم حيث كانوا يبذلون كل مجهودهم وميسرتهم فى ان تكون فى اعلى درجة من الابهة والفخار ولا يهملون شيئا مما يبلغها الى ابهج الزينة وابهى الآثار قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المكرر الذكر والبيان اعلاه مامعناه وحيث كان لا يمكن لنا هنا ان نحصى عدد ما بقى لاسلاف أهل مصر ولا ان نستقصى وصف كل ما اثر عنهم من اثار ذلك العصر من المغائر الكثيرة والمقابر الغير المحصورة التى توجد فى كل محطة من طول شواطئ وادى النيل مشحونة بما لا يحصى من أنواع النقش والزينة الغزيرة التى اشهرها واعظمها واجدرها بالذكر واهمها المغائر الموجودة بضواحى مدينة منف أو منفيس (اعنى بجهة الجيزة وصقاره) ومغائر ناحية بنى حسن بالاقاليم الوسطى فلا اقل من ان نقف من جملة ذلك على القبور الملوكية الشهيرة الكائنة بجهة مدينة طيبة العظيمة حيث وقف عليها ووصفها كل من ساح بديار مصر فى هذا العصر من اهل العلم والخبرة بالآثار القديمة وهذه القبور هى عبارة عن عمارات عظيمة وابنية جسيمة مشيدة فى اسراب تحت الارض يهتز لها الناظر اليها طربا ويقضى منها عجبا كما يستغرب مما يوجد على القرب منها على وجه الارض من العمارات والآثار المجاورة لها قال العالم السياح الفرنساوى المشهور باسم روبيو فى كتاب رحلته مانصه «« واشهر هذه القبور واكبرها وأحراها بالذكر وأجدرها هو قبر الملك رمسيس الخامس وذلك انه يشتمل على عدة قيعان يوجد فيما بينها مجازات يسير فيها السائر فى بطن الجبل حتى يصل الى قاعة التابوت الملوكى الكبرى وكلها يوجد عليها سلسلة طويلة من النقوش المحفورة والزواقات الجميلة وهى صورة مناظر خرافية وتماثيل فلكية تصور فيها سير الشمس وكيفية الثواب والعقاب التى تلقاها الروح البشرية فى دار الحياة الاخروية وعلى الخصوص قاعة التابوت الكبرى التى وصفها شامبوليون مع غاية التفصيل والتبيين فى رسائله التى حررها من ديار مصر فيما يتعلق بالآثار المصرية القديمة حيث تكرر فيها تصوير كيفية سير الشمس وعلى جوانب

جدرانها مالا يحصى من الكتابات بالقلم المصرى القديم المعروف باسم الهيوروجليف وليست بجميع القبور الستة عشر الموجودة بالوادى المسمى باسم بيبان الملوك كلها تامة الزواق والزينة على سائر جهاتها مع سعتها بل بعضها كان قد تم فيه هذا العمل وهو قبور الملوك الذين كانت اقامتهم على كرسى المملكة أطول وبعضها كان لم يتم فيه ذلك العمل وذلك انه كان من عوائدهم انه متى جلس الملك على كرسى السلطنة حصل الشروع على الفور فى اجراء العمل لانشاء القبر اللازم له ومتى توفى دفن فيه على الحال الذى يكون عليه برقت وفاته سواء كانت هذه العملية قد تمت أو نقصت على حسب اختلاف قدر مدة ولايته طالت أو قصرت ومتى دفن فى قبره الجسد أغلق بابه الى الابد ومن جملة أتم القبور الملوكية المذكورة وأعجبها وأعظمها وأغربها قبر الملك سيتوس الاول وقبر الملك رمسيس الثالث وذلك ان قبر الملك سيتوس الاول قد تصورت فيه أنواع الانسال البشرية على حسب ما كان يعرفها اهل مصر فى سالف العصر وعلى قبر الملك رمسيس الثالث كما يوجد مثل ذلك على جميع قبور الاعصار الاولية صور امتعة منزلية وأدوات تتعلق بكيفية المعاش الخصوصية مع صور داشرية للسنة الزراعية المصرية مصورة على ست هيئات مختلفة للنيل وأرض مصر ممثلا كل منهما فى صورة ذات مصورة بالشئ المجعول لها عندهم من قبيل الرمز والاشارة وعلى سبيل العلامة والامارة وقد تصور فى كل هيئة من الهيئات الست المذكورة صورة سائر الخواص الزراعية التى تختص بكل موسم من المواسم السنوية المصورة فى تلك النقوش الصناعية وذلك ان من المعلوم كون مياه النيل هى التى يتحدد بها فى الديار المصرية أوقات المواسم الزراعية (اه)

مطلب — ذكر ما كان لقدماء المصريين فى سالف العصور من الهياكل والقصور

قال المؤرخ المكرر الذكر أعلاه ما معناه انه بوقت غزوة عسكر الفرانسيس لديار مصر كانت فرقة العسكر الفرانساوى الكائنة تحت رياسة القائد المسمى باسم ديزيه قد أرسلت لتباعة مراد بك ومن معه من جماعة المماليك الى أقصى جهة الصعيد ومع كون جماعة العساكر الفرانساوية المذكوره كانوا قد صاروا الحالة العدم ونفاد الميرة وكادوا أن يهلكوا من شدة الحرارة فبجران بدت لاعينهم على حين غفلة طوالع اطلال طيبة نسرا من أول وهلة ما كان قد اعتراهم من المشقة والتعب وكل ما كان قد أصابهم من ألم الجوع والنصب مع قرب العدو منهم وامتلأت قلوبهم حمية وحماسا وصاروا جميعا يصفقون بكفوفهم استغرابا دفعة واحدة ويصيحون استعجابا عن حركة متحدة وذلك ان مدينة طيبة هذه التى كانت فى سالف الاعصار عند المصريين لا لههم المسمى باسم (آمون) هى المدينة المقدسة (بمعنى الحرم المأمون) هى وان كانت قد انكب عليها من نكبات الدهر وانصب اليها من صدمات كل عصر مصائب شديدة مدة عدة قرون من الزمن عديدة وانضم فيها العمل الخراب الحاصل عليها من تعاقب الاحقاب نوائب الفساد الحاصل فى تلك الاعصار

من غارات الاقوام المتوحشين على تلك البلاد فلم تزل تظهر لنظر الناظر اليها فى أعظم منظر واجسم مخبر وتبدو لبصر المتفرج عليها فى أعجب مجموع من الابنية والعمارات التى باشرتها ايدى الصنائع والفنون على ممر القرون مما يكاد أن يكون بمباشرة جميع العائلات الملوكية الكثيرة التى تمالكت على ديار مصر من عصر الملك أو زورتازان الاول الى عصر آخر ملوك دولة البطالسة الكبيرة الذى هو والد الملكة قليوبطرة الشهيرة ولو أردنا ان نستقضى على وجه شامل وصف ما بقى من من آثار عمارات مدينة طيبة المذكورة للزم لنا وضع مجلد كامل ولذلك اقتصرنا القصد ايراد ما فيه الكفاية للالمام بما كانت عليه هذه المدينة الشهيرة من بلاغة السعة والزينة الكثيرة على ان نقول ان مساحة سور اطلال الجهة المعروفة الآن بالكرنك من مكان هذه المدينة القديمة يبلغ ١١٠٩ أقدام بقطع النظر عن مكان صفوف التماثيل المعروفة باسم أبى الهول الكائنة امام الباب البرانى وعن الهيكل الآخر الذى انشأه الملك رمسيس الثانى على ذات سمت الهيكل الاول فيما وراء حائطه الحادث بحيث يبلغ مجموع مساحة حاصل الجميع لما يقرب من مبلغ ٢٠٠٠ قدم تقريبا وهم ايدخل فى جملة العمارات المشمولة فى دائرة هذه المسافة الرحيبة القاعة ذات الاعمدة العجيبة التى هى من انشاء الملك سيتوس الاول ولا تفى العبارة بوصفها على الوجه الاكمل قال المؤرخ فرانسيس لونورمان وهذا نص عبارة العالم السياح الفرانساوى المسمى باسم أمبير فى كتاب رحلته بديار مصر السالف الذكر والبيان حيث قال فيه ما نصه فى هذا الشان واذا أردت ان تتصور هذه القاعة الغريبة فتخيل غابة من الابراج وتصور امامك مائة وأربعين عمودا فى مثل غلظ العمود الكبير المنصوب فى الميدان المسمى باسم (لاپلاس وندوم) بمدينة باريس يبلغ أكثرها ارتفاعا الى ٧٠ قدما (وذلك هو مبلغ ارتفاع مسلتنا الفرانساوية هذه تقريبا) ومساحة قطر هذه الاعمدة الفرعونية ١١ قدما وكلها معمورة بانواع النقش البارز الظريف والكتابة بالقلم المصرى القديم المعروف بالهيورجليف ومحيط رؤس هذه الاعمدة ٦٥ قدما ومجموع مساحة هذه القاعة الملوكية ٣١٠ اقدام طولا على اكثر من ١٥٠ قدما عرضا وكانت فى الاصل كلها مسقوفة ولم يزل يشاهد بها كوة من الكوات التى كانت متخذة فيها لادخال النور اليها (اه) وقال العالم السياح الالمانى المشهور باسم ليسبيوس فى كتاب رحلته بديار مصر ما هو هذا بضاجد يرالذكر ونص عبارته كما هو بعد مسطر ان مما لا يدخل فى حيز الامكان أن يعبر الانسان بالقلم أو اللسان عما يجده فى قلبه من التأثير العجيب والاندهاش الغريب اذا دخل أول مرة فى هذه الغابة من العمدان وخطر أول خطرة بين تلك الصفوف المتعددة من تماثيل الآلهة المصرية العظيمة وصور الذوات الفرعونية الفخيمة التى هى معمورة بها تارة عليها كلها وطورا على جزء منها وعلى جميع جدرانها نقوش مفعورة مزوقة بانواع الصباغات الملونة بعضها بارز وبعضها مفرغ ولم يتم عملها الا فى مدة عهد

خلفاء الملك سيتوس وعلى الخصوص فى مدة ولاية ولده رمسيس ٥ (اه)
وفيما بين عمارات الكرنك والجهة المسماة بالاقصر بحيث تصل احدى العمارتين بالاخرى سلسلة من العمدان والكبوش المصطنعة من حجر الصوان موضوعة بغاية الضبط والاتقان على وجه من التدبير بحيث يتكون فيما بينها طرق وجسور وهى عبارة عن هياكل وقصور من انشاء الفراعنة المتعاقبين على مملكة مصر فى عدة اجيال مضت على تعاقب الدهور وأقدمها عهدا وأعظمها الهيكل الكبير الذى هو من انشاء الملك آمينوفيس الثالث وفى جهة الشمال منه مجاز من الاعمدة يوصل الى هيكل آخر من بناء الملك رمسيس الثانى ومساحة مسطح مكانه ٢٥٠٠ متر وقد كان الملك المذكور شاد فى مقدم الساحة الكائنة امام هذا الهيكل مسلتين عظيمتين احداهما نقلت الى بلاد الفرانسيس وهى الموجودة الآن بالميدان المسمى (باسم لابلاس دولا كونكرد) أى ميدان الاتفاق بمدينة باريس
وبالجملة فان آثار مدينة طيبة الصعيدية هذه هى أعظم الاطلال وأجسم الآثار التى بقيت من عمارات الديار المصرية على ممر الاعصار وقد كان يجب علينا أن نطيل الكلام عليها ولكن استصوبنا الاشارة اليها على وجه الاختصار ولا ينبغى أن يتوهم انه لا يوجد غيرها على شواطئ وادى النيل مما هو من هذا القبيل بل يوجد فى عدة أماكن من الديار المصرية بجزيرة اسوان وامبو وادفو واسنا وارمنت ودندره عدة هياكل قديمة ومعابد عتيقة عظيمة بعضها باق بتمامه على حالته الاصلية لغاية الآن وبعضها اعتراه الفساد بمرور الزمان غير ان أكثرها كان قد تجدد بناؤه فى مدة دولة البطالسة الخالفين على الاسلوب الذى كان قد حصل عليه انشاؤه فى اعصار الفراعنة السالفين وقد استكشف المكرم ماريت بك ناظرا عمال البحث عن الآثار القديمة الفرعونية بالديار المصرية فى المدينة المسماة باسم آبيدوس (المدفونة) بنواحى الصعيد هيكلا كاملا لم يلحقه اتلاف كانه بناء جديد من عهد الملك سيتوس الاول وهو أعظم وأجمل ما يوجد بالديار المصرية من المعابد الفرعونية من حيث اتقان الصناعة الفنية ومساحة مسطح مكانه ٨٦ قدما طولا
وأما مدينة مصر القديمة المسماة باسم منفيس أو منف (مائة رهينه) فلم يبق من عماراتها الجسيمة شئ قائم على حالته الاصلية وهيئته الاولية والذى أمكن بقاؤه من آثارها انما هو مدفون تحت الارض وغاية ما تيسر اظهاره من هياكل هذه المدينة العظيمة هيكل واحد استكشفه المكرم ماريت بك المذكور آنفا وهو الهيكل المسمى باسم (لوسيرابيوم أى معبد آله قدماء المصريين المسمى باسم سيرابيس) وقد عثر فى داخل سوره على مدافن سلسلة جميع الاثوار التى كانوا يعبدونها ويسمونها باسم (آپيس) من عهد العائلة الملوكية المصرية التاسعة عشرة الى عهد ادخال الديار المصرية تحت ولاية السلطنة الرومانية وقبل أن ننهى الكلام على هذا الباب لا بأس لنا بأن ننبه
هنا

هنا بطريق الاختصار على ما يوجد من عديد العمارات والآثار الباقية من عهد الاعصار الفرعونية متسلسلة على شواطئ النيل ببلاد النوبة من عند شلال اسوان لغاية الشلال الثانى ببلاد السودان ولاسيما الهيكل العجيب الكائن هنالك تحت الارض بالناحية المسماة باسم **ابسنبول** (بكسر الهمزة فى أوله) حيث يوجد كثير من النقوش التاريخية والتصاوير الدينية على جوانب جدرانه وعلى واجهة بابه الغريب المركب على اربعة اعمدة من الصور الهائلة (اعنى من نوع الصور الجسيمة المعروفة باسم ابى الهول) منحوتة فى ذات الصخر من الجبل مصورا فيها ذات فرعون رمسيس الثانى على هيئة الجالس مع كون ارتفاع كل صورة منها يبلغ خمسا وستين قدما (انتهى الى هنا معربا من مختصر تاريخ الامم المشرقيين والهند للمؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان)

تتمة

تشتمل على بعض ايضاحات جديدة وزيادات مفيدة فيما يتعلق بتاريخ مصر فى سالف العصر

وذلك فى عدة مسائل (معربة باختصار من التاريخ القديم الكبير للمؤرخ فرانسيس لونورمان الشهير)

المسألة الاولى

مطلب — بسط الكلام على أصل مأخذ تاريخ المصريين القدام قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور اعلاه فى تاريخه القديم الكبير ما معناه طالما كان أهل العلم بالبلاد الاوروبية اذا ارادوا ان يكتبوا تاريخ الديار المصرية يضطرون للاقتصار على اعتماد ما كان قدماء اليونان قد اودعوه فى سالف الزمان بمصنفاتهم التاريخية من القصص والروايات الحكوية وذلك لانهم كانوا لم يطلع احد منهم بعد فى سالف العهد على أسرار القلم المصرى القديم ولا كان أحد التفت لما كان يقتضى له من التعلم او تعليم ولما كان ما اقتصه سلف المؤرخين من الشهادات التاريخية فيما يتعلق بتواريخ الديار الفرعونية متناقضا كل التناقض بعضه لبعض كانوا يظنون لزوم ترجيح ما ابداه من المعلومات التاريخية كل من المؤرخ هيرودوت الاليكارناسى وديودور الصقلى وايثاره على سائر ما عداه فهذا هو ما كان جاريا عليه العمل بين اهل العلم فى سالف الزمان واما الآن فقد تغيرت احوال العلم فى هذا الشان بالكلية لداعى ما اقترحه فى هذا العصر من الاستكشاف المخلد الذكر العالم الفرانساوى النبيه والفاضل الاوروباوى الوجيه جنا فرانسيس شامبوليون المذكور فيما

سلف اعلاه حيث تيسر لنا ابتداء من الوقوف على حقيقة حروف الهجاء المصرية وتعريف اصول اللغة القبطية امكان قراءة ما يوجد مسطرا على الآثار الفرعونية من الاساطير المعروفة بالكتابة الهيروغليفية وقد كانت قراءتها معدودة عند اهل العلم والعرفان في جملة المسائل التي لا يمكن حلها الى آخر الزمان وها هو قد تيسر لنا الآن ان نأخذ تاريخ هذه الديار العتيقة عن ذات ما حرره اهلها بأنفسهم من الكتابات وسطروه بقلمهم القديم على ذات ورقهم البردى وما اثرهم من الآثار والعمارات ومن حين استولت يد التاريخ على تلك السندات الاصلية والتحريرات الرسمية يعني الدواية الدالة على حقيقة احوال شواطئ وادي النيل في سالف الجيل كادت ان تضمحل بالكلية اعتمادية هذين المؤرخين اليونانيين اللذين كان يعتمد عليهما دون غيرهما في المدارس الاوربية وتلاشت تقريبا سندیتهما في المواد تاريخية اما هيرودوت الاليكارناسي فقد كان رجلا سياحا عجيب الضبط غريب التقييد والربط يقص ما شاهده بعيني رأسه من الحوادث الواقعية بطريقة هي للقلوب ساحرة وفطنة نادرة اما فيما يتعلق بوصف اخلاق المصريين وعوائدهم فترى كتابه كنزا نفيسا الى ما لا نهاية له حيث اودعه ما كان قد عاينه بنفسه فعبر عنه باضبط معبرة وسطره باصح مسطرة وفي كل يوم تأتي العمارات المصرية القديمة بفوائد جديدة تؤكد ما استفيد منه من الشهادات العديدة واما فيما يتعلق بذات الوقائع التاريخية فحيث كان لا يعرف لغة المصريين وكان لا يمكنه ان يأخذ الحوادث الحقيقية من منابعها الاصلية كان بالضرورة يعتمد على ما يرويه له قسس الهياكل التي كان يزورها ويستند لما يحكيه له ارباب المجالس التي كان يتيسر له حضورها ولذلك لم يتيسر له كما اعترف بذلك بنفسه ان يحرر للديار المصرية مختصر تاريخ تام ولا أن يأتي بزبدة خبر منتظم للدول الفرعونية على وجه عام بل كان كتابه كما هو نص عبارته عبارة عن مجموع نوادر تاريخية ومحاضر علمية تتعلق ببعض أحوال الملوك المصرية فقط على ان تلك النوادر التاريخية لم تكن متوالية الترتيبات الزمنية ولا متوالية المواقيت الحقيقية ومن اطلع على كتابه اتضح له بالطريقة الجلية ان هذا السياح اليوناني الكيس انما تو دبطون او راقه بتقييدات كان قد أخذها بمدينة منفيس عمن كان فيها من طائفة القسوس وانه خلط خلط عشواء وخبط خبط عمياء في مادة المدد الزمنية ونسب بعض الوقائع لغير اعصارها الحقيقية وأما ديودور الصقلي فقد كان كذلك سنداقويا ومعتمدا مستقيما سويا فيما يتعلق بعادة الاخلاق والعوائد المصرية حيث كان بنفسه قد عاينها فعبر عنها وبينها واما فيما يتعلق بالتاريخ الحقيقي فقد كان مجرد جامع لاقوال غيره روى في كتابه عدة روايات مختلطة وضمنه جملة حكايات مختبطة من العلم وبعض مواده نادرة عن ايادشتى في نهاية من سوء الهضم وكتابه في الواقع ونفس الامر لا قيمة له مطلقا فيما يتعلق بتواريخ فراعنة مصر ولا يكاد يؤخذ منه فيما يتعلق ببيان احوال ذلك العصر غير قدر يسير جدا من بعض نوادر تاريخية هي في الحقيقة من الاصل محض مصرية يوجد منها في كتاب هيرودوت السالف الذكر القدر الكثير

ولا يوجد فيمن كتب على الفراعنة المصريين السالفين من بقى له من بعد التمكن من قراءة حروف القلم المصرى القديم المعروف باسم الهيروغليف المقام الشريف والقدر الثمين المنيف جدا غير مؤرخ واحد فقط وهو مانيتون القسيس المصرى المعروف بل لم يزل فى كل يوم تعلو قيمته وتعلو درجته كلما حصلت مقابلته بما استفيد من السندات الاصلية والقيودات الاهلية التى لم تزل تستكشف على العمارات المصرية وطالما كان اهل العلم يحتقرونه و ينازعون فى صدقه وينكرونه وكانوا يرون ان ما ذكره فى كتاب تاريخه من مديد سلسلة العائلات الملوكية المصرية وعديد بيوت الملك والدول الفرعونية انما هو من قبيل الخرافات لا من قبيل الحقائق التاريخية وأما الآن فقد تحقق باقوى البرهان ان ما بقى لنا على ممر الدهر لغاية هذا العصر من كتاب هذا المؤرخ المصرى العظيم هو اوّل ما أخذ بعهد وافضل منبع يوجد لانشاء تاريخ ديار مصر القديم

وقصة مانيتون هذا هى انه كان رجلا قسيسا مصريا وشيخا دينيا من أهل مدينة سبنيت اوسبنيتيس (وهى سمنود) بالاقاليم البحرية كان قد كتب تاريخ وطنه من عين معدنه بامر الملك بطليموس فيلادلف بناء على ما كان محفوظا فى الهياكل المصرية من السجلات الرسمية والدفاتر السلطانية والدينية ولكن انعدم تأليفه هذا النفيس ككثير من الكتب التى كان قد كتبها السلف ولم يصل الينا منه غير بعض قطع يسيرة وعبارات متفرقة غير كبيرة مع جدول يشتمل على ذكر جميع الملوك المصريين والفراعنة المتقدمين كان القسيس مانيتون المذكور قد وضعه فى ذيل كتابه المشهور فنقله عنه لنا من سعدنا فى ضمن تأليفاته التاريخية بعض احبار عهد دين النصرانية وقد توزعت فى الجدول المسطور جميع الملوك والسلاطين والفراعنة السالفين الذين تعاقبوا على ولاية الامر بديار مصر فى سالف العصر لغاية عهد الاسكندر الاكبر الى عدة بيوت ملك اودول سلطانية جرت عادة المؤرخين بالتعبير عنها بالعائلات الملوكية أوالدول المصرية وقد نص القسيس مانيتون فى أكثر هذه العائلات السلطانية على اسم كل ملك ومدة ولايته وسائر مدة اقامة ملوك عائلته على كرسى السلطنة الفرعونية واقتصر فى قليل منها على ذكر بعض فوائد مختصرة وايراد بعض أخبار مقتصرة تتعلق ببيان أصل بيت الملك وعدد من تقلد منه بقلادة الولاية المصرية مع رقم قدر المدة التى أقامتها كل عائلة سلطانية قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المكرر الذكر والبيان ولا سبيل لنا هنا لان نورد هذا الجدول بتمامه وكماله حيث كان أكثر ما ورد به من اسماء الملوك والسلاطين قد اعتراه التغيير والتبديل وداخله الفساد والتحويل من يد النساخ اليونانيين لداعى جهلهم بلغة المصريين ولا يمكن لنا اصلاح ما اعتراه من الاختلال والمغايرة اللهم الا بدقة النظر فيما يستنبط من العمارات المصرية القديمة بطريق المباشرة ولكنا رأينا انما لا بأس به ان نورد منه هنا الاأقل من الفوائد الاصلية فى ضمن هذا الجدول المختصر الذى هو بعده مسطر

جدول

يتضمن زبدة ماروى عن مانيتون المصري من قائمة العائلات الملوكية المصرية

ترتيب العائلات بحروف ابجد	منشأ او قاعدة كل عائلة	اسماء حادثه	مدة اقامة كل عائلة	تاريخ ق م
ا	تينيس	خرابة المدفونه	٢٥٣ سنه	٥٠٠٤
ب	«	«	٣٠٢ «	٤٧٥١
ج	منف اومنفيس	مائة رهينه	٢١٤ «	٤٤٤٩
د	«	«	٢٨٤ «	٤٢٣٥
ه	«	«	٢٤٨ «	٣٩٥١
و	ايليفنتين	جزيرة اسوان	٢٠٣ «	٣٧٠٣
ز	منف اومنفيس	مائة رهينه	٠٧٠ «	٣٥٠٠
ح	«	«	١١٢ «	٣٥٠٠
ط	هيراقليو بوليس	اهناس المدينه	١٠٩ «	٣٣٥٨
ى	«	«	١٨٥ «	٣٢٤٩
اى	طيبة	مدينة آبو	٢١٣ «	٣٠٦٤
بى	«	«		
جى	«	«	٤٥٣ «	٢٨٥١
دى	اكسو يبس	سخا	١٨٤ «	٢٣٩٨
هى	الملوك الرعاة	سان	٥١١ «	٢٢١٤
وى	«	«		
زى	«	«		
حى	طيبة	مدينة آبو	٢٤١ «	١٧٠٣
طى	«	«	١٧٤ «	١٤٦٢
ك	«	»	١٧٨ «	١٢٨٨
اك	تانيس	سان	١٣٠ «	١١١٠
بك	بوباستيس	تل بسطه	١٧٠ «	٠٩٨٠
جك	تانيس	سان	٠٨٩ «	٠٨١٠
دك	سيبيس	صا الحجر	٠٠٦ «	٠٧٢١
هك	دولة الحبشة	«	٠٥٠ «	٠٧١٥
وك	سيبيس	صا الحجر	١٣٨ «	٠٦٦٥
زك	دولة الفرس	«	١٢١ «	٠٥٢٧
حك	سيبيس	صا الحجر	٠٠٧ «	٠٤٠٦
طك	منديس	اشمون الرومان	٠٢١ «	٠٣٩٩
ل	سبنيتوس	سمنود	٠٣٨ «	٠٣٧٨
ال	دولة الفرس	«	٠٠٨ «	٠٣٤٠
			٤٧١٢	

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى تاريخه الكبير المنقول عنه أعلاه مامعناه هذا حاصل جمع مانص عليه المؤرخ المصرى فى قائمة ملوك وطنه من الارقام وملخص ماسطره فيها من المدد والاحكام وكل من اطلع عليه فلابد وان يتعجب ولا يسعه الاان يستغرب من جسامة مدة الزمن الناتجة من حاصل جمع مدد اقامة العائلات الملوكية المصرية على كرسى السلطنة الفرعونية وذلك انه بمقابلة مبلغ حاصل هذا الجمع المسطر أعلاه مع مبلغ عمر الدنيا حسبما أوضحنا تحقيقه فيما أسلفناه يرى ان ماذكره فى قائمته قسيس سبنيت يوصلنا الى أقصى الازمان التى هى عند سائر الامم الاقدمين معدودة من الاعصار الخرافية وهى عند المصريين معدودة من الازمان التاريخية الحقيقية ولما تحيرت افهام بعض العلماء المتأخرين فى توجيه هذه المشكلة العلمية مع كونهم لم يسعهم ان يتشككوا فيما يقتضى ان يكون عند المؤرخ مانيتون المصرى من الصدق والاعتمادية اضطروا فى توجيه ذلك بالقول بأن ديار مصر فى عدة عهود من تاريخها فى سالف العصر قد كانت منقسمة الى عدة دول متفرقة وجملة ممالك متزقة وان مانيتون المصرى انما ذكر منهم عدة عائلات ملوكية على وجه كونها متعاقبة مع انها كانت متعاصرة وذهب آخرون منهم العالم الفرانساوى المسمى باسم بوسان الى خلاف هذا المذهب السالف البيان فقالوا بدلا عما ذكره مانيتون من ان حادثة تأسيس الدولة الملوكية بالديار المصرية قد كانت فى سنة ٥٠٠٤ قبل تاريخ ميلاد المسيح عليه السلام حسبما تسطر اعلاه انه يقتضى أن تكون الحادثة المذكورة قد حصلت فقط فى سنة ٣٦٢٣ ق م (قلت وهذا قريب مما ذكرناه فى ضمن الباب الاوّل وأوضحناه)

قال المؤرخ ماريت بك المذكور فيما أسلفناه ماملخص معناه فان قيل ياليت شعرى ما أصدق القولين المذكورين و ياهل ترى ما أصح المذهبين المسطورين قلنا انه كلما تدقق النظر فى هذه المشكلة التاريخية تحقق انه لازال يصعب حل هذه المعضلة العلمية وان أعظم الموانع للوقوف على حقيقة ترتيب الازمان فى تاريخ الديار المصرية هو ان ذات المصريين لم يكن لهم تاريخ زمنى منتظم ولا توقيت تاريخى مستقيم بل كانوا يجهلون توقيت الحوادث التاريخية بحادثة ثابتة محددة ولغاية الآن لم يتيسر لاحد ان يثبت انهم كانوا يؤرخون حوادثهم الوقتية بشئ آخر غير سنوات ولاية ملكهم المتولى عليهم وقد كانت تلك السنون ليس لها مبدأ ثابت اذ كانوا تارة يعدونها من ابتداء السنة التى مات فيها الملك السلف وتارة يحسبونها من أوّل اليوم الذى عمل فيه الاحتفال لتقليد الملك الخلف فلو بلغت ما بلغت درجة الضبط والتدقيق فى الحساب الجارى لعدة تلك السنين بمعرفة أهل العلم والتحقيق من المتأخرين فلابد لهم من الوقوع فى الغلط اذا أرادوا الحصول على تعيين

أوقات معينة وتواريخ ثابتة للحوادث المصرية اذ كان ذلك معدوما عند ذات المصريين ومع ذلك فالذى يقتضيه الوجه فى هذه المشكلة العلمية هو ان يقال ان الديار المصرية قد كان فيها من غير شك ولا مناكرة عدة دول أو عائلات ملوكية متعاصرة غير ان المؤرخ مانيتون المصرى لابد وانه فى عمل التنقيح الذى أجراه فى تحرير تاريخ وطنه كان قد صرف النظر منها عما كان يظهر له انه الدولة الباغية ولم يدرج فى جدوله غير ما كان يظهر له انه هو الدولة الشرعية والعائلة الملوكية الحقيقية والالزم أن يكون عدد العائلات الملوكية المصرية بالغا الغاية الستين لا الاحدى والثلاثين كما جرت عليه بناء على ماذكره مانيتون المذكور عادة المؤرخين

ولم يتيسر لاحد من العلماء الذين تكفلوا باختصار الارقام المسطورة فى جدول مانيتون المذكور أعلاه ان يأتى ببرهان مطلقا من العمارات المصرية القديمة على ما ادعاه من أن دولتين ذكرتا فى جدول المؤرخ المصرى على انهما متعاقبتان قد كانتا متعاصرتين بخلاف أرباب المذهب الثانى القائلين بأن جميع بيوت الملك الذين عددهم فى جدوله القسيس السبنيتى كانوا قد جلسوا على كرسى المملكة الفرعونية بعضهم إثر بعض فان ما التقطه كثير من العلماء بأحوال المصريين واستنبطه جمهور كثير من العلماء المتأخرين من الادلة المأخوذة من الآثار المصرية القديمة شاهدة لما ذهبوا اليه ومعضدة لما عوّلوا عليه هو قدر كثير وعدد كبير جدا (اه ماريت بك)

وفى الحقيقة ونفس الامر لا يوجد فى جملة الامم المتقدمين فى سالف العصر أمة يتيسر تحرير تاريخها على سندات هى فى الحقيقة أصلية ومعتمدات أهلية اى مأخوذة عن ذات أربابها الاصليين وأصحابها الاهليين أكثر من ديار مصر حيث يوجد عمارات مصرية عديدة وآثار فرعونية مفيدة لا فقط فى الديار المصرية بل فى بلاد النوبة والسودان لغاية الديار الشامية فضلا عن القدر الكثير الذى حصل عليه لغاية الآن العثور من الامتعة المنزلية العتيقة التى لم تزل تلتقط منذ خمسين سنة من تلك العمارات المصرية والآثار الكفرية حتى امتلأت منها جميع الانتيقخانات الموجودة فى جميع المدن الكبيرة والقواعد الشهيرة من جميع بلاد الدنيا ولاسيما الانتيقخانة الخديوية الكائنة على شاطئ النيل الايمن ببولاق مصر القاهرة حيث صارت الآن فى جملة تلك الانتيقخانات مما يعدّ فى أعلى الدرجات لداعى ما شحنها به بلدينا الفاضل ماريت بك من نتائج جميل التحريات وجليل التفحصات ثم ان الآثار التاريخية المصرية على ضربين أحدهما ما يتعلق منها بعموم تاريخ ديار مصر والثانى ما يتعلق بخصوص تاريخ عائلة ملوكية معينة بحيث يدل اما على أصل وجودها أو على تحقيق مدة كينونتها الزمنية من سالف العصر

ولنتكلم هنا أولا بوجه الاختصار على الآثار الاصلية التى تدل على بعض فوائد عمومية فيما يتعلق بمجموع التواريخ المصرية القديمة فنقول

الاول قرطاس من الورق البردى يوجد محفوظا بأنتيقخانة مدينة توران (ببلاد ايطالية) وكان قد باعه اليها قنصل عموم دولة فرانسة بمصر المدعو باسم (دروويتى) ولو كان هذا القرطاس باقيا على حالة تمامه الاولية لكان أنفس أثر يوجد لعلم الآثار القديمة المصرية وذلك انه يشتمل على قائمة أسماء جميع الذوات المعتبرين بوجه كونهم حكام ديار مصر فى سالف العصر سواء كان ذلك فى الازمان الخرافية أو التاريخية الحقيقية من منذ أقصى الاعصار الاولية لغاية مدة لا يمكن لنا الوقوف عليها لداعى ان ذيل القرطاس المذكور مفقود وهو محرر فى عهد الملك رمسيس الثانى (من العائلة الملوكية التاسعة عشرة) اعنى فى أحد أبهج الاعصار وأبهى مدد الابهة والفخار من تاريخ الديار المصرية فهو متصف بجميع الشروط اللازمة لكونه يعد من جملة السندات الرسمية والمعتمدات الدولية وفيه لعلم التاريخ اعانة قوية وفائدة كبيرة حيث ترى فيه فى اثر كل اسم من اسماء الملوك المكتوبة عليه رقم مدة ولايته وبعد كل عائلة من العائلات الملوكية مجموع السنوات التى اقامتها على ولاية مصالح الديار المصرية غير انه من سوء البخت وعدم السعد لم يوجد هذا الكنز من العلم الذى لا يقوم الا قطعا متفرقة واجزاء متمزقة تبلغ ١٦٤ قطعة اكثرها لم يمكن تعقيبه ولم يتيسر توفيقه وترتيبه

الثانى آثار اخر نفيس وجد بهيكل الكرنك ونقل الى الانتيقخانه السلطانية الكائنة بمدينة باريس وهو عبارة عن قاعة صغيرة وجد مصورا على جوانب جدرانها تمثال الملك طوطميس الثالث (من العائلة الثامنة عشرة) على هيئة المتنسك امام صور واحد وستين ملكا من اسلافه ولذلك سميت قاعة الاسلاف غير ان الملوك المندرجين فى هذا الاثر العظيم ليسوا مرتبين على وجه متسلسل منتظم ولا توال مستقيم بل جماعة منتخبين من خيار اجداده السالفين اختارهم الملك طوطميس الثالث المذكور لقصد ان يتعبد لهم ويمجدهم ويتنسك امامهم ويعبدهم ومن اطلع على تماثيل هؤلاء الملوك المصريين والفراعنة السالفين ظهر له من اول وهلة انهم انما هم نخبة غير متعاقبة من دفاتر ملوك مصر الاولين ونقاية غير مرتبة من سجلات الفراعنة الشهيرين حيث ترى المصور الذى صورهم وادرجهم فى هذا الاثر وحررهم لاسباب لم نقف عليها قد انتخب بعض ملوك مخصوصين فتارة يجمع بين ملوك عائلة ملوكية ويأتى بجميعهم وتارة يترك اجيالا من الدهر مستطيلة ولا يأتى بملوكهم ومما ينبغى عليه التنبيه ان المصور الذى نيط لنظره رواق قاعة الاسلاف المذكورة بتلك الآثار المأثورة انما توجه نظره فى تصويره للحصول على هذا الغرض الى مجرد التزويق والزينة فقط فلم يحرص على ترتيب من أتى به فيها من الملوك على حسب ترتيب ازمانهم بالضبط والدقه ومما يؤسف عليه أيضا

فى هذا الاثر الوجيه هو ان بعض تماثيل الملوك المصورة فيه قد اعتراه التشويه فلم يوجد فيه اسم اثنى عشر ملكا وبذلك فقد منه ما كان يقتضى ان يكون له من درجة الاهمية من حيث الفوائد التاريخية ومع ذلك فقد استفيد منه اكثر من سائر ما عداه من قوائم اسماء الملوك ضبط أسماء ملوك العائلة الثالثة عشرة المصريه

الثالث الاثر المعروف باسم جدول آبيدوس المستخرج من اطلال المدينة الشهيرة المسماة بهذا الاسم وهو المحفوظ الآن بالانتيقخانة الانجليزية الكائنة بمدينة لوندره وهو عبارة عن تصوير هيئة تعبدية وحالة تمجيدية مركبة من تماثيل عدة ملوك منتخبين وجملة فراعنة غير مرتبين لبواعث هى لنا غير معلومة وأسباب غير مفهومة نظير ما سبق ذكره فيما تصور بقاعة الاسلاف السابقة الذكر غير ان الملك المتنسك امام اسلافه فى هذه الهيئة التعبدية هو الملك رمسيس الثانى المذكور آنفا وقد كانت فى الاصل أسماء الملوك المصورين فيها خمسين ثم انمحى بعضها فلم يبق غير ثلاثين من التماثيل المذكورة بعضها تام التصوير وبعضها مشوه الصوره وقد كان جدول الملوك الذى عثر عليه بآثار مدينة آبيدوس بهذه المثابة يكاد ان يكون خاليا عن القيمة التاريخية بالكلية حتى ظفر منه مارييت بك من عهد قريب فى هيكل آخر من المدينة المذكورة بنسخة أخرى هى اتم واكمل واعم واشمل لاكثر الصور والاسماء المفقودة من الاولى مؤرخة من عهد الملك سيتوس الاول الذى هو والد رمسيس الثانى وسلفه على كرسى المملكة المصرية وقد استفيد من جدول آبيدوس هذا الجديد بيان أسماء ملوك العائلات الملوكية المصرية الست الاولى على وجه من الضبط والكمال يكاد يضاهى تقريبا ماذكر من ذلك بجدول المؤرخ مانيتون السالف الذكر وبذلك تحقق ماذكره فى هذا الخصوص مؤرخ مصر اتم التحقيق وتطبق عليه كل التطبيق

الرابع الاثر المعروف باسم أثر سقاره الذى عثر عليه ايضا ماريت بك وهو المحفوظ الآن بالانتيقخانة الخديوية الكائنة ببولاق مصر القاهرة المعزية وبه تأكد أيضا ما وجد بجدول ملوك آبيدوس الجديد فيما يتعلق باسماء ملوك العائلات الملوكية المصرية السابقة العهود وليس مصدر تحرير جدول سقارة هذا كغيره من الآثار السالفة الذكر عن ملك من ملوك ذلك العصر بل وجد فى داخل قبر رجل قسيس كان موجودا فى عصر الملك رمسيس الثانى يقال له (تونارى) من احاد اهل مصر وقد كان من عقائد المصريين فى سالف الدهر ان من الفضائل التى تختص بها فى الدار الآخرة روح الرجل الصالح اى الذى استحق بصالح اعماله فى الدار الدنيوية التمتع بالحياة الابدية ان يقبل فى ضمن مجالس الملوك المتوفين فلذلك ترى فى الاثر المذكور القسيس تونارى هذا مصورا على هيئة الداخل فى الحضرة العلية المركبة من تماثيل ثمانية وخمسين ملكا لاشك فى انهم كانوا بمدينة منفيس بحسن

الذكر

الذكر هم الملوك الاكثر اعتبارا والفراعنة الذين كانوا عندهم بالعدل والتقوى هم الاكثر اشتهارا وانتخابهم أشبه شئ بما جرى فى انتخاب الملوك المصورين بجدول آبيدوس مع بعض فرق مفيد يقتضى التنبيه عليه وهو ان بعض الملوك المصورين موجود فى احد الجدولين المذكورين مع انه فى الجدول الآخر مفقود وان ملكين لاشك عند أهل التاريخ فى انهما كانا متعاصرين تجد احدهما واردا فى جدول سقارة والثانى فى جدول آبيدوس ولذلك لم تتفق كلمة المؤرخين بوجه الاطلاق على من يقتضى أن يكون هو الملك الحقيقى والسلطان الشرعى من الملوك المتنازعين فى عهد العائلة الملوكية التاسعة عشرة المصرية لكون قائمة بيان أسمائهم الموجودة فى تلك الآثار الكفرية كانت تختلف باختلاف المدن وعلى حسب الاماكن التى كانت تعترف لهم بالولاية الشرعية أولا تعترف من سائر نواحى الوطن هذا ما يتعلق بالآثار العمومية وأما الآثار الخصوصية اعنى التى تختص بتاريخ عائلة ملوكية او مدة ولاية سلطانية بالخصوص فهى كثيرة جدا فلا يتيسر لنا هنا ان نصفها ولا ان نحصيها عددا بل اقتصرنا على ان اشرنا اليها فى سياق كتابنا هذا فى كل موضع لزم فيه الاستدلال بها وهى كذلك على ضربين احدهما كتابات على قرطاسات من الورق البردى وذلك عبارة عن قصائد شعرية تتعلق باشهار بعض وقائع حربية لبعض الملوك المتقدمين والفراعنة السالفين ومؤلفات أدبية أو مراسلات كتابية أو دفاتر وسجلات حسابية تتضمن حساب بعض الدواوين العمومية والمصالح الميرية والثانى الكتابات المسطورة على العمارات الاثرية وهذه أيضا على ضربين اصليين احدهما ماسطر على الآثار العمومية والثانى ما يوجد على العمارات الآحادية الخصوصية والآثار الشخصية فاما ما تسطر على الآثار العمومية اعنى الكتابات الرسمية المحفورة على اعمدة متفرقة او على جدران الهياكل والمعابد المتنوعة حيث توجد عليها مصحوبة بنقوشات كبيرة بارزة ملونة بانواع الصباغات الكثيرة فهى تشتمل خصوصا على اقتصاص بعض الحوادث الكبيرة والغزوات الشهيرة التى وقعت لبعض الفراعنة المصريين والملوك السالفين ومن قصص هذه الوقائع العسكرية ما هو مطول جدا كأنه قصائد شعرية يروى فيه حكاية سفر او عدة اسفار من تلك الوقائع الحربية مع توضيح ادق احوالها الواقعية بغاية التفصيل والبيان وذلك بقلم من التأليف والتبيان هو اشبه باسلوب التأليف التوراتية وأما ما يوجد على العمارات الآحادية الخصوصية والآثار الشخصية فهو يشتمل على بيان احوال معيشتهم الداخلية واشغال كينونتهم الاهلية وهيئة جمعيتهم البشرية المصرية يعرفنا كيفية ترتيباتهم الباطنية وحقيقة تأسيساتهم التمدنية ويوقفنا خصوصا على اقوى الاساسات القوية وانفس الاصول النظامية السوية التى يمكن ان ينبنى عليها مادة ترتيب ازمانهم

التاريخية اذ كثيرا ما عثر على شواهد قبور من مقابرهم وآثار مكتوب بها من مآثرهم تجدها مسطرا عليها تاريخ اليوم والشهر والسنة التى توفى فيها صاحب الاثر فلان من مدة ولاية فلان سلطان ذلك الزمان وانه عاش مدة كذا وكذا عاما وشهرا او يوما وهكذا من قبيل هذا التفصيل والبيان

المسألة الثانية

مطلب — ذكر بعض ملوك آخرين من ملوك الدولة القديمة غير الفراعنة المذكورين

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى تاريخه القديم المطول المذكور ما ملخصه بعد مسطور قد ذكرنا فيما تقدم ان اول من اسس الحكومة الملوكية بالديار المصرية كان اصل مولده بمدينة ثينيس وهى المسماة فى اللغة المصرية القديمة باسم تينى (بامالة التاء المثناة الفوقية على ياء مثناة تحتية يليها نون موحدة فوقية بعدها ياء مثناة تحتية) وهى التى سميت فيما بعد باسم آبيدوس بالاقاليم الوسطى قال المؤرخ هيرودوت اليونانى ما نصه « وقد كان المدعو باسم مينيس هو أول ملك قبض زمام الامر ببلاد مصر وكان حسبما رواه القسوس هو الذى بنى مدينة مصر المسماة باسم منف او منفيس وقد كان النيل لغاية عهد الملك المذكور يجرى فى سفح الجبال الرملية التى هى من جهة الصحارى الليبية ولما اعتنى هذا الملك بسد مجرى النهر من الجهة الجنوبية وانشأ هناك جسرا على نحو مائة شوط (والشوط عبارة عن مقياس قدره ١٨١ مترا) فوق مدينة منفيس جف مجرى النهر القديم وحدث له مجرى آخر جديد فى خليج مصطنع فيما بين الجبلين ليتوسط مجرى النهر فيما بين جانبين متساويين واختط تلك المدينة فى عين الموضع الذى انحرف فيه مجرى النهر حيث صار ارضا جافة بوقاية ذلك الجسر وشيد فى المدينة المذكورة أيضا هيكلا كبيرا ومعبدا فاخرا عظيما للاله المسمى عند اليونان باسم بركان وعند المصريين باسم افتا (اه) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان قلنا وقد اتفقت كافة جميع المؤرخين السلف المعتمد عليهم فى المدارس الاوروبية وسائر المؤلفين الذين تكلموا على تاريخ الديار المصرية على ان الملك مينيس هذا هو أول مؤسس للحكومة الملوكية بالديار المصرية وأكد شهادتهم بذلك ماثبت على الآثار المصرية القديمة والعمارات الفرعونية العتيقة من ذكره دائما على انه هو أول مؤسس لدولة الفراعنة بمصر فى سالف العصر ولا زال يوجد لغاية الآن الجسر الذى كان قد أنشأه هذا الملك فى سالف الزمان وهو المعروف فى عصرنا هذا باسم جسر قشيشة فى الاقاليم الوسطانية وعليه عمدة توزيع مياه الرى وقد تكون من خلفاء الملك مينيس مؤسس مدينة منفيس المذكور الذين جاؤا من بعده على الاثر ملوك العائلة الملوكية الاولى ونص مانيتون المصرى على انها أقامت على كرسى ملك الفراعنة بديار مصر مدة ٢٥٣ سنة من الدهر ولم يصل الينا أثر مطلقا ولا عمارة هى لعهد هؤلاء الملوك معاصرة غير ان منهم الملك المسمى

باسم تيتا (بتائين مثناتين فوقيتين ممالة اولاهما على ياء مثناة تحتية بينهما بعدها ألف مقصورة) وهو الوارد فى جدول مانيتون المصرى باسم آطوطيس أو آتوتيس (بالطاء المهملة أو بالتاء المثناة الفوقية) وهو الذى خلف الملك مينيس بطريق المباشرة ومما يذكر عنه انه بنى قصرا فى مدينة منفيس وألف بعض كتب فى علم الجراحة وخامس ملوك العائلة الملوكية الاولى هذه يسمى باسم هيزيبتى وهو الوارد فى جدول مانيتون المصرى باسم اوزافيدوس وقد ذكر فى عدة مواضع من صورة دعاء الجنازة المأثور عن سلف المصريين على انه مؤلف بعض كتب دينية وذكر فيما بقى من اجزاء تاريخ مانيتون المصرى المذكور انه بمدة ولاية سابع ملوك هذه العائلة الملوكية المصرية المسمى باسم سيماميسيس وقع بديار مصر طاعون شديد وموتان عديد والذى يؤخذ من مقابلة جدول الملوك المأثور عن القسيس مانيتون المصرى المذكور مع ما حصل عليه العثور فى الآثار المصرية القديمة من جدول آبيدوس وجدول سقارة ان وحدانية الحكومة المصرية لم تستقر من أول وهلة بدون منازعة ولا خصمانية بل حصل مدة حقبة طويلة من أول عصر ولاية العائلة الملوكية الاولى عدة منازعات بين جملة ملوك متخاصمين كان مستقر دولة بعضهم من غير شك ولا تلبيس بمدينة منفيس و بعضهم بمدينة آبيدوس

ومن ملوك العائلة الثانية الملك كيكيو (وهو الوارد فى جدول مانيتون المصرى باسم كيكيوس وبحسب الظن القوى يكون هذا الملك هو الذى انشأ هرم سقارة ليتخذه قبراله وبناء على هذا القول يكون هذا الهرم هو أقدم العمارات المصرية بل أقدم عمارة فى الدنيا بتمامها بعد آثار برج بابل ويقال ان هذا الملك هو أول من احدث عبادة الحيوانات بديار مصر فى سالف العصر ولاسيما عبادة العجل المسمى ابيس الذى كان يعبد على انه مجسم الاله المسمى باسم افتا فى مدينة منفيس وثالث ملوك العائلة المذكورة أيضا الملك المسمى باسم بانيتير (وهو المدعو فى جدول مانيتون المصرى باسم بينوتريس) ومما يعزى اليه انه شرع قانونا يجوز للنساء ان يتمكن على كرسى مملكة مصر وفى الحقيقة قد عهد عدة مرات فى سياق تاريخ الديار المصرية هذا الامر ويحكى عن سابع ملوك هذه العائلة المسمى باسم نيفير كيره (وهو المدعو فى جدول مانيتون باسم نيفير كيريس) حكايات عامية عجيبة واحاديث وهمية غريبة ومما يقال أيضا ان فرعون سيزوخريس ثامن ملوك هذه العائلة الثانية قد كان عونا حقيقيا بمعنى طويل القامة جدا

ولقد تيسر الحصول على بعض آثار نقشية يصح التجارى على القول بأنها من أعمال اواخر ملوك هذه العائلة الملوكية الثانية منها قبر رجل من ذوى المناصب العلية والمراتب السنية

يسمى باسم توتهوتيب استكشفه بعملية الحفر الجارية بعناية الحكومة الخديوية بهذه الحقبة العصرية حضرة ماريت بك ناظر الانتيقخانة المصرية فى مقابر سقارة التى كان يدفن فيها موتى مدينة منفيس العظيمة فى تلك الاحقاب القديمة ومنها ثلاثة تماثيل قائمة من نوع الاحجار الجيرية تصور فيها رجل آخر من ارباب الوظائف بذلك العصر يدعى باسم سيبه مع اثنين من ابنائه وتلك التماثيل الثلاثة محفوظة بأنتيقخانة قصر لوفره (بمدينة باريس) تفتخر بها هذه الخزانة على ماسواها غاية الفخر

ومن ملوك العائلة الملوكية الثالثة وهو ثانيهم الملك المسمى باسم تزيسهوزتزه (وهو الوارد فى جدول مانيتون المصرى باسم توزتورتروس) ومما يذكر عنه انه كان له اشتغال بالخصوص بعلم الطب وفن قطع الاحجار والكتابة عليها ومن هذه العائلة الملوكية كان قد خرج من الديار الفرعونية أول الملوك الفاتحين للممالك البرانية قال المؤرخ مانيتون المصرى ان اوّل ملوك هذه العائلة الملوكية المدعو باسم سيكير نيفيركه (وفى جدول المؤرخ المذكور باسم نيخوروفيس) كان قد ادخل تحت طاعة الدولة المصرية جزءا من بلاد الصحارى الليبية (بلاد برقة) حيث غزاهم فظفر بهم وانتصر عليهم لداعى فزع شديد من كسوف الشمس كان قد حصل لهم وقد عثر ايضا على صخور جبل الطور ببعض نقوش بارزة وجدت فيها صورة الملك اسنيفرو (وهو الوارد فى جدول مانيتون المصرى باسم سيفوريس) سلف آخر ملوك هذه العائلة الملوكية المصرية على هيئة الظافر بالقبائل العربية الرحالة النزالة المدعويين بالآنيين بجهة بلاد العرب الجنوبية (كما أسلفنا ذكره آنفا)

ومما يوجد فى الانتيقخانة السلطانية بمدينة باريس نسخة كتاب باليد على قرطاس من ورق البردى مؤرخة من مدة ولاية الملك آساتتكيرا (المسمى فى جدول مانيتون المصرى باسم تنخيريس) وهو سلف آخر ملوك العائلة الملوكية الخامسة من تأليف شيخ من اهل بيت الملك يقال له افتاهوتيب يشتمل على حكم ومواعظ للارشاد الى حسن السلوك فى الدنيا نظير كتب قونفسيوس ببلاد الصين وأصل مبنى مكارم الاخلاق المقررة فى هذا الكتاب على طاعة الوالدين مع تعميم مدلول هذا اللفظ لما يشمل طاعة ولى الامر الحاكم حيث كان المصريون يعتقدونه مقلدا بولاية ابوية حقيقية ومما ذكر فى الكتاب المذكور مانصه وان الولد الذى يصغى لقول أبيه يطول عمره لهذا السبب وطاعة الولد لوالده هى اللذة .... حيث يحبه ابوه ويثنى عليه كل حى يدب على الارض والخارج على ولى الامر مغتر يرى العلم فى الجهل ويرى الفضائل فى الرذائل ويتجارى فى كل يوم على ارتكاب كل نوع من الغش وبذلك يعيش عيش الاموات ومايرى الحكيم انه الموت هو بالنسبة اليه الحياة فانه

انما يسير في طريقه مغمورا في كثير من اللعنات وثواب من يعمل بهذه القواعد في دار الدنيا هو طول الحياة والقبول عند الملك والولد البار بوالديه سعيد بطاعته حيث يعمر العمر الطويل ويبلغ القبول» (اه) ثم ذكر مؤلف هذا الكتاب نفسه على سبيل التمثيل فقال «وبذلك صرت أنا من اطول اهل الارض عمرا وعمرت من السنوات مائة وعشرا وانا في القبول عند السلطان والرضى عني من مشايخ الزمان لداعي اني أديت ما يجب على للملك في موضع قبوله» اه

ويوجد في الانتيقخانة المذكورة أيضا نسخة كتاب آخر باليد من هذا القبيل لم يبق منها من الصحائف غير شيء قليل تشتمل على ماهو أشبه شيء بأمثال سليمان بن داود عليه السلام منها قوله «مع السعد كل مكان طيب والذنب الصغير يحقر الرجل الكبير والقول الطيب أضوأ من الزمرد الذي تلتقطه يد الرقيق من بين الحصا والعالم شبعان بما يعلم مكان قلبه طيب وشفاهه مقبولة الى غير ذلك من الحكم والامثال»

وأول ملوك العائلة السادسة يقال له آتي (وفي جدول مانيتون المصري آتويس) قال المؤرخ المذكور ان هذا الملك بعد ان أقام على كرسي المملكة ثلاثين سنة قتله جماعة من عسكر حرسه والذي يظهر من طريق النظر في الآثار المصرية القديمة هو ان مدة من ولايته كانت قد استغرقت بالفتن اذ كان قد قام عليه خصمان يمكن أن يكونا من ابناء ملوك العائلة الملوكية السالفة يقال لاحدهما اتيتا وللثاني اوزوركيرة ولكن جاء من بعده ولده المسمى باسم بيبي ميريره (وفي جدول مانيتون المصري باسم فيوس) فخلفه على كرسي المملكة الفرعونية وكان من أقوى ملوك مصر شوكة وأعظمهم فخارا وصولة جمع تحت طاعته جميع القطر اذ وجد له آثار عمارات في سائر نواحي مصر من عند اسوان لغاية مدينة تانيس وكان بيبي الاول هذا كالملك خوفو ملكا حربيا وفرعونا جهاديا حارب قبيلة تسمى باسم الواوة من القبائل السودانية وحمى الثغور المصرية من الجهة الجنوبية عن قبيلة أخرى بدوية مجهولة الحال من قبائل ذلك الزمان قال المؤرخ فرانسيس لونورمان ولعلها ما تعرف الآن باسم العرب البشارية ووقع كذلك من الجهة الشمالية صولة قبيلة عربية كانت قد صالت على العمال المصريين المشتغلين باستخراج معادن النحاس بناحية جبل الطور وكان للملك المذكور أيضا اشتغال بمنافع الاعمال اذ يظهر من دليل النظر في بعض آثار عماراته انه هو الذي فتح الدرب الذي تسافر فيه القوافل في الصحارى الكائنة من عندنا بجهة الصعيد الى مينا القصير على البحر الاحمر ورتب فيه المنازل وحفر فيه الآبار للشرب منها القوافل وهو غير ملك آخر يدعى ايضا باسم بيبي نيفير كيره او بيبي الثاني (وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم فيوبس بباء فارسية قبل السين المهملة في آخره) وهذا هو الذي أقام على سرير المملكة الفرعونية مدة حقبة من الزمن قرنية ولا نكاد نعرف شيأ

من اخباره ولم نقف على كثير من آثاره غير ان مدة ولايته هذه الطويلة كان قد ظهر فيها فتن اهلية واختلالات داخلية مهولة لم يعهد لها نظير بعد فى الديار المصرية وجاء بعده خلفه المدعو باسم **منتاساف** (وفى جدول مانيتون المصرى باسم منتوسوفيس) فلم يقم على كرسى المملكة الفرعونية غير سنة واحدة ثم قتل وخلفته اخته المسماة باسم نيتا كيره وعند اليونان باسم نيتوكريس وهى التى اجرت عمارة الترميم فى ثالث اهرام الجيزة لتتخذه قبرا لها على ما يقال بدون ان تستولى على قاعة مقبرة فرعون منكيره ومن اخبار الملكة المذكورة أيضا انها كما يحكى عنها كانت قد اسرت فى نفسها الانتقام لقتل اخيها ولم تزل مصرة على الاخذ بثاره من قاتليه حتى جمعتهم لوليمة ذات يوم فى سرداب تحت الارض ثم اسالت عليهم فى السرداب النيل فماتوا كلهم غرقا بكيدتها ولم تتأخر ان قتلت نفسها بيدها لتتخلص من تباعة أوليائهم وقد كانت آخر ملوك عائلتها

المسألة الثالثة

مطلب ذكر بعض توضيحات تتعلق بملوك الهيكسوس أى ملوك القوم البغاة المعروفين فى تاريخ الديار المصرية بدولة العمالقة أو الملوك الرعاة مسألة تاريخية ماذا كان الملوك الرعاة المذكورون فى تاريخ الديار المصرية — يوجد لهؤلاء القوم بعض ذكر فى كتب التواريخ الاسلامية بعنوان دولة العمالقة أو العماليق فى جملة من ملك ديار مصر فى سالف العصر وذكر لهم فيها عدة ملوك خمسة أو اربعة باسماء اعلام يظهر على اكثرها انها عربية لا اسماء اعجام وبعضاهاتها بما ذكر فى كتب التواريخ الاوروبية يظهر ان ما كان قد تحصل عليه مؤرخوا الاسلام فى هذا المقام وفى سائر ما يتعلق باخبار دول الفراعنة السالفين وجميع الامم المتقدمين انما هو شئ واه جدا خال عن الضبط والتحقيق وانه لا يمكن بين القوالين فى الاكثر جمع ولا توفيق فمن ذلك ما ذكر فى تاريخ ابى الفدا مثلا فى المقام المذكور مع كونه هو المحقق المشهور ونص عبارته

« اما الفراعنة فهم ملوك القبط بالديار المصرية قال أبو سعيد المغربى ونقله من كتاب صاعد فى طبقات الامم ان أهل مصر كانوا اخلاطا من الامم ما بين قبطى و يونانى وعليقى الاان جمهورهم قبط قال واكثر ما تملك مصر الغرباء قال وكانوا صابئة يعبدون الاصنام وصار فى مصر بعد الطوفان علماء بضروب من العلوم خاصة بالطلسمات والنيرنجات والكيميا وكانت مدينة منف هى كرسى المملكة وهى على اثنى عشر ميلا من الفسطاط قال ابن سعيد واسنده الى الشريف الادريسى ان أول من ملك مصر بعد الطوفان **بيصر** بن حام بن نوح ونزل مدينة منف هو وثلاثون من ولده وأهله ثم ملكها بعده ابنه **مصر** بن بيصر وسميت البلاد به لامتداد عمره وطول مدة ملكه ثم ملك بعده ابنه **قفط** بن مصر ثم ملك بعده

أخوه **اتريب** بن مصر واتريب المذكور هو الذى بنى مدينة عين شمس وبها الآثار العظيمة الى الآن ثم ملك بعده اخوه **صا** وبه سميت مدينة صا وهى مدينة خراب على النيل من اسفله ثم ملك بعده **تدراس** ثم ملك بعده **ماليق** بن تدراس ثم ملك بعده ابنه **حرايا** بن ماليق ثم ملك بعده **كلكلى** بن حرايا وكان ذا حكمة وهو أول من عمل الزئبق وسبك الزجاج ثم ملك بعده **حربيا** بن ماليق وكان شديد الكفر ثم ملك بعده **طوليس** وهو فرعون ابراهيم عليه السلام وهو الذى وهب سارة هاجر وكان مسكن طوليس بالفرما ثم ملك بعده اخته **جودياق**. ثم ملك بعدها **زلفا** بنت مامون وكانت عاجزة عن ضبط الملك وسمعت عمالقة الشام بضعفها فغزوها وملكوا مصر وصارت الدولة للعمالقة وكان الذى اخذ الملك منها **الوليد** بن دومغ العملاقى وكان يعبد البقر فقتله اسد فى بعض متصيداته وقيل هو أول من تسمى بفرعون وصار ذلك لقبا لكل من ملك مصر بعده ثم ملك بعده ابنه **الريان** بن الوليد وهو فرعون يوسف ونزل مدينة عين شمس ثم ملك بعده ابنه **دارم** ابن الريان وفى زمانه توفى يوسف الصديق عليه السلام وتجبر دارم المذكور واشتد كفره وركب فى النيل فبعث الله تعالى عليه ريحا عاصفة اغرقته بالقرب من حلوان ثم ملك بعده **كاسم** **أو كاشم** (بالسين المهملة أو بالشين المعجمة) ابن معدان العمليقى أيضا وقصد ان يهدم الهرمين فقال له حكماء مصر ان خراج مصر لا يفى بهدمهما وأيضا فانهما قبران لنبيين عظيمين وهما شيث بن آدم وهرمس فامسك عن هدمهما ثم ملك بعده **الوليد** بن مصعب وهو فرعون موسى عليه السلام وقد اختلف فيه فقيل انه من العمالقة وهو الاظهر وقيل أنه هو فرعون يوسف واطال الله تعالى عمره الى أيام موسى عليه السلام قال ابن سعيد وذكر القرطبى فى تاريخ مصر أن الوليد المذكور كان من القبط وكان فى أول أمره صاحب شرطة لكاسم العملاقى وكانت الاقباط قد كثرت فملكوا الوليد المذكور بعد كاسم وانقرضت من حينئذ دولة العمالقة من مصر قال والوليد المذكور هو الذى ادعى الربوبية قال وصنف الناس فى سيرته وخلدوا ذكرها وكانت أرض مصر على ايامه فى نهاية من العمارة فعظمت دولته وكثرت عساكره وفى مناجاة موسى عليه السلام يارب لم اطلت عمر عدوك فرعون يعنى الوليد المذكور مع ادعائه ما تفرد به من الربوبية وجحد نعمتك فقال الله تعالى امهلته لان فيه خصلتين من خلال الايمان الجود والحيا وكان هامان وزير فرعون المذكور وهو الذى حفر لفرعون خليج السردوسى ولما اخذ هامان فى حفره سأله أهل كل قرية ان يجريه اليهم و يعطوه على ذلك مالا فكان يأتى به الى القرية نحو المشرق ثم يرده الى القرية من نحو المغرب وكذلك فى الجنوب والشمال واجتمع لهامان من ذلك نحو مائة ألف دينار فاتى بها الى فرعون واخبره بالقضية فقال فرعون ويحك أنه ينبغى للسيد ان يعطف على عبيده ولا يطمع فيما بايديهم و رد على كل قرية

ما اخذ منهم وأخبر فرعون المذكور المنجمون بظهور موسى عليه السلام و زوال ملكه على يده فاخذ فى قتل الاطفال حتى قتل تسعين الف الف طفل وسلم الله تعالى نبيه موسى عليه السلام منه بان التقطته زوج فرعون آسية وحمته منه وتزعم اليهود ان التى التقطت موسى هى بنت فرعون والاصح انها زوجته حسبما نطق به القران العظيم ولما كان منه ومن موسى ماتقدم ذكره من اظهار الآيات لفرعون وهى العصا و يده البيضا والجراد والقمل والضفادع وصيرورة الماء دما وغير ذلك سلم فرعون بنى اسرائيل الى موسى عليه السلام فلما أخذهم موسى وسار بهم ندم فرعون على ذلك وركب بعساكره وتبعهم فلحقهم عند بحر القلزم واوحى الله تعالى الى موسى فضرب البحر بعصاه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق فتبعه فرعون فغرق هو وجنوده وكان هلاك فرعون المذكور لمضى ثمانين سنة من عمر موسى عليه السلام وكان هو قد تملك من قبل ولادة موسى ولذلك أمر بقتل الاطفال فى أيام ولادة موسى عليه السلام فمدة ملك فرعون المذكور تزيد على ثمانين سنة قطعا ولما هلك فرعون المذكور ملكت القبط بعده **دلوكة** المشهورة بالعجوز وهى من بنات ملوك القبط وكان السحر قد انتهى اليها وطال عمرها حتى عرفت بالعجوز وصنعت على ارض مصر من اول ارضها فى حد اسوان الى آخرها سورا متصلا قال ابو الفدا والى هنا انتهى كلام ابن سعيد المغربى ولم يذكر من تولى بعد دلوكة ثم انى وجدت فى اوراق قد نقلت من تاريخ ابن حنون الطبرى وهو تاريخ ذكر فيه تاريخ ملوك مصر فى قديم الزمان قال فيه ثم ملك مصر بعد دلوكة صبى من ابناء اكابر القبط كان يقال له (دركون) بن بكتوس ثم ملك بعده (توذس) ثم ملك بعده اخوه (لقاش) ثم ملك بعده اخوه (مرينا) ثم ملك بعده (استماذس) ثم ملك بعده (بلطوس) بن ميكاكيل ثم ملك بعده (مالوس) ثم ملك بعده (مناكيل) ثم ملك بعده (بوله) وهو الذى غزا رحبعم بن سليمان بن داود عليهما السلام وقد كتب فى كتب اليهود ان الذى غزا بنى اسرائيل على ايام رحبعم كان اسمه (شيساق) وهو الاصح ثم لم يشتهر بعد شيساق المذكور غير فرعون الاعرج وهو الذى غزاه بختنصر وصلبه وكان بين رحبعم بن سليمان عليه السلام وبين بختنصر فوق اربعمائة سنة وكان شيساق على أيام رحبعم فشيساق قبل فرعون الاعرج باكثر من أربعمائة سنة قال ابو الفدا ولم يقع لى اسماء الفراعنة الذين كانوا فى هذه المدة اعنى فيما بين شيساق وفرعون الاعرج ولما قتل بختنصر فرعون المذكور وغزا مصر واباد اهلها بقيت مصر اربعين سنة خرابا ومن كتاب ابن سعيد المغربى قال وصارت مصر والشام من حين غزاهما بختنصر تحت ولايته حتى مات بختنصر وتوالت الولاة من جهة بنى بختنصر على مصر والشام حتى انقرضت دولة بنى بختنصر فتوالت ولاة الفرس على مصر فكان منهم (كشروس) الفارسى بانى قصر الشمع ثم تولى بعده (طخارست) الطويل قال وفى أيامه كان بقراط الحكيم وتوالت بعده

نواب

نواب الفرس الى ظهور الاسكندر وغلبته على الفرس»» (انتهت عبارة ابى الفدا) وانما سطرناها هنا بتمامها مع ماسبق نقله عن المؤرخ فرانسيس لونورمان لا لقصد تعليم تاريخ مصر فى سالف الزمان على مقتضاها بل على سبيل النموذج والمثال لغاية ماتحصل عليه اشهر مؤرخى الاسلام رحمهم الله تعالى وحرروه من التاريخ القديم بناء على ماعلم لهم على وجه عام أما من الكتب المقدسة أو نقلا عن مؤرخى الرومانيين واليونان فى سالف الايام وليظهر مافى ذلك من القصور بالنسبة لما هو عند المحققين من العلماء الاوروباويين المتأخرين مسطور

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان اعلاه فى تاريخه الكبير مامعناه ان تاريخ القوم البغاة المعروفين فى تاريخ مصر القديم بالملوك الرعاة وان كان قد مكث مدة مديدة غامض الحال غير مستند لسندات اصلية من عصر هؤلاء الملوك هاهو الآن قد أخذ فى الاتضاح والبيان بما استكشفه بلدينامار ييت بك من الاستكشافات الجديدة فتحقق كما ذكرناه آنفا انهم كانوا اخلاطا من قبائل رحالة نزالة من أهل بلاد العرب والشام وان جمهورهم كما نص عليه المؤرخ مانيتون المصرى فيما بقى لنا من بقايا تاريخه ايضا كانوا من الكنعانيين وان القبيلة الرئسة التى كانت تقود حركة الجميع وتديرها هى المسماة فى اساطير العمارات الفرعونية القديمة باسم الخيتاسيين وفى التوراة باسم الهيتيين الذين وجدهم ابراهيم عليه السلام بارض كنعان متوطنين وذكر المؤرخ مانيتون المذكور فى تاريخه المسطور أيضا ان هؤلاء الجموع من الاقوام الشتى كان يطلق عليهم اسم الهيكسوس بمعنى الملوك الرعاة تحقيرا لهم وهى كلمة مركبة من جزئين احدهما لفظ (هيك) ومعناه باللسان المصرى المقدس القديم الملك والثانى (سوس) ومعناه باللسان المصرى العامى الراعى وقد وجد كل من اللفظين المذكورين مثبتا على حدته فى الكتابات الهيروجليفية اولهما على صورة (هاك) للدلالة على رؤسا القبائل السامية والثانى على صورة (ساسو) معبرا به عن القبائل البدوية من العرب ولكن لم يعثر فى جميع الآثار المصرية المعروفة لغاية الآن التعبير عن القوم البغاة المسمين فى تاريخ مانيتون المصرى باسم الهيكسوس الابكلمة (مينا) ومعناها ايضا الرعاة

وقد دلت جميع الآثار المصرية القديمة على صدق ماذكرنه لديارمصر من التخريب الشنيع فى اول الامر قال المؤرخ مانيتون المذكور وقد كان أول من قلدوه بالملك منهم على مصر يسمى باسم **سيتوس** وفى رواية أخرى باسم (سلاتيس) وكان مقر دولته بمدينة منف أومنفيس وكان قد ضرب الجزية على الاقاليم القبلية والبحرية من الديار المصرية ووضع من عساكره حرسا فى أليق الاماكن للمحافظة على البلاد وتحصن خصوصا من جهة الشرق خوفا من السريانيين حيث كانوا أقوى شوكة منه (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان

وفى الواقع ونفس الامر قد كان هذا العصر كما سنذكره بعد هو الذى كانت قد اسست فعلا فيه الدولة الاولى ببلاد كلدة أو العراق) ثم تراءى الى فرعون سلاتيس المذكور باقليم تانيس مدينة البقى منها بتحصيل اغراضه يقال لها أواريس فانتقل اليها وكما ذكر فى رواية قديمة عن القسس المصريين كان قد اعاد عمارتها واحاطها بكثير من القلاع والحصون ووضع فيها عسكرا يبلغ مائتين وأربعين ألف رجل كلهم شاكى السلاح لاجل تمام المحافظة على الديار المصرية من تلك الجهة الشرقية وكان مصيفه فى تلك المدينة يوزع على عساكره القمح والجماكى ويعتنى بتدريبهم على استعمال الاسلحة الحربية خوفا من الاعداء الاجنبية (انتهت عبارة المؤرخ مانيتون المصرى) ثم ذكر بعض تفاصيل تتعلق بمن تملك مصر بعد فرعون سلاتيس المذكور من الملوك الرعاة وقد بقى ذكر اسمائهم محفوظا على وجه اضبط منه فيما نقله عنه المؤرخ اليونانى المعروف باسم يولوس الافريقانى حيث ذكر ان مدة ولايتهم على مملكة مصر قد كانت ٢٨١ سنة وقال ان الذى خلف فرعون سلاتيس المذكور هو المسمى باسم **آنون** وفى رواية أخرى **بانون** ثم ملك بعده **باخنان** وفى رواية أخرى أباخناس ثم **استاءن** ثم **ارخليس** ثم **ابوفيس** وذكر المؤرخ اليونانى المذكور فيما نقله عن المؤرخ مانيتون المصرى أيضا أنه كان يوجد فى مدة عهد الملوك الرعاة المذكورين عائلة ملوك بلديين كانوا ملوكا بنواحى الصعيد معاصرين وهى العائلة السابعة عشرة وقد وجد لاول ملوكهم وهو المدعو فى جدول ملوك مصر المنقول عن المؤرخ مانيتون باسم **سيتوس** ذكر باسم **سينايتى نوبتى** وذلك فى عمود أثرى مأثور عن فرعون رمسيس الثانى (من العائلة الملوكية التاسعة عشرة) وجد بمدينة تانيس التى هى عين مدينة أواريس مذكورا بأنه كان قد اعاد عمارة المدينة المذكورة واشاد فيها معبد الصنم المسمى باسم **سيتاو سوتيخ** الذى هو معبود قبيلة الخيتاس وذلك قبل ولاية الملك رمسيس الثانى المذكور بعدة ٤٠٠ سنة وكذلك اسم الملك المدعو فى جدول مانيتون باسم آنون وجد مذكورا فى قطعة من ورق البردى المحفوظ فى انتيقخانة مدينة تورين (ببلاد ايطاليا) باسم **انوب** (بالباء الموحدة التحتية بدل النون الفوقية) يليه اسم ملك آخر على صورة **اب** يقتضى أن يكون بتمامه **اباخناس** ووجد أيضا اخر ملوكهم مذكورا على عدة عمارات مصرية قديمة باسم **ابيپى** وهو المحرف فى اللغة اليونانية باسم **ابويس** قال المؤرخ فرانسيس لونورمان وفرعون آبيپى هذا هو الذى حكم ديار مصر مدة احدى وستين سنة من

الدهر وفى مدة عهده كان قد حضر الى مصر يوسف بن يعقوب وتقلد له بوظيفة أول وزير وقد فهم من اقتصاص هذه الحادثة فى سفر الخليقة من التوراة ان دولة فرعون هذا كانت كلها مصرية (انتهى ملخص ماذكره المؤرخ فرانسيس لونورمان فيما يتعلق بتحقيق هذا الشان بالدليل والبرهان) فانظره مع ما اسلفناه فى عبارة أبى الفدا المنقولة اعلاه حيث سرد عدة اسماء على أنها اسماء من ملك مصر واحدا بعد واحد فى سالف الزمان حتى انتهى الى ذكر العمالقه وهم المذكورون هنا بعنوان الملوك الرعاة فذكرهم باسم الوليد بن دومغ ثم الريان بن الوليد ثم دارم بن الريان ثم كاسم بن معدان ثم الوليد بن مصعب الى آخر ماذكر فيها على كل اسم من التوضيح والبيان نقلا عن ابن سعيد المغربى والقرطبى وغيرهما ممن كتب فى هذا المقام من مؤرخى الاسلام الناقلين هم أيضا كما يظهر عن مؤرخى اليونان والروم فى سالف الايام

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أيضا فى تاريخه القديم الكبير وأما ملوك مصر البلديون الذين كانوا بنواحى الصعيد لدولة الملوك الرعاة معاصرين فلا نعرف منهم غير اسم الملكين الاخيرين وهما الملك المدعو باسم **تياخان** والملك المدعو باسم **كاميس** وهو أبو الملك المدعو باسم **اهميس** وفى جدول مانيتون المصرى باسم **آموزيس** الذى تمت له الغلبة على الملوك الرعاة فقمع شوكتهم وازال دولتهم واخرجهم من الديار المصرية واعاد الى مدينة منف درجتها الفخرية واشاد فيها الهياكل والمعابد الاهلية كما دلت على ذلك كله العمارات الاثرية العصرية وهو ابن الملكة المسماة باسم **آهوتيب** زوجة فرعون كاميس السالف الذكر التى عثر لها ماريت بك على طاقم المصاغات العجيبة المحفوظة بالانتيقخانة المصرية (انتهى ملخصا من تاريخ المؤرخ فرانسيس لونورمان الكبير)

مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم فى الباب الثانى من الفوائد والافكار

افكار تقديميه وفوائد عموميه

١ كيف جرت عادة المؤرخين الاورو باويين فى ترتيب التاريخ القديم وماهى الطريقة التى ينبغى لنا ان نمشى عليها معاشر المصريين فى التعليم

مقدمة

٢ ما المراد بما يعبر عنه بلفظ مصر فى كل عصر وما اسماؤها وحدودها حسبما وردها فى عبارات المؤرخين الاورو باويين من الذكر

٣ ما النيل وما صفة هذا الوادى الجميل

٤ ما احوال نهر النيل من الزيادة الدورية وما اسبابها الحقيقيه

٥ ما مصاب النيل القديمة الاصلية

٦ ما مناظر الديار المصريه بحسب اختلاف الفصول السنويه

تنبيه

٧ ما منظر الديار المصرية الآن حسبما استجد فيها بهذا العصر من التمدن والعمران

٨ ماذا قيل فى التواريخ القديمة بشأن دولة ميرويه وهل اصل منشأ عمارة الديار المصرية من الجهة الجنوبية أو الشماليه

٩ كيف ينقسم تاريخ ديار مصر القديم حسبما ذكره المؤرخون الاوربيون من التقسيم

الفصل الاول

١٠ ما اصل الامة المصريه وما منشأ عمارة ديار مصر فى سالف المدة العصريه

١١ كيف كانت هيئة ولاية ديار مصر فى سالف العصر

١٢ من كان أول من احدث الولاية الملوكية بالديار المصرية فى سالف الحقبة العصريه وما منشا العائلة الملوكية الاولى

١٣ ما منشا العائلة الملوكية الثانية وما حالة ديار مصر العمارية فى تلك الحقبة العصرية حسبما يظهر من العمارات الاثرية

١٤ ما منشأ العائلة الملوكية الثالثة ومن كان أول ملوك مصر الفاتحين للبلاد الاجنبية وما دليل هذه الحادثة التاريخية وكيف كانت حالة مصر التمدنية فى تلك الحقبة الزمنيه

١٥ مامنشأ العائلة الرابعة ومن الذى انشأ اهرام الجيزة وماذا كان القصد بانشائها وماذا قيل فى مدة وكيفية بنائها ومادرجة العظمة والثروة الداخلية التى كانت قد بلغتها دولة ملوك مصر فى ذلك العصر

١٦ كيف كانت هيئة الجمعية البشرية المصرية فى تلك الحقب العصرية ومادليل تلك الفوائد التاريخية

١٧ كيف كانت حالة الديار المصرية فى اواخر عهد الدولة القديمة الملوكية وماقصة الفتن الاهلية والمحن الدخلية التى اعترت ديار مصر فى ذلك العصر

١٨ مابيان انحطاط درجة التمدن المصرى فى ذلك العهد العصرى

الفصل الثانى

١٩ ماقصة يقظة تمدن الديار المصريه بظهور ملوك الدولة المتوسطة ومامدة تأسيس مدينة طيبة الصعيد فى تلك الاعصار القديمة وماذا كان قد آل اليه حال تمدن مصر فى ذلك العصر

٢٠ مامنشأ العائلة الثانية عشرة الملوكية وماذا كانت اسماء ملوكها ومامدة اقامتهم على كرسى السلطنة المصرية وماحالة تمدن ديار مصر فى ذلك العصر

٢١ مابركة موريس وماذا كان الباعث على انشاء هذا الاثر النفيس

٢٢ ماحالة العمارات الاثرية التى عثر عليها لهذه الحقبة العصرية

٢٣ ماقصة الفتن الداخلية التى اعترت حالة نظام الديار المصرية فى تلك الحقبة العصرية وما اسماء ملوك العائلة الثالثة عشرة الملوكية بالطريقة العمومية ومادليل تلك الدعوى التاريخيه

٢٤ ما كيفية غارة الملوك الرعاة وماتاريخها من المدة الميلادية القبلية وماذا كان مقر مملكتهم من الديار المصرية وما اسم فرعون يوسف الصديق حسبما ثبت عند المؤرخين الاوروباويين من البحث والتحقيق

٢٥ ما كيفية انقاذ الديار المصريه من يد هؤلاء الملوك الاغراب وعلى يد من كان انقاذها من ملوك الدولة القبطية الاصلية

الفصل الثالث

٢٦ ماتاريخ العائلة الثامنة عشرة الملوكية من المدة الميلادية القبلية وما اسماء ملوكها على وجه العموم وماحالة عظمة دولة الفراعنة فى تلك الحقبة العصريه

٢٧ ماهى الحوادث التاريخية الخصوصية التى تتعلق بمدة ولاية فرعون طوطمس الثالث وخلفائه على الديار المصريه

٢٨ ما قصة مااعترى الديار المصرية من الفتن الدينية والمحن الاهلية في تلك الحقبة العصريه

٢٩ هل كان للامة العبرانية بعض مدخلية في حادثة تلك الفتن الدينية وما دليل هذا الدعوى التاريخيه

٣٠ ما تاريخ العائلة التاسعة عشرة الملوكية من المدة الميلادية القبلية وما اشهر ملوكهم وما حدود السلطنة المصرية وما حقيقه شهرة فرعون شيزوستريس في تلك الحقبة العصرية وما دليل تلك الدعاوى التاريخية

٣١ ما قصة ما ثبت من الظلم والجور عن فرعون رمسيس الثاني ملك مصر

٣٢ ما حالة الديار المصرية بعد ولاية فرعون ميرانفته وماذا كان السبب في تلك الحالة الاختلاليه

٣٣ ما تاريخ مدة رمسيس الثالث ملك مصر وما اعترى الديار المصرية من الانحطاط في ذلك العصر

٣٤ ما مبدأ ضبط الكرونولوجية المصريه وما اصل ماخذ هذه الحقيقة التاريخيه

٣٥ ما تاريخ انحطاط المملكة المصرية

٣٦ ما تاريخ العائلات الملوكية المصرية الناشئة بالاقاليم البحريه خصم الدولة القسيسيه الصعيديه

٣٧ ما قصة منازعة الملوك الايتيوبيين والاسوريين على بلاد المصريين

٣٨ ما قصة الدولة المصرية الاثنى عشرية والعائلة الملوكية الصاحريه

٣٩ ما قصة ولاية الملك ابسماتيكوس على جميع الديار المصرية

٤٠ ما قصة حروب الدولة المصرية التي حصلت ببلاد سورية في تلك الحقبة العصرية

٤١ ما كيفية توسيع دائرة التجارة بمصر في ذلك العصر

٤٢ ما تاريخ فرعون ابرييس

٤٣ ما تاريخ فرعون امازيس

٤٤ كيف كان زوال الدولة الفرعونية وسقوط استقلال الديار المصريه

الفصل الرابع

٤٥ كيف كان تركيب الهيئة الاجتماعية الاهلية وترتيب الجمعية البشرية في سالف الحقبة العصرية بالديار المصريه

٤٦ كيف كان منصب الملك بديار مصر في سالف العصر

٤٧ كيف كانت حالة الصنايع والفنون التى كان يتخذها المصريون السالفون
٤٩ كيف كانت طباع الامة المصرية فى سالف الحقبة العصرية
٥٠ ماعوائد الامة المصرية فى معيشتهم المنزلية وكيفية حياتهم الداخليه
٥١ ما كيفية دفن موتاهم فى القبور وما اسباب صناعة التصبير
٥٢ ماحقيقة القلم المصرى القديم وما معنى لفظ الهيور يجليف وماقصة ماحصل على قرآءته من الوقوف والتعريف
٥٣ كيف كانت ديانة المصريين وعقائد سكان وادى النيل السالفين
٥٤ ماالآلهة الملية والاوثان الاهلية الاصلية التى كانت تعبد فى سالف الاعصار بالديار المصرية
٥٥ مااسباب عبادة الحيوانات المحترمة والدواب التى كانت عند اسلاف أهل مصر معظمة
٥٦ ماصفة الاهرام وماذا تحقق بشأنها من صحيح الكلام
٥٧ ماشرح القول على مايعرف عند العامة بأبى الهول
٥٨ ماعوائد المصريين فى سالف العصور فيما يتعلق بدفن موتاهم من المغائر والقبور وكثرة الزواق والتصوير
٥٩ ماتاريخ ما كان لقدماء المصريين فى سالف العصور من الهياكل والقصور

تتمة

المسألة الاولى

٦٠ ماتوضيح الكلام على اصل مأخذ تاريخ المصريين وماهى الآثار الاصلية التى ابتنى عليها تاريخهم عند المؤرخين العصريين

المسألة الثانية

٦١ ماذاذكر عن بعض ملوك آخرين من ملوك الدولة القديمة غير الفراعنة المذكورين

المسألة الثالثة

٦٢ ماتوضيح الكلام على مايعرف عند اهل التاريخ بالملوك الرعاة الذين ملكوا مصر فى سالف الايام وما ءوذح غاية ماذكر فى ضمن التواريخ القديمة بشأن فراعنة مصر عند مؤرخى الاسلام وماحقيقة ذلك بالنسبة لما تحقق من تاريخ الفراعنة فى هذه الايام

الباب الثالث

فى تاريخ اليهود والعبرانيين وذكر الشام وأرض كنعان وفلسطين

أعنى تاريخ بنى اسرائيل وبيان كيفية تكونهم وذكر أوليائهم وأنبيائهم وقدمائهم وحكامهم وملوكهم ودولتهم فى سالف الايام من عهد بعثة ابراهيم عليه السلام غاية سلطنة دولة الفرس على مملكتهم

واصل ما أخذ هذا الباب الاصلية

اولا من أسفار التوراة الاول المسمى مجموعها باسم البنتاتوك

ثانيا من تاريخ القائد يوسف اويوسفوس مؤرخ اليهود المسمى بالآثار اليهودية القديمة

ثالثا من مؤلفات المؤرخين الاوروباويين المتأخرين وسياحات علماء الافرنج المعاصرين

افكار تقديميه وفوائد عموميه

قال المؤرخ الفرانساوى المدعو باسم جيلمان فى كتابه المسمى باسم تاريخ المشرق القديم السالف الذكر والبيان فيما اسلفناه فى ضمن مقدمتنا اعلاه ما تعريبه ادناه

اعلم انه كان يوجد فى سالف الاعصار أمة صغيرة اذا نظرنا لمجرد ما حصل منها من الحوادث السياسية يظهر للناظر فى تاريخها انها انما كانت دون من جاورها من الامم بمسافة كبيرة غير انها قد كان لها على أحوال النوع البشرى تأثير شديد وهى امة اليهود وذلك ان لها الافتخار بكونها قد كانت هى مستودع اقدم الآثار المأثورة فى العالم من قديم الاعصار وانها الحارسة لاقدم المواعيد التى وعدها الله سبحانه وتعالى لنوع الانسان فى سالف الزمان ولقد حفظتها وثبتت عليها فى جميع الاطوار سواء كان فى ابهج اعصارها او فى اصعب صروف الدهر التى مرت عليها من أخبارها (انتهى معربا من كتاب تاريخ المشرق القديم للمؤرخ جيلمان)

وتاريخ اليهود هو المسمى فى اصطلاح اهل التاريخ الاوروباويين بالتاريخ المقدس ويعبر عنه فى اصطلاح المؤرخين المسلمين بالتاريخ الاثرى نسبة الى الاثر بمعنى المأثور عن الكتب المنزلة فى مقابلة التاريخ البشرى بمعنى المأخوذ عن اهل التاريخ من البشر وتاريخ اليهود عبارة عن اخبار الاولياء المتقدمين وقصص الانبياء السالفين من الامة العبرانية وذكر

مااعتراها من التقلبات الزمنية من عهد الخليقة الانسانية الى عهد ظهور المسيح عليه السلام وينقسم عند الامم النصرانيين الى قسمين عظيمين احدهما العهد القديم وهو عبارة عن التوراة والثانى العهد الجديد وهو عبارة عن نسخ الاناجيل والرسائل التى كتبها الحواريون اى تلاميذ عيسى عليه السلام

وحيث اسلفنا الكلام فى الباب الاول على تاريخ الاعصار الاولية من عهد خلقة الانسان الى مابعد الطوفان وابتدأنا فى الباب الثانى من تواريخ الامم الاقدمين بتاريخ المصريين لغاية زوال دولة الفراعنة باستيلاء دولة الفرس عليهم فى سالف الازمنة وبسطنا القول فى ذلك بقدر الامكان على الوجه الاتم لكونه هو التاريخ الاهم بالنسبة الينا معاشر القوم البلديين ساغ لنا الآن بحسب الترتيب الطبيعى ان ننتقل من تاريخ وادى النيل الكريم الى تاريخ بعض اهل الجيرة من الامم الشهيرين فى الزمن القديم وهم العبرانيون لكونهم كانوا هم اقرب الامم المجاورين الينا وأكرمهم علينا ولاهمية معرفة تاريخهم بالنسبة لسائر الامم المتوغلين فى القدم لداعى انهم كانوا هم اهل الشرائع الدينية واصل سائر الفنون والحرف والصنائع التمدنية وعليهم نزلت الكتب القدسية والرسالات الآلهية ومنهم كان الاولياء الكرام السالفون والانبياء العظام المتقدمون ولداعى ارتباط تاريخهم بتاريخ الفراعنة فى سالف الازمنة فلذلك لزمنا ان نقدم بعد تاريخ المصريين تاريخ القوم العبرانيين على سائر الامم الاقدمين ونصعد بالثانى فى ميدان الازمان السالفة من بعد الطوفان لنتتبع احوال القوم اليهود وكيفية تكون ملتهم ودولتهم وما استولوا عليه فى اقطار الدنيا القديمة من الاوطان فى سالف الايام من عهد بعثة ابراهيم عليه السلام لغاية عهد تطرق الفساد اليهم وسلطنة دولة الفرس عليهم أعنى من بعد الطوفان لغاية سنة ٥٠٠ وكسور من الاعوام قبل المسيح عليه السلام

قال المؤرخ جيلمان السالف الذكر اعلاه مامعناه وقد افرد غيرنا تاريخ العبرانيين بالتأليف واطال فيه من البيان والتعريف واتى فيه بسائر التفصيلات حسبما ورد فى التوراة غير اننا نحن حيث كان الغرض لنا هنا انما هو التاريخ العام اعنى الكلام على مجموع الحوادث الكبيرة والاحوال الشهيرة التى حصلت من سائر الامم الكبار فى سائر الاعصار بسائر الاقطار على وجه عام وهو القصد الذى يجب علينا فيه الانحصار لزمنا هنا الاقتصار على أن نورد بغاية الايجاز والاختصار زبدة ماورد من القصص والاخبار فيما يتعلق بتاريخ القوم العبرانيين قبل أن يصيروا والهيئة أمة مستقلة ويتكونوا فى صورة ملة ولانتعرض من تواريخهم الاهلية وقصصهم الملية الا الايراد مختصر وجيز جدا من تواريخهم السياسية يعنى احوالهم الدنيوية وكيفية سيرهم من حيث سياسة الامم والدول لا لقصصهم

الدينية واخبارهم النبوية اللهم الا ما مست اليه الحاجة من ذلك وكان له اشد الارتباط بتلك المسالك وقوله غيرنا يشير به الى مانشره المؤرخ ويكتور دوروى فى ضمن جملة كتب التواريخ التى ألفها هو واصحابه فى هذا العصر الحاضر من كتابه المسمى باسم التاريخ المقدس حسبما ورد فى التوراة واجود الكتب المؤلفة فى هذا الموضوع عند الاوروباويين المتأخرين واهل التاريخ المعاصرين هو ما كتبه المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان غير مرة فى كتابنا هذا وهو الجزء المختصر من تاريخه القديم الكبير المسمى باسم تاريخ القوم اليهود غير ان هذا المختصر وان كان يقتضى أن يكون لنا عليه المعول هو كتاب كذلك مطول بالنسبة لما يلزم لنا هنا من الاختصار والانحصار فى دائرة التاريخ العام بسائر الاعصار ولذلك استصوبنا أن نأتى لكم هنا أيها الاخوان فى هذا الباب الثالث من تاريخ العبرانيين بتعريب ما كتبه فى ضمن كتابه المسمى بتاريخ المشرق القديم المؤرخ جيلمان بدلا عما التزمناه فى الباب السالف من النقل عن المؤرخ فرانسيس لونورمان وقبل الشروع فى ذلك التزمنا أن نقدم لكم بعض فوائد تعريفية ومعلومات جغرافية تتعلق بقسم آسية على العموم وبلاد آسية الغربية بالخصوص مع بعض كلام على ما كان يدعى فى سالف الزمان بأرض كنعان وفلسطين والشام وبيان ما المراد بهذه الالفاظ الآن وفى سالف الزمان لقصد تعريف المكان قبل السكان وذلك فى مقدمة وعدة فصول وهكذا نصنع فى اقتصاص تاريخ العبرانيين كما صنعنا فى تاريخ المصريين فنقول

مقدمة

فى بعض فوائد تعريفية ومعلومات جغرافية تتعلق بآسية العمومية وبلاد آسية الغربية

مطلب — تعريف ما المراد من لفظ آسية وبيان اقسامها الاصلية

اعلموا ايها الاخوان ان لفظة آسيا أو آسية هكذا (بمد الهمزة فى أوله وبالالف المقصورة أو بالهاء فى آخره) هى لفظة اعجمية وافقت فى صورة ما اذا كان آخرها منتهيا بالهاء صيغة اسم الفاعل المؤنث فى اللغة العربية ومعناها كانها علم يطلق فى جملة مدلولاتها اللغوية فى كتب العرب المتقدمين على آسية بنت مزاحم التى هى كما يقال عند علماء المسلمين زوجة فرعون كما فى القاموس هى ايضا فى اصطلاح الجغرافيين الاوروباويين اسم لاحد اقسام الدنيا الخمس الكبيرة وهى أعظمها واقدمها تمدنا وعمرانا واجسمها اذ كانت اسية بهذا المعنى الاخير كما اسلفنا ذكره هى أول مهد للنوع البشرى وأول مهبط للوحى

الالهى وأول ميدان للتاريخ المقدس أو الاثرى وموقعها على شرقى قسمى أوروبة وافريقية ولذلك يعبر عنها ببلاد الشرق أو البلاد الشرقية وهذا القسم ينقسم بحسب أوضاعه الطبيعية الى تسعة أقطار اصلية وهى ما يأتى بيانه بعد بطريقة اجمالية

ففى جهة الشمال منه روسية آسيا أو بلاد سيبيريا

وفى غربيه تركية آسيا أو بلاد الدولة العثمانية بآسية وهى بلاد الشأم والقدس والعراق والموصل وماوالاها من بلاد الارمن والروم المملوكة لدولة بنى عثمان فى هذا الزمان ثم بلاد العرب وبلاد تركية آسية المذكورة مع بلاد العرب اعنى الحجاز واليمن وحضرموت وباقى الجزيرة العربية هو ما يعبر عنه ببلاد آسية الغربيه

وفى جهة الجنوب منه بلاد فارس المعبر عنها عند العرب ببلاد العجم (وهى ايران وقابول وهراه وبلوجستان) ثم بلاد الهند فيما وراء نهر الكنج وامامه

وفى جهة الشرق منه السلطنة الصينية وبلاد يابونية

وفى وسطه بلاد تركستان وتترستان وقد يعبر عنهما ببلاد آسية الوسطى أو الوسطانية

فهذه هى اقسام بلاد آسية العمومية وولاياتها الاصلية حسبما ذكره علماء الجغرافية ثم ان المراد من لفظه آسية عند الاطلاق هو جميع هذه البلاد فى مقابلة بلاد أوروبة وافريقية وهى ما يعبر عنه بالقارة القديمة فى مقابلة قسم امريقة وهى القارة الجديدة وخامس الاقسام هو بلاد الاوقيانوسية اى جزائر البحر المحيط الاعظم وهذه هى جملة الاقسام الخمس الاصلية التى اليها جميع بلاد العالم انقسم. كما هو فى موضعه من كتب العلماء الجغرافيين المتأخرين يفهم ويعلم فان تقيدت آسية بالصغرى كان المراد منها هو الجهة حيث جزيرة الكائنة فى اقصى جهة الغرب من قارة آسية المذكورة فيما بين ارمنية والشأم من جهة الشرق والبحر الاسود من جهة الشمال وبحر جزائر الروم المسمى ببحر الارخبيل من جهة الغرب والبحر المتوسط الابيض من جهة الجنوب وهى البلاد المعبر عنها الآن بايالة الاناضول وماجاورها من بلاد الترك العثمانية ببلاد آسية الغربية تمييزا لها عن باقى الارض القارة المذكورة حيث يعبر عنها بآسيه الكبرى وحينئذ فلفظ آسية الصغرى هو عبارة عن مجموع ما يعرف الآن فى لسان دولة بنى عثمان بايالة الاناضول وسيوة أو الروم وترابزان وبلاد القرمان وسفلجة وادنة ومرعش وهى ست باشويات كما هو فى موضعه معلوم

وبلاد آسية الغربية هى اقرب بلاد قسم آسية الى الديار المصرية وهى مصاقبة لها اعنى متصلة بديار مصر من جهة الشرق الحد فى الحد بواسطة برزخ السويس الذى حصل فيه فى هذا العصر عملية الحفر للخليج المالح بقصد التوصيل بين البحرين اعنى بحر الروم أو بحر سفيد أو البحر المتوسط الابيض وبحر القلزم أو البحر الاحمر وآخر تخوم الديار المصرية

من تلك الجهة الشرقية هو قلعة العريش ويليها من بلاد الشام بلاد القدس او فلسطين المسماة فى سالف الزمان بأرض كنعان وأولها غزة وعسقلان الى آخر ما سنوضحه فى المطلب الآتى بعد من التفصيل والبيان

مطلب — الكلام على جغرافية الشأم وارض كنعان وفلسطين وتعريف ما المراد بهذه الألفاظ عند الامم المتقدمين والمتأخرين

اما لفظة الشام (بالهمز أو بالتخفيف) فهى كلمة حصل فى اصل اشتقاقها وسبب التسمية بها اختلاف كثير قال فى القاموس ما نصه «الشام بلاد عن مشاءمة القبلة وسميت لذلك أولان قوما من بنى كنعان تشاءموا اليها اى تياسروا أو سمى بسام بن نوح فانه بالشين بالسريانية اولان ارضها شامات بيض وحمر وسود وعلى هذا لا تهمز وقد تذكر» الى اخر ما ذكر فيه وتسطر وقوله سمى بسام بن نوح عليه السلام قد انكر ذلك كثير من محققى أئمة اهل التاريخ من علماء الاسلام كما فى تاج العروس شرح القاموس وبناء عليه فلفظة شام (بالشين المعجمة) هى عين سام (بالمهملة) ونص عبارة ابى الفدا فى هذا المقام حيث توضح عبارة القاموس المنقولة اعلاه «وانما سمى شاما لان قوما من بنى كنعان تشاءموا اليه اى تياسروا ولانه عن يسار الكعبة وقيل سمى شاما بسام بن نوح واسمه بالسريانية والعبرانية شام وقيل سمى شاما لبقع فيه بيض وحمر وسود تشبيها لها بالشامات وهى تجمع ايضا على شام كما تجمع الهامة على هام (انتهى)

وعلى كل حال فان الشأم ويسمى ايضا باسم سورية أو سورستان هو اسم عام يطلق عند المتأخرين على ما يعم بلاد الشأم القديمة الاصلية المسماة أيضا فى التوراة ببلاد حمث أو بلاد آرام وهى البلاد الكائنة فيما بين نهر الفرات من جهة الشرق والبحر المتوسط الابيض من جهة الغرب وبلاد آسية الصغرى من جهة الشمال وبلاد العرب من جهة الجنوب بما فيها بلاد يهودا أو فلسطين وبلاد الفنيقية أو بلاد الصوريين وقد يعبر عن هذين القطرين الاخيرين بسواحل الشأم ومنظر هذه البلاد على وجه عام كما هو تعريب عبارة المعلم فورتنبير الجغرافى الفرانساوى فى كتاب جغرافيته الكبرى يشتمل على مناظر متباينة تباينا ظاهرا حيث ترى فى جهة الشرق منه سهولا جدبة وبوادى ليست بخصبة وفى جهة الغرب سلسلة الجبال البهيجة المعروفة بجبال لبنان وسلسلة الجبال الموازية لها المسماة باسم (انتيليبان) بمعنى التى هى امام جبال لبنان وتعرف بالجبال الشرقية فى مقابلة جبال لبنان الغربية الاصلية وكلتاهما متقطعة بأودية جميلة وفى وسط تلك البلاد الى جهة الجنوب منها ترى اراضى خصبة كأرض دمشق وحوران وفلسطين بجوار أراضى اخرى من أجدب ما يكون وفى جهة الجنوب من بلاد الشأم توجد أرض يهودا أو فلسطين وفى جهة

الغرب منها بلاد فينيقية أو بلاد الصور بين فالمعلم قورتنبير الجغرافى المنقول عنه أعلاه ما معناه وعلى سواحل الشام يرى المتوجه من الشمال الى الجنوب مدينة اسكندرونة على البوغاز المسمى باسمها قريبا من المكان الذى كان فيه المدينة القديمة المسماة باسم ايسوس ثم اللاذقية وهى مدينة لاوورسية القديمة ثم طرابلس وهى مدينة ظريفة وحاضرة لطيفة يقال لها طرابلس الشام أو طرابلس الشرق تمييزا لها عن طرابلس الغرب الكائنة بقسم افريقية ثم بيروت وقد كانت تسمى فى سالف الزمان باسم بيريت وهى من ثغور بلاد الشام الاكثر تردد اللاوروباويين عليها ثم صيدا وهى صيدون القديمة وقد كانت من أبهج مدن بلاد الفنيقيين فى سالف الزمان ثم صور وهى الآن مدينة صغيرة وان كانت فى الاعصار القديمة مدينة شهيرة ثم عكا المسماة قديما باسم البطليوسية وفيها قلعة شهيرة بما حصل عليها على عدة مرار من تشديد الحصار ثم يافا (وهى المسماة عند السلف باسم يوبة) ثم غزة المسماة ايضا باسم رزة (بالراء المهملة بدل الغين المعجمة)

وفى داخل بلاد الشام مدينة حلب وقد كانت أعظم مدن الممالك العثمانية بآسية ثم صغرت بكثرة ما اعتراها من الزلازل الارضية ومدينة نصيبين أونزيب التى انتصرت فيها الجيوش المصرية تحت قيادة المرحوم ابراهيم باشا على العساكر السلطانية فى سنة ١٨٣٩ الميلادية فى جملة وقائع حرب الشام العصرية

وعلى طول نهر الاورونط المعروف بنهر العاصى اربع مدن وهى انطاكية وقد كانت فى الاعصار السالفة من أعظم حواضر بلاد آسية ثم افامية ثم حماة المسماة قديما باسم حمث ثم حمص

وفى وسط بلاد الشام توجد مدينة دمشق المعتبرة كرسى ولاية سورية وهى مدينة كبيرة اهلها ارباب صنائع وحرف كثيرة كائنة فى وادنزيه يقال له غوطة دمشق أو روضة دمشق الشام ويعده المشارقة من الجنان الارضية ببلاد آسية يسقيه نهر بردى قال فى القاموس «وبردى يجرى نهر دمشق الاعظم» (اهـ) وضبطه (بثلاث فتحات على الباء الموحدة والراء والدال المهملتين) وهو يتوزع الى جملة خلجان عديدة ثم ينصب فى بحيرة عتيبة المعروفة ببحيرة المرج وعلى الجانب الشرقى من سلسلة جبال لبنان مدينة زحلة وقد كانت مدينة عظيمة ثم اخربها الدروز فى سنة ١٨٦٠ الميلادية وعلى الجانب الغربى من تلك الجبال ايضا مدينة دير القمر التى قتل الدروز سكانها من النصارى فى السنة المذكورة ثم مدينة قانوبين وهى مقر اساقف الطائفة المعروفة بالمارونية وعلى القرب منها توجد غابة من نوع الشجر المعروف بارز لبنان وفيها عدة اشجار من عهد سليمان عليه السلام

وعلى الجنوب الغربى من دمشق الشام آثار مدينة جيراش المسماة عند الامم المتقدمين باسم جيرازة وفى جهة الشمال آثار مدينة بعلبك المسماة فى سالف الزمان باسم هليوپوليس

أو بعل هامون وهى فى الوادى الجميل الكائن بين سلسلتى جبال لبنان المسمى باسم البقاع وفى الشمال الشرقى آثار مدينة تدمر المسماة قديما باسم بلمير وفى الجنوب الشرقى بلاد حوران وأكثر أهله من الدروز وفيه آثار عمارات قديمة كثيرة

واعظم المدن الكائنة فى جنوب بلاد الشام مدينة أورشليم أو بيت المقدس المسماة عند المشرقيين بالقدس الشريف أو مدينة سليمان ويجرى من تحتها مسيل صغير يقال له قدرون ينصب على الشرق منها بيسير فى البحيرة الميتة أو المنتنة (اى بحيرة لوط) وهى مدينة غير جميلة المنظر محاطة من جميع جهاتها بجبال كثيرة الصخر عارية عن الشجر لكنها اشهر مدينة فى الدنيا باهتمامها من حيث الخبر وما يتعلق بها من سالف الذكر والاثر يحج اليها كثير من الامم النصرانية ليزوروا فيها كنيسة قبر المقدس (اى قبر المسيح عليه السلام) المعروفة بالقمامة الكائنة على جبل الصليب فى المكان الذى يقال ان عيسى صلب عليه ودفن فى مغارة فيه وللمسلمين فى هذه المدينة ايضا عمارة من اعظم العمارات المحترمة عندهم وهى مسجد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حيث اسسه على المكان الذى كان فيه محراب سليمان عليه السلام فى سالف الازمان وعلى جنوب أورشليم قرية بيت لحم حيث ولد يسوع المسيح واسست على مكان ولادته سنت هيلينة ام قيصر قسطنطين كنيسة عظيمة ثم مدينة الخليل وهى المسماة فى سالف القرون باسم حبرون وعلى الشمال منها مدينة نابلس المسماة قديما باسم سيخام ثم سميت بعد ذلك اسم نيابوليس ثم تعربت باسم نابلس وقرية الناصرة المسماة قديما باسم نازاريت المشهورة بسكنى المسيح وامه فيها وبها سميت النصارى (انتهت عبارة قورتنبير باختصار)

وقد فهم منها أن لفظ الشأم عبارة عن جميع هذه البلاد المسرودة اعلاه وقد يعبر عن مجموع ذلك ببر الشام وحدوده هى كما اسلفناه وقد كان بر الشام عند الامم المتقدمين ينقسم الى قسمين سورية وفلسطين ثم اطلق اسم سورية على الاثنين معا منذ اضافتهما الى سلطنة القياصرة الرومانيين قبل التاريخ المسيحى ببعض سنين واطلق عليهما اسم الشأم منذ افتتاحهما بالعرب المسلمين فى اثناء سنة ٦٢٢ من تاريخ المسيح عليه السلام

ومن ثم يفهم أن ارض كنعان أو بلاد الكنعانيين هى ما يسمى الآن ببلاد القدس الشريف وهو أقرب الاقسام لبر مصر من بر الشام وقد سميت على تعاقب الايام بالارض المقدسة أو الارض الموعودة اى الموعود باعطائها من الله سبحانه وتعالى الى بنى اسرائيل ليتوطنوا فيها ثم بأرض يهودا أو فلسطين وحدودها من جهة الشمال بلاد الشام بالمعنى الاخص ومن جهة الشرق والجنوب بلاد العرب والجزء المجاور لها من بلاد العرب هو ما يعرف بتيه بنى اسرائيل (من تاه بمعنى ضل فى الارض) يعنى الجبال التى اقاموا فيها بعد خروجهم

من ديار مصر كما سيأتى لذلك بعد اتم ذكر ومن جهة الغرب بحر سفيد اوبحر الروم وفى الجزء الشمالى منها جبال لبنان المذكورة فى شعر احمد بن الحسين المتنبي بقوله

وجبال لبنان وكيف بقطعها * وهى الشتاء وصيفهن شتاء

وهى عبارة عن سلسلتين عظيمتين احداهما جبال لبنان الاصلية والثانية الجبال الموازية لها وهى المسماة عند الافرنج باسم انتيليبان بمعنى التى امام جبال لبنان وتعرف بالشرقية وأعلى رؤسها يعرف على لسان اهل البلاد بجبل الشيخ ومن جبال لبنان المذكورة تتفرع الى جهة الشرق جبال هرمون وجلعاد والى جهة الغرب جبل جلبوة وجبل غرزيم المشهور فى تاريخ العبرانيين ببناء هيكل للسامريين فى مقابلة هيكل أورشليم وهو جبل نابلس وفى الوادى المتكون من الجبال المذكورة يوجد كل من بحيرة طبرية أو فلسطين التى يخترقها من الشمال الى الجنوب نهر الاردنّ (بتشديد النون فى آخره) ثم بحيرة لوط أو البحيرة الميتة أو المنتنة المشهورة بقصة قوم لوط وينصب فيهما من جهة الغرب مسيل قدرون السالف الذكر ومن جهة الشمال نهر الاردنّ ولا يوجد ببلاد فلسطين من الانهار غير نهر الاردنّ المذكور وهو الذى يقال له ايضا نهر الشريعة ومنبعه من جبل الشيخ السالف الذكر حسبما هو مشهور

وقد كانت ارض فلسطين فى ايام يوشع عليه السلام تنقسم الى اثنى عشر قسما من الاقسام يعرف كل قسم منها باسم واحد من ذرية يعقوب أو اسرائيل ويعبر عنه بالسبط بمعنى القبيلة أو القبيل منها على الشاطئ الايمن من الاردنّ سبط أشار ونفتالى وزابولون ومدنهم الاصلية بيتاليه وايزاشار ثم نصف سبط منشة الغربى وسبط افرائيم ومدينته الاصلية سيشام وسبط دان وشمعون ويهود أو يهوذا (بالدال المهملة او بالذال المعجمة فى آخره) ومدينتها الاصلية بيتيم وسبط بنيامين ومدنه الاصلية أورشليم ويار بكو وعلى الشاطئ الايسر نصف سبط منشة الشرقى وسبط كاذا وكاد (بالدال المهملة أو بالذال المعجمة كذلك) وسبط روبان أو روبيل

مطلب — تعريف ما المراد من لفظ العبرانيين واليهود أو بنى اسرائيل أو الاسرائيليين — أما اسرائيل فهو فى الاصل اسم يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكان لاسرائيل المذكور اثنا عشر ابنا وهم روبان او روبيل ثم شمعون ثم لاواى ثم يهوذا ثم يساخر ثم زابولون ثم يوسف ثم بنيامين ثم دان ثم نفتالى ثم كاذ ثم اشار وأما منشة (بالشين المعجمة أو بالسين المهملة) وافرائيم فهما ابنا يوسف عليه السلام وهؤلاء الاثنا عشر ابنا الذين هم ابناء يعقوب منهم كانت اسباط بنى اسرائيل بمعنى قبائلهم وجميع بنى اسرائيل هم أولادهم وذراريهم وهذا هو السبب فى تسميتهم ببنى اسرائيل أو الاسرائيليين ويعبر

عنهم ايضا بالعبرانيين (نسبة الى عابر بن شالح بن قينان بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام) واما تسميتهم باليهود فقد قال أبو الفدا (في الفصل الخامس في ذكر الامم من تاريخه) عند الكلام على أمة اليهود ما نصه « وامة اليهود اعم من بني اسرائيل لان كثيرا من اجناس العرب والروم والفرس وغيرهم صاروا يهودا ولم يكونوا من بني اسرائيل وانما بنو اسرائيل هم الاصل في هذه الملة وغيرهم دخيل فيها فلذلك يقال لكل اسرائيلي يهودي ولا يقال لكل يهودي اسرائيلي » (اهـ) ثم قال بعد ذلك ما نصه « واما اسم اليهود فقد قال الشهرستاني في الملل والنحل هاد الرجل أي رجع وتاب وانما لزمهم هذا القول لقول موسى عليه السلام انا هدنا اليك أي رجعنا وتضرعنا قال البيروني في الآثار الباقية ليس ذلك بشيء وانما سمي هؤلاء باليهود نسبة الى يهوذا أحد الاسباط فان الملك استقر في ذريته وابدلت الذال المعجمة دالا مهملة كما يوجد مثل ذلك في كلام العرب وكتابهم التوراة الى آخر ما ذكر (اهـ ما أردنا نقله هنا من تاريخ ابي الفدا) ومنه يعلم السبب الصحيح في تسميتهم باليهود بناء على هذا القول الاخير وهو القول المعتمد الرجيح واذا كان قد تقرر ما توضح اعلاه من هذه الفوائد التعريفية والمعلومات الجغرافية في أذهانكم أيها الاخوان ساغ لنا الآن ان نشرع في المقصود اعني نتتبع تاريخ العبرانيين أو اليهود فنقول على الوجه الذي اسلفناه

الفصل الاول

في اصل أولية الامة العبرانية وكيفية تكون الملة اليهودية او الاسرائيلية

مطلب — ذكر أصل منشأ الاسرائيليين وقصص بعض اولياتهم وأنبيائهم السالفين — قال المؤرخ جيلمان المذكور اعلاه في هذا المقام ما تعريبه ادناه قال الاسقف بوسوه في تاريخه العام ما معناه « وكان الناس في الاعصار الخالية والازمان الماضية بتعاقب الدهور والتباعد عن أصل الامور قد فسدت اخلاقهم واختلت افكارهم فانحرفوا عن الطريق المستقيم الذي كان قد أسسته لهم اسلافهم من الزمن القديم وغلب على الاوهام البشرية حجاب الطبيعة البهيمية فلم تقدر على الترقي لادراك الامور العقلية واجمع الناس في سائر الاقطار بتلك الاحقاب الزمنية على ان لا يعبدوا غير الاشياء التي هي لهم مرئية وانتشرت عبادة الاصنام والاوثان في جميع اقطار الارض المعمورة بذلك الزمان فاراد الله العظيم سبحانه وتعالى ان يمنع هذا الضرر الجسيم ويقطع مادة هذا الحال السقيم ولذلك اصطفى عبده ابراهيم عليه الصلاة والتسليم واعده لأن يكون اصل عائلة كريمة تبقى فيها عبادته الصحيحة الاصلية وجعله منشأ ذرية صالحة مستقيمة تحفظ بها عقيدته الاولية سواء كان ذلك فيما يتعلق بتاريخ اولية الخليقة الدنيوية او فيما

يتعلق بالحكمة الالهية التى تعلقت ارادته الازلية بأن يدبر بها سائر الاشياء البشرية »» (اه)

مطلب — ذكر قصة ابراهيم ولوط عليهما السلام وماجرى على ايديهما من الحوادث التاريخية فى سالف الايام — قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه مامعناه وقد كان ابراهيم الذى هو صفوة المولى الاعلى جل جلاله هو ابراهيم بن تارح (وهو المدعو أيضا باسم آزر) وكان أصل مولده وموطنه وأول منشاءه ومسكنه بمدينة **اور** (بضم الهمزة فى اوله يليها واو وفراء مهملة فى آخره قال المعلم بولييت الفرانساوى فى كتابه المشهور بما معناه معجم البلدان ومشاهير أبناء الزمان هى مولد ابراهيم وأبيه تارح ولعلها المعروفة باسم اورفة الآن) (اه) وهى ببلاد كلدة (أوالعراق) وكان ابراهيم من بنى سام بن نوح عليه السلام اعنى من تلك الذرية الصالحة الكريمة والعائلة البشرية العظيمة التى كان هذا الاب الثانى للنوع الانسانى قد دعا لها بالبركة من المولى الازلى الوحدانى وكان الله سبحانه وتعالى قد أوحى اليه بقوله له »» قم ياابراهيم واخرج من بلدك واهجر اقاربك ودارو الدك واذهب الى البلد الذى ادلك عليه واتوجه بك اليه وانى لمخرج منك أمة كبيرة وجاعل لاسمك ذكرى شهيرة وسابعث واحدا من بنيك رحمة لجميع العالمين وبركة على سائر الامم الآتين قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه مامعناه فقام ابراهيم مسترشدا بقوة عقيدته فى الله ومصدقا لما أمره به مولاه وهجر الارض التى ولد عليها وتوجه الى البلد التى هداه الله سبحانه وتعالى اليها الى أن قال عقب ذلك المؤرخ المذكور ماهو بعد مسطور وبعد ان ساح ابراهيم زمنا طويلا فى البوادى والقفار يقود ما كان له من الخدم ورعاة المواشى العديدة وكانت اعظم اموال الاولياء السالفين فى تلك الاعصار دخل بارشاد الله سبحانه ارض كنعان وكان معه لوط ابن اخيه وكان من أمره وماجرى له من حوادث دهره انه اضطر لحادثة قحط حصلت فى تلك البلاد لان سافر مرة الى وادى مصر الخصب لقصد أن يجلب منه قمحا لاهله وذويه وسافر مرة أخرى الى بلاد الميزو بوتاميه (بلاد الجزيرة اوالموصل) فدفع بخدمه صولة جنود ملك تلك البلاد عن لوط ابن اخيه وكانوا قد اسروه وكان ابراهيم عليه السلام قد شهد واقعة تخريب قرى قوم لوط وهى سدوم وعمرة وصبغة وادما وصبو يم وبالع (بالعين المهملة) عقابا لهم على ما كانوا قد ارتكبوه من الذنوب والآثام وسدوم وقراها الخمس المذكورة هى التى يرى فى مكانها الآن بحر لوط أو البحيرة الميتة أو المنتنة قال المؤرخ المذكور اعلاه مامعناه وبعد ان عمر ابراهيم عمرا طويلا لاقضاه فى تثبيت قومه وبنيه وعاش عيشا جيلا أفناه فى تمكين جميع اهله وذويه على الاعتقاد فى الله الواحد الاحد توفاه مولاه فترك ميراثه لاسحاق احد ولديه اللذين كان قد توفى عنهما فاقتفى اسحاق اثر ابيه

فى كل ما كان يتخذه ويأتيه من التعيش بصناعة رعاية المواشى والتنقل والارتحال بها الى حيث تجدمرعاها مع المواظبة على هداية الناس للايمان بالله الخالق لجميع الاكوان

مطلب — ذكر يعقوب وبنيه وقصة يوسف وماجرى لبنى اسرائيل بمصر فى سالف العصر — قال المؤرخ المذكور اعلاه ما معناه — وجاء من بعد اسحاق يعقوب وهو المدعو أيضا باسرائيل (ومعناه بالسريانية مقاتل الله سبحانه وتعالى لقبه به ملاك نزل عليه فى صورة بشر فقاتله الى الفجر كما فى التوراة) وكان من أمره انه اقتدى بأبيه وجده وكان له اثنا عشر ابنا من ولده صاروا اصول القبائل الاثنتى عشرة المعبر عنهم بالاسباط التى بقى بنو اسرائيل اليها منقسمين بدون اختلاط من بعده وكان يوسف من اصغر بنيه فحسده اخوته وحقدوا عليه حيث لحقتهم الغيرة منه لداعى كون أبيه كان يؤثره عليهم بالمحبة الابوية فاخذوه وباعوه على انه رقيق لتجار كانوا مسافرين الى الديار المصرية ولكن كانت عناية المولى جل جلاله قد لحقته فاحاطت به السعادة فى سائر احواله فالتحق بخدمة أحد كبار باب الدولة الفرعونية بتلك الاعصار (وهو المدعو باسم بوتيفار) فاظهر فى جميع افعاله حكمة عجيبة وفضيلة غريبة جذبت اليه التفات فرعون مصر فى ذلك العصر حتى رقاه الى مرتبة اول وزير له وائتمنه على خزائنه واتفق انه قد اعترى اخوته بلاد الشام سنة قحط فجاؤا الى مصر ليشتروا الهم فعاف كشف حاله عليهم بعد عدة اختبارات القاها اليهم واحضر أباه عنده بديار مصر وكان ابوه لم يزل يبكيه حيث كان يظن انهم قد قتلوه فبات منذ حين من الدهر ثم احضر جميع عائلته من أرض كنعان بالديار الشامية واقطعهم وادى غسان (وهو المعروف الآن بالوادى وهو الكائن على حدود مديرية الشرقية) قال مؤلف الاصل اعنى فى تلك القطعة التى كانت مدينة تانيس (وهى المعروفه الآن بسمنة أوسان) هى قصبتها وبندر ولايتها من الديار المصرية فى تلك الحقبة العصرية فتوطنوا بها . واقاموا فيها قال مؤلف الاصل المنقول عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه وقد مكث العبرانيون أو بنو اسرائيل فى ذلك الوادى الخصيب من وادى النيل مدة ٤٣٠ سنة من الدهر يعيشون بصفة القوم الاغراب بين اظهر اهل مصر القبطيين محافظين على بساطة اخلاقهم وعوائدهم وملازمين لنقاوة دياناتهم وعقائدهم وفى أسرع مدة من الزمن ازداد عددهم واشتد عضدهم ومددهم الى درجة بليغة جدا حتى صاروا أمة ذات عصبية كبيرة وملة قوية كثيرة يبلغ عدد الرجال الذين يمكنهم حمل السلاح والقتال منهم الى ستمائة الف رجل (٦٠٠٠٠٠) ولذلك خشيت من صولتهم الفراعنة على دولتهم على انهم كانوا فى سائر مدة اقامتهم بين اظهرهم لم يزالوا يحقدون عليهم وينفرون منهم ويضمرون لهم العداوة والبغضاء لداعى شدة تباين ما بين اخلاق القومين وعوائدهم وتباعد ما بين ديانات الطرفين وعقائدهم حيث كان المصريون قوما حضريين

يعبدون أوثانا عديدين والاسرائيليون اناسا بدويين ورعاة مواش رحالين نزالين وهم لاله واحد يعبدون فلم يلبث ان داخل قلوب المصريين للقوم الاسرائيليين أقصى العداوة والشقاق واسروا لهم اقسى الغيرة والنفاق لداعى ماتوضح من اختلاف العقائد والاخلاق

مطلب — ذكر موسى وهارون وما جرى على ايديهما من خروج بنى اسرائيل من ديار مصر فى سالف العصر — قال المؤرخ السالف الذكر وقد كان صعد على كرسى مملكة ديار مصر فى ذلك العصر كما هو عين نص التوراة «ملك لم يكن يعرف يوسف» عليه السلام قال بعض العلماء الاعلام فى تفسير هذه العبارة وليس قولهم هذا مبنيا على غير أساس ان هذا الملك قد كان أحد ملوك المصريين والفراعنة الاصليين الذين انقذوا ديار مصر من ايدى القوم البغاة المعروفين بالملوك الرعاة أو الهيكسوسيين وذلك ان هؤلاء الملوك البلديين بعد ان اخرجوا هؤلاء ئك القوم الطغاة من ديارهم كان كل مطمح انظارهم وجل مطمع افكارهم متوجها الضرورة اعادة ما كان لديار مصر فى سالف العصر من اتحاد مادة السياسة والدين فى جميع دولتهم فلم يمكنهم الا أن ينظروا بعين العداوة والبغضاء للاسرائيليين وازدياد شوكتهم حيث كانوا الداعى كيفية معيشتهم الخلوية ووحدانية عقائدهم الدينية بمعزل عن سائر المصريين وعلى كل حال مما هؤلاء العلماء وغيرهم من اختلاف المذاهب والاقوال فى هذا المجال فمن الحوادث التاريخية المحققة والوقائع الزمنية المصدقة ان الفراعنة المصريين حملوا القوم العبرانيين بديار مصر فى ذلك العصر مالا يطاق من الظلم والجور والاصر واستخدموهم فى بناء مدينتى رمسيس وبيتون واقامة سائر هذه العمارات الكثيرة والاعمال الكبيرة التى كانت ديار مصر قد امتلأت بها فى عهد هؤلاء الملوك البلديين كما سبق لذلك فى مواضعه من هذا الكتاب أوضح الذكر ولم يكتف فرعون مصر الحاكم فى ذلك العصر بان حمل القوم العبرانيين جميع هذه الاثقال القاسية والاشغال الشاقة القاصية حتى كان من بغيه وطغيانه ان أمر بقتل كل من ولد لبنى اسرائيل من الاطفال الذكور فاخفت امرأة من سبط ليوى ولدها مدة ثلاثة شهور ثم القته راقدا فى مهد اتخذته من أعواد شجر الحنا او الخيزران فوق المكان الذى كانت بنت فرعون قد جرت عادتها أن تتردد عليه للاستحمام فيه من نهر النيل وجاءت بنت فرعون الى ذلك المكان حسب عادتها للغسل فسمعت صوت الطفل فرأفت به وحنت اليه والتقطته من البحر وسمته باسم موسى ومعناه المنجى من الماء سمى بهذا الاسم لهذا الداعى ثم تبنته وأخذته الى قصر أبيها فنشأ وتربى فى قصر الفراعنة وتعلم جميع العلوم التى كان يعرفها افرس المصريين فى تلك الازمنة ومع ذلك فلم ينس اصله ولم يزل يذكر محتده وفصله فاتفق له ذات يوم ان رأى قبطيا يضرب اسرائيليا فوكز القبطى فقتله واضطر لأن فر من ديار مصر لداعى قتله خوفا من دولة فرعون على نفسه

والاقتصاص منه بنظير فعله وسافر الى أرض مدين ببلاد العرب فمكث أربعين سنة عند شيخ من كبار أهل البلاد المذكورة يدعى باسم يترو او جترو (بالياء المثناة التحتية أو بالجيم الفارسية فى أوله يليها تاء مثناة فوقية فراء مهملة فواو فى آخره و يعرف فى كتب المسلمين باسم شعيب عليه السلام) واقام برعى مواشيه حيث انكحه احدى ابنتيه المسماة باسم صفوره وفى تلك البلاد قد كان ظهر له ذات يوم على البعد فى الصحراء شعلة نار من شجر العوسج وهو ضرب من الشوك ينبت بالبادية كما فى كتب اللغة العربية فذهب اليها فسمع من قبل الله آبائه صوتا يتضمن الامر له بالعودة الى ديار مصر لينقذ قومه مما هم فيه بتلك البلاد من الاسر قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه ما معناه وال الاسقف بوسوه وهو أفصح ترجمان للكتاب المقدس يعني التوراة «وهناك أيضا كان الله سبحانه وتعالى قد أطلع هذا الرجل العظيم من معرفة ذاته الكريم على مالم يكن قد أطلع عليه احدا حيا من البشر فى ذلك العصر» فقام موسى واخوه هارون وعاد الى ديار مصر ودعا فرعون ذلك العصر أن يترك سبيل بنى اسرائيل ليقربوا قربانهم فى الصحراء فامتنع فرعون من ذلك الامر ولم يأذن لهم الامن بعد ان رأى قومه المصريين قد ابتلاهم المولى سبحانه وتعالى بالجوائح او الجرائح السبع قال أبو الفدا (وهى القمل والضفادع وصيرورة الماء دما الى آخر ما ذكر) وفزع فى آخر الحال خصوصا لما شاهده من موتان الاطفال المولودين جديدا لقومه المصريين فاذن للعبرانيين بالسفر ثم ندم على تخلصهم من ربقة دولته وخروجهم عن طاعته فاقتفى اثرهم وتتبعهم وهو يقود جيوشا عديدة من جنوده حتى وصل الى بحر القلزم وهو البحر الاسود فرأى مياهه قد افترقت وارضه قد جفت ونشفت تحت أقدام الاسرائيليين فروا عليها من الغرق ناجين ولما توسط فرعون وجنوده البحر كانت قد عادت المياه لمجراها المعتاد وانطبقت عليهم أمواجه فاغرقتهم أجمعين وخرج موسى وقومه سالمين فذهب بهم وهو يدبر سيرهم و يدير امرهم فى صحارى بلاد العرب الى حيث يتباعدهم عن فسادمدن ديار مصر يسهل عليهم أن يعودوا الى عبادة اله آبائهم السالفين ومكثوا امدة أربعين سنة فى تلك الصحارى يتيهون و يدافعون صولة قبائل العرب الذين كانوا لهم مجاورين ويقعون مع ذلك فى بعض الاحيان فيما كان متحكما بديار مصر من عتيق الاوهام الدينية والعبادة الوثنية غير انهم كانوا لم يزالوا محاطين بالعناية الالهية

مطلب — الكلام على شريعة موسى عليه السلام — قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه ما معناه — وعلى هذا الوجه كان بنو اسرائيل قد انتقذوا من ظلم الفراعنة المصريين ونجوا من القوم الظالمين ولما كان من اللزوم أيضا تفريق ملة الله سبحانه وتعالى عن سائر الملل بالكلية وتوثيق ربطهم بعقائد أسلافهم الاصلية بطريقة قطعية كان كما هو نص عبارة الاسقف بوسوه السالف الذكر والبيان «وقد آن اوان ان تكون العبادة الحقيقية

التى كانت قد انمحت من مذكرة الناس فى تلك الحقبة العصرية بالكلية لا يمكن حفظها وبقاؤها الا بواسطة تقييدها بالكتابة» (اه) ولذلك حين وصل موسى ببنى اسرائيل الى جبل الطور بلغ قومه شريعته والاوامر الالهية العشرة التى نزلت عليه وهى عبارة عن عشرة خطابات أو مواد أصلية تشتمل على الاركان الاساسية التى تنبنى عليها أصول الدين ومكارم الاخلاق واساس الجمعية البشرية فى الامة العبرية وهى هذه

أولا ـ انى انا الله ربكم فلا تتخذوا لكم الها غيرى ولا تصنعوا لكم تماثيل مفصلة ولا صورة مطلقا لتعبدوها او تتخذوها من دونى

ثانيا ـ لا تحلفوا باسم الله ربكم باطلا

ثالثا ـ تعملون مدة ستة أيام وتستريحون فى السابع

رابعا ـ اكرموا والديكم يطل عمركم

خامسا ـ لا تقتلوا أحدا

سادسا ـ لا تزنوا أبدا

سابعا ـ لا تسرقوا

ثامنا ـ لا تشهدوا بالباطل على جاركم

تاسعا ـ لا تشتهوا امرأة جاركم

عاشرا ـ ولا تشتهوا داره وخادمه أو خادمته ولا ثوره وحماره ولا شيأ مما يملكه مطلقا

قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه ما معناه ولاجل طبع معنى التوحيد الالهى على الوجه الاقوى فى العقول والافهام اكثر موسى عليه السلام من الاوامر والنواهى والحدود والاحكام وعاقب كل من خالفها بغاية التشديد والاحكام ووضع لبنى اسرائيل قوانين الجمعية المدنية بمعنى شروط الهيئة الاجتماعية البشرية اى المعاملات الدنيوية فى حالة اجتماع الامة بعضهم مع بعض على اساسات قوية هى اعلى من قوانين سائر الامم الآخرين وحيث كان هذا الرجل العظيم قد اهتدى هكذا للحقيقة فيما يتعلق بالاخلاق والاديان وقام لها بالاعلان مع غاية الوضوح والبيان لزم ان يكون اقرب من غيره للحقيقة الحقيقية ايضا فيما يتعلق باركان عقد الشركة الانسانية والجمعية البشرية وفى الواقع ونفس الامر قد كانت جميع الترتيبات التمدنية التى وضعها للامة العبرانية مبنية على اصول من العدل والانصاف والرأفة بالناس مع الاحسان اليهم والتصدق عليهم لا توجد فى شرائع غيرهم من الامم السالفين من هذا القبيل ان بنى اسرائيل بدلا عما كان متحكما عندا كثر الامم السابقين من قانون تمييز الطبقات الاهلية والمراتب البشرية كانوا كلهم متساوين على وجه الاطلاق عند الله وامام الشريعة اليهودية وكان موسى عليه السلام قد اوثق عروة هذه المساواة الانسانية

فى الاحوال الشخصية والاموال الكسبية مما وضعه من قانون السنة السبعية والمدة الخمسينية أما الاولى فهى عبارة عن مدة كل سبع سنوات اذا اقامها العبد فى خدمة مولاه عتق عليه وأما الثانية فهى عبارة عن مدة كل خمسين سنة يرجع فيها الملك المتصرف فيه لمالكه الاصلى ويرد اليه وقد نتج عن هذين القانونين بمدة ما كانا جاريين ان اليهود لم يحدث فيهم أبدا هذه الطبقة السيادية المتردية برداء الكبر والفساد فى سائر البلاد بين العباد ولا تلك الطبقة السفلية التى كان يحملها الفقر والجوع على ايقاع الفتن الشديدة والمحن العنيدة فى نظام الجمعيات الجمهورية القديمة وكانت رؤساؤهم وملوكهم يخرجون من أبناء امتهم وينتخبون من عين ملتهم وكانت قسيسهم اوكهنتهم المعبر عنه باللبويين (نسبة الى ليوى احد الاسباط) متوزعين فى جميع الامة الاسرائيلية لا يملكون شيأ من الاملاك الارضية غير ثمان واربعين قرية ليسكنوها فلم يكونوا متميزين فى هيئة طائفة قسيسية ولا كانوا متكيفين بكيفية خرقة دينية نعم كانت هذه الوظيفة فيما بينهم وراثية غير انه قد كان الولد لا يرث عن ابيه فيها بيقين غير الفقر وبذل النفس فى خدمة الدين ومع كون الرق قد كان اساس كل جمعية بشرية عند سالف الامم قد كان لليهود اقل عبيدا من الخدم وقد كانت قوانين سائر الامم لا تنظر للفقير والمعدم وتحتقر وتفضح الغريب بخلاف شرع اليهود حيث كان يحنن للفقير والمسكين ويصلح حال البعيد والقريب ويمنع الربا ويأمر بالصدقة ويفرض الاحسان ويأذن بالدخول فى المحراب وحضور الضحايا والقرابين حتى للاغراب وبالجملة والتفصيل فقد كانت شريعة بنى اسرائيل ترفع شأن كل ما كانت شرائع سائر الامم السالفين فى ذلك الجيل تخذله واسفلته او احتقرته ووضعته فكان الغريب بين اظهرهم لا يعتبر عدوا كما كان الحال كذلك عند غيرهم وكان العبد لديهم لم يزل ينظر الانسان اليه بنظر وتجلس المرأة مجالس الشرف فى كل محضر بجوار رئيس العائلة على وجه بحيث تكرم كرامه وتحترم كعين احترامه الى غير ذلك من الاحكام الجليلة والشرائع الجميلة

ثم ان موسى عليه السلام مكث مدة الاربعين سنة التى اقامها بالصحراء وهو يجاهد فى اكثر الاحيان ما كان يحصل من الثوران والعصيان عليه من العبرانيين حيث كانوا لم يزالوا يأسفون على ما كانوا يجدونه بديار مصر من النعم الكثيرة والخصوبة الغزيرة ولكنه كان بعون الله الواحد القهار يمنع كل مانع ويدفع كل دافع ويغلب كل خصم حتى وصل بالقوم الى تخوم الارض الموعودة وأراد أن يقدم عليها فلحقته الوفاة فمات الى رحمة الله وهو ينظر اليها على الجبل المسمى فى سالف الزمان باسم نيبو (بامالة النون الموحدة فى اوله على ياء مثناة تحتية يليها باء موحدة فواو فى آخره) وهو المعروف الآن فى تلك الاقطار من جبال فلسطين

بجبل العطار) وقد حفظ عنه فى التوراة صورة القصيد العالى الذى انشأه حين حضرته الوفاة لقصد تمجيد المولى الاعلى جل جلاله وتعالت أسماؤه وافعاله وترجمته هكذا بالعربية «يا سماء اسمعى ويا ارض عى فانى اريد ان امجد الياهو (وهو اسم الله سبحانه وتعالى بالعبرانية) ان افعال الله كاملة ونعمه شاملة ولكن الناس قد كفروا به» . . . . . . فاخذ يعقوب من نصيبه وكما يأخذ النسر افراخه تحت جناحيه ويعلمها كيف تنهض قد أخذكم المولى سبحانه وتعالى ايها القوم الخائنون تحت أجنحته ومد عليكم ظلال عنايته وهداكم . . . . . والآن حين غمركم باحساناته وشملكم بهباته فهؤلاء القوم عنه غافلون ومنه يتباعدون ليعبدوا الهة لم يكن آباؤهم يعرفونها . . . وانهم لسيعاقبون ولكن الله يرأف بعباده . . . . اذا رأى ان ابطالهم قد هلكوا فى جهاده ويقول حينئذ اين آلهتكم واين أماناتكم افهمتم الآن انه لا اله غيرى وانى انا الذى أميت واحيى وامرض واشفى وانى انا الحى الابدى» (اهـ)

وكانت وفاة موسى عليه السلام (فى سنة ١٥٨٥ ق م) وقبل وفاته كان وهو بالصحراء بعد قد نصب أخاه هارون بوظيفة الكاهن الاكبر او الحبر الاعظم ولفظ الكاهن بالعربية هو تعريب الكوهن بالعبرانية أى رئيس خدمة الدين ووضع الاوامر العشرة التى انزلت عليه بجبل الطور فى تابوت أو صندوق يعرف بصندوق الشهادة واغلقه عليها وكتب اسفار التوراة الخمسة الاولى المسماة باسم البنتاكوك السالف الذكر وهى سفر الخليقة وسفر خروج بنى اسرائيل من مصر وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر تجديد العهد (انتهى معربا من تاريخ المشرق القديم للمؤرخ جيلمان السالف الذكر والبيان) قال المعلم بولييت صاحب معجم البلدان ومشاهير أبناء الزمان المروى عنه آنفا ما معناه ولفظ البنتاكوك هذا عبارة عن الاسفار الخمسة الاولى من العهد القديم (يعنى التوراة) وهى تشتمل على التاريخ المقدس أو الاثرى من مبدأ الخليقة الدنيا الغاية دخول بنى اسرائيل فى الارض الموعودة وعلى قانون من الشرائع والاحكام الموسوية ومجموع اوامر ونواهى دينية (اهـ)

الفصل الثانى

فى تاريخ بنى اسرائيل بارض كنعان وكيفية تكون دولتهم بتلك البلدان (من سنة ١٥٨٥ الى سنة ١٠٩٦ ق م)

مطلب — ذكر يوشع عليه السلام وافتتاحه لارض كنعان او فلسطين من بر الشام (رجع للنقل من تاريخ المشرق القديم للمؤرخ جيلمان)

قال

قال المؤرخ المذكور اعلاه ما معناه ولما اغار بنواسرائيل على أرض كنعان فى ذلك الزمان كان بها عدة قبائل من بنى كنعان بن حام بن نوح عليه السلام تحت طاعة عدة رئيسا اطلق عليهم فى التوراة لقب الملوك وكانوا على حال فظيع من الفسق وفساد الاخلاق وملوكهم فى نهاية من العداوة والشقاق (منهم الحيثيون واليبسيون) (وهم اهل مدينة يبس التى بنيت فى مكانها اورشليم وكانت تدعى قبل ذلك بمدينة سالم وهى مدينة القدس الشريف) (والعموريون والجرجيسيون والهيريون والفيرزيون والكنعانيون الاصليون) فلما دنا منهم الخطر العام بغارة هؤلاء الاقوام اجتمع بعضهم ببعض وتعصب اقواهم شوكة على دفع صائلتهم ومنع غائلتهم وكان موسى عليه السلام قبل وفاته قد استخلف يوشع من بعده فقام بتدبير بنى اسرائيل احسن قيام ووفا بعهده ولم يفزع يوشع من عصبة هؤلاء الملوك بل استمر على ماقصده موسى من فتح بلاد الشام وسلك فى قيادة بنى اسرائيل احسن سلوك وعبر بهم نهر الاردن واستولى بطريق العنوة والقهر على مدينة ياريكو (اوريحا) وقتل سائر أهلها ثم انتقل الى غيرها من مدن ذلك القطر ومن قاتله منهم فعل به كما فعل بها ماعدا مدينة (جبيون) حيث كانت قد دخلت تحت طاعته وسلمت نفسها اليه وتعاهدت معه فاجتمع عليها جماعة من الملوك المذكورين وحاصروها عقابا لها وجاء يوشع فحماها منهم (وقد ذكر بالكتب المقدسة انه فى حصار المدينة المذكورة كانت حادثة توقيف الشمس ليوشع عليه السلام حتى تم له النصر عليهم كما ذكر فى هذه القصة المشهورة وهى المشار اليها بالتلميح فى قول ابى تمام) شعر

فردّت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
فوالله ماادرى أأحلام نائم * المت بنا أم كان فى الركب يوشع

ثم انعقدت عليه عصبة أخرى من ملوك جهتى الشمال والغرب كان رأس عصبتهم وشيخ دار ندوتهم الملك المدعو باسم (يابين) ملك المدينة المسماة باسم (حازور) من تلك البلدان ولكن يوشع عليه السلام كان قد ظفر بهم وشتت جمعهم وغلب جميع الملوك الذين كانوا يقتسمون بلاد الكنعانيين وكانوا خمسة وثلاثين ولم يبق منهم بحالة الاستقلال غير بعض قبائل قلائل تحصنوا فى الجبال وعلى سواحل البحر ومكثوا يناوشون بنى اسرائيل وهم لهم بشجاعتهم يجاهدون وعلى مقاومتهم يتجالدون فى تلك العهود لغاية عهد داود من ذلك العصر ولما تمكن بنواسرائيل من الارض الموعودة اقتسموها بين الاسباط وانتخبوا من كل سبط أو قبيلة ثلاثة رجال لقسمتها فرادوها واطلعوا عليها وقاسوها ووزعوها عليهم فتوطن منهم سبطان ونصف سبط فيما وراء نهر الاردن وبقى سائرهم على الجانب الآخر ماعدا سبط ليوى حيث لم يقسم له حصة من الاملاك الارضية بل ترتب له عشر ثمرة الارض كلها او نحوه .

لهم ثمان وأربعون قرية متفرقة فيما بين اراضى سائر القبائل ليتخذوها مساكن لهم ويتبوؤوها
ثم التفت يوشع لترتيب أمر الدولة الاهلية وحسن ادارة الامور الداخلية فانشأ المحاكم
ونصب القضاة والحكام وأوضح لكل قاض منهم ما يختص بوظيفته من الخطط والاحكام
ثم مات رحمه الله وله من العمر مائة وعشرة اعوام

مطلب — الكلام على حقيقة حكومة العبرانيين ببلاد الشام وبيان ما المراد من
قدمائهم ومشايخهم وولاة أمورهم المعبر عنهم بالقضاة أو الحكام — قال المؤرخ المنقول
عنه اعلاه مامعناه وبقيت قبائل بنى اسرائيل فى ذلك الزمان متفرقين على سائر أرض كنعان
لا رابطة لهم عامة ولا جامعة لهم تامة غير جامعة الدين ولم يكن لدولتهم الجديدة ببلاد الشام
اساس هى مبنية عليه غير عبادة الياهو وشريعة موسى عليه السلام وكان الحبر الاعظم
فى بنى اسرائيل هو عبارة عن خليفة المولى الجليل وهو الرئيس الحقيقى للملة العبرانية
و ولى الامر الاصلى للامة الاسرائيلية وكان لقدمائهم أو مشايخهم مجالس يعقدونها
ومحاضر يحضرونها فى كل سبط لقصد النظر والتشاور فى مصالح كل قبيلة ولم يكن لهم عليها
ولاية سياسية وكانت ولاية مشايخ بنى اسرائيل فى ذلك الزمان عبارة عن ولاية عرفية
تتركب من كل من صحب موسى بن عمران (بمنزلة أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام) ولم يكن
لبنى اسرائيل ولاية أمر عمومية تجمعهم ولا رياسة علية تدبرهم ولذلك لم يتيسر لهم تمام
افتتاح تلك البلاد بل صاروا من الضعف وعدم الاستبداد لداعى تفرق كلمتهم وعدم اتحاد
عصبيتهم الى عدم المقدرة والاستعداد لدفع غارات الامم المجاورين لهم ومن ثم حصل
لهم ماذكر فى تواريخهم على عدة دفعات من حوادث الاسترقاق والاستعباد الذى كان
ينقذهم منه رجال أولو شجاعة وابطال ذو وقوة منهم كانوا يقودونهم للقتال و بعد
تمام الظفر بالاعداء يطلقون عليهم لقب القضاة أو الحكام وهم عبارة عن ولاة أمور لهم
يدبرونهم وحكام ينهونهم ويأمرونهم من غير أن يكون لهم لقب الملوك غير انه لم يكن لهم
قوة نفوذ متعينة ولا ولاية أمر مستمرة بينة قال القائد يوسيفوس مؤرخ اليهود فى تاريخه
ما نصه «وقد كان بنو اسرائيل يطلقون لفظ القاضى أو الحاكم من القوم العبرانيين على
أشهر رجل تميز بالشجاعة وأكبر بطل اشتهر بفضيلة الجهاد والمنعة ثم متى انقضى الخطر
والحرب وعادت لما كانت عليه السلم رجع القاضى لحالة الآحاد الاهليين وربما بقى
على وظيفة القاضى يلى القضاء والحكم بين الاسرائيليين» (اهـ)

مطلب — ذكر قضاة بنى اسرائيل وحكامهم — وكيفية تدبيرهم فى تلك المدة وادارة
احكامهم — وقد كان عدد هؤلاء القضاة أو الحكام الذين انقذوا الاسرائيليين فى اكثر
الاحايين من يد هؤلاء القوم الظالمين أربعة عشر نفرا كان أشهرهم وأبعدهم صيتا

وأكبرهم هو احدهم المسمى باسم (عثنيال) (بفتح العين المهملة وسكون الثاء المثلثة) ثم (اهوذ) (بفتح الهمزة في أوله وذال معجمة في آخره) ثم المرأة المشهورة باسم (ديبوره) (بامالة الدال المهملة على ياء مثناة تحتية في أوله) ثم (كذعون) (بفتح الكاف يليها ذال معجمة ساكنة فعين مهملة فواو فنون موحدة) ثم (يفتح) (وضبطه بضم الياء المثناة من تحتها في أوله وفاء موحدة ساكنة مع ضم التاء المثناة من فوقها يليها حاء مهملة في آخره) ثم (شمشون) (بالشين المعجمة في أوله ووسطه) ثم (عالى) (المشهور بالكاهن) ثم (شمويل) (بفتح الشين المعجمة في اوله)

وبيان ذلك ان بني اسرائيل بعد وفاة يوشع عليه السلام كان قد أغار عليهم وظفر بهم في بلاد الشام كوشان ملك الجزيرة (وهي بلاد الموصل) واستعبدهم مدة ثمانية أعوام فجاء عثنيال وانقذهم من هذا الرق وقام بتدبيرهم مدة أربعين سنة (من سنة ١٥٥٠ الى سنة ١٥١٠ ق م) ثم ضيق عليهم واستعبدهم عغلون (بفتح العين المهملة وسكون الغين المعجمة وضم اللام يليها واو فنون موحدة في آخره) ملك المابيين (من ولد لوط عليه السلام) فبعثوا اليه بالجزية اهوذ وكان رجلا شجاعا وبطلا جرئ القلب دفاعا فبعد ان سلم ما معه من المال لخزينة الملك عاد اليه وحده وضمه الى جانب فقتله وانقذ بني اسرائيل من يده وبعد ذلك بقليل غلب الفلسطينيون على كل من سبط دان ويهودا وشمعون من أسباط بني اسرائيل واستعبدوهم ايضا مدة من الزمان حتى قام فيهم رجل اسمه (شمكار) (بفتح الشين المعجمة) فقتل ستمائة نفس بنصل محراثه منهم ودفعهم عنهم وحيث كان بنو اسرائيل قد مكثوا متفرقي الكلمة من غير رئيس عام يقبض بزمام امورهم وينهض بتدبيرهم كان يسهل على الاقوام المجاورين لهم الغلبة عليهم والظفر بهم فاستعبدهم مرة أخرى الملك (يابين) ملك (حازور) من بلاد الشام وكان قد قام فيهم في الحقبة المذكورة امرأة تسمى باسم (ديبوره) كانت تقضي بينهم تحت ظل نخلة فوق جبل افرائيم فنهضت مع القائد (باراق) احد قضاة بني اسرائيل وسارت على رأس جيش عظيم منهم لقتال القائد المسمى باسم (سيساره) الذي هو رئيس جنود يابين المذكور فخذل القائد سيساره وغلب وفر امام جيش العبرانيين وهرب وقتلته امرأة اخرى منهم يقال لها (ياهيل) في اثناء الفرار واشهرت ديبورة المذكورة تلك النصرة الشهيرة بقصيدة شعر لها من احسن الاشعار واحمى الافكار حركت بها في بني اسرائيل راكد الغريزة الاهلية وهيجت منهم راقد السريرة الملية غير ان تلك الهمة البطلية لم تستمر بل كانت كسحاب صيف مر وجاء أهل مدين فاستعبدوهم واذاقوهم أشد الضنك والاسر مدة سبع سنين اخر حتى قام فيهم رجل منهم يسمى باسم (جذعون) وجمع منهم جيشا يبلغ ٣٦٠٠٠ مقاتل واستعد لأن يدفع بهم غائلة صولتهم

و يقاتلهم قال فى التوراة ولكن الله سبحانه وتعالى لم يرد ان قومه ينسبون خلاصهم فى هذه المرة الى محض حولهم وقوتهم فنقص عدد الجند حتى صار الى ثلاثمائة رجل فقط وقام فيهم جدعون هذا فوزع عليهم طبولا وقدورا من فخار فيها قناديل موقدة وتخلل بهم معسكر الاعداء من اهل مدين وهم يصيحون من نوع الشعار فى الحرب بقولهم «« سيف الله وجدعون »» ففزع المدينيون اضرب الطبول ونور القناديل وذبح بعضهم بعضا وفر سائرهم هاربين ثم توفى جدعون المذكور بعد ان اقام اربعين سنة وهو درع بنى اسرائيل قائم لهم باحسن التدبير وكان يسوغ له أن يتلقب بالملك ولكنه اكتفى بلقب القاضى لاغير وترك من صلبه من عدة نساء له واحدا وسبعين من الابناء الذكور ثم قام فيهم من بعده احدهم المدعو باسم (ابيمالخ) (بهمزة فى أوله وباء موحدة من تحتها ثم ياء مثناة من تحتها ايضا وميم والف وخاء معجمة فى آخره) فجعل نفسه ملك سيشام (وهى نابلس) وذبح جميع أخوته الاواحدا منهم فقام عليه بنو اسرائيل لتعدى ظلمه وقتلوه وانتهز العمونيون (وهم قوم من بنى لوط عليه السلام) الفرصة من الشقاق الحاصل بين الاسرائيليين فاغاروا عليهم واستعبدوهم مرة أخرى حتى قام فيهم رجل يقال له (يفتح) من بلاد جلعاد فاجلاهم عنهم وخلصهم منهم واخرب عشرين مدينة من مدائنهم وكان من أمر هذا الرجل البطل انه نذر لله سبحانه وتعالى ان عاد من جهاده ظافرا أن يقرب له أول من يلاقيه حيا بعد ايابه من سفره واتفق له ان كانت ابنته من صلبه هى أول من لاقى ناظره فذبحها وفاء بعهده وام تثلت تلك الفتاة لقد شبابها وعمرها طاعة لامره

ومع ذلك فكان العبرانيون قد وقعوا أيضا فى حبالة اسر الفلسطينيين مرة ثانية وكان الخلاص لهم فى هذه المرة هو شمشون وكان رجلا ذا قوة عجيبة وجراءة غريبة ظهر عليه منها الاثر من الصغر حيث قبض وهو ابن ثمانى عشر على أسد حديث السن فمزقه قطعا وذكر عنه فى التوراة حديث طويل فيما يتعلق بما حصل منه مع الفلسطينيين من الوقايع والغزوات وانهم لم يتيسر لهم القبض عليه الا بحيلة عملتها عليه امرأة منهم يقال لها دليله ولما استولوا عليه أخذوه معهم الى كنيسة لهم يعبدون فيها اصنامهم فعرضوه لسخرية الناس به فى يوم عيد لهم يشهرون فيه معبودهم فقام شمشون وحرك منها عمودين كانا يمسكانها فسقطت الكنيسة عليه فمات هو وثلاثة آلاف رجل منهم ولم يزل امر بنى اسرائيل فى اختلال واستمر حالهم أسوأ حال وانتشرت فيهم عبادة الاوثان بدلا عن عبادة الله الواحد الديان قال فى التوراة وصار كل واحد من بنى اسرائيل يعمل بهواه وكان قد قام فيهم عالى الكاهن وقبض على زمام الولاية المدنية والدينية معا فلم يحصل من ذلك فائدة ولا عاد عليهم عائدة وكان لهذا الحبر الاعظم ولدان كان يميل ميلا مفرطا اليهما و يتغافل عن

قبائحهما فازدادت بهما المصائب الوطنية واشتدت منهما نوائب الملة العبرانية حيث دنسا المكان المقدس وصرفا اموال الصدقات الخيرية المبذولة للحضرة الالهية فى غير مصارفها الشرعية ولذلك تكلمت فيهما العامة ولغطت فى حقهما جميع الامة وكانت امرأة من بنى اسرائيل من أهل المدينة المسماة باسم (رماته) فى ذلك الاوان (قال صاحب معجم البلدان ومشاهير أبناء الزمان السالف الذكر والبيان) «هى وطن النبى شموئيل ولعلها المعروفة بالرملة الآن» قد مكثت مدة طويلة وهى عاقر فنذرت ولدها وهو شموئيل المذكور لخدمة الكاهن الاكبر فى المحراب وكان هذا الطفل على الدوام والاستمرار لا يفتر عن الانذار اليه بانه سينكب و يفقد ولديه لقباحة سلوكهما وتعميضه عليهما فلم ينفع انذاره ومع ذلك فلم يتأخر أن تحقق بالغيب اخباره حيث اغار الفلسطينيون على بنى اسرائيل اغارة جسيمة وظفروا بهم وغلبوهم فى واقعة حربية عظيمة على القرب من المدينة التى كانت تسمى باسم (شيلوح) (بالشين المعجمة فى أوله يليها ياء مثناة تحتية فلام فواو فحاء مهملة فى آخره) (قال صاحب معجم البلدان السالف الذكر والبيان اعلاه ما معناه) «وهى أول مدينة كانت قاعدة لمملكة بنى اسرائيل بارض فلسطين بعد حضورهم من ديار مصر ودخولهم بالارض الموعودة أى أرض الكنعانيين فى ذلك العصر» وقتلوا منهم ثلاثة آلاف رجل كان ابنا عالى الكاهن من جملتهم واستولى الفلسطينيون على تابوت العهد او صندوق الشهادة السالف الذكر ولما بلغ عالى الكاهن ذلك الخبر سقط على ظهره فانكسرت رأسه ومات كما ذكر بالتوراة

وبعد ذلك بزمن قليل تقلد شموئيل بوظيفة قاضى بنى اسرائيل فكان أول ما تشبثت به همته وتعلقت به عنايته هو اعادة الديانة الالهية الى تمام حالة نقاوتها الاصلية فى سائر البلدان وانتقل الى مدن بنى اسرائيل من مكان الى مكان وصار يعظهم ويوقظهم ويخطبهم وينذرهم بان يهجروا من بينهم كل اله غير الله فصلح حال الامة وانزاحت عنها تلك الغمة وعادت لما كان فيها من حب الوطن والشجاعة الملية واغاروا على الفلسطينيين فحاربوهم وقهروهم وظفروا بهم وغلبوهم واجبروهم على أن يردوا صندوق الشهادة اليهم وكان وجوده عندهم سببا لمصائب كثيرة حلت بهم وانتهز شموئيل الفرصة من عود السلم فيما بينهم فأتم اصلاح حال الدين وتوثيق بنى اسرائيل من توحيد الله سبحانه وتعالى على قدم اليقين واحدث فى كثير من مدائنهم مدارس نبوية ومجالس وعظية لقصد تمكين العقائد الدينية وتحسين الاخلاق والعوائد الوطنية بواسطة اغانى كانوا ينشدونها وكتب كانوا يكتبونها قال الاسقف بوسوه فى تاريخه ما نصه «وقد كان الله سبحانه وتعالى ينزل على أنبياء بنى اسرائيل رسالاته ويوحى اليهم بواصلاته على وجه مخصوص ويظهر لاعين

الامة صدق وحيه اليهم بعجيب معجزاته ويثبت قول انبيائه بغريب آياته ولكن كان أكثر بعثه للرسل والانبياء خصوصا فى ذلك العصر الذى كان قد كثر فيه الفساد وكاد أن تغلب فيه عبادة الاوثان على شريعة الله سبحانه وتعالى فكانت الانبياء فى ذلك العصر تكثر فى كل مكان من الزجر والتخويف من هيبة المولى جل جلاله وما كانوا قد عرفوه وشهدوا به من الحقيقة الدينية سواء كان ذلك بطريق الكتابة او الخطابه وبقيت كتبهم التى كانوا قد كتبوها بين ايدى سائر الناس محفوظة بغاية العناية تشهد لهم شهادة مؤبدة عند أهل الاعصر الآتية »(اه)

وكان شمويل قد أراد أن يحدث حادثة كبيرة فى ترتيب دولة بنى اسرائيل لقصد زيادة تثبيت دولتهم وتوثيق عروة جماعتهم فشرع فى جعل امامتهم العظمى وولاية أمرهم العليا وراثية فى عائلته وباقية مستمرة فى ذريته . لكن بنيه لم يتيسر فيهم من حب العدل والانصاف ما كان قد توفر فيه فلما تقلدوا بالامر فى ذلك العصر اغتروا من زهرة الدنيا بالحطام وصاروا يأخذون الرشا على الاحكام فقامت عليهم الامة العبرانية وحصلت فتنة داخلية وكان قد انضم لذلك أيضا التهديد من طرف الاعداء الاجنبية فلحق جميع الناس من ذلك القلق وأراد بنو اسرائيل أن يقيموا عليهم ملكا ينظر فى أمورهم ويقوم بتدبيرهم فقالوا لشمويل اعطنا ملكا يقضى بيننا ويدبرلنا كالسائر الامم أمرنا فامتنع من ذلك أولا مستندا للاصل القديم المقتضى ان بنى اسرائيل لا ملك لهم غير الله سبحانه وتعالى ثم لما أبوا الا اجابة دعائهم والحوا فى رجائهم اضطر لاجابتهم وتوجه نظره الى شاب جميل الصورة ذى قوة متين من سبط بنيامين وهو (شاول) (بالشين المعجمة فى أوله يليها الف فواو مضمومة فلام فى آخره وهو المعروف أيضا باسم طالوت) (كما فى تاريخ أبى الفدا) فجاء به وقدسه ملكا عليهم بان افرغ على جبهته زجاجة من الزيت وجمع الامة العبرانية بمدينة (مصفاط) وتلا عليهم خطبة لامهم فيها على ما ارتكبوه من المعاصى والكفر بالله سبحانه وتعالى حيث عدلوا عن اتخاذه ولى أمرهم دون غيره ثم قال لهم دونكم ملككم فانتخبوا شاول أو طالوت المذكور وأقاموه ملكا عليهم وهو أول من تلقب بالملك منهم فى (سنة ١٠٩٢ ق م)

الفصل الثالث

فى تاريخ مملكة بنى اسرائيل الاولى لغاية تفرق دولتهم الى دولتين متعاصرتين ومملكتين متميزتين

مطلب — ذكر ملك شاول أو طالوت (من سنة ١٠٩٢ الى سنة ٩٥٣)

قال المؤرخ جبلمان السالف الذكر والبيان أعلاه ما نعريبه أدناه ولم يكن ملك شاول

على الامة العبرانيــة وولايته على الملة الاسرائيلية غير ولاية جهادية وملكة عسكرية لاغير حيث بقى رئيس هــذه المملكة الجــديدة مدة مديدة تحت طاعة صاحب الولاية الدينية وهو شمويل واستمر شمويل عــلى التصرف فى ولاية أمر بنى اسرائيل السياسية وكتب شمويل بنفسه صورة ترتيب اساسى للمملكة سديد وشروط سير للدولة سياسى جديد ووضعه فى الهيكل بمضمون انه طبقا لمفهوم قانون بنى اسرائيل القديم لا يقتضى لهم الجهاد الا فى سبيل الله سبحانه وتعالى وان يوضع صندوق شهادتهم فى وسط معسكرهم بحيث ينظرونه ليقاتلوا دونه وأن لا يكون ملــكهم الا عبارة عن قائد عسكر يحمل السلاح ليذب عن الامة ويحمى حمى الملة وأن لا يكون له أرباب دولة ولا مقر مملكة ثابت كسائر الملوك بل ينتقل من مكان الى مكان فى اسباط بنى اسرائيل حيث يأمره الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه شمويل عليــه السلام الى آخر ماذكره من الشروط والاحكام فقام شاول أو طالوت المذكور فى قيادة بنى اسرائيل الى القتال باحسن تدبير وحقق آمال الامة فيه وصدق اعتمادهم عليه بما فاز به من عدة نصرات على أعدائهم وذلك ان ملك العمونيين المسمى باسم (نابال) كان قد غزاهــم ووضع الحصار على مدينة (يبس) بجبال جلعاد فجمع شاول من بنى اسرائيل ثلاثة آلاف رجل وسار امامهم للجهاد فقاتل العمونيين وظفر بهم وانتصر عليهم نصرا تاما وغلبهم فاجتمعت الامة العبرانية مرة ثانية بمدينة (جلجالة) وسلموا عليه بملك بنى اسرائيل من جديد وهنأوه بهذا النصر السديد لــكنه لم يستمر على الامتثال لاوامر النبى شمويل وأراد ان يخرج عن ولايتــه فقلد نفسه بالولاية الدينيــة مع المرتبــة الملوكية وتصدى لما لا يعنيه مما يختص بوظائف الطائفة القسيسية وكان الفلسطينيون قد عادوا بجنود عديدة للغارة على أرض بنى اسرائيــل بالثانى فتولى شاول موكب تقريب القربان لله فى الهيكل وكان من حق النبى شمويل أن يليه فانذره بان ملــكه سيزول جزاء له على تعديه وان الله سبحانه وتعالى سيعطيه الى رجل آخر اصطفاه لذلك وارتضاه وكان ولد شاول المدعو باسم (يوناتاس) قد اشــتهر بالشجاعة والاقدام وقرر اعلوية القوم الاسرائيليين عــلى سائر الامم الاخصــام فى واقعة جديدة وقعت لهم مع اعدائهم الفلسطينيين حيث تجاسر على ان اقتحم وسط معسكرهم مع سائس ركابه وحده ففرق شملهــم ومزق جمعهــم وجاء أبوه فتتبعهــم ليتم الظفر بهم والغلبة عليهــم وحكم باللعنة على كل من تناول طعاما قبل أن تتم هزيمتهم وكان يوناتاس لم يبلغه هذا الخبر فأ كل ما تيسر من العسل البرى وبلغ أباه ذلك فحكم عليه بالقتل فعارض فى هذا الحكم بنو اسرائيل وصاحوا قائلين « ان من خلص اليوم بنى اسرائيل من القوم لا ينبغى أن يقتل وانا لنقسم بالله العظيم أن لا تسقط شعرة من رأسه حيث جاهد فى سبيل الله الكريم » وكان جميع هذا النصر والظفر باعداء بنى اسرائيل قد أوجب لشاول كثيرا من الفخر وحصن

الذكر وبقى عليهم الانتقام من العمالقة حيث كانوا قد عطلوا فى سالف الاعصر سير العبرانيين عند حضورهم من مصر للتوطن بارض كنعان فتوجه شاول اليهم وشن الغارة عليهم بجيوش عظيمة من الاسرائيليين وهزمهم شر هزيمة واسر ملكهم المسمى باسم (اجاج) (بفتح الهمزة فى أوله) وقتل العمالقة عن آخرهم غير انه خالف أمر النبى شمويل اذا كان قد أمره باستئصالهم وقطع دابرهم فعفا عن الملك اجاج المذكور ومن ثم تمت المقاطعة بين شاول وشمويل وتحكمت العداوة والبغضاء بين الرئيسين المذكورين فانذره النبى شمويل بانه حيث رفض أمر الله فقد رفضه الله وغضب عليه وازال الملك من يده وهجره شمويل وذهب الى قرية بيت لحم وقدس داود ملكا على بنى اسرائيل وكان داود المذكور من قبل قد أظهر برهان شجاعته واشهر عنوان جراءته بالذب عن مواشيه من السباع والنمور حيث كان راعيا يرعى غنم أبيه ولذلك كان قد اصاب شاول داء ما لخوليا شديد كان اذا أفاق منه عربدو كان لا يسكن الا اذا جاء داود فضرب له على عوده المشهور حتى أحبه الملك وحنا عليه ويقرب من ضرورة احتياجه اليه فغمره بكثير من النعم ورتبه داود رتبة سائس ركابه وهو لا يدرى انه قد تتوج فى السر بالملك بدلا عنه ولم يثبت أمر شجاعة داود كل الثبوت الا بعد ما قد صرع احد ابطال الفلسطينيين المشهور باسم (جالوت) وقد كان هذا البطل لا يتجاسر رجل على منازلته او يقدم بطل على التقدم فضلا عن مقاتلته فجاء داود ونازله ووافقه فى حومة الميدان وقاتله وليس معه سلاح غير مقلاعه فقذف عليه بحجر فسقط ملقى على الارض فبادر اليه وبرك عليه فقطع رأسه ولما شاهد الفلسطينيون صرع اشهر فرسانهم وابطالهم وأكبر فتيانهم ورجالهم لم يستقر لهم قرار وبادروا بالفرار وتتبعهم بنو اسرائيل الى حد مدينة (اكرون) (بفتح الهمزة والكاف فى أوله يليهما راء مهملة مضمومة فواو فنون موحدة فى آخره) من بلاد الفلسطينيين وغنموا من مواشيهم ودوابهم شيئا كثيرا ولما بلغ شاول هذا الخبر شرف داود بمصاهرته وزوجه بابنته واحبه ولده يوناتاس محبة شديدة وصادقه مصادقة أكيدة وودّه ودًّا لم ينقض بعد لشدة شجاعته ثم داخل قلب شاول الحسد لداود مذ سمع بنى اسرائيل يشهرون فضله وما حصل على يده من النصر ويقولون اذا كان شاول قد قتل من الفلسطينيين الفا فقد قتل داود منهم عشرة آلاف ومن ذلك الوقت كان الملك قد أسر له أشد البغض والمقت بل همّ أن يطعنه برمحه وهو فى مجلسه يضرب له بعوده ولم ينج داود من كيده الا بالفرار وتكرر منه هذا الفعل عدة مرار ولم يزل داود مع ذلك يستعطفه ويتصبر على جفاه ويعمل لذلك من التعطف والتكرم كل جهده حتى نأى شاول عن قصده ولم يتأخر الفلسطينيون ان عادوا بالكرة على الاسرائيليين وقد كان شاول كما هو نص التوراة «لم يزل متلبسا بالشر» فأتى امرأة كانت تخبر بالمغيبات بالمكان

المسمى

المسمى فى تلك العصور باسم (مندور) وأمرها أن تريه خيال النبى شموئيل وكان قد توفى منذ عامين فظهر له فى المنام شموئيل عليه السلام وزجره على معاصيه وانذره بأنه هو وبنيه يصيرون فى غد الى القبر „ وفى الواقع ونفس الامر اتفق أن الفلسطينيين كانوا قد شنوا الغارة على بنى اسرائيل من فوق جبل جلبوة من الفجر فقتل يوناتاس وجرح شاول وطعن نفسه بسيفه خشية أن يقتل بيد اعدائه فمات وبكاه داود اشد البكا ورثاه بأجل الرثا وعبر فى قصيدة عالية عما اعتراه من شدة الاسف لوفاة يوناتاس (فى سنة ١٠٥٦ قم)

مطلب ـ الكلام على ملك داود عليه السلام (من سنة ١٠٥٦ الى سنة ١٠١٦ قم)

قال المؤرخ المنقول عنه ما تعريبه أدناه ولما مات شاول وولده يوناتاس قام رجال سبط يهودا وولوا داود ملكا وتعصب سائر اسباط بنى اسرائيل الايشبوشت بن شاول (وضبطه بألف مكسورة فى أوله يليها ياء مثناة تحتية ساكنة فشين معجمة ما كنة فباء موحدة فواو فشين معجمة أخرى ساكنة بعدها تاء مثناة فوقية فى آخره) فقامت بينه وبين داود حرب استمرت سبع سنين حتى اتفق قتل ايشبوشت المذكور (فى سنة ١٠٤٩ قم) وبعد ذلك بستة شهور حضر مشايخ بنى اسرائيل عند داود بمدينة حبرون وأطاعوه وأقروه ملكا على سائر اسباط بنى اسرائيل وكان له حينئذ من العمر سبع وثلاثون سنة من الدهر

وقد كانت أيام ملك داود عليه السلام هى فى تاريخ اليهود اخر الايام اذ كانت مملكة بنى اسرائيل فى مدة عهده قد انتظمت فى أمورها الداخلية وكانت اعلوية سبط يهودا قد تقررت على سائر الاسباط الاسرائيلية وكانت وجاهة دولة اليهود فى تلك الاوقات قد امتدت على سائر الامم المجاورين لها فى الجهات الخارجية من شواطئ البحر الابيض المتوسط الى حد نهر الفرات ولم يبق عليهم لتكوين هيئة الامة الاسرائيلية وترتيب وحدة الملة العبرانية الاهلية بالطريقة القطعية الا أن يقطعوا دابر بقايا الامم الكنعانيين الذين كانوا لم يزالوا يوجدون فى أرض فلسطين ويستأصلوهم عن آخرهم بالكلية والجزئية وبذلك كان قد ابتدأ مدة حكمه داود عليه السلام فنازل القوم المسمين باسم (اليبسيين) وهم اشجع الاقوام الكنعانيين الموجودين بتلك البلاد وقاتلهم وأخذ منهم قلعتهم المسماة باسم (يبس) او (سالم) وهى التى نشأت فى مكانها مدينة اورشليم او بيت المقدس فيما بعد وجعلها مقر مملكته وقاعدة دولته من ذلك العهد

وكان الاقوام المعروفون فى تلك الايام بالفلسطينيين مجتمعين على سواحل البحر الابيض المتوسط (بحر سفيد) متحالفين بعضهم مع بعض ومترتبين فى صورة حكومة جمهورية ذات شوكة قوية يصولون على ممر الاوقات واللحظات على القوم اليهود ويأخذون منهم الجزية فى

تلك العهود. فلم يسع داود أن يستطيع هذا العار وأراد أن يعتق قومه وأبناء أوطانه من هذا الاسر والصغار فقاتل هؤلاء الاقوام الشداد وجاهدهم اشد الجهاد واخذ منهم سائر البلاد المسماة في ذلك الوقت باسم (جيت) من تلك البلاد وقتل كذلك المابيين عن آخرهم واتم قطع دابرهم ومن نجا من الموت منهم وضع عليه الجزية وكان من جملة هؤلاء الاقوام قومان متوطنان في جهة الجنوب من بلاد الشام فيما بين الارض المسكونة بالفلسطينيين والمابيين وهما القوم المعروفون بالعمالقة والايدوميون فقاتلهم داود وغلبهم وانتصر عليهم وقهرهم وكذلك فعل بالقوم المعروفين بالعمرنيين المتوطنين في جهة الشرق ببلاد عمان ولداعي جميع هذا النصر المتواتر وحصول هذا النجاح المتكاثر كانت قد انعقدت عليه عصبة كبيرة دخل فيها جميع الامم الذين كانوا متوطنين بتلك الاوقات فيما بين نهرى الاردن والفرات فلم يفزع داود من عصبتهم ولم يجزع من كثرة جماعتهم بل سار بنفسه اليهم وأقدم يقود جيوشه عليهم وناجزهم بالقتال وبارزهم بالنزال فغلب جميع أعدائه واستولى على ما كان يوجد لهم في ذلك العصر من الممالك الصغيرة بدمشق وسوبة وحمص من بلاد الشام واستولى على القوم الايدوميين حيث فتك بهم فأتلف حالهم وشتت شملهم بوادي الملح وبواسطة ما حصل له من جميع هذا النصر والنجح كان ملك داود عليه السلام قد امتد في ذلك العصر الى شواطئ نهر الفرات وكان قد أخذ من فرع القوم الايدوميين الثاني فرضتي آسيون جابر وايلة الكائنتين من بلاد العرب على نهاية بوغاز ايلام وأحدث طرق تواصلات تجارية فيما بين مملكته وبحر القلزم أو البحر الاحمر وأقصى بلاد آسية وافريقية

ثم قال المؤرخ المنقول عنه أعلاه بعد ذلك ما ملخص معناه ان داود عليه السلام لداعي ما كان قد وقع منه في اثناء هذه الاعمال الجميلة والفتوحات الجليلة من قصة احد قواد عساكره المسمى باسم (اوريا) وزوجته المسماة باسم (بيتسبا) المشهورة حسبما هي في الكتب المقدسة مذكورة وان كان من ذلك قد تاب وحسن منه المآب كان قد ابتلاه الله في آخر عمره بفتن أهلية وجازاه في دنياه ببعض محن منزلية تكفير التلك الخطيئة وذلك أنه قد كان فجع بأول ولد رزقه من زوجته المذكورة اذ كان قد مات ولم يتمتع له بحياة وبعد ان ولد له منها ولد آخر وهو سليمان عليه السلام كانت جميع عائلته قد داخلها الفتن والفساد بارتكاب بعض بنيه للذنوب والآثام فتعدى ابنه البكرى المدعو باسم (امنون) على أخته المسماة باسم (تمار) فقتله أخوه الآخر المدعو باسم (ابشلوم) وخرج ابشلوم عن طاعة أبيه ودخل تحت لواء عصيانه عشرة من اسباط بنى اسرائيل حتى اضطر داود عليه الصلاة والسلام لان خرج راجلا من مدينة أورشليم وخرج عليه أحد أقارب شاول

المسمى باسم (سيمى) وضبطه (بسين مهملة ممالة على ياء مثناة تحتية يليها ميم فياء مثناة تحتية بعدها ياء كذلك اخرى فى آخره) وأساء هذا الرجل فى أثناء هذه الهجرة المستعجلة وقذفه بالاحجار وأوسعه بالشتم واللعن والشنار ثم لحق داود من بقى على طاعته واجتمعوا عليه فعاد على رأس جيش يبلغ عشرين الف مقاتل منهم وبارز عسكر الخوارج بوادى افرائيم فغلبهم وقتل ابشالوم بن داود بيد (بواب) قائد عسكر أبيه وفى آخر سنة من ملكه خرج عليه أيضا ولده المسمى باسم (عادونياش) وكان داود عليه السلام قد عهد بالملك لسليمان ولده وقدسه بيده وأقره ملكا باعتراف الامة له وتخلى عن عادونياش اصحابه المتعصبون له فدخل تحت طاعة ابيه وعفا عنه ولم يعمر داود النبى الملك عليه السلام بعد هذه المصائب المهولة مدة طويلة بل أدركته الوفاة فمات عليه الصلاة والسلام بعد ان أوصى ابنه سليمان بوصايا من أحكم الكلام وسلم اليه صورة معبد عهد ببنائه اليه وأمره بانشاء هيكل مشيد لعبادة الاله الحقيق بأن يعبد وكانت وفاته فى (سنة ١٠١٦ قم) ولم يكن داود عليه السلام قد وضع اساس الصولة السياسية لدولة اليهود فقط بل كان قد اوثق عروة ترتيب مملكتهم واحكم قواعد دولتهم قال المؤرخ المدعو باسم (هيران) مانصه ولم يكن شاول الاعبارة عن قائد عسكرى ينفذ أوامر الياهو الصادرة اليه بواسطة النبى شمويل وليس له ارباب دولة معينة ولا دار مملكة ثابتة ولم يكن بنو اسرائيل فى عهده الاقوما فلاحين وانا ساعلى زراعة الارض ورعاية المواشى متمكنين لا ثروة لهم ولا مال ولا رفاهية عندهم ولا حسن حال ثم صاروا شيأ فشيأ أقوما اهل حرب وجهاد حتى جاء عهد داود عليه السلام فأصلح حال الملة بالكلية وغير هيئة ولاية الامور العمومية وجعل مدينة أورشليم دار مملكتهم وقاعدة ديانتهم وأجرى أحكام عبادة الياهو بغاية الدقة والتشديد وجعله هو دين الملة الاسرائيلية ومذهب الامة العبرانية دون غيره من الاديان ونزهه عن شوائب عبادة الاصنام والاوثان وأوسع دائرة المملكة اليهودية سعة كبيرة بما اجراه الله على يده من الفتوحات الكثيرة غير انه فى اثناء مدته كان قد دب بالتدريج فى تركيب اعضاء دولته دبيب صورة الحكومة المطلقة التصرف ونوع مايعبر عنه فى العرف بحكومة أهل القصر التى ظهرت نتائجها السياسية بما حصل فى أواخر ايام داود عليه السلام من الفتن الاهلية والحروب الداخلية الناشئة عن خروج اولاده عن طاعته السلطانية (اه)

قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه مامعناه وفى الحقيقة ونفس الامر قد كانت النتائج الاصلية الناشئة عن مدة ملك داود الشهير الذكر هى ان مدينة اورشليم صارت قاعدة المملكة السياسية ومركز الولاية الدينية ودار اقامة ملك بنى اسرائيل وذلك ان داود كان قد شيد له قصرا فيها ووضع تابوت العهد على الجبل المسمى فى ذلك العصر بجبل (موريا) منها وكان لغاية ذلك

الوقت يوضع فى وسط معسكر بنى اسرائيل متى أقاموا او رحلوا وينتقل معهم حيث انتقلوا وكان ولده سليمان عليه السلام هو الذى توفق للبناء على ماقد كان اسسه له والده من الاعمال الفخام وشيد لاله بنى اسرائيل معبدا يليق بما يستحقه من اعلى المقام ولم يكن داود عليه السلام يعد فقط فى عداد الرجال العظام الذين نظموا احوال الامم السياسية بأتقن النظام والابطال الكرام الذين فازوا من فتوح الممالك بالسعد وبلوغ المرام بل كان كذلك نبيا ملكا حيث كان قد نظر فى المستقبل واخبر وانبأ بالمغيبات واشهر فى ضمن تأليف له بقلم عال شعر يف ليس له مثال ماستصير اليه فيما بعد من العظمة والجلال مدينة القدس الجديدة التى ستشيد بعد على مكان مدينة أورشليم هذه التى كان هو قد بناها وكان اول من اختطها وأنشاها

مطلب - ذكر ملك سليمان عليه السلام (من سنة ١٠١٦ الى سنة ٩٧٦ ق م)

قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه ماتعريبه ادناه ولما توفى داود عليه السلام لم يجلس سليمان بالسهولة على سرير المملكة الاسرائيلية بل كان قد قام عليه بالثانى اخوه عادونياش فقتله سليمان ليصفو له سرير الملك من الشوائب التكديرية ثم التفت لتثبيت اقدامه عليه بعقد محالفات ومعاهدات فى الجهات الخارجية مع ملوك الممالك الاجنبية فتعاهد مع فرعون مصر وملك بلاد صور الذين كانا موجودين فى ذلك العصر واراد أن يبدأ مدة حكمه بمآثر دينية لاحربية فرحل الى مدينة جبوون وذبح فيها الف ذبيحة قربانا لله سبحانه وتعالى من اجود القرابين وكان سليمان احكم الملوك وافخر السلاطين استولى بطريق السلم على جميع البلاد التى كان ابوه قد افتتحها وكانت طاعته تمتد فى ذلك العصر من عند نهر الفرات الغاية ساحل بحر سهيد تخوم وادى مصر وكان ملكا قليل الجهاد فكان مسالما لسائر الامم الذين كانوا لمملكته مجاورين وقد عبرت التوراة عما كان حاصلا فى عهده لبنى اسرائيل من الراحة التامة والدعة العامة بهذا التعبير الجميل قائلة «ان كل احد من عند دان الغاية برسبا (يعنى من شمال المملكة الى جنوبها) كان يعيش تحت ظل كرمه وتينه فى الرخاء والسرور» (اه) وانتهز سليمان الفرصة من حالة هذه السلم و زمع على أن ينفذ ما كان قد أوصاه ابوه به من الغرض المهم وهو انشاء هيكل فخيم لعبادة الله الواحد الاحد بمدينة أورشليم وكانت مخالطاته مع مملكة الفنيقيين او الصوريين اى ملوك صور من بلاد الشام بتلك الايام قد يسرت له وسائل هذا العمل العظيم فكان (حرام) (بكسر الحاء المهملة فى اوله) ملك صور يبعث له من بلاده بالعمال والاخشاب اللازمة لبناء المعبد المذكور واقام سليمان سبع سنين ونصف سنة يبنى فى هذا الهيكل المشهور حتى اتى فيه بسائر انواع الرفاهية والفخر التى كانت تتيسر ببلاد المشرق فى ذلك العصر وفى السنة الثامنة كان قد اتمه واكمل عمارته وختمه وعقد موكبا حافلا ومو سما

شاملا حضره جم غفير وقوم كثير من بني اسرائيل لقصد ايقافه على عبادة المولى الجليل ووضع تابوت العهد أو صندوق الشهادة منه في المكان الاقدس وهو مكان لا يصل اليه أحد اشارة الى استحالة الاحاطة بجلال الله سبحانه وتعالى وأولم لهذا الموسم في ذلك اليوم الى الامة بتمامها باثنين وعشرين ألف ثور من البقر ومائة وعشرين ألفا من الغنم قال المؤرخ بوسوه «وحرم سليمان التضحية لله سبحانه وتعالى في غير الهيكل المقدس اشارة الى اظهار وحدانيته بدليل وحدة معبده» (اه) .

ثم قال المؤرخ جيلمان المذكور ماهو بعده مسطور وبعد ان شيد سليمان لله معبدا واعد لتوحيده مسجدا جدد لنفسه قصرا وانشأ حول مدينة اورشليم سورا ووسع عدة مدائن قديمة واختط مدائن اخرى جديدة عظيمة منها مدينة اشار ومجدلة وتدمر الشهيرة وقد كانت مجمع القوافل التجارية التي كانت في تلك الايام تتردد بين بابل العراق ودمشق الشام وكان سليمان عليه السلام قد بلغ من الشوكة الى أكثر مما بلغه أبوه فبمجرد ذكر اسمه وشهرته وسير جاهه وهيبته كان قد ادخل تحت طاعته من كان قد بقي على بعض استقلال من الاقوام الكنعانيين كالهيويين والهيثيين والعموريين وهم الذين كان يستعملهم في بناء العمارات الكثيرة التي كان قد انشأها في سائر بلاد مملكته بخلاف رعاياه العبرانيين حيث كان قد اختصهم بالجهاد والاستعمال على ولاية البلاد وكان قد رتب المملكة في أيامه ترتيبا جديدا ونظمها انتظاما سديدا فقسمها الى اثنتي عشرة عمالة جعل على كل عمالة منها عاملا من طرفه يجبي له خراجها قال في التوراة مانصه « وكان قد لزمهم ببعث كل مايلزم لسفرته وسائر اهل داره وحاشيته من رواتب المؤنة كل عامل منهم شهرا من السنة » (اه) وكان قد نظم الجنود نظاما جديدا وبلغت ثقة العساكر الخيالة في أيامه وحدها الى اكثر من ستين الفا وكانت مثل هذه الدرجة من القوة العسكرية تورث بالضرورة في قلوب الامم المجاورين المهابة والاحترام وتحدث عندهم الخوف والاعظام ولذلك كانت تفد عليه الملوك من سائر الاقطار ليلقوا اليه مقاليد الطاعة والصغار وسعت له من أقصى بلاد العرب (بلقيس) ملكة سبأ مع جم غفير من قومها احتفالا كبيرا لتنظر هذا الملك الشهير في جميع بلاد المشرق بالحكمة والتدبير وكانت التجارة في تلك الايام قد بلغت الى مقدار جسيم بحيث تزداد بها ثروة الامة على الدوام وكانت اساطيل سليمان عليه السلام تنضم الى اساطيل الملك حرام ملك بلاد صور وتسافر الى فرضتي أوفير وطرسيس من سواحل بلاد العرب المجاورة لخليج فارس والى سواحل بلاد اسبانية أو الاندلس فتأتي بالذهب والفضة وسن الفيل وغير ذلك مما هو من هذا القبيل وبالجملة والتفصيل فان هذا الملك الكبير كما هو بنص عبارة التوراة مذكور وكانت الفضة في زمانه بمدينة أورشليم من

حيث كثرة الوجود كالاحجار وكان نوع الشجر المعروف الآن (بار زلبنان) كالجيز الذى ينبت فى الفلوات » (اه) ثم قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه بعد ذلك ما ملخصه ادناه ولكن سليمان عليه السلام كان فى وسط هذه السعادة الباهرة والسلطنة الزاهرة قد علق عدة نساء اجنبيات من الاقوام الكنعانيين من ماب وعمون وايدومة وصيدا وبلاد الهيثيين وتزوج جملة زوجات وتسرى بعدة جوارى وسريات من غير قومه العبرانيين وأباح فى ملكه عبادة الاصنام على خلاف نص التوراة وشريعة موسى عليه السلام اذ قيل فيها خطابا لبنى اسرائيل فى حق جميع هؤلاء الامم المذكورين « لا تنكحوا نساء هذه البلاد ولا تتخذوا البنات كم أزواجا من رجالهم حيث يفسدون قلوبكم فتعبدوا آلهتهم » (اه) فغضب لذلك بعض بنى اسرائيل أشد الغضب وأوجب ذلك ايغار صدورهم عليه فنصحوه وخوفوه فلم يصغ لنصيحتهم ولم يكترث بانحافتهم حتى رأى سوء عاقبة هذا الامر قبل أن ينزل القبر حيث ذهب الرجل المسمى باسم عازر من القوم الايدوميين وآثار فرعون مصر على الاسرائيليين وخرج عن الطاعة آخر يدعى باسم (رصين) واستبد بالامر فى دمشق الشام وقوم عليه الاسباط (يربعم) بن نوبات من سبط أفرائيم فجهز بذلك تفريق بنى اسرائيل الى فرقتين وتقسيم مملكتهم الى مملكتين وآذن لها بالخراب وذات البين وقد كان يربعم هذا رجلا نبيها وانسانا حاذقا وجيها فانجذب اليه نظر سليمان والتفت اليه بعنايته حتى أناط اليه منصبا فى جملة أهل دولته ثم انبأه الى بى عبد ياس من أنبياء بنى اسرائيل بان هذا الرجل سيتولى ملك عشرة أسباط من مملكته فاراد سليمان أن يقتله فهرب الى ديار مصر وأقام بها الى أن توفى سليمان بعد ذلك بقليل (فى سنة ٩٧٦ ق م) وكان قد تملك مدة أربعين سنة على بنى اسرائيل

قال بعض أهل التواريخ «« وكانت حكمة سليمان عليه السلام قد فاقت حكمة جميع المشرقيين وسائر المصريين وكان أعقل جميع العالمين قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى هذا المكان من مختصر تاريخ القوم اليهود السالف الذكر والبيان (أى قبل ان وقع منه ما وقع من الخطا كما لا يخفى) وكانت شهرته قد انتشرت عند سائر الامم المجاورين وكان قد صنف ثلاثة آلاف مثل أو حكمة وأنشأ خمسة آلاف قصيدة لتمجيد الله سبحانه وتعالى وتكلم فى علم التواريخ الطبيعية على سائر الاشجار من ارزلبنان لغاية النبات المعروف فى لغة العرب باسم الزوفا او الشمسية الذى ينبت بجوار الحيطان وتكلم على سائر أنواع الحيوان التى توجد على ظهر الارض وسائر الطيور والهوام والاسماك التى تعيش فى البحر »» (انتهى كلام بعض المؤرخين) قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه أعلاه ما معناه وقد ضاعت كتبه هذه كلها ولم يبق منها غير التأليف المعروف بعنوان أمثال سليمان وهو عبارة عن مجموع حكم ومواعظ والتصنيف المعروف باسم (الاكليز ياست) أو كتاب حكمة سليمان وهو كتاب

نظر فيه بعين الحقيقة الى جميع الاحوال الدنيوية واللذات البشرية وقدرها بقدر قيمتها الاصلية واستنتج فيه من ذلك هذه النتيجة الجلية وهى ان كل شئ باطل وكل نعيم زائل واليه ينسب أيضا ما يعرف فى التوراة بما معناه نشيد النشيد أو قصيد القصيد وهو عبارة عن تسبيح وتمجيد وثناء على الله جل جلاله بما هو أهله من الشكر والتحميد

مطلب — ذكر اعتزال الاسباط العشرة عن سائر ملة اليهود وخروجهم عن دولة آل داود

قال المؤرخ المذكور ما تعريبه بعد بمسطور وقد كانت مدة ملك داود وسليمان هى أعلى درجة بلغتها الامة العبرانية من الفخار والشوكة السياسية غير أن ذات تلك السعادة العلية وما كان هذان الملكان قد أحدثاه فى أحوال أهل دولتهما من العوائد السلطانية والطنطنة الملكية وسعة المخالطات التجارية مع الدول الاجنبية والممالك الخارجية المجاورة لهما لزم بالضرورة أن يرتدا باسواء المضرة على أحوال المملكة الداخلية ويعود بالمفسدة على الاخلاق والعوائد الاهلية والعقائد الملية ولذلك كانت قد ضعفت مادة الدين التى هى الجامعة الوحيدة والرابطة الفريدة بين الاسرائيليين بما داخل عقائدهم فى عهد سليمان من عبادة الاوثان وكانت مملكتهم ولو بلغت ما بلغت من الشوكة الدولية والهيبة السياسية فى عهد هذين الملكين الاخيرين قد عجزت عن تأسيس وحدة الامة العبرانية وضعفت عن تقريرا علوية سبط يهودا على سائر الاسباط الاسرائيلية وكانت قد ظهرت علامات الفتن الاهلية وبدت اشارات المحن الداخلية فى أواخر ملك سليمان بذلك الزمان وكان قد قام فيهم النبى عبد ياس فأنذر سليمان مع غاية التوضيح والبيان بتفرق ملكه واخبره مع نهاية التصريح والتبيان بتمزق سلكه وكان ما جر اليه الحال من صرف المصاريف الجسيمة فى العمارات العظيمة والاعمال الفخيمة بمدة هذا العهد الاخير قد تمم تجهيز بنى اسرائيل لتفرق أهل الشمال عن أهل الجنوب منهم وأوجب بالفعل تفرق جماعتهم الى جماعتين وتمزق شمل دولتهم الى دولتين وهذا هو ما يعبر عنه فى عرف المؤرخين باعتزال الاسباط العشرة المعبر عنهم بمملكة بنى اسرائيل فى مقابلة مملكة يهودا وبنيامين (قال أبو الفدا فى هذا الموضع من تاريخه) وافترقت حينئذ مملكة بنى اسرائيل واستقر لولد داود الملك على السبطين فقط اعنى سبطى يهودا وبنيامين وصار للاسباط العشرة ملوك تعرف بملوك الاسباط واستمر الحال على ذلك نحو ٢٦١ سنة وكانت ولد سليمان فى بنى اسرائيل بمنزلة الخلفاء الاسلام لانهم أهل الولاية (يعنى الحقيقية) وكانت ملوك الاسباط مثل ملوك الاطراف والخوارج وارتحلت الاسباط الى جهات فلسطين وغيرها بالشام واستقر ولد داود ببيت المقدس (اهـ)

(رجع للنقل من التاريخ القديم للمؤرخ جيلمان)

قال المؤرخ جيلمان المذكور أعلاه ما معناه وتفصيل ذلك انه بعد ان توفى سليمان عليه السلام

كان قد قام بعده على الفور ابنه (رحبعم) وذهب الى مدينة سيشام أونا باس اذ كان قد اجتمع فيها سائر بنى اسرائيل ليقلدوه مملكة عليهم وكان رئيسهم يربعم المذكور آنفا فابوا منه أن يحط عنهم بعض ما كان أبوه سليمان قد كلفهم به من كثرة الضرائب عليهم فامتنع من ذلك واغلظ لهم الجواب فقال بنو اسرائيل بعضهم لبعض كما هو نص التوراة ما لنا ولآل داود يا بنى اسرائيل قوموا الى خيامكم وتداركوا أنتم يا بنى داود الآن نفقة بيتكم ٢٢ وقام جميع بنى اسرائيل وذهبوا الى خيامهم وأرسل رحبعم بن سليمان الوزير المدعو باسم (عادورام) لمعاقبة هذا القيام فرجموه بالاحجار حتى مات وتجرع كأس الحمام وخشى الملك على نفسه منهم ففر هاربا الى أورشليم وخرج عن طاعته عشرة أسباط من الاسرائيليين وهم ما عدا سبطى يهودا وبنيامين حيث بقيا على طاعته وتركب منهما وحده دوام مملكته وبايع الاسباط العشرة المذكورون بالملك عليهم يربعم الآنف الذكر وهكذا انقسمت مملكة اليهود بالشام الى مملكتين وتفرقت دولتهم الى دولتين وقضى الامر (وصار المراد بالتعبير بلفظ مملكة بنى اسرائيل هو فقط جماعة هؤلاء القبائل العشر) وقد كانت أوسع أرضا وسكانا وأكثر عمرانا وسكانا من مملكة يهودا وان كانت هذه المملكة الاخرى أكثر منها مائر ودويسارا وأكبر حرمة واعتبارا لداعى انه بقى فيها الاستيلاء على تابوت العهد أو صندوق الشهادة ووضع يدها على البيت المقدس وكان جميع العبرانيين يحجون اليه فى كل عام ويتنسكون ويحملهم اعتقاد حرمته يتشبثون ويتمسكون ويقربون قرابينهم فى معبد الله الاقدس فخشى يربعم ملك بنى اسرائيل أن يرغب الحجاج من رعيته فى المقام بمملكة يهودا لباعث الدين ولذلك احدث حرمين آخرين بمدينتى بيتيل ودان من بلاد العبرانيين فى ذلك الزمان ووضع لهم فيهما الاوثان ورتب لهما كهنة مخصوصين واحبارا قسيسين من غير اللاويين وأمر رعاياه أن يحجوا اليهما ويقربوا قرابينهم فيهما خلافا لشريعة موسى عليه السلام فساعد ذلك الخلاف على احداث عبادة الاصنام فى بنى اسرائيل وتقررت فيهم مداومة المخالطات بين ملوكهم وملكة السوريين (أى أهل الشام) وأما مملكة يهودا فقد كانت أصح تنسكا وأكثر اعتقادا وتمسكا بشريعة موسى عليه السلام ومع ذلك فكانت قد داخلتهم أيضا شائبة عبادة الاصنام واحتاج الحال غير مرة لقصد تنفيرهم عنها وابعادهم منها لان بعث فيهم رسل فى ذلك العصر يخوفون الرعايا والملوك سوء عاقبة هذا السلوك ويعدونهم فى الدار الآخرة اذا أطاعوا الامر أحسن حال فى الاستقبال وانه سيبعث فيهم مسيح يهدى العالم بتمامه الى الدين الصحيح الذى جاءت به شريعة موسى عليه السلام

ومما ترتب على تفرق مملكة العبرانيين الى مملكتين وجواليه تمزق شمل دولتهم الى دولتين ان اضمحلت قوتهم وضعفت شوكتهم الى درجة بليغة جدا اذ كانت حدود مملكتهم فى عهد

داود

داود ممتدة لغاية الفرات ثم انحصرت منذ تفرق جماعتهم فى مجرد بلاد فلسطين وصاروا بالاعداء الاجانب من كل جانب محاطين والتفتوا الى محاربة بعضهم بعضا وحصل فيما بينهم حروب داخلية شديدة زادت ضعف قوتهم وقامت فيهم فتن أهلية عديدة أذهبت بقية شوكتهم وجهزتهم لاستيلاء البابليين عليهم واسترقاقهم لهم وهو المعبر عنه* بالاسر الاكبر عندهم وكذلك اضمحلت يدهم الطولى وزالت دولتهم الاولى غير أن هذا الزوال كان بطيئا حيث مكثت مملكة بنى اسرائيل مدة ٢٥٥ سنة فقط وهى بحالة الاختلال والوبيل وسقطت مملكة يهوذا بعد مدة ٣٨٩ سنة وهى كذلك على اسوإ حال من هذا القبيل

الفصل الرابع

فى تاريخ دولة العبرانيين بعد تفرقها الى دولتين وذكر ملوكهم بعد انقسامها الى مملكتين متميزتين

مطلب ـــ ذكر ملوك مملكتى بنى اسرائيل ويهودا من بعد تفرقهما وبيان أحوالهما بعد تفرقهما (من سنة ٩٧٦ الى سنة ٧٢١ ق م)

قال المؤرخ جيلمان السالف الذكر والبيان أعلاه ما معناه وقد قام يربعم على مملكة بنى اسرائيل عشرين سنة لا فخر له ولا حسن ذكر غير انه قد كان أول من ادخل فيهم وبال مثال تداخل الاغراب فى منازعاتهم الاهلية واول داع للملوك الاجانب لقصد توسطهم فى أمورهم الداخلية حيث دعا فرعون مصر المشهور باسم (شيشاق) فى ذلك العصر لامداده على ملك يهودا ثم ملك عليها من بعده ولده المدعو باسم (نوذب) (بالذال المعجمة فى وسطه) (فى سنة ٩٥٥ ق م)

ولم يكن رحبعم بن سليمان فى مملكة يهودا بالنسبة لدين آبائه باحسن من يربعم سلوكا حيث اقام كذلك الاصنام للعبادة ببلاده فوق سائر الجبال المرتفعة وتحت جميع الادواح يعنى الاشجار الملتفة وفى السنة الخامسة من ملكه كان قد حضر فرعون مصر السالف الذكر الى البيت المقدس واستولى عليه واخربه وانتهب كل ما يوجد فى خزائنه من المتاع الانفس واغتصب خزائن الملك وأخذ الدروع التى كان سليمان عليه السلام قد اصطنعها من الذهب وعاد الى بلاده بالثانى بغنائم كثيرة جدا

وتملك على مملكة السبطين بعد رحبعم بن سليمان (فى سنة ٩٥٩ ق م) ابنه المسمى باسم (افيا) (بفتح الهمزة وكسر الفاء الموحدة وتشديد الياء المثناة من تحتها يليها الف فى آخره) فسار كسيرة ابيه فى مملكته ومشى على قاعدته وحارب يربعم ملك باقى الاسباط فهزمه ثم تولى بعده ابنه المدعو باسم (آسا) (من سنة ٩٥٦ الى سنة ٨٩٥ ق م) فنظف

بيت المقدس مما كان آباؤه قد وضعوه فيه من الاصنام وحارب الملك المسمى باسم (زارة) ملك الحبشة أو الايتيوبية فانتصر عليه وغلبه ثم تعاهد مع الملك (ريناداد) ملك سورية على الملك (يعشو) ملك الاسباط فاغار رينادا المذكور على مملكة بنى اسرائيل ولم يتعدّ على مملكة يهودا وتوفى آسا بعد ان حكم مملكة يهودا مدة احدى وأربعين سنة

وكان قد تولى مملكة الاسباط فى مدة هؤلاء الملوك الثلاثة ستة ملوك كلهم اشتهروا بالكفر وقبح السلوك منهم (نوذب) المذكور آنفا وهو ابن يربعم فاقام فى المملكة الاسرائيلية أكثر من سنتين (اعنى من سنة ٩٥٥ الى سنة ٩٥٣ ق م) ثم قتله (يعشو) وجلس على تخت الملك بدلا عنه (من سنة ٩٥٣ الى سنة ٩٣١ ق م) وكان الملك يعشو هذا لاجل تثبيت اقدامه فى الحكم قد قتل جميع ذرية يربعم فجا أحد قواد عسكره الخيالة المسمى باسم (زمرى) (بفتح الزاى المعجمة يليها ميم فراء مهملة فياء مثناة تحتية ساكنة فى آخره) وقام على ولده الذى تقلد بالملك من بعده المدعو باسم (ايلا) فقتله هو وسائر ذريته واستولى على كرسى مملكته ولم يتمتع هذا الملك أيضا الا أياما قلائل بثمرة عظيم جنحته حيث قامت الجنود فولت على المملكة بدلا عنه أحد قوادهم المدعو باسم (عمرى) (بفتح العين المهملة يليها ميم فراء مهملة فياء مثناة تحتية ساكنة فى آخره) وجاء عمرى لحصر زمرى فى مدينة (طرشة) التى كانت قاعدة مملكة بنى اسرائيل فى عهد ذلك الجيل ولما رأى زمرى انه هالك بيد اعدائه بالضرورة اشعل النار فى قصره فحرق نفسه وسائر اهل داره وهكذا صار عمرى ملك بنى اسرائيل فى مكان زمرى فاقام على كرسى المملكة المذكورة احدى عشرة سنة (من سنة ٩٣٠ الى سنة ٩١٩ ق م) منها ست سنوات بمدينة طرشة المذكورة ثم اشترى جبل سمرية بمبلغ مائة تالان (وهو مقدار وزن معين من الذهب أو الفضة يختلف بحسب اختلاف البلدان فى سالف الزمان) واحدث فيه المدينة المشهورة باسم (سمرية) وخلفه فيها ابنه المسمى باسم (احوب) (بتسهيل الواو أو بالهمز عليها فى وسطه) (من سنة ٩١٩ الى سنة ٨٩٦ ق م) فكان شرا من أبيه واقبح من سائر سالفيه حيث تزوج بابنة الملك المسمى باسم (ايتبعل) ملك صور المسماة باسم (هازابيل) واحدث فى قاعدة مملكته هذه عبادة صنم الصوريين المدعو باسم (بعل) و بنى له فيها معبد المناظرة بيت المقدس الذى هو معبد الله عز وجل

وكان فى اثناء تلك المدة قد تولى مملكة يهودا (يهوشافاط) بن آسا (وضبطه بفتح الياء المثناة من تحتها وضم الهاء وسكون الواو وفتح الشين المعجمة بعدها الف ثم فاء فالف أخرى بعدها طاء مهملة فى آخره) فاقام عليها (من سنة ٩١٥ الى سنة ٨٩١ ق م)

وكان يهوشافاط من أدين ملوك العبرانيين واحسن ولاة أمور الاسرائيليين ابتدى مدة ولايته باصلاح أمر الدين فى سائر أهل مملكته وفى أيامه كان اللاويون أى احبار اليهود من بنى ليوى بن يعقوب عليه السلام يسافرون من مدينة الى اخرى و يعظون الناس لقصد أن يعيدوا فيهم العقيدة الدينية الاولى وانتصر يهوشافاط على العمور يين والمابيين ومنع مملكته من صائلة العرب والفلسطينيين وأعاد لمملكة يهودا ما كانت قد فقدته من البهجة القديمة والصولة العظيمة وعقد محالفة أكيدة ومحبة شديدة مع احوًب بن عمرى ملك بنى اسرائيل حيث زوّج ابنة الملك المذكور المسماة باسم (عثلياهو) المرزوقة له من (هازابيل) بنت ملك الصوريين بولده المدعو باسم (يهورام) واجتمع مع ملك بنى اسرائيل على تجهيز اسطول عظيم فى فرضة آسيون جابر على بحر القلزم لقصد الانتفاع كالفنيقيين بالتجارة على البحر الاحمر وسواحل غرب افريقية غير ان هذا المشروع لم ينجح ولعل الفنيقيين هم الذين عطلوه وابطلوه فلم ينجح خشية مزاحمتهم على مواد تجارتهم وفى أيامه كان قد وقع فى مملكة بنى اسرائيل حادثة قحط شديدة أفنت كثيرا من الامة العبرانية مدة ثلاث سنوات متوالية ورأى الملك احوًب ان السبب فى وقوع هذه الداهية اغاهو النبى ايليا فابعده والى الصحراء طرده فعاد اليه مرة أولى لابطال حجة قسس الصنم المسمى باسم (بعل) السالف الذكر وثانية لانذار هذا الملك وزوجته المذكورة اعلاه بما سيوقعه الله سبحانه وتعالى بهما من العقاب فى نظير قتلهما لرجل فقير اسمه (نابوت) واستيلائهما على بستان كرم كان له فى الواقع ونفس الامر لم يتأخر احوًب السالف الذكر ان أصيب بسهم توجه اليه بالصدفة فقتله فى حرب قامت بينه وبين ملك سورية وقام بمملكة بنى اسرائيل من بعده ولده المدعو باسم (احزيو) (بالف مفتوحة فى اوله يليها حاء مهملة ساكنة فزاى معجمة مكسورة فياء مثناة تحتية فواو ساكنة فى آخره) (فى سنة ٨٩٢ ق م) فلم يمكث على سرير المملكة غير نحو سنتين وكان شرا من أبيه وامه المذكورين حيث عبد الصنم المدعو باسم (بعل) المذكور واعتراه مرض فبعث يستشير الصنم المسمى باسم (بلزبوت) المعبود بمدينة (اكرون) قال فى التوراة مانصه «وكأنه لم يكن اله لبنى اسرائيل ثم مات وخلفه على مملكة بنى اسرائيل اخوه المسمى باسم (يهورام) (بفتح الياء المثناة التحتية فى اوله) (فى سنة ٨٩٥ ق م) وكان قد تولى مملكة يهودا الملك المسمى ايضا باسم (يهورام) بن يهوشافاط (فى سنة ٨٩١ ق م) وضبطه بفتح الياء المثناة التحتية وضم الهاء وسكون الواو ويليها راء مهملة فالف فميم فى آخره) فقتل سائر اخوته واصدقاء أبيه وأهل دولته وفسدت اخلاقه بدسيسة زوجته (عثلياهو) المذكورة أعلاه فاقتدى بملوك دولة بنى اسرائيل فى عبادة الاصنام وهزم القوم الايدوميين وكانوا قد خرجوا عليه ولكنه لم يمكنه ان يدخلهم تحت طاعته بالثانى وهزمه الفلسطينيون

والعرب واخذوا من يده مدينة أورشليم وانتهبوها وهتكوا حرمتها واستلبوها ثم مات بعد ان أقام على سرير المملكة سبع سنوات (فى سنة ٨٨٤) وخلفه عليها ابنه المسمى باسم (احزياهو) (وضبطه بفتح الهمزة والحاء المهملة وسكون الزاى المعجمة ثم ياء مثناة من تحتها يليها الف فهاء فواو فى آخره) فلم يمكث غير سنة واحدة وقتل فى ضمن مقتلة بنى احؤب حسبما سيأتى ذكره بعد

وتقلد مملكة بنى اسرائيل من بعده اخوه يهورام بن احؤب فقام عليه وخرج عن طاعته كان يدفع له الجزية من ملوك الامم المجاورين لمملكته وباتحاده مع يهوشافاط ملك يهودا واعانة ملك ايدوم تمت له الغلبة على ملك الموابيين واسمه (ميسا) ورجع يدفع له الجزية بالثانى وفى ايامه كانت حادثة القحط الذى أكلت فيه امرأة ولدها وجاء حزييل ملك سورية لحصره فى مدينة سمرية التى هى قاعدة مملكته ثم حصل لجنوده فزع فتركوا الحصار واتحد يهورام المذكور مع احزياهو ملك يهودا على حصار مدينة راموت جلعاد لاسترداده ها من يد ملك الشام فاصاب يهورام جراح فى اثناء هذا الحصار فعاد الى بلاده ليعالج جراحه وفى اثناء ذلك كان قد قام رجل اسمه (ياهو) وتقدس ملكا على بنى اسرائيل فى وسط المعسكر واقره سائر العسكر وخرج ياهو على يهورام فقتله بسهم أصابه فى قفاه وهو مدبر (فى سنة ٨٨٣ ق م) وكذلك قتل احزياهو ملك يهودا وذهب الى قصر الملكة هازابيل بمدينة يسرائيل فرأى امرأة متبرجة وهى باجمل الزينة متبرجة تنظر من شباك فضربها بسهم اصاب مقتلها فقتلها واسقطها من شباك القصر وأمر بها فانداست تحت سنابك الخيل واذا هى هازابيل حماة يهورام السالفة الذكر ولما أرادوا دفنها لم يجدوا من جثتها غير بقية رجليها ويديها مع جمجمتها وأكلت سائرها الكلاب وبذلك تحقق نبأ النبى ايليا واستقصى بالقتل سائر أولاد احؤب وجميع أصحابه وأهل دولته مع قسس الصنم المعروف باسم (بعل) وكل من بقى من ذريته وهدم هيكل الصنم المذكور ومع ذلك فلم يهتد (ياهو) المذكور الى سبيل المولى جل جلاله بل استمر على عبادة العجول المتخذة من الذهب التى كانت بمدينتى بيتيل ودان وكان غير مهاب عند الملوك الاغراب اذ كان قد حاربه حزييل ملك الشام فهزمه ومزق جيوشه واخرب سائر بلاد جلعاد وبازان من بلاده ثم مات وخلفه على سرير مملكة بنى اسرائيل ولده المدعو باسم (يهوياحاز) فى (سنة ٨٥٥ ق م)

وفى تلك المدة كانت مملكة يهودا قد استغرقت فى سفك الدماء بطغيان المرأة المشهورة باسم (عثلياهو) التى هى أرملة الملك يهورام السالفة الذكر وذلك انه بوفاة ولدها المدعو باسم (احزياهو) المذكور آنفا كانت هذه المرأة الطاغية والملكة الباغية قد تتبعت جميع بنى داود فافنتهم ولم يسلم منهم غير طفل واحد يدعى باسم (يؤاش) بن احزيو (وضبطه بضم الياء المثناة

التحتية يليها واو وعليها همزة مفتوحة فالف فشين معجمة فى آخره) وكانت قد أخفته عنها مرضعته وهى عمته المسماة باسم (يوشابيت) زوجة الحبر الاعظم المسمى باسم (جو يدة) (بتشديد الياء المثناة التحتية فى وسطه) وخبأته فى داخل هيكل بيت المقدس مدة ست سنوات وكانت عثليا هو المذكورة قد استولت على مملكة يهودا تلك المدة واقامت فى مدينة أورشليم عبادة الاصنام بدلا عن عبادة الله الحقيق بالعبادة والتعظيم وفى السنة السابعة جمع الحبر الاعظم فى داخل الهيكل المعظم طائفة اللاويين وقواد الجنود العبرانيين وأخبرهم بانه قد بقى طفل صغير من ولد داود الذين هم أهل الولاية الحقيقية وهو يؤاش بن اخزيو وأخذ عليهم العهد بمبايعته والذب عنه ولما بلغ عثليا هو هذا الخبر اسرعت بالتوجه اليه لتقتله وتقضى عليه . فارسل الحبر الاعظم من بادر بقتلها فماتت ولم تبلغ أملها وانداست جثتها تحت سنابك الخيل كما وقع لها ازابيل التى هى أمها وهرعت الامة الاسرائيلية الى داخل معبد الصنم المدعو باسم (بعل) فهدموا محرابه وكسروا بالآلاف تمثاله وصورته وقتلوا كاهنه المسمى باسم (ماثان) فى ذات المحراب المعد لعبادته (فى سنة ٨٧٧ ق م) وحكم يؤاش مملكة يهودا من غير منازع ولا منغص بارشاد الحبر الاعظم المذكور آنفا مادام بقيد الحياة فلما طوته الوفاة طغى يؤاش و بغى وتجاوز الحد فى الغدر حتى قتل ولد الحبر الاعظم المسمى باسم ركريا فى ذات دهليز الهيكل المحرم فصاح المقتول وهو يجود بنفسه قائلا مامعناه «ان الله ينظر الى وسينتقم لى» قال المؤرخ المروى عنه أعلاه وفى الواقع ونفس الامر كان حزئيل ملك سورية قد أغار على بيت المقدس واستولى عليه وسفك كثيرا من الدماء فيه و بعد ذلك بقليل صار يؤاش محتقرا فى أعين سائر بنى اسرائيل فقتله اثنان من أرباب دولته (فى سنة ٨٣٧ ق م) وكان قد أقام على سرير المملكة الاسرائيلية مدة أربعين سنة وملك بعده ابنه المدعو باسم (امصياهو) (بفتح الهمزة والميم وسكون الصاد المهملة يليها مثناة من تحتها فالف فهاء فواو فى آخره) وانتصر نصرة عظيمة على القوم الايدوميين بوادى الملح ثم حاربه صاحب مملكة بنى اسرائيل المدعو كذلك باسم يؤاش فهزمه وازاله عن ملكه وعزله واستولى على مدينة بيت المقدس وضمها الى مملكته ثم استرد امصياهو سرير ملكه اليه بالثانى لكنه لم يلبث فيه الا قليلا حيث قامت عليه فتنة الجأته للهروب الى المدينة المسماة باسم (لاكى) وبها قتل (فى سنة ٨٠٨ ق م)

وتقلد مملكة يهودا ولده المسمى باسم (عزياهو) (بضم العين المهملة وتشديد الزاى المعجمة يليها مثناة من تحتها فالف فهاء فواو فى آخره) فاسترد قلعة ايلة واحاطها باحكم التحصين وهزم العمونيين والفلسطينيين ومن ثم داخله الكبر فتعدى على ما هو من حق صاحب الرياسة الدينية وأراد أن يباشر بنفسه ايقاد الطيب على محراب العطر فى القدس

الشريف، فلحقه البرص وضعف أمره فى آخر عمره وحبس عن سائر الناس على فخامة قدره بمقتضى شريعة موسى عليه السلام فى مكان منعزل عن سائر الانام قضى فيه باقى حياته وهو فى أنكد عيش من الايام وفى عصره كان النبى اشعيا وكان أكثر تبشيره بقرب ميلاد المسيح عليه السلام وتغلب عليه ولده المدعو باسم (يوثم) بياء مثناة من تحتها مضمومة وواو ساكنة وثاء مثلثة مفتوحة بابهام فى آخره) وتقلد بمملكة يهودا من بعده (فى سنة ٧٥٦ ق م) فكانت أيامه ببعض مكان من السعد ثم اعترى مادة السلم الاختلال فى آخر عهده بغارات الملك راصين ملك دمشق الشام وازداد على بلاد يهودا من أشد الاهوال بمدة خلفه المدعو باسم (آحاز) (بهمزة ممدودة فحاء مهملة فالف فزاى معجمة فى آخره) (من سنة ٧٤١ الى سنة ٧٢٦ ق م) وكان آحاز هذا قد انهمك على جميع أنواع الاوهام التى توجد عند الامم الاجانب فيما يتعلق بعبادة الاصنام حتى صار يذبح لها القرابين البشرية ويوقد لها أنواع العقاقير العطرية فى الاماكن العلية وينذر ابنه لخدمتها باصراره فى وسط النار وترتب على اهمال دين الملة الاسرائيلية أشد المصائب حيث انضم راصين ملك دمشق المذكور أعلاه الى ملك بنى اسرائيل المسمى (فاقح) واجتمعا على حصار القدس حتى اضطر آحاز على ان طلب الامداد من ملك العراق المسمى باسم (تجلات فلصر) فلم يتأخر ان قام بجيوشه وحضر الى دمشق واستولى عليها وقتل راصين وبذلك نجا آحاز ملك يهودا من هذه الداهية غير انه وقع فى أدهى منها حيث لم يمكنه أن يصرف غائلة حليفه هذا عن بلاده الا ببذل نفائس أموال الحرم المقدس اليه وجعل نفسه تابعا له وعولة عليه لكن خلفه ولده المسمى باسم (حزقيا) وكان رجلا صالحا وبطلا مظفرا ناجحا فاعاد الى مملكة يهودا بهجتها القديمة مدة من الزمن غير عظيمة (من سنة ٧٢٧ الى سنة ٦٩٧ ق م)

وفى مدة تعاقب الملوك المذكورين على سرير المملكة بمدينة القدس كانت مملكة بنى اسرائيل بمدينة سمرية قد سقطت فى حالة تمام الانحطاط والنحس فكان (يهو ياحاز) قد خلف عليها أباه (ياهو) ومكث على سرير الملك مدة سبع عشرة سنة فيها (من سنة ٨٥٥ الى سنة ٨٣٧ ق م) وفى جميع تلك المدة كانت مملكة بنى اسرائيل مستغرقة فى بحر التخريب والفساد بغارة (حزييل) ملك الشام وابنه (بنداد) ثم جاء بعد (يهوياحاز) ابنه (يؤاش) (من سنة ٨٣٩ الى سنة ٨٢٣ ق م) فكان أسعد من أبيه حيث حارب (بنداد) ملك الشام المذكور وظفر به ثلاث مرات واسترد ما كان قد اغتصبه على أبيه من البلاد والجهات وحارب كذلك (امصياهو) ملك يهودا فظفر به وانتصر عليه وحصره بمدينة القدس ودخلها من خرق اخترقه فى سورها واستولى على سائر الذهب والفضة وأوانى

الحرم المقدس واخذها معه الى سمرية ثم توفى وترك كرسى مملكة بنى اسرائيل الى ولده المدعو باسم (يربعم) الثانى (من سنة ٨٢٣ الى سنة ٧٧١ ق م) فاعاد الى المملكة المذكورة حدودها التى كانت لها فى سالف الزمان من عند مدينة حمص وسفح جبال لبنان الى بحر الصحراء وهو بحيرة لوط عليه السلام واسترد مدينتى حمص ودمشق الى حوزة يده بالثانى غير ان هذه الفتوحات البهية كانت آخر نجاح تحصل عليه ملوك سمرية فان من خلف يربعم الثانى هذا من ملوك بنى اسرائيل كانوا قد اوقعوا مملكتهم فى أشد الوبال والعذاب وجهزوا دولتهم للوقوع فى أجد الدمار والخراب قال فى التوراة ما ملخصه وقد كان رجال مملكة بنى اسرائيل من مدة مديدة وأيام عديدة قد وقعوا فى بحر ظلمات انتهاك حرمات الله الذى أنقذهم من ديار مصر وصاروا يتخذون عبادة الاصنام التى كانت متحكمة عند الامم الاجانب فى ذلك العصر ويعملون بعوائد الامم المجرمين والاقوام الجبارين الذين أخذهم الله سبحانه وتعالى بذنوبهم وزرعوا الاشجار الخبيثة على جميع الاراضى المرتفعة ووضعوا الاوثان على سائر الاشجار ذات الاغصان وصاروا يوقدون انواع الطيب على محاريبها ويعبدون كواكب السماء ويعبدون الصنم المدعو باسم (بعل) ويقذفون أبناءهم وبناتهم فى النيران ويعتقدون أخبار السحرة والكهان وانهمكوا بالجملة والتفصيل على جميع أنواع القبائح التى توجب غضب المولى جل جلاله وكان سائر الامم الجاهلية منهمكين عليها فى ذلك العصر من هذا القبيل ولم ينفع فيهم ارسال الرسل المبعوثين اليهم حيث لم يصغ لنصيحتهم أحد من بنى اسرائيل وظهرت علامات انحطاط دولتهم خصوصا من بعد وفاة (يربعم) الثانى حيث تقلد بولايتهم من بعده ولده المدعو باسم (زكريا) فلم يمكث على سرير مملكتهم غير ستة شهور (فى سنة ٧٧١ ق م) ثم قتله المدعو باسم (شالوم) وأقام على سرير ملكهم فى مكانه مدة شهر واحد ثم أتاه من مدينة طرشة الى سمرية الرجل المدعو باسم (مناعم) فاغار عليه وقتله وصعد على سرير الملك بدله (فى سنة ٧٧٠ ق م) وكان ملك العراق المدعو باسم (فول) قد جاءهم وبغارته عليهم فجأهم فلم يتخلص مناعم المذكور مما كاد أن يصيبه من الخراب التام الا بان بذل له مبلغ ألف تالان (من أنواع السكة التى كانوا يتعاملون بها فى ذلك الزمان) وجاء من بعده ولده المدعو باسم (بقحيؤ) (وضبطه بباء موحدة فى أوله فقاف مثناة فحاء مهملة فياء مثناة من تحتها فواو عليها همزة فى آخره) فلم يمكث على سرير مملكة بنى اسرائيل غير زمن قليل نحو سنتين ثم خرج عليه أحد قواد عسكره المدعو باسم (فاقح) (بفاء موحدة فى أوله يليها ألف فقاف مثناة فحاء مهملة فى آخره) واستولى عليه فى سمرية فقتله وتغلب على سرير الملك بدلا عنه (فى سنة ٧٥٢ ق م) وفى أيامه كان قد عاد الى بلاد الاسرائيليين تجلات فلصر ملك الاسوريين وتغلب على بلاد جلعاد وجليلة وجميع الجهات المملوكة لسبط نفتالى

من تلك البلاد واخرب بها ونقل سكانها من العبرانيين الى بلاد العراق فتم بذلك سقوط فاقح من أعلى سرير مملكته وصال عليه المدعو باسم (هوشاع) وكان من أنبياء بنى اسرائيل وهو آخر ملوك سمرية فقتله وأقام على سرير الملك تسع سنين وهو يدفع الجزية الى سلمنصر ملك العراق وأراد أن يخرج عن هذا العار فاستعان بفرعون مصر المتولى فى ذلك العصر على تلك الديار ولما بلغ سلمنصر هذا الخبر عاد الى بلاد بنى اسرائيل بالعسكر فوضع هوشاع فى سلاسل من الحديد وأخذه بحالة الاسر واستولى على سمرية ونقل سكانها الى بلاد العراق بمدينة هالة والخابور من بلاد الميديين الكائنة على القرب من النهر المسمى فى ذلك الزمان باسم (شوران) (فى سنة ٧٢١ ق م)

وهاجر أناس من أهل بابل وغوطة واواه وحمص وسيفاروائيم وتوطنوا بمدينة سمرية بعد خلوها من العبرانيين وطلبوا بعد ذلك قليل من سلمنصر ان يبعث اليهم حبرا من أحبار اليهود المأسورين ليعلمهم أمور دين هذه البلاد ثم تغلبت على عقولهم أوهامهم الاصلية ورواياتهم الملية فلم يتمسكوا بصافى دين اليهودية بل خالط دياناتهم بعض عقائد اجنبية من أديان الصابئين وكان ذلك هو أصل منشأ طائفة المعتزلة لدين الموسويين المعروفين بالسمرة أو السامريين وهم نسل هؤلاء الاقوام النازلين ببلاد الاسرائيليين باختلاطهم مع من بقى فى تلك البلاد من القوم اليهود الاصليين

الفصل الخامس

فى تاريخ مملكة يهودا من بعد انقراض مملكة الاسرائيليين لغاية خراب بيت المقدس على يد بختنصر ملك السوريين

مطلب — ذكر ملوك دولة يهودا بعد انفرادهم بالملك (أعنى فى المدة من سنة ٧٢١ لغاية سنة ٥٨٢ ق م)

قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه أعلاه ما ملخص معناه وفى مدة انحطاط دولة بنى اسرائيل وانقراضها بالكلية فى مدينة سمرية كانت دولة يهودا بالقدس قد علا أمرها وارتفع قدرها بمدة تملك (حزقيا) عليها (من سنة ٧٢٦ الى سنة ٦٩٧ ق م) (وضبطه بكسر الحاء المهملة وسكون الزاى المعجمة يليها قاف مثناة فياء مثناة تحتية بعدها الف فى آخره) وكان من الاتقياء الكبار والاولياء العظام فلذلك ابتدى مدة حكمه بجهاد الاوثان فكسر الاصنام وقطع الاشجار الخبيثة وحرق الثعبان المتخذ من النحاس الذى كان يعبده بنو اسرائيل

اسرائيل فى تلك الاعصار وفى ايامه عادت الامة الاسرائيلية الى قوتها الاصلية بواسطة عودها الى عقائدها الاهلية وتمسكها بديانتها الملية ومن ثم نجح حزقيا فى جميع مشروعاته وظفر باعدائه من الاقوام الصغيرين الذين كانوا لمملكته مجاورين فى سائر غزواته فهزم الفلسطينيين واخرب جميع بلادهم الى حد غزة وكان مع ذلك يدفع الجزية الى ملك الاسوريين مثل أبيه فلما امتنع من ادائها اليه فى السنة الرابعة عشرة من مدة حكمه اغار عليه الملك المسمى باسم (سنحاريب) ملك العراق واستولى على حصون مملكة يهودا واضطر حزقيا للتخلص منه بان يذل له جميع اموال الحرم المقدس ثم اراد ان يستعين بفرعون مصر عليه فعاد ملك العراق المذكور بالحرب اليه وكان النبى اشعيا قد انبأ بان بنى اسرائيل يكفون شر سنحاريب من غير قتال ولا تخريب فصدق الله جل جلاله قول نبيه وارسل جبريل على جيش الاسوريين وكانوا للقدس محاصرين وذلك ان سنحاريب بعد ان غزا ديار مصر فلم ينجح فى غزوته كان قد وجه سائر قوته لمحاربة العبرانيين وحصرهم فى بيت المقدس وضيق عليهم غاية التضييق فارسل الله سبحانه وتعالى على جنوده رسوله فاهلك منهم ١٨٥٠٠٠ رجل وفزع سنحاريب من هذا الامر الهائل وجزع من ذلك الهول الهائل فرفع عنهم الحصار وبادر الى بلاده بالفرار (فى سنة ٧١٣ ق م) وتولى بعد حزقيا ولده المسمى باسم (منشا) (بفتح الميم والنون الموحدة وتشديد الشين المعجمة بعدها الف فى آخره) فاقام على سرير مملكة يهودا مدة مديدة وسنوات عديدة اعنى خمسا وخمسين سنة (من سنة ٦٩٧ الى سنة ٦٤٢ ق م) وكان من افسق ملوك اليهود ولم يقتد بسيرة ابيه ولم يهتد لطريق التوحيد بل اظهر غاية الكفر والعصيان واشتهر بالفسق والطغيان واعاد بدعة الاماكن المرتفعة واقام المحاريب للصنم المعروف باسم (بعل) وغرس الغابات العظيمة من الاشجار الذميمة وعبد كواكب السماء وكان ابوه قد احترم الانبياء فانتهك هو حرمتهم ومثل بهم وسفك دماءهم وقتلهم واسال امواجا من الدم فى بيت المقدس المعظم ولذلك كان قد جاء ملك العراق المدعو باسم (اسارادون) فحسم مادة طغيانه وقطع شدة كفره وعصيانه واغار على مملكته واخذه اسيرا الى مقر دولته ثم عفا عنه واعاده الى كرسى ولايته حتى تقلد مملكة بلاد الاسوريين ملك آخر فاراد ان يقطع دابر صورة الاستبداد الظاهرية التى كانت قد آلت اليها مملكة يهودا فى تلك الحقبة العصرية ويزيلها بالكلية فارسل صهره المدعو باسم (هولوفيرت) قائدا لجنود كثيرة ووضع الحصار على مدينة (بتوليا) من بلاد العبرانيين وكانت قد كادت هذه المدينة ان تسلم مقاليدها اليه واذا بامرأة ارملة تدعى باسم (يوديت) تزينت باجمل الزينة وخرجت عليه واجتمعت به فى خيمته وكان قد اتخذ وليمة عظيمة وشرب الخمر حتى سكر فى ليلته وغلبه النعاس فنام نوما ثقيلا فقطعت

رأسه وجأت به الى المدينة ليلا قتيلا وأصبح جند الاعداء فلم يجدوا قائدهم وفقدوا رئيسهم فتفرق شملهم وتمزق جمعهم كلهم وفروا هاربين وبواسطة مكيدة هذه المرأة الشهيرة نجت المدينة المذكورة وبقيت مملكة يهودا بحالة السلم لغاية مدة انتهاء ملك منشا حتى خلفه ابنه المدعو باسم (أمون) (بمد الهمزة فى أوله) من (سنة ٦٤٢ الى سنة ٦٤٠ ق م) فلم يتبع أباه الا فى فسقه وعدم تقواه وقتل فى السنة الثانية من مدة حكمه وخلفه ابنه المدعو باسم (يوشيا) (بضم الياء المثناة من تحت يليها واو ساكنة ثم شين معجمة مكسورة فياء مثناة تحتية مشددة بعدها ألف فى آخره) (من سنة ٦٤٠ الى سنة ٦٠٩ ق م) وكان يوشيا هذا من المهتدين لطريق المولى جل جلاله وذلك أن الحبر الاعظم كان فى ايامه قد عثر فى بعض اماكن الحرم على الواح شريعة موسى فأطلعه عليها فزق ثيابه جزعا وقطعها قطعا اسفا وفزعا لكون الامة كانت فى ذلك العصر لم تعمل بشئ مطلقا من احكامها وهرع الى الحرم الشريف محفوفا بجميع احبار اليهود واوليائهم وسائر آحاد الملة الاسرائيلية كبارهم وصغارهم ورجالهم ونسائهم وعقد منهم محفلا كاملا وموكبا شاملا وقرأ عليهم كتاب الشريعة الموسوية لقصد اعادتهم للعمل باصول الديانة الاصلية وجدد عهد بنى اسرائيل القديم مع المولى الكريم وحلف واستحلف سائر بنى اسرائيل على ان لا يحيدوا عن هذا الطريق المستقيم ثم حرق الاصنام وقتل العيافين عن آخرهم واستأصلهم عن دابرهم وانتهك الاماكن العلية ونظف دين الاسرائيليين من جميع الدناسات التى كانت قد خالطته من اديان الامم الاجنبيين قال فى التوراة وذلك على وجه بحيث لم يل بنى اسرائيل من قبله ملك توجه كمثله بجامع قلبه وروحه وسائر قوته فى طريق المولى الجليل (اه)

ومع ذلك كله فقد كان حال دولة بنى اسرائيل الصغيرة بين كل من الدولتين الكبيرتين (وهما دولة مصر ودولة العراق الشهيرتين) ذواتى الفتوحات الكثيرة قد آل الان صار فى كل يوم يزداد ضيقا ولذلك تحالف يوشيا هذا مع الملك نخاورس فرعون مصر وتوجه كل منهما بجنوده لقتال ملك العراق فوقع بين ملك يهودا وبينه بمدينة مجدله (فى سنة ٦٠٩ ق م) تلاق انهزم فيه يوشيا وقتل ورجع خدمه بجثته الى مدينة اورشليم وتقلد بالملك من بعده بدلا عنه ولده المسمى باسم (يهو ياحاز) فجاء نخاووس السالف الذكر واخذه اسيرا الى مصر فمكث بها حتى مات وكان ملك العراق قد اقام فى مكانه على سرير مملكة يهودا (يهوياقيم) (بفتح الياء المثناة التحتية فى اوله وضم الهاء بعدها واو ساكنة متبوعة بقاف مثناة يليها ياء مثناة تحتية فميم فى آخره) وفى ايامه كان النبى ارميا (بفتح الهمزة فى اوله بعدها راء مهملة فميم فياء مثناة تحتية فالف فى اخره) فنشر مراثيه المشهورة للقدس الشريف حيث اخبر فيها بقلم تأليف عال منيف بما سيصيب

بيت المقدس فى المستقبل من المصائب الشديدة والنوائب العديدة وبكى تلك المصائب بغاية التأسف والتأفيف فلم يقابل يهو ياقيم هذه الاخبار النبوية والانذار الآلهية الا بان اجرى على النبى المذكور العذاب الاليم ومع ذلك فقد تحقق نباؤه وتصدق خبره فكان فرعون مصر نيخاووس قد استولى على جميع البلاد الكائنة على غربى الفرات ووصل الى مدينة قرقيشة وهى مدينة من بلاد الجزيرة كانت موضوعة على شاطئ الفرات ولها تحكم على العبور عليه وهى مدخل بلاد الجزيرة المذكورة (وتسمى الان باسم قيربيزيا) وكان بختنصر قد اشركه ابوه معه فى سرير مملكة بابل وعهد اليه بالملك من بعده فسار يقود جنوده عليه وحاربه وغلبه وبقيت مملكة يهود الا تجد من يدفع عنها فسلمت امرها اليه ودخلت تحت طاعته وجاء بختنصر الى القدس واستولى عليه واستلب سائر خزائن دار الملك وجميع الاوانى المقدسة التى كانت بداخل الهيكل واخذ معه الى بابل ذات يهوياقيم اسيرا مع عشرة الاف رجل اسرى من بنى اسرائيل وكان ذلك هو اول الاستعباد الكبير ومبدأ الرق الشهير الذى مكث فيه بنو اسرائيل سبعين سنة وكان بختنصر قد اطلقه من الاسر فعاد الى بلاده بالثانى واراد ان يستعين بالمصريين على البابليين فعاد الاسوريون الى مملكة يهودا بالثانى وحاربوه فقتلوه وانتصب على سرير الملك بدلا عنه ولده المسمى باسم (يخنيو) (بياء مثناة تحتية مفتوحة وخاء معجمة مفتوحة ايضا يليها نون موحدة ساكنة ثم ياء مثناة تحتية مضمومة بعدها واو فى آخره) فلم يقم غير ثلاثة شهور وخلفه عمه المسمى باسم (صدقيا) واستعان ايضا بفرعون مصر فخرج عن طاعة بختنصر فحضر بختنصر بنفسه اليه واستولى على القدس بالعنوة والقهر واستلبه واحرقه واخربه وهذه هى الغزوة الثالثة للاسوريين ببلاد فلسطين فى (سنة ٥٨٧ ق م) وفر صدقيا هاربا الى البادية فلحقته فرقة من جنود البابليين وقبضوا عليه فى سهول نابلس واحضروه لبختنصر فامر بذبح ابنائه وسمل عينيه واخذه اسيرا مقيدا فى سلاسل من الحديد الى بابل العراق وهو آخر ملوك مملكة بنى اسرائيل الاولى بالاتفاق وساق انيها قائد عسكر العراقيين المدعو باسم (نبوزراذون) سائر الاهالى العبرانيين ولم يبق ببلاد بنى اسرائيل غير نفر قليل من فقراء الفلاحين لقصد زراعة الاراضى فقط فولى عليهم بختنصر من طرفه عاملا يسمى باسم (جودولياس) من اعيان بنى اسرائيل فلم يمكث فى دست ولايته غير سبعة شهور وثار عليه رجل يدعى باسم اسماعيل من نسل ملوك مملكة يهودا فقتله وابطل عمله ومن خاف جبر بختنصر من اليهود فرهاربا الى ديار مصر فسار بختنصر ايضا الى تلك الديار واوقع بها الخراب والدمار وشمل جبره من كان فيها من اليهود فاخذهم اسرى الى بلاده وبذلك زالت ايضا مملكة يهودا واندرجت فى خبر كان بعد ان مكثت مدة ٣٨٩ سنة من الزمان من عهد تملك رحبعم من سليمان

الفصل السادس

فى تاريخ ارض فلسطين من بعد تخريب بيت المقدس على يد بختنصر وهى مدة الاسر الاكبر

مطلب — ذكر النبي دانيال وما كان عليه بنو اسرائيل بعدة الاسر الاكبر من الاحوال (من سنة ٥٨٨ الى سنة ٥٣٦ ق م) قال المؤرخ جيلمان السالف الذكر والبيان اعلاه ما تعريبه ادناه ولما تغلب على بلاد فلسطين بختنصر (وذلك التغلب هو المعبر عنه فى كتب اليهود بالاسر الاكبر) تشتت الملة اليهودية فى سائر الاقاليم التابعة للسلطنة الاسورية اى العراقية وصارت لا وطن لها ولا هيكل ولا معبد لها ولا محراب حيث آل بيت المقدس بجبر بختنصر الى غاية الخراب ومع ذلك فلم تزل تلك الامة المأسورة لها فى الدنيا صورة ووجود مذكورة وذلك ان بختنصر كان قد عاملها باصول المروءة الانسانية فتركها تعمل بعوائدها الاهلية ورخص للعبرانيين ان يشتروا املاكا ارضية وان يكون لهم منهم قضاة خصوصية بل ترقى جماعة من اليهود فى دولته الى بعض المناصب العلية منهم النبي دانيال وهو من نسل داود عليه السلام وكان قد فاق فى العلوم والحكمة على سائر احبار المجوس والكهنة الموجودين فى المملكة حتى صار عند ملك بابل فى اعلى منزلة التكريم والاحترام واعتمد عليه الاعتماد التام وكان من دلائل حكمته العجيبة ومعجزاته الغريبة وهو حديث السن قصة براءة امرأة من بنى اسرائيل تسمى باسم (سوسان) وهى امرأة يهوياقيم وكانت قد صحبت زوجها فى الاسر بمدينة بابل فنجأها رجلان عبرانيان وهى فى الحمام وارادا ان يفعلا بها الفاحشة فابت ذلك فاتهماها بالزنا فاظهر الله براءتها على يد النبي دانيال عليه السلام وبعد ذلك بقليل كان بختنصر قد رأى فى المنام رؤيا مفزعة وهى كأن صنما رأسه من ذهب وصدره وذراعاه من فضة وبطنه وفخذاه من نحاس وساقاه من حديد وقدماه من طفل وقد طرقه حجر فانفصل من الجبل فالقاه الى الارض وطلب بختنصر من يأول له هذه الرؤيا المزعجة من كهنة مملكته فلم يجد من يفسرها له غير النبي دانيال فاحضره عنده فاولها له وقال ان ذلك انما هو مثال سرعة زوال الدول العظيمة القائمة ببلاد آسيا اذ هى وان كانت بهجة الرأس لكنها واهية الاساس فاعجب الملك هذا التأويل وغمر بالانعام نبى بنى اسرائيل وجعله فوق جميع ارباب المناصب العلية من اهل دولته فى سائر مملكته

ثم شرع النبي دانيال بعد ذلك فى ان يأتى من الاخبار بالغيب بانحس الانذار فمن ذلك ما ذكر فى تواريخ اليهود من ان ملك بابل المسمى باسم (بلتازار) من بنى بختنصر كان ذات يوم على حسب عادته قد عكف على تعاطى جميع انواع الفواحش وجلس يشرب الخمر فى الاوانى المقدسة التى كان قد انتهبها جده بختنصر من هيكل بيت المقدس واذا بيد من نار سطرت

على الحائط حروفا غريبة وكلمات مجهولة المعنى عجيبة فزع لها الملك وجزع فتذكر النبى دانيال واحضره وطلب منه ان يعرفه معنى هذه الكلمات الثلاث وهى (مانى تيسيل فارس) فقال له ان معناها الحكم بزوال الدولة الكلدانية البابلية وفى الواقع ونفس الامر كان فى ذات تلك الليلة قد حضر ملك فارس المشهور باسم (كيرش اوقيروس) ودخل مدينة بابل من مجرى نهر الفرات واستولى عليها ومن ذلك الوقت صارت مملكة العراق او دولة الاسوريين ومن جملتها بلاد فلسطين التى هى بلاد العبرانيين تحت يد دولة القوم الفارسيين (فى سنة ٥٣٦ ق م) (انتهى الى هنا معربا مع بعض تصرف واختصار من كتاب التاريخ القديم للمؤرخ جيلمان واكثر ضبط الاسماء الاعلام من تاريخ ابى الفدا عليه سحائب الرحمة والرضوان)

تتمه

تتضمن بعض ايضاحات مفيدة وزيادات سديدة فيما يتعلق بتاريخ العبرانيين (معربة من مختصر تاريخ القوم اليهود للمؤرخ فرنسيس لونورمان) وهى تشتمل على اربع مسائل

المسألة الاولى

مطلب — ذكر الطريق التى سلكها موسى عند خروجه ببنى اسرائيل من مصر الى بلاد الشام وما قيل فى مقدار عددهم وذكر المن والسلوى اللذين أنزلهما الله عليهم وغير ذلك من الفوائد المتعلقة بتاريخهم — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى مختصر تاريخ القوم اليهود السالف الذكر والبيان وانما عدل موسى عليه السلام فى سفر خروجه ببنى اسرائيل من ديار مصر الى الشام بالسير نحو بحر القلزم ورأس جبل الطور لغرض صحيح تام كان قد تفكره وتدبير سديد كان من قبل قد دبره والا فقد كان اقصر طريق واقربه للسفر من ديار مصر الى أرض كنعان ان يتوجه بهم الى جهة الشمال ويسير معهم على سواحل البحر الابيض المتوسط ويبلغ بهم الى غزة مارا بالقلعة المسماة فى ذلك العصر من ديار مصر باسم (دينوكورو ره) (وهى قلعة العريش) والباعث له على عدوله عن هذه الطريق الاخيرة هو انها كانت على سائر خط مرورها وجميع محطات عبورها محصنة بقلاع مشيدة وحصون هائلة سديدة من اعمال الفراعنة السالفين وفيها رباطات مستعدة عديدة من الجنود المصريين قد كانت لربما تعطل سير العبرانيين وكانت جنود فرعون الذين كانوا لهم متتبعين يسهل عليهم ان يلحقوهم فى هذه الطريق حيث كان المصريون متعودين على السير فيها فى غزواتهم لبلاد آسية الغربية ولو سلك بنو اسرائيل هذه الطريق لكانوا من غير شك لحقوهم ومزقوا شملهم ومحقوهم على انه فضلا عن ذلك قد كان من أعظم سوء التدبير ان

يستعجل موسى بتعريض قومه من بعد خروجهم من ديار مصر على الفور لمباشرة الحرب بهم مع الاقوام الحربيين من الكنعانيين والحال ان القوم العبرانيين كانوا قد انحطت هممهم وضعفت عزائمهم لطول مكثهم فى ربقة الاسر بديار مصر ولم يكن لهم عادة باستعمال الاسلحة ولا بالاجابة للنهوض بما فيه المصلحة ولو كان قد التحم معهم القتال لكان ما أسرع ما يهرع لاعانة الاقوام الكنعانيين جنود فرعون المصريون اذ كان الاقوام الكنعانيون تحت طاعته وكانوا داخلين فى ذلك العصر بدائرة سلطنته وفضلا عن ذلك أيضا كان القوم العبرانيون قبل ان يتملكوا الارض الموعودة ويتكونوا فى صورة أمة مستقلة وهيئة ملة بامرولايتها مستبدة محتاجين حاجة مطلقة لان يمروا بنوع تجربة لقصد امتحانهم ويعبروا بمذربة لاصلاح شانهم ويمكثوا مدة فى الصحرا بحالة الاعتزال عن الاقوام الجاهلية والامم عبدة الاصنام الذين طالما مكثوا بين اظهرهم فلزم ابعادهم خصوصا عن فساد المدن مدة من الزمن حتى يستعدوا لما أعدهم الله له من الكرامة وعلو الشان ولم يكن ثم سبيل آخر لاصلاح حالهم وانجاح استقبالهم وارجاعهم للتمسك بعقيدة آبائهم اذ كان قد اعتراها الفساد بطول المكث فى الاستعباد ولقد كان هذا المشروع فى الجملة عظيم الموانع جسيم القواطع فلم يكن ثم وسيلة للحصول عليه غير العناية الالهية المستمره فلذلك كان الله سبحانه وتعالى هو المعين لهم بذاته والمتولى لامرهم بقوته وقد كان عددهم حسبما ذكر فى التوراة ستمائة الف من الرجال غير النساء والاطفال فساروا تحت قيادة موسى عليه السلام وكان سيرهم بالضرورة سيرا بطيئا فلم يصلوا الى سواحل البحر الاحمر الابعد ثلاثة ايام فى طريق يصعب الآن تعيينها وتعيين المنازل التى نزلوا عليها منها على وجه الضبط والاحكام ولم تكن قافلتهم مركبة من مجرد العبرانيين دون غيرهم بل ذكر فى التوارة انه كان قد صحبهم جموع كثيرة من الاقوام الاهليين الاصليين ومقادير كبيرة من المواشى والانعام وعلى هذه الهيئة الاجتماعية ساروا فى صحراء لا يكاد يجد فيها مجموع العرب ماء ولا مراعى من الارض الا شيأ قليلا قد يوجد على مسافات متباعدة بعضها عن بعض ولذلك كان الله سبحانه وتعالى من اول ايام سفرهم قد احلى لهم معجزة لموسى عليه السلام المياه المرة ثم لما وصلوا الى كورة رافيديم المجاورة لجبل حريب كان الله قد ارسل لهم مقادير كثيرة من السلوى وهو الطير المعروف بالسمانى فاكلوا منه حتى شبعوا وضرب موسى بعصاه الصخر بالوادى المعروف الآن بوادى المقطب فانفجر ماء شربوا منه حتى ارتووا واجرى الله على يد نبيه موسى ايضا هذه المعجزة ثانى مرة لانقاذ قومه من موت كاد يلحقهم وهلاك كاد يمحقهم وفى هذه المرة ايضا كان قد اخذ فى ان ازل عليهم المن الذى مكثوا يتقوتون منه مدة الاربعين سنة التى اقاموها فى البادية جزاء لهم على كفرهم قال فى التوارة وقد كان المن ينزل عليهم فى كل صباح فى معسكرهم فيلتقط منه كل واحد منهم على وجه السرعة

مايلزم له فى يومه حسب اذا كان متى حميت عليه اشعة الشمس اذابته واذا بقى الى غد فسد الا فى صبيحة امس يوم السبت حيث كانوا يلتقطون منه قوت يومين بدون ان يعتريه الفساد حتى يتيسر لهم العمل بالراحة المعدة فيه لعبادة المولى جل جلاله (اه)

ولما وصل بنو اسرائيل الى وادى رافيديم اغار عليهم العمالقه وهم قوم من اقدم قبائل العرب الجاهليين ومن اقواهم شوكة فنصرهم الله عليهم حيث زحفوا عليهم وقاتلوهم والتقوا معهم ونازلوهم تحت قيادة يوشع عليه السلام الذى سيفتح بهم الارض الموعودة لهم وهى بلاد الشام ومكث بنو اسرائيل فى البيداء ثلاثة شهور منذ خروجهم من ديار مصر حتى وصلوا الى سفح جبل سيناء أو جبل الطور وهناك أنزل الله على موسى شريعته وأرسل اليه رسالته وأخبره بذلك بواسطة صوت الرعد وضوء البرق وماخيم من السحب والدخان على الجبل المذكور فاعلن أولا للامة العبرانية بما يجب على المكلف من الواجبات الاصلية لله سبحانه وتعالى ومايجب عليه لجاره ولنفسه وذلك هو مايعرف عند اليهود بالاوامر العشرة السالفة الذكر وضم لذلك أحكاما اخرى تفصيلية تكونت من مجموعها الشريعة الموسوية ووعد بنو اسرائيل بالعمل بهذه الشريعة الالهية ثم عاد موسى عليه السلام الى جبل الطور واختفى عن الابصار حيث أحاط به السحاب وبقى فيها أربعين يوما بلياليها يتلقى الوحى لبيان مايفرض اجراه من كيفية العبادة الظاهرية وامتحان الامة العبرانية بهذه المحنة الاولية وكان بنو اسرائيل لم يزالوا بعداوة واما اجلافا متوحشين وأناسا جفاة متلونين فلم يصبروا على هذه المحنة السهلة أعنى الايمان بالاوامر الالهية العلية التى سيكون عليها مدار كينونتهم الملية وأساس ترتيباتهم الدولية وما كان منهم الا انهم بمدة غياب موسى عليه السلام عنهم فى هذه المدة القصيرة افتتنوا فتنة كبيرة ونسوا عظمة الله سبحانه وتعالى الذى انقذهم من ربقة الاسر بديار مصر وخانوا ماعاهدوا الله عليه من العمل بشريعته وتمام الانقياد اليه وقالوا لهارون اتخذ لنا آلهة تسبقنا الى حيث نذهب فعمل لهم عجلا من ذهب على مثال العجل المدعو باسم (ابيس) المعبود فى ديانة المصريين ولما شاهده العبرانيون صاحوا قائلين « يابنى اسرائيل هذه آلهتكم التى أخرجتكم من مصر » ورفع هارون لهذا الصنم الحقير محرابا وقرب له القرابين وعاد موسى اليهم فغضب عليهم ثم ابتهل الى الله سبحانه وتعالى أن يغفر لهم ويتوب عليهم وغلب عليه الغضب فضرب الارض بالواح الاحجار التى كتب الله فيها بيده شريعته فانكسرت وألقى الصنم فى النار وبعث بنى ليوى فى بنى اسرائيل لزجر من بقى على الاصرار على الكفر من هؤلاء القوم الكفار ثم نحت احجارا أخر وكتب فيها الاوامر العشرة بامر الله الواحد القهار (اه)

المسألة الثانية

مطلب — شرح قبة العهد او المظلة وأوّل تأسيس هيكل أو معبد لله تعالى فى بنى اسرائيل على هيئة منتقلة (معربا كذلك من مختصر تاريخ القوم اليهود للمؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان) قال المؤرخ المذكور وبعد ان أعلن موسى عليه السلام لبنى اسرائيل بشريعته فى جبل الطور شرع فى أن يضع لهم كيفية عبادة الله سبحانه الظاهرية وأصول مناسكهم المرئية اذ كان من الزم اللزوم المبادرة بهذا الامر المهم لاجل تثبيتهم على عقيدة التوحيد حيث كانوا قوما يحبون الاحتفالات الظاهرية ويميلون اشد الميل لداعى تعلقهم بالمواكب المرئية للرجوع الى الوقوع فى عبادة الاصنام فاخبر أوّلا اخاه هارون ومشايخ قبائل بنى اسرائيل بما اوحاه الله اليه من هذا القبيل ثم نشره فى سائر الامة واطلعهم على صورة هيكل منتقل يجب اتخاذه من الآن فصاعدا لاشهار عبادة الله فى جميع الملة ونصب هارون وبنيه الاربعة بوظيفة خدمة لهذه العبادة المرتفعة وخص جميع بنى ليوى باعانتهم على اداء مقتضى وظيفتهم مكافأة لهم على ما حصل منهم من بذل المجهود فى توثيق ما يجب لله سبحانه من حق التوحيد وطلب موسى عليه السلام من مكارم بنى اسرائيل ان يبذلوا من اموالهم ما يلزم لعمل ما جرت العادة عندهم بان يعبر عنه بما معناه قبة العهد او المظلة وهى عبارة عن خيمة اتخذوها هيكلا منتقلا الى حيث انتقلوا ومعبدا امر تحلا معهم الى اين ارتحلوا ليعبدوا فيه المولى جل وعلا فبادروا باحضار مقدار كثير من المواد والمعادن النفيسة والجواهر الثمينة واقاموه وزخرفوه بها ورفعوا فيه المحاريب وجعلوا فيه الاوانى المقدسة واشتغل بالعمل فيه عمال كثيرون تحت ادارة رجلين من ارباب الفن والاتقان منهم يدعى احدهما باسم (بيساليل) من سبط يهودا والثانى (أو يالياب) من سبط دان وامر عوافى انشائه حتى تم عمل بنائه وامكن تركيبه وايقافه لله سبحانه فى السنة الثانية من عهد خروجهم من ديار مصر وكانت تلك الخيمة شبيهة بالخيام ذات الرونق والرفاهية التى كان يتخذها ليمتازوا بها مشايخ عرب البادية فى ذلك العصر غير انها كانت من داخلها مطبقة بتخشيبة مركبة من الواح من الخشب مكسوة بطنافس ملوّنة تزداد بها متانة وهى على شكل مربع مستطيل اطول أضلاعه متجه من المشرق الى المغرب يشتمل فى باطنه على المكان المقدس اى بيت الله الاصلى وهو المعبر عنه بالمحراب الحقيقى يحيط به من جميع جهاته ساحة متسعة غير مسقوفة يوجد على جانب منها ما يعرف بما معناه (محراب الاضاحى او القرابين) متخذا من الخشب المطبق بصفائح من نحاس كانوا يذبحون عليه الذبائح قربانا لله سبحانه وتعالى وحوض متسع متخذ من المعدن المذكور كان احبار اليهود يغسلون ايديهم وارجلهم فيه

قبل

قبل ان يقربوا من محراب الاضاحى اوالقرابين وقبل ان يدخلوا المحراب الاصلى والمحراب الاصلى المذكور منقسم من داخله الى مكانين منفرزين بستر من القماش النخيش الفاخر احدهما (البيت المقدس) والثانى (البيت الاقدس) اما الاول فلم يكن فيه من قبيل الامتعة المقدسية غير ثلاثة اشياء وهى اولا مايدعى عندهم بما معناه (لوحة فطيرة العرض) وهى من خشب مكسو بالذهب كان يوضع عليها فى كل يوم سبت اثنتاعشرة فطيرة من غير خميرة يقدمها الاثناعشر سبطا من بنى اسرائيل لله سبحانه وتعالى على سبيل التقرب والتبجيل ثانيا (شمعدان الذهب ذو السبعة الفروع) الشهير ثالثا (المحراب المنتقل الصغير) وهو مصطنع من خشب مكسو بصفائح من ذهب كانوا يوقدون فيه انواع الطيب وقد بقيت صورة كل من المحراب الصغير والشمعدان المذكور منقوشة فى جملة النقوش البارزة المصورة على باب النصر المعروف فى مدينة رومية الكبرى بباب نصر القيصر طيطوس اشارة الى أن هذين المتاعين كان القيصر المذكور قد أخذهما فى جملة الاسلاب التى كان قد استلبها من مدينة القدس بعد استيلاء الرومانيين عليها ووجد أيضا على بعض عمارات مصرية من اعمال الفراعنة السالفين صورة لوحة قربان من الخبز لآلهتهم المعبودين والظاهران لوحة فطير الاسرائيليين كانت قد عملت على مثالها وصنعت على منوالها واما البيت الاقدس فلم يكن مشتملا على شئ غير مايسمى بما معناه السفينة المقدسة اوتابوت العهد اوصندوق الشهادة وهو الموضوع فيه صحف التوراة المكتوب فيها الاوامر العشرة المنزلة على موسى عليه السلام وذلك أشارة الى ما انعقد من العهد بين الله سبحانه وتعالى وقومه (يعنى بنى اسرائيل) وهو عبارة عن صندوق متخذ من خشب لا يعتريه الفساد مكسو بصفائح من الذهب وقد ورد له ذكر فى التوراة بوصف غير تام ولا متضح والظاهر ان بنى اسرائيل كانوا قد اتخذوا تابوت عهدهم هذا على مثال ما حصل عليه العثور فى الهياكل المصرية القديمة ودلت عليه نقوشهم البارزة الفخيمة مما أطلق عليه لفظ النواويس (جمع ناووس) وهو عبارة عن مصلى صغير منتقل ومعبد مختصر مرتحل متخذ من خشب يشتمل على بيت الصنم يوجد فى كل هيكل من هياكلهم العظيمة وكانت نواويس المصريين هذه مغلقة الابواب على الدوام والاستمرار وفيها صورة الصنم الذى أعد لعبادته الهيكل بحيث لا يراه أحد من البشر وكأنه كان فى اعتقادهم محل سكنه وموضع وطنه وأما البيت الاقدس من تابوت عهد العبرانيين المذكور هنا فقد كان كذلك ليس لاحد من بنى اسرائيل أن يدخله غير موسى عليه السلام والحبر الاعظم (المعبر عنه عند اليهود بالحاخام) ولا يباح لهم الدخول فيه الا فى بعض ايام معينة من السنة ولم يكن فى داخله صورة ولا تمثال من هذا القبيل مطلقا لكون شريعة موسى كانت تحرم تصوير الله سبحانه وتعالى باى صورة محسوسة ولا هيئة مادية ايا كانت اجتنابا بالخطر الوقوع فى عبادة الاصنام وغاية ماهنالك ان موسى عليه السلام كان قد وضع فيه صحف الاوامر العشرة التى كان قد

انزلها الله عليه على سبيل كونها هى الالة المرئية والعلامة الحسية للعهد الذى انعقد بين بنى اسرائيل والحضرة الالهية العلية (اه)

المسئلة الثالثه

مطلب — الكلام على الجرائح أو الجوائح العشر او الآيات العشر التى ذكر فى تاريخ بنى اسرائيل ان الله سبحانه وتعالى أصابهما فرعون وقومه من اهل مصر معجزة لموسى عليه السلام (معربا أيضا من مختصر تاريخ القوم اليهود للمؤرخ فرانسيس لونو رمان قال المؤرخ المذكور أعلاه فى هذا المقام ما تعريبه أدناه ومع ان موسى وهارون انما طلبا من فرعون مصر ان يرسل معهما بنى اسرائيل الى البيداء ليقربوا الى الله سبحانه وتعالى القرابين فى الصحراء فقط كان فرعون المذكور قد امتنع من اجابتهما مع الاحتقار لهما وبدلا عن أن يسمح بادنى حرية لبنى اسرائيل كان قد زادهم من الاعمال الشاقه التحميل باثقل حمل ثقيل ولذلك كان الله سبحانه وتعالى قد أصاب تلك البلاد على يد موسى عليه السلام بعدة جوائح أو مصائب الهيه اشتهرت بما معناه جرائح مصر العشر أو الآيات العشر ووردها فى التوراة على هذا الترتيب المسطر بعد واوضح الذكر وهى

(الاول) ان ماء النيل قد تغير وتلون بلون الدم الاحمر وصار كريه الرائحة حتى صار بالصحة يضر واضطر اهل مصر لان حفروا آبارا ليأخذوا منها الماء للشرب

(الثانى) ان الضفدع قد كثر بنواحى مصر حتى ترتب على كثرته لاهاليها ما لا يطاق من الضرر

(الثالث) ان الناموس قد كثر حتى عم بالعذاب الناس والدواب

(الرابع) انه انتشر فى جميع الديار والغيطان أنواع هوام أخرى منها بنات وردان المعروفه بالصراصر غير ماذكر فاتلفت المزارع واضرت بمحصولات الفنون والصنائع

(الخامس) انه حصل موتان نفق بها كثر المواشى والحيوان بتلك البلدان

(السادس) انه كان يعلوا ابدان الناس والدواب بثور ودمامل شديدة الالتهاب

(السابع) انه قد توا تر على الارياف نزول برد كثيف مصحوبا بالبرق والرعد

(الثامن) انه قد انتشر بجميع نواحى مصر جراد كثير اتلف جميع المزارع التى كانت قد سلمت من البرد

(التاسع) انه قد كان خيم على سائر جهات الجو بديار مصر ظلام كثيف نشأ كما يظهر عن رياح عاصفة حملت معها غبارا من الرمل

(العاشر) انه قد حصل على حين فجأة من أهل مصر وباء قتل سائر الاطفال المولودين جديدا فى ذلك العصر

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان ما معناه وهذه الجوائح المسرودة

اعلاه هى التى قد تعترى اقليم وادى مصر فى كل مدة من الدهر وهى معهودة لهم من سالف العصر وحينئذ فعدها من الآيات الالهية والمعجزات النبوية انما هو من حيث كثافتها الخارقة للعادة المعهودة واجتماعها فى مسافة من الزمن غير مديدة ولما رأى ذلك فرعون مصر ندم على ما فعل واشتد به الخوف فالتمس من موسى وهارون ان يطلبا من الله توقيف تلك المصائب ففعلا وأجاب الله دعوتهما ولما زال الخطر عاد الى ما كان عليه من القساوة والشر حتى هلك سائر الاطفال فى جميع نواحى مملكته ولحق الموت ذات ولده فانحلت عرى عزيمته واخلى سبيل بنى اسرائيل (اه)

المسئلة الرابعة

مطلب — ذكر نبذة مختصرة فيما يتعلق بحالة بنى اسرائيل العلمية وما اثر عنهم من العلوم العقلية والنقلية — من المعلوم ان هذه الامة قد كانت هى بيت النبوة ومعدن الرسالة من عهد آدم وجمهور الانبياء والرسل منهم ولذلك لم يشتهروا الا بالعناية بعلوم الشرائع وسير الانبياء فكان أحبارهم اعلم الناس باخبار الانبياء وعنهم أخذ ذلك علماء الصحابة من المسلمين كعبد الله بن عباس وكعب الاحبار وعبد الله بن منبه ولم يشتهر علماء اليهود بالعلوم العقلية ولكن ربما كان فى أيام دولتهم من عنى ببعض علوم فلسفية وقليل ما هم ومع ذلك فقد علم ان لهم حسابا دقيقا فى تاريخ شريعتهم ومعاملاتهم لكن لم يعلم هل كان ذلك من نتائج عقول علمائهم أو كان قد رتبه لهم بعض العلماء من الامم الاجانب ثم لما تفرقوا فى البلاد بعد ذهاب دولتهم وتفرق جماعتهم وداخلوا الامم الاغراب تحركت هم قليل منهم لطلب العلوم النظرية واكتساب الفضائل العقلية فقال بعض افرادهم بعض شئ من فنون الحكمة والفوا فى العلوم التاريخية منهم يوسف او يوسيفوس مؤرخ اليهود وهو المنقول عنه غير مرة فيما اسلفناه مما هو عنه فى التاريخ مأثور قال المعلم بوليبت الفرنساوى صاحب كتاب معجم البلدان ومشاهير ابناء الزمان ما ملخصه ادناه وهو رجل من قواد عساكر اليهود ومولود فى سنة ٣٧ لميلاد المسيح عليه السلام بمدينة أورشليم من فرقة اليهود المعروفة باسم الفاريزيين كان قد اشتهر خصوصا بما كتبه من تواريخ قومه الاسرائيليين وذلك انه كان قد تقلد من لدن قومه العبرانيين بولاية أقليم جليلة من بلاد فلسطين حين قاموا على الرومانيين (فى سنة ٦٧ ب م) وبعد ان تجلد للحصار فى مدينة (يوطابات) مدة مديدة كان قد أذعن للرومانيين بالطاعة فأخذه القيصر طيطوس الى مدينة رومية الكبرى وهناك اشتغل بتأليف كتاب تاريخه المشهور باسم الاثار اليهودية وقد كان كتبه أولا باللغة السورية ثم باليونانية وهو عبارة عن تاريخ اليهود لغاية استيلاء الرومانيين على القدس وله مؤلفات أخرى فى فن التاريخ نقلت كلها الى اللغة اللاطينية ثم الى الفرنساوية وتوجد متداولة فى ايدى الناس بالبلاد الافرنجية (انتهى باختصار)

تذييل

يشتمل على جدول زمنى يتضمن مقابلة ملوك كل من مملكتى يهودا وبنى اسرائيل المتعاصرين وبيان تاريخ مبدأ ملك كل منهم لزيادة الايضاح والتبيين (معرباً كذلك من مختصر تاريخ القوم اليهود للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

مملكة يهودا		مملكة بنى اسرائيل	
أسماء الملوك	تاريخ مبدأ ملكهم ق م	اسماء الملوك	تاريخ مبدأ ملكهم ق م
رحبعم بن سليمان	٩٧٨		
اقيا بن رحبعم	٩٦١	يربعم بن نوبات	٩٧٨
أسا بن اقيا	٩٥٨		
		نوذب بن يربعم	٩٥٧
		يعشو بن احيا	٩٥٥
		ايلا بن يعشو	٩٣٢
		زمرى	٩٣٠
		عمرى	٩٣٠
		احؤب بن عمرى	٩١٩
يهوشافاط بن آسا	٧١٦		
		احزيو بن احؤب	٨٩٩
		يهورام بن احؤب	٨٩٨
يهورام بن يهوشافاط	٨٩١		
احزياهو بن يهورام	٨٨٧		
		ياهو بن نمشى	٨٨٦
عثلياهو بنت احؤب	٨٨٩		
يؤاش بن احزياهو	٨٨٩		
		يهوياحاز بن ياهو	٨٥٨
اماصياهو بن يؤاش	٨٣٩		
		يواش بن يهوياحاز	٨٤٢
عزياهو بن اماصيا	٨١٠		
		يربعم الثانى ابن يؤاش	٨٣٧
		فترة بدون ملك من ٧٧٤ الى	٧٧٣
		ذكريا بن يربعم الثانى	٧٧٣
		شالوم بن يابيس	٧٧٢
		مناعم الاول ابن جادى	٧٧٢
يوثم بن عزياهو	٧٥٨		
		بقحيو بن مناعم	٧٦١
آحز بن يوثم	٧٤٢		
		باقح بن رمليا	٧٥٩
حزقيا بن آحز	٧٢٧		
		مناعم الثانى بن بقحيو	٧٤٢
منشا بن حزقيا	٦٨٥	باقح مرة ثانية	٧٣٣
آمون ابن منشا	٦٤٢	هوشاع بن ايلا	٧٣٠
يوشيا بن آمون	٦٤٠		
يهوياحاز بن يوشيا	٦١٠	زوال مملكة بنى اسرائيل	٧٢١
يهوياقيم بن يوشيا	٦١٠		
[illegible]	[illegible]		

مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم فى هذا الباب الثالث من الفوائد والافكار

افكار تقديميه وفوائد عموميه

١ - ما مرتبة الامة اليهودية بالنسبة لمن جاورها من الامم السالفين من حيث الحوادث السياسية وما مرتبتها من حيث الدين

٢ - ما الفرق بين التاريخ الاثرى والبشرى وما معنى كل منهما وما المراد بتاريخ العبرانيين وكيف ينقسم وما العهد القديم وما العهد الجديد

٣ - ما الذى يقتضيه الترتيب الطبيعى من تعقيب تاريخ وادى النيل بتاريخ العبرانيين وما اهمية معرفة تاريخهم بالنسبة الينا معاشر المصريين

٤ - ما الذى يقتضى ذكره من الكلام على تواريخ العبرانيين من حيث التاريخ العام

مقدمه

٥ - ما المراد من لفظ آسية وما اقسامها الاصلية وما المراد بآسية الصغرى والكبرى وآسية الغربية

٦ - ما المراد بالشام وارض كنعان وفلسطين عند الامم المتقدمين والمتأخرين وما منظرها وما فيها من الجبال والانهار والبحيرات والمدن الكبار

٧ - ما المراد بالعبرانيين واليهود وبنى اسرائيل او الاسرائيليين وما النسبة بين هذه الالفاظ وما أصل اسم اليهود

الفصل الاول

٨ - ما اصل منشأ الامة العبرانية فى الزمن القديم وما قصة ابينا ابراهيم ولوط عليه الصلاة والتسليم

٩ - ما قصة يعقوب وبنيه وقصة يوسف وما جرى لبنى اسرائيل بمصر فى سالف العصر

١٠ - ما قصة موسى وهارون وما جرى على ايديهما من خروج بنى اسرائيل من مصر فى ذلك العصر

١١ - ما حقيقة شريعة موسى بالنسبة لشرائع الامم المتقدمين فى ذلك العصر وما هى الاوامر العشر

١٢ - ما المراد من قانون السنة السبعية والمدة الخمسينية وماذا ترتب على اجراء هذين القانونين من تحسين احوال الامة العبرانية وماذا كانت حالة اللويين بين اظهر

الاسرائيليين فى تلك الاحقاب الزمنيه

١٣ - كيف كانت حالة موسى مع بنى اسرائيل فى وادى التيه واين مات وماذا اثر عنه فى التوراة من القصيد الذى انشاه حين حضرته الوفاة

١٤ - ماهى الترتيبات التى وضعها موسى عليه السلام لبنى اسرائيل قبل الوفاة

الفصل الثانى

١٥ - بماذا يذكر يوشع عليه السلام وكيف فتح بنى اسرائيل الشام وكيف اقتسموها بعد ان توطنوها

١٦ - كيف كانت حقيقة حكومة العبرانيين بالشام فى أول أمرهم وما المراد بقدماء بنى اسرائيل أومشايخهم وقضاتهم اوحكامهم

١٧ - كم كان عدد قضاة بنى اسرائيل ومن كان اشهرهم وابعدهم صيتا واكبرهم

١٨ - بماذا اشتهر عثنيال واهوذ والمرأة المشهورة باسم ديبوره وجذعون وابيمالخ ويفتح وشمشون الجبار وعالى الكاهن وشمويل وما أصل تملك شاول اوطالوت على بنى اسرائيل

الفصل الثالث

١٩ - ما كيفية تملك شاول اوطالوت على بنى اسرائيل وكيف كان سلوكه من جميل ورذيل

٢٠ - كيف كان منشأ داود وما قصته مع شاول اوطالوت ومع جالوت

٢١ - كيف تملك داود على بنى اسرائيل من بعد وفاة شاول اوطالوت وكيف كانت مدة ملكه عليهم وكيفية سلوكه فيهم

٢٢ - ما كيفية حكومة القوم المعروفين بالفلسطينيين واين كانت منازلهم من ارض فلسطين وماذا فعل داود بهم وبغيرهم من اعداء بنى اسرائيل الذين كانوا لهم مجاورين

٢٣ - كيف كانت حدود ملك داود عليه السلام وماذا احدث لمادة تجارة بنى اسرائيل من المساعدة والتسهيل

٢٤ - ماذا ترتب على قصة داود مع احد قواد عسكره المدعو باسم (اوريا) وزوجته المسماة باسم (بتسبا) المشهوره من الحوادث التى هى فى التواريخ مذكوره

٢٥ - ماقصة خروج اشلوم بن سليمان على ابيه وماقصة خروج ولده الآخر المدعو باسم عادونياش أيضا عليه

٢٦ - ماتاريخ وفاة داود عليه السلام وماذا انشأ عن ملكه فى احوال بنى اسرائيل من النتائج والمترتبات بعد ان مات

٢٧ - هل كان داود ملكا فقط كما قد يقال أم كيف كان الحال

٢٨ - كيف كان تملك سليمان على بنى اسرائيل من بعد أبيه داود وكيف كان حاله مع الملوك المجاورين له وبماذا ابتدى مدة حكمه وما حدود مملكته وكيف كانت حالة بنى اسرائيل فى ايام دولته

٢٩ - من الذى انشأ بيت المقدس وعلى أى رسم كان انشاؤه وباى وسيلة وكيفية كان تشييده وبناؤه

٣٠ - ماهى المبانى والعمارات التى بناها سليمان عليه السلام غير بيت المقدس السالف عليه الكلام

٣١ - كيف كانت درجة ملك سليمان عليه السلام من الهيبة والاعظام وماذا ترتب على امتداد صيته وهيبته من دخول الممالك المجاورة له تحت طاعته

٣٢ - ماقصة بلقيس مع سليمان عليه السلام

٣٣ - كيف كانت حالة المعاملات التجارية بين بنى اسرائيل والممالك الاجنبية فى عهد سليمان عليه السلام

٣٤ - ماذا قيل فى حق سليمان مما يخالف شريعة موسى عليه السلام كما هو فى التواريخ مذكور وماذا ترتب على ذلك فى بنى اسرائيل من الفتن وايغار الصدور

٣٥ - ماذا كان يربعم بن نوبات و ماقصته مع سليمان عليه السلام

٣٦ - ماذا قيل بشأن حكمة سليمان فى سالف الاوقات وماذا يؤثر عنه من الكتب والمؤلفات

٣٧ - ماقصة اعتزال الاسباط العشرة عن سائر اليهود وكيف كان خروجهم عن دولة آل داود

٣٨ - ماتفصيل قصة تفرق دولة بنى اسرائيل الى دولتين وتفرق مملكتهم الى مملكتين

٣٩ - ما المراد بقول المؤرخين من هنا فنازلا مملكة بنى اسرائيل فى مقابلة مملكة يهودا وبنيامين

٤٠ - ماذا ترتب على تفرق مملكة العبرانيين بالشام من المصائب والآلام

الفصل الرابع

٤١ - من الذى تولى مملكتى بنى اسرائيل ويهودا بعد تفرقهما من الملوك وماذا كانت حالة كل واحد منهم من طريقة السلوك - يربعم بن نوبات - رحبعم بن سليمان آفيا - اسا - نوذب - يعشو - زمرى - عمرى

٤٢ - ما اصل مدينة سمرية فى سالف الجيل وجعلها قاعدة مملكة بنى اسرائيل

٤٣ - ماذا قيل فى حق احوب ملك بنى اسرائيل من الذكر الرذيل

٤٤ - ماذا قيل فى حق يهوشافاط ملك يهودا من الذكر الجميل

٤٥ - بماذا يذكر اخزيون احوب ملك بنى اسرائيل من الذكر الوبيل

٤٦ - بماذا يذكر يهورام بن يهوشافاط وكيف كان تأثير زوجته عثلياهو عليه

٤٧ - بماذا ذكر اخزياهو ملك يهوداو يهورام ملك بنى اسرائيل وماذا فعل ياهو وبماذا تذكر المرأة الطاغية المسماة باسم عثلياهو

٤٨ - كيف تقلد مملكة يهودا يؤاش وكيف نجا من مقتلة بنى داود وعاش وكيف كان سلوكه الى ان مات

٤٩ - كيف كان سلوك امصياه وبن يؤاش - وعزياهو - ويوثم - وآحاز - وحزقيا

٥٠ - كيف كان حال مملكة بنى اسرائيل فى مدة ملوك مملكة يهودا المذكورين اعلاه يهوياحاز - يؤاش بن يهوياحاز - بربعم الثانى - ذكريا بن يربعم الثانى - شالوم مناعم - يفحيئو - فاقح - هوشاع

٥١ - ما اصل منشأ الفرقة المعتزلة من اليهود المسماة بالسمرة او السامريين

الفصل الخامس

٥٢ - ماذا كانت حالة مملكة يهودا من العظمة وعلو الشان اذ كانت مملكة بنى اسرائيل قد اخذت فى الانحطاط والهوان

٥٣ - بماذا يذكر حزقيا ملك يهودا من الذكر الجميل وماذا يذكر فى ايامه من حادثه معجزة النبى اشعيا من انبياء بنى اسرائيل

٥٤ - بماذا اشتهر منشا من الكفر والعصيان وعبادة الاوثان ومن الذى حسم مادة الاستقلال الظاهرية التى كانت قد آلت اليها حالة الدولة العبرانية فى تلك الحقبة الزمنية وما قصة المرأة المشهور باسم (يوديت) الاسرائيلية

٥٥ - بماذا يذكر امون ويوشيا والى م آلت حال مملكة بنى اسرائيل فى عهد هذا الملك الاخير من الضيق والتأخير يهوياحاز - يهوياقيم - والنبى ارميا

٥٦ - ماذا فعل بختنصر بالقدس - يخنيو - صدقيا - جودلياس - اسماعيل

الفصل السادس

٥٧ - ما قصة النبى دانيال وماذا كان عليه بنو اسرائيل بعد الاسر الاكبر من الاحوال

تتمة

المسألة الاولى

٥٨ - ما الطريق التى سلكها موسى ببنى اسرائيل فى سفره من مصر الى الشام وماذا قيل فى عددهم وما المن والسلوى اللذين انزلهما الله عليهم وغير ذلك مما يتعلق بهم

المسألة

المسألة الثانية

٥٩ - ما المراد بقبة العهد او المظلة وما أول هيكل تأسس فى بنى اسرائيل على هيئة منتقلة وما صفة ذلك الهيكل حسبما جرى عليه من عهد موسى العمل

المسألة الثالثة

٦٠ - ماهى الجرائح اوالآيات السبع التى ابتلى الله بها ديار مصر فى سالف الايام وما حيثية كونها معجزة لموسى عليه السلام

المسألة الرابعة

٦١ - كيف كانت حالة بنى اسرائيل العقلية وماذا أثر عنهم من العلوم العقلية والنقلية

تذييل

٦٢ - جدول تعاصر ملوك مملكتى يهودا و بنى اسرائيل من القوم العبرانيين وبيان تاريخ جلوس كل واحد منهم على سرير الملك ببلاد فلسطين



الباب الرابع

فى تاريخ الاسوريين والبابليين واهل بلاد العراق وكردستان السالفين

اعنى تاريخ دولة النماردة ببلاد العراق وهى بلاد كلدة ونينوى والسريانيين وهم النبط اوالنبطيون و بلاد الجزيرة المسماة عند اليونان فى سالف الزمان باسم الميزوبوتاميه اى بلاد مابين النهرين (دجلة والفرات) وهى احد العراقين (العربى والعجمى) من تلك الجهات واصل مأخذ هذا الباب من عدة موارد

(اولا) من كتب التواريخ القديمة المدرسية اى التى كان جاريا عليها التعليم بالمدارس الاوروبية وهى القطع الباقية من تاريخ المؤرخ الكلدانى اليونانى المشهور باسم (بيروز) فى ضمن الجزء الثالث من مجموع القطع التاريخية اليونانية المطبوعة بمعرفة الطباع الفرنساوى الشهير باسم (ديدو) وتاريخ المؤرخ هيردوت اليونانى وديودور الصقلى وغيرهما (ثانيا) من تحقيقات علماء الافرنج المتأخرين والسياحين الاوروباويين العصريين فيما يتعلق بالبحث عن الاثار السريانيه القديمة وكيفية قرآءة القلم السريانى المسمى ايضا بالخط السنانى اى الذى هو على شكل سنان الرمح اوالمسامير وهم الرجال المشاهير باسم (بوته) و(دوسولسى) و (اوبير) و (مينوت) من الفرانسيس و(اسيار) و(راولنسون) و(نوريس) من الانجليز وغيرهم

افكار تقدمية وفوائد عموميه

قد ذكرنا فى ضمن المسألة السابعة من تتمة الباب الاول المتعلق بتاريخ الاعصار الاوليـة والازمان الاصلية نقلا عن مختصر التاريخ القديم للوزير الفرنساوى المعروف باسم ويكتور دوروى الشهير مايفيد ان اقدم الدول التى تأسست بعد الطوفان فى سالف الازمان قد كان بوادى النيل ووادى دجلة والفرات اعنى دولة الفراعنة بالديار المصرية ودولة النماردة ببلاد العراق و بابل وبلاد الاسورية وحيث اسلفنا الكلام فى الباب الثانى والثالث على تاريخ قدماء المصريين والعبرانيين الذين كانوا لهم من الامم المجاورين من اوائل امرهم بعد الطوفان فنا زلا لغاية استيلاء دولة الفرس عليهم فى القرن الرابع قبل ميلاد المسيح عليه السلام فقد لزمنا ان نصعد مرة ثالثة فى ميدان تلك الازمان لنتتبع كذلك تاريخ البابليين والاسوريين المعبر عنهم فى كتب المؤرخين المسلمين بالسريانيين اودولة النماردة ببلاد العراق

والجزيرة والكلدانيين ومن انحازاليهم فى تلك الاقطار من اوائل تلك الاعصار فمازلا لغاية تغلب دولة الفرس عليهم (فى سنة ٥٣٣ ق م)
وقبل الشروع فى تاريخ البابليين والاسوريين يلزمنا حسبما جرت به عادة المؤرخين كما فعلنا فيما يتعلق بوصف وادى النيل وما يليه من بر الشام وفلسطين ان نذكر بعض معلومات جغرافية وفوائد تعريفية فيما يتعلق بما يعبر عنه فى اصطلاح العلماء الجغرافيين بحوض دجلة والفرات او بلاد ما بين النهرين وذلك كما اسلفناه فى الابواب السابقة لقصد تعريف المكان قبل السكان راجعين بالنقل فى هذا الباب عن مختصر تاريخ البلاد المشرقية والهند للمؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان وقد رتبناه أيضا على مقدمة وعدة فصول فنقول

مقدمة

فى بعض معلومات جغرافية وفوائد تعريفية تتعلق بالاقطار الفراتية

مطلب — وصف حوض دجلة والفرات وما اشتمل عليه من الممالك والولايات
قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى مختصر تاريخ البلاد المشرقية والهند ما تعريبه بعد ان سلسلة الصحارى العظيمة الخارقة من المغرب الى المشرق للنصف الشرقى من الكرة الارضية تمتد من عند البحر المحيط الغربى المسمى بالاوقيانوس الاطلنطيقى لغاية الجزء المعروف باسم (هوانجهاى) او البحر الاصفر الذى هو جزء من البحر الصينى وتنقطع اول مرة عند الحدود الفاصلة بين افريقية وآسية بوادى النيل ثم تستمر الى جهة الشرق حتى تنقطع مرة ثانية عند مركز اتساعها عرضا بواحة ثانية هى اوسع من الواحة النيلية اى الديار المصرية غير انها ليست باقل منها من حيث الخصوبة الارضية وذلك المكان هو فى الحقيقة حيث تتبدل طبيعة ارض الصحارى وتتحول من هيئة سهل منخفض الى صورة هضبة مستوية مرتفعة جدا ونهرا دجلة والفرات هما اللذان تتكون منهما تلك الواحة حيث كانا بمياههما حولها يحيطان وهذه الواحة الكبيرة هى التى كانت تسمى عند بنى سام السالفين باسم النهرين وعند اليونان باسم (الميزوبوتامية) ومعناه ايضا ما بين النهرين بمعنى الجزيرة ويطلق عليها عند العرب اسم الجزيرة على وجه الاطلاق وهى خلاف جزيرة العرب كما هو معلوم عند أهل اللغة والادب وهى التى تسمى أيضا فى قديم الآثار الواردة فى التوراة باسم بلاد (سنعار اوشنغار) (بالسين والعين المهملتين او بالشين والغين المعجمتين) ومتبع كل من هذين النهرين فى مكانين متقاربين بين احدهما من الآخر بجانبى الجبال المسماة فى سالف الزمان باسم

جبال (نيفاتيس) وتسمى الآن باسم جبال (كاشين) ببلاد ارمنية وهما اولا يجريان فى اتجاهين هما بالكلية متخالفان ثم شيئا فشيئا يتقاربان حتى يصير امتوازيين وبعد ذلك فى مجرى واحد يجتمعان ومن ذلك المكان يسمى مجموعهما باسم (شط العرب) الآن وهما فى الخليج الفارسى معا يصبان

وتنقسم الجزيرة الفراتية المذكوره لداعى اختلاف تركيب طبيعة طبقتها الارضية العلوية واختلاف منظر رساتيقها الزراعية ودرجة خصوبتها التى هى كخصوبة ارض مصر مشهورة الى قسمين متباينين (احدهما) الجزيرة الشمالية وكانت تشتمل اولا على الولاية المعروفة عند السلف ببلاد (اوشروينة) وهى البلاد التى كانت قاعدتها المدينة المشهورة باسم (ايديس او انطاكية) المسماة بالاسم (اورفة) الآن (وثانيا) على الولاية التى كانت تسمى فى سالف الاحقاب العصرية ببلاد الاسورية (نسبة الى آسور بن سام بن نوح عليه السلام وقد يعرب بلفظ سريان وتنسب اليه اللغة السريانية) وفى مكانها ما يدعى الآن ببلاد كردستان وقد كانت قاعدة تلك البلاد الاصلية مدينة (نينوى) (وهى مدينة قوم النبى يونس عليه السلام) ومن مدائنها الكبيرة واماكنها الشهيرة اربل ولاريس وارتميت وغيرها ومجموع بلاد اسروينة والاسورية كله عبارة عن سهل كبير تتركب ارضه من مادة جيرية لا تصلح للزراعة الا فى الاماكن التى يوجد بها منابع مائية او مجرى ماء غزير وباقى ارضه المتسعة هى من قبيل الصحارى الاصلية لم تزل من سالف الاعصار غير مزروعة بخلاف القسم الثانى وهو الجزيرة الجنوبية التى هى عبارة عما يشتمل على بلاد بابل او بلاد البابلية الاصلية وهى البلاد المحصورة فيما بين دجلة والفرات من عند جنوب بلاد الميزوبوتامية او الجزيرة الحقيقية الى حد ملتقى النهرين المذكورين وعلى ما يدعى ببلاد كالدة وهى البلاد التى تلى ملتقى النهرين الى حد الخليج الفارسى وقد يعبر ببلاد البابلية عن سائر بلاد الجزيرة الجنوبية اعنى عن بلاد بابل وكالدة معا وهما المعبر عنهما ايضا الآن ببلاد العراق العربى فى مقابلة العراق العجمى او الفارسى الذى هو من ضمن بلاد فارس المسماة الآن ببلاد ايران ومجموع بلاد بابل وكالدة المذكورين هو ايضا عبارة عن سهل كبير غير أنه اسفل من السهل الاول بيسير وتتركب ارضه من الطينة الحادثة المجلوبة من الجهات العلوية مع مياه النهرين المذكورين حيث كانا من عند ابتداء هذا القسم الثانى متقاربين ليس بينهما من البعد غير مسافة مرحلة واحدة ويظهر لعين الرآئى منظر تلك البلدان من ذلك المكان فى هيئة مرج متسع عظيم لا يحتاج لغير الرى حتى يزرع ويأتى من المحصول بمقدار جسيم وتبلغ الحرارة فى فصل الصيف الى درجة شديدة جدا حتى على ذات المشارقة بذلك الاقليم واما الشتاء فهو فيه معتدل الهواء فى غاية اللذة والهناء ويفيض ماء دجلة والفرات فى اوقات دورية من السنة فيروى الاراضى

المنخفضة غير انه لايجلب اليها طينا يرسب عليها كالنيل ومع ذلك فلو تديرت طريقة الري الطبيعية هذه بطريقة هندسية صناعية كما كان ذلك حاصلا في سالف الحقب العصرية لصارت بلاد كلدة الآن هي البستان الجميل في سائر الاقطار الآسية فقد كان الارز والشعير في سالف الازمان يأتيان من المحصول عن الواحد بالمائتين واما الآن فلداعي اهمال اعمال الترع والجسور لايأتي المحصول الا بنحو العشر من محصول سالف الاعصار وليس في تلك البلاد اشجار غير النخيل وقد يكون منها غابات عظيمة قد تكون متسعة سعة جسيمة جدا (انتهى معربا من مختصر تاريخ بلاد المشرق والهند للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

مطلب ـ تعريف ما المراد من بلاد الآسورية في سالف الحقب العصريه قد فهم مما توضح اعلاه ان ما يعبر عنه ببلاد الاسورية في سالف الحقب العصرية هو البلاد المحدودة من جهة الشمال ببلاد ارمنية ومن جهة الشرق ببلاد فارس وبلاد المدية ومن جهة الجنوب بالخليج الفارسي ومن جهة الغرب ببلاد الشام وجزيرة العرب وان تلك البلدان يخترقها طولا نهران عظيمان وهما (أولا) الفرات وقد كان موضوعا على هذا النهر في سالف الازمان من مشاهير المدن والبلدان كل من مدينة (يتسالك) (وهي المعروفة الآن بالدير) وقرية (كونا كسه) ومدينة بابل الشهيرة في تلك الازمان (وثانيا) نهر الدجلة وقد كان عليه مدينة نينوى وكانت ايضا من أشهر البلدان في سالف الازمان ومصب النهرين واحد كما سلف بذلك التوضيح والبيان وقد كانت تنقسم بلاد الاسورية هذه الى ثلاثة اقسام اصلية (احدها) بلاد الاسورية الحقيقية ويقال لها بلاد نينوى او البلاد النينوية ومدنه الاصلية نينوى واربل (الثاني) بلاد الميزوبوتامية بمعنى الجزيرة او شام ما بين النهرين ومدنه الاصلية مدينة (ايديس) وهي انطاكية المسماة الآن اورفة وهي المسماة أيضا بالرها ومدينة (كاز) وهي المشهورة في التوراة لداعي اقامة ابراهيم عليه السلام فيها باسم (هاران) ولم تزل تعرف بهذا الاسم لغاية الآن (الثالث) بلاد بابل او البلاد البابلية ومدنه الاصلية بابل وكونا كسه وقد يطلق على مجموع هذين القسمين الاخيرين اسم بلاد كلدة او الكلدانيين هذا ما كان يفهم من اطلاق لفظ بلاد الاسورية واقسامها الاصلية عند الامم المتقدمين

مطلب — ذكر الولايات المشمولة في حوض دجلة والفرات ووصف تلك البلدان على حسب ما هي عليه الآن (معربا من جغرافية المعلم قورتنبير الكبرى السالفة الذكر والبيان — اعلموا ايها الاخوان ان البلدان والاقطار التي كان يعبر عنها باسم الجزيرة والاسورية والبابلية وكلدة في سالف الاعصار هي عبارة الآن عن سائر الولايات او الايالات بمعنى الاعمال (جمع عمل بمعنى ولاية) أي البلاد المنصوب عليها

عامل اووالٍ من طرف دولة كبرى وهى دولة بنى عثمان الآن بالنسبة لجميع تلك البلدان التى هى من جملة بلاد آسية الغربية المعدودة من جملة ما يعبر عنه فى هذا الزمان باسم تركية آسية اوالولايات العثمانية ببلاد أسية الغربية كما سبق لذلك فى مقدمة الباب الثالث من بعض توضيح وبيان وذلك عبارة عن بلاد ارمنية العثمانية (فى مقابلة ارمنية الروسية اى البلاد الكائنة تحت سلطنة قيصر الروسية من ارمنستان) مع بلاد الاكراد اوكردستان ثم بلاد الجزيرة وبلاد العراق العربى المعبر عنه ايضا ببلاد السواد من تلك البلدان وصفتها مع ما فيها من مشاهير المدن والبلدان على حسب ما هى عليه الآن كما وصفها العالم الجغرافى الفرنساوى المشهور باسم قورتمبير فى كتاب جغرافيته الكبرى هو كما يأتى بعد بالتفصيل والبيان

اما ارمنستان العثمانية وكردستان فهما على شرقى بلاد آسية الصغرى يمتدان وكلاهما متكون من اراض مرتفعة جدا هى اكثر من سائر الممالك العثمانية ببلاد آسية الغربية ردا وفى جهة الجنوب منها اعنى فى البلاد التى تعرف فى سالف الاحقاب العصرية باسم بلاد الاسورية قد يوجد سهول حارة واراض مستوية مخصبة سارة ويوجد بارمنستان الآن من مشاهير المدن والبلدان المدينة المعروفة على لسان الاتراك بمدينة (ارظروم) (محرفة عن أرض الروم بقلب الضاد ظاء) وهى حاضرة كبيرة ذات تجارة كثيرة يبلغ عدد اهلها نحو ٨٠٠٠٠ نفس ويصطنع بها اجود الاسلحة التركية البيضاء ومدينة (كارس) وهى قلعة حصينة معروفة بمقاومة عليه حصار شهيرة حصلت عليها من الجنود الروسية فى سنة ١٨٥٥ الميلادية ومدينة (وان) الكائنة على الشاطئ الشرقى من بحيرة وان وهى موضوعة على القرب من مكان المدينة التى كانت تسمى باسم (سيمارا موسرته) فى سالف الزمان ثم مدينة (ديار بكير) المسماة ايضا باسم (آمد) وهى مدينة كائنة على نهر الدجلة يبلغ عدد سكانها ٤٠٠٠٠ نفس وبها معامل شهيرة باتقان صناعة اقمشة الحرير وجلود السختيان

ومن مدن بلاد الاكراد او كردستان الشهيرة المدينة المعروفة بالموصل وهى مدينة كبيرة موضوعة ايضا على نهر الدجلة قريبا من المكان الذى كانت فيه مدينة نينوى فى قديم الزمان واول من استكشف اثار هذه المدينة العتيقة بالقرية المعروفة هنالك باسم قورازاباد فى سنة ١٨٤٣ من الميلاد رجل فرنساوى يسمى باسم (بوته) كان منصوبا بوظيفة قنصل دولة فرانسة بتلك البلاد ثم استكشف جماعة آخرون سائر اطلال هذه المدينة الشهيرة على عدة اماكن كثيرة خصوصا بالقرية المعروفة باسم (كيونجك) وعلى الجنوب الشرقى من المدينة المذكورة توجد مدينة اربل وهى من سالف الازمان بهذا الاسم مشهورة ولاسيما بما وقع فيها فى قديم الاعصار للاسكندر على دارا من الظفر والانتصار

واما بلاد الجزيرة وتسمى (ايضا باسم الميز وبوتامية بمعنى ما بين النهرين) لكونها محصورة فى الواقع ونفس الامر فيما بين دجلة والفرات فليست عبارة عن سائر البلاد التى تتكون منها الجزيرة الكائنة بين النهرين المذكورين ولا تمتد الى حد ملتقاهما بل يطلق لفظ العراق العربى على الجزء الاسفل من تلك البلاد المحصورة بينهما ثم تمتد بعد ملتقاهما على طول مجموعهما المسمى باسم شط العرب لغاية الخليج الفارسى ومجموع هذين القطرين (اعنى الجزيرة والعراق العربى) متكون على وجه العموم من اراض خصبة للغاية العليا وانما يوجد فيها بنواحى الفرات بعض سهول جدبة معرضة لدرجة من الحرارة شديدة للنهاية القصوى

ومن مشاهير المدن الموجودة ببلاد الجزيرة الآن المدينة المسماة بالرها واورفه وهى التى كانت تعرف باسم (ايديس) فى سالف الزمان ويقال ان الذى اختطها هو النمرود ومدينه (هاران) المذكورة فى التوراة بهذا الاسم على انها كانت محل اقامة ابراهيم عليه السلام ولم تزل تدعى بهذا الاسم لغاية الآن ومدينة نصيبين المسماة (نيزيبيس) فى قديم الزمان

واما بلاد العراق العربى المسماة ايضا بالسواد فاشهر مدنها بغداد الكائنة على نهر الدجلة وقد كانت فى الاعصار الوسطى هى ابهج قاعدة لدولة الخلفاء العباسيين ثم انحطت من تبتها العظيمة وزالت بهجتها القديمة ومع ذلك فلم يزل بها لغاية الآن نحو مائة الف نفس من السكان وبها اسواق جميلة المنظر جليلة الشان وعلى القرب منها اثار مدينتى (سيلوقية واقطزيفون) الشهيرتين فى سالف الازمان وعلى جنوبى بغداد المذكورة مدينة الحلة الكائنة على شاطئ الفرات وهى على القرب من اطلال مدينة بابل المشهورة وعلى البعد منها بقليل الى جهة الشمال الغربى على شاطئ النهر المذكور مدينة (اناه) وهى موضوعة فى واحة جميلة كانها بستان من انعم الجنان وفى الجنوب الشرقى منها على مجموع النهرين المسمى بشط العرب مدينة البصرة المشهورة وهى حاضرة كبيرة ذات تجارة كثيرة يبلغ تعداد اهلها نحو ستين الف نفس من السكان (انتهى معربا من جغرافية قورتنبير الكبرى)

مطلب — تحقيق ماورد فى كتب المؤرخين من ذكر النبط او النبطيين — ذكر المعلم يوليبيت صاحب كتاب معجم مشاهير البلدان وانباء ابناء الزمان ما معناه فى هذا الشان ان النبط او النبطيين (بفتح النون والباء الموحدتين يليهما طاء مهملة فى آخره) هم اقوام من العرب الرحالين الرحالين كانوا تارة يقيمون بالشمال الغربى من جزيرة العرب

وتارة

وتارة ينتهبون القوافل السيارة فى البوادى والصحراوات الكائنة فيما بين بلاد الشام ونهر الفرات الى اخر ما ذكرعنهم وقال الجوهرى فى الصحاح والفيروز بادى فى القاموس وعبارتهما متقاربة مانصه ، والنبط والنبيط قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين والجمع انباط (كاقباط) يقال رجل نبطى ونباطى ونباط مثل يمنى ويمانى ويمان وحكى يعقوب نباطى أيضا بضم النون وقد استنبط الرجل وفى كلام ايوب بن القرية اهل عمان عرب استنبطوا واهل البحرين نبيط استعربوا » (اه من الصحاح) وزاد فى عبارة القاموس قوله ونباطى مثلثة الى ان قال وتنبط تشبه بهم اوتنسب اليهم (اه) والذى يفهم من كلام المسعودى فى مروج الذهب ان النبط والنبيط اوالنبطيين ليسوا من العرب بل هم من الاسوريين اوالسريانيين يعنى من ذرارى قدماء اهل نينوى وبابل وسكان بلاد العراق السالفين الذين نحن بصدد تاريخهم فى هذا الباب على خلاف فى ذلك وغاية مايظهر من سائر ماهنالك هو ان لفظ الانباط فى كلام العرب عبارة عن بعض سكان بلاد العراق السالفين كما ان لفظ الاقباط عبارة عن قدماء اهل مصر فى سالف العصر وقد كانوا مثلهم اناسا اهل زراعة متقنة على اصول محكمة مستحسنة فان من الحقائق المشتهرة والمعلومات المقررة ما انتشر من قديم الازمنة من قولهم الفلاحة النبطية فى مقابلة الفلاحة القبطية

مطلب ـــ ذكر بعض ملحوظات تتعلق بالمقابلة بين وادى النيل ووادى دجلة والفرات فى كل جيل (معربا من كتاب تاريخ بلاد المشرق القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان) قال المؤرخ المذكور فى تاريخه الكبير ما تعريبه بعد مسطور وقد فهم مما اسلفناه فى هذه المقدمة من الفوائد الجغرافية المسطرة اعلاه مايوجد من وجوه المشابهة فى الاصول الطبيعية لحوض دجلة والفرات مع الديار المصرية ولاسيما بينه وبين القسم المسمى منه باسم كلدة وهى الجهة الجنوبية وبيان ذلك ان كلا منهما ارض متكونة من المواد المجلوبة مع مياه النهر من الاماكن المرتفعة الى الاماكن المنخفضة وان كلا من الحوضين المذكورين ذو خصوبة لانظير لها فى اقطار الدنيا بتمامها الى درجة بحيث يخرج منه من غير مشقة ولا عمل تقريبا جميع الحواصل اللازمة للاقوات فيما بين البوادى والصحراوات وكل من القطرين مستعد بطبيعته لان يكون مكانا لمنشأ اوائل الجمعيات البشرية وميدانا لمبداء الطرق التمدنية ولذلك كانت السهول المروية بالنهرين العظيمين الموجودين ببلاد آسية الغربية هى الامكنة التى تداولتها سائر الامم المتقدمين اقواما بعد آخرين وتزاحمت على مملكة بلاد آسية جميع الملل من عهد النمرود فى سالف العهود لغاية الخلفاء المسلمين وكانت الديار المصرية والجزيرة الفراتية هما اسبق قطرين

فى هذه الدار الدنيوية حلت بهما العمارة البشرية واعتنى مكانين من اقطار الكرة الارضية نزلت فيهما الجمعية الانسانية وهما فى درجة الاقدمية تقريبا على السوية وان كان لبابل على منف مزيد الاولية فقد كان كل من هاتين المدينتين من سالف الاعصار الغابرة ضرتين متنازعتين وكانت دولتاهما خصمين متزاحمين تغلب احداهما على الآخرى وتتغلب على سلطنة بلاد آسية الغربية طورا وطورا ومن المعلوم ان كلا من نهرى النيل والفرات متواصلان بطرق سهلة المرور ودروب غير وعرة العبور يسهل فيها سفر القوافل السيارة الكثيرة ويتيسر بها سير الجيوش الجرارة الكبيرة ولذلك كان فى كل عصر من الاعصار متى تولى دولة مصر رجل ذو شهامة اوملك ذو عزم وصرامة تعلقت همته بالاستحواز على بلاد الجزيرة كأن هناك قانونا لابد منه وناموسا لامحيد عنه يقضى بعدم امكان وجود هاتين الدولتين المتخاصمتين والمملكتين المتشابهتين فى الاصول الطبيعية والموارد المالية اللهم الا فى يد واحدة وتحت سلطنة متحدة ومن ثم نرى ان فرعونى مصر طوطميس الثالث وسيتوس الاول بمدينة طيبة الصعيد ويوسف صلاح الدين بالقاهرة ومحمد على بالاسكندرية لم يكن لهم اشتغال بال على الدوام والاستمرار فى سائر الاعصار الا بتوجيه جيوشهم نحو الفرات والاجتهاد فى فتوح تلك الاقطار وكذلك الحال فى تلك البلاد متى تمكنت دولة ذات قوة وصولة على شواطئ هذا النهر الاخير ببغداد كما كان الحال كذلك ببابل ونينوى فى سالف الدهور توجهت اطماعها للتملك على ديار مصر وادخالها فى حوزتها بربقة الاسر وليس تاريخ بلاد آسية فى سالف الايام كما كان كذلك بعد الاسلام الا عبارة عما يكاد ان يكون مجرد حركة تداول العداوة والشحناء السياسية المستمرة فيما بين دولتى مصر والجزيرة الفراتية متقطعة تلك الحركة فقط فى بعض الاحيان بما كان يطرأ عليها فى بعض الازمان من الحوادث الوقتية بتداخل بعض الدول الجهادية من الممالك الغربية الاوروبية فى حومة ميدان تلك الوقايع الدهرية كما فى عصر فتوح الاسكندر الاكبر وعصر الحروب الصليبية (انتهى من كتاب تاريخ بلاد الشرق القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان) ومما قيل ايضا فى المقابلة بين الفرات والنيل من الشعر الجميل والقول المنسجم الجزيل قول بعض المصريين واهل الادب المتأخرين وكان قد ابتلى بهجر الاوطان واقام ببلاد العراق مدة من الزمان فقال وتلطف فى المقال

بالله قل للنيل عنى اننى * لم اشف من ماء الفرات غليلا
وسل الفؤاد فانه لى شاهد * ان كان طرفى بالبكاء بخيلا
ياقلب كم خلفت ثم بثينة * واظن صبرك ان يكون جميلا

وحيث فرغنا مما اردنا ايراده هنا فى هذه المقدمة من الفوائد الجغرافية المتقدمة فيما يتعلق

بتعريف حوض دجلة والفرات ساغ لنا ان نشرع فى ايراد ما تحقق عند علماء الافرنج المتأخرين من اخبار تلك الاقطار فى قديم الاعصار وذلك فى عدة فصول فنقول

الفصل الاول

فى تاريخ الجزيرة الفراتية فى اعصار الاولية

مطلب — ذكر اول سكان بلاد كلدة من الامم الاقدمين فى سالف الازمان بعد الطوفان — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى تاريخ بلاد المشرق القديم السالف الذكر والبيان اعلاه ما تعريبه ادناه ذكر بنص التوراة ان اول مكان حصل فيه اجتماع الجمعيات البشرية فى سالف الاحقاب الدهرية بعد الطوفان هو حوض دجلة والفرات ونص عبارة سفر الخليقة من الكتاب المقدس المذكور هو كذا معربا كما هو بعد مسطور « ولما جاء الامم من جهة المشرق وجدوا لهم رستاقا ببلاد شنعار فسكنوه وتوطنوه » (اه) وصرحت التوراة ايضا بانهم فى تلك البقعة قد كانوا اختطوا اول مدينة كبيرة حصل انشاؤها على الكرة الارضية فى سالف الزمان بعد الطوفان وفى الاقطار المذكورة قد كان وقوع حادثة تبلبل الالسن واللغات وتفرق الامم الى سائر الاماكن والجهات من الارض المعمورة وقد اسلفنا ذكر هذه القصة فيما تقدم من هذا الكتاب وذكرنا انها توجد فى الروايات المتواترة ببلاد البابلية كما توجد فى التواريخ العبرانية وبعد تفرق الامم المتكونة من نسل نوح عليه السلام فى سالف الاقطار كانوا قد اجتمعوا اولا فى السهول المتسعة المسماة فى تلك الاعصار باسم شنعار وكان قد بقى منهم فى تلك السهول شرذمة كبيرة متكونة من امم شتى واقوام متنوعة النسب والاصول هذا ما يظهر من حكاية التوراة كما يشهد به ايضا ما التقطه بغاية العناية ورواه عن اهل البلاد البابلية فى ايام الدولة السيلوقية وحكاه فى تاريخه من الروايات المتواترة المؤرخ بيروز وهو حبر كلدانى كان قد ترجم تواريخ بلاده من اللسان السريانى الى اليونانى ونص عبارته هكذا « وقد كان اولا ببلدة بابل او بابيلون جماعة عديدة من الناس ينتسبون الى امم شتى كانوا هم الذين نزلوا ببلاد كلدة وعمروها واقاموا بها وتوطنوها (اه الى هنا معربا من كتاب تاريخ بلاد المشرق القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان) (ارجع للنقل من مختصر تاريخ بلاد المشرق والهند للمؤرخ الآنف الذكر والبيان)

وبقدر ما تيسر لنا الصعود فى غابر الاعصار بدليل ما امكن لنا العثور عليه من العمارات والآثار نجد ان اسلاف سكان تلك الاقطار كانوا منفرقين الى فرقتين اصليتين وامتين

مستقلتين تدعى أحداهما باسم (السومير) وكانت متوطنة منهما بالنواحى الجنوبية والثانية باسم (الآكاد) وكانت ساكنة بالنواحى الشمالية اما الآكاد فقد كانوا من ولد كوش بن حام ابن نوح عليه السلام واما السومير فقد كانوا من فرع النسل الانسانى المعبر عنه فى اصطلاح الاوروباويين بالتورانى الذى هو اصل التتار والفلنديين والترك ومن هذا الفرع أيضا قدماء سكان بلاد السوسية (وهى بلاد ايران المعروفة الآن باسم خوزستان) وكذلك اسلاف بلاد الميدية (من تلك البلدان) (وهى المعروفة الآن باسم العراق العجمى واذربيجان (وقد وقع هذا اللفظ الاخير فيما تقدم بالمقدمة من تعداد الابواب السالفة تفسيرا للفظ الاسورية من قبيل السهو وسبق القلم والصواب هناك لفظ كردستان بدلا عن اذربيجان ولذلك نبهنا عليه هنا من قبيل تدارك الغلط والنسيان حسب الامكان) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى مختصر تاريخ بلاد المشرق والهند السالف الذكر والبيان وقد كان المركز الاصلى الذى انتشرت منه جميع الامم التورانية الى سائر اقطار الكرة الارضية فى سالف الاحقاب العصرية هو شرقى بحيرة آرال (وهى بحيرة خوارزم) وقد كان لهؤلاء الامم فى الاعصار المتوغلة فى القدم نوع من التمدن والتقدم خاص بهم يتميز بما كانوا عليه من العبادة الغليظة للكواكب السماوية والميل الشديد جدا للتعلق بالامور المادية وعدم الترقية العقلية بالكلية مع بعض تقدمات عظيمة فى بعض أمور المعاش المادية حين كان غيرهم من الامم فى حالة من التمدن غشيمة وقد كان لدرجة تمدنهم الغريبة وحالة تقدمهم الناقصة هذه درجة فوقان عظيمة جدا على قطعة جسيمة من بلاد آسيا فى تلك الحقبة الزمنية القديمة ومع كون القوم الآكاديين والسوميريين المذكورين كانوا اكثر الاقوام عددا واكبرهم قوة ومددا ببلاد كلدة والبابلية وكان منهم فى تلك البلاد اساس الطوائف الاهلية الاصلية فلم يكونوا اهلها وحدهم بل كان يختلط بهم فى كل مكان من مساكنهم اخلاط من امم آخرين بدون ان يكون لهم قطر معين مختص بهم فكان يساكنهم فى تلك البلاد اقوام كثيرون من ابناء سام ابن نوح عليه السلام بعضهم اقوام رحالون وقبائل بدويون وبعضهم اناس حضريون بالمدن متوطنون ومن الامم المذكورين كان الاقوام المعروفون بالاسوريين او والسريانيين وهم ولد اسور او اشور (بالسين المهملة او بالشين المعجمة) وهو ابن سام وكان قد خرج معظمهم من بلاد شنعار وتوطنوا بتلك الاقطار فى عهد قريب بعد ذلك من تلك الاعصار ومنهم أيضا بنو عابر وتارح ابو ابراهيم عليه السلام وهم العبرانيون وقد كانوا متوطنين فيما حوالى مدينة (اور) باسفل حوض الفرات ولم ينتقلوا من تلك الجهات الى بلاد (هاران) التى قد كان فيها اول بعثة ابراهيم الا بوقت ميلاد هذا النبى العظيم

مطلب — ذكر اول من انشأ التمدن والعمارات على شواطئ نهرى دجلة والفرات

لاشك فى ان اول من انشأ هذه العمارة الكبيرة والحضارة الشهيرة التى كانت ببلاد بابل وكلدة انما هو مجموع قرائح هولاء الامم الشتى المذكورين وان اصل تكون التمدن والعمارات التى تحصلت بشواطئ دجلة والفرات وصار لها فيما بعد على تمدن سائر بلاد آسية الداخلية اعظم التأثيرات انما هو نتيجة امتزاج التأسيسات الحاصلة من كل واحدة من جميع هؤلاء الملل المختلفين حين اجتمعوا على ارض متحدة ولاشك فى ان كلا من ولد كوش وتوران المذكورين قد كان لهما فى ذلك الزمان اعظم حظ فى ذلك التمدن والعمران غير انه يصعب علينا ان نعرف اى الحزبين من الآكاديين والسومريين المذكورين كان هو الاسبق فى هذا الميدان وياهل ترى من كان منهما هو الاقدم فى طريق هذا الحادث المشترك الاعظم حيث اننا انما تيسر لنا ان نراه وهو بحالة الكمال على الوجه الاتم وغاية ما يمكن ان يقال فى حل هذا المشكل هو ان لنا من المقتضيات ما يحمل على القول بان ما حدث على شواطئ دجلة والفرات فى سالف تلك الاوقات من مذهب الدين والتقدم فى علم الفلك والنجوم والممارسة فى الصنائع والفنون انما كان اصل مورده من الاقوام الكوشيين ودليل ذلك ما يذكر فى الروايات المتواترة بين البابليين من انهم يقولون ان اول مهد لعقائدهم الدينية قد كان على ساحل الخليج الفارسى ويعتقدون ان معبودهم المسمى باسم (اونيس) (بضم الهمزة فى اوله مع امالة النون الموحدة على ياء مثناة تحتية ساكنة يليها سين مهملة فى آخره) هو سمك كان قد خرج من البحر ليعلم الناس قوانين الخدمة الدينية

قال المؤرخ المذكور اعلاه ما تعريبه ادناه واما التورانيون فانهم هم الذين جلبوا الى مدينة بابل او بابيلون وبلاد الاسورية طريقة الكتابة الغريبة وكيفية الخط العجيبة المسماة بالقلم السنانى يعنى الذى هو على شكل سنان الرمح او المسمار لكون كل حرف منها مركبا من عدة اشكال كل واحد منها على صورة سن الرمح او المسمار (وهو القلم السريانى القديم الذى كان يكتب به اسلاف سكان بلاد العراق فى قديم الاعصار)

مطلب — ذكر نمرود وما يحكى عنه فى التوراة من الروايات — اعلم انه لا يبتدئ التاريخ الحقيقى فى حوض دجلة والفرات كما ان الحال كذلك فى الديار المصرية الا من حين تكونت ببلاد كلدة والبلاد البابلية دولة واحدة ومملكة متحدة اجتمع تحت لوائها سائر القبائل المتفرقة وقد كانت هذه الدولة فى الحقيقة ونفس الامر اول دولة منتظمة واسبق مملكة مستقيمة حدثت فى اقطار الدنيا فى سالف الاعصار الغابرة من بعد الطوفان وكانت درجة الاعلوية فيها لولد كوش بن حام على سائر الامم والاقوام التى كانت تتركب منها ولذلك يعبر عنها اهل التاريخ بالسلطنة الكوشية او الحامية الاولى وتعريب نص عبارة

سفر الخليقة من التوراة «وولد لكوش نمرود وكان قد اخذ فى ان يكون قادرا على الارض وصيادا قويا امام المولى جل جلاله ومن ثم سار المثل السائر وهو قولهم فلان صياد قوى امام المولى كنمرود وقد كان اصل سلطنته بمدينة بابل واراش وآكاد وشالانة ببلاد شنعار ومن تلك الاعصار كان قد خرج الرجل المسمى باسم (آسور او آشور) (بالسين المهملة او بالشين المعجمة) وهو الذى بنى مدينة نينوى (مدينة قوم النبى يونس عليه السلام) واختط شوارعها واسس مدينتى كالاش وريسان فيما بين نينوى وكالاش التى كانت هو المدينة الكبيرة (انتهى نص عبارة التوراة)

مطلب — اصل منشأ الآسوريين اوالسريانيين قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه مامعناه ومن نص عبارة الكتاب المنزل المروى عنه اعلاه يستنبط عدة وقايع تاريخية ذات اهمية اصلية فيما يتعلق بتاريخ اوائل بلاد الجزيرة العراقية وذلك انه يفهم منها ان الاقوام الساميين الذين هم من ولد اسور كانوا قد ساكنوا فيها الاقوام الكوشيين الذين كانوا ببلاد كلدة ولم يخرجوا منها ويهاجروا عنها الى جهة الشمال ولم يوسسوا لهم دولة هنالك غير الاولى حيث انشأوا فيها المدن الآسورية المذكورة اعلاه الا فى مدة تاريخية حقيقية اى لا فى المدة الخرافية بمعنى (الازمان السالفة الغير المحققة التاريخ) ومن مساكنتهم بعضهم مع بعض من اول الامر فى سالف ذلك العصر فى ظرف تلك المدة المديدة والاعصار العديدة يعلم السبب فى كون الاسوريين والبابليين وان كانوا فى الاصل امتين متغايرتين احداهما من ولد كوش بن حام والثانية من ولد اسور بن سام كانت لغتهما واحدة وكيفية تمدنهما متحدة

الفصل الثانى

فى تاريخ الدولة الكلدانية الاولية

اعنى طبقة ملوك العراق الاولى بمدة اجتماع الاسوريين والبابليين تحت ولاية النماردة السالفين

مطلب — ذكر اوائل امر الدولة الكلدانية والدولة الاسورية ببلاد الجزيرة العراقية — قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه ماتعريبه ادناه لا نعلم شيئا مطلقا من طريق الموارد الادبية سواء كانت اثرية او بشرية من تاريخ الملوك السالفين الذى خلفوا النمرود على السلطنة ببلاد كلدة ولا من تاريخ الاعصار الاولية ببلاد الاسورية غير ان الذى يمكن لنا فقط ان نتلمحه من خلال الروايات المتناقلة طبقة عن طبقة والحكايات المتداولة من التواريخ البابلية التى نقلها النسابة المؤرخ الكلدانى اليونانى المشهور باسم (بيروز) وان كانت

هي ايضا من قبيل الخرافات اى الاحاديث الغير المحققة المختلفة فى درجة الخرافية هو ان كلا من بلاد كلدة و بلاد الاسورية كانا فى اول الامر من سالف العصر امتين متغايرتين وملتين متفرزتين اما الاسوريون الذين هم من ولد سام بن نوح عليه السلام فقد كانت مساكنهم فى السهول الممتدة بجنوب جبال بلاد ارمنستان بين نهرى الدجلة والخابور وفى القطر الجبلى الكائن خلف نهر الدجلة لغاية بلاد الميدية (التى هى الآن بلاد العراق العربى واذربيجان) وفى هذا القطر الاخير كانوا قد اسسوا مدينة نينوى على الشاطئ الايسر من النهر المذكور والظاهر ان سير تمدنهم فى الامور المادية وما كانوا قد بلغوه فيه من الدرجة العلية كان ابطاء مما كان عليه سير التمدن عند الامة الكلدانية وذلك ان الاسوريين او النينويين كانوا متوطنين على ارض اوعر من ارض الكلدانيين او البابليين وكانت درجة اقليمهم اقل اضعافا للابدان فلذلك مكثوا امدة مديدة من الزمان وهم بحال البداوة الاصلية والقساوة الاهلية غير انهم كانوا اكثر رجولية واقوى تجلدا على الحرب من جيرانهم الجنوبيين والظاهر ايضا ان الاسوريين لم يتكونوا من اول الامر فى سالف ذلك العصر فى هيئة دولة واحدة وسلطنة كبيرة متحدة بل كانوا اولا قبائل متخالفين واتوا مجتمعين فى صورة محالفة وهى المعبر عنها الآن بلفظ جمهورية تحت ولاية مشايخ قبائل ورؤساء طوائف كانوا بالاصالة متصفين بالصفة العسكرية واما البابليون الذين هم من ولد كوش بن حام فقد كانوا متوطنين على وجه مطلق فى جميع الرساتيق الخصبة الكائنة ببلاد كلدة لغاية الخليج الفارسى وكانت سلطنتهم على تلك النواحى متميزة بدرجة عالية من ممارسة الصنايع والفنون والتقدم فى المعارف والعلوم مختلطا ذلك بما يوجد دائما فى الاماكن التى اقام بها ولد كوش بن حام من الاوهام الفاسدة والافهام الكاسدة المتواترة عندهم الناشئة لهم من علم النجوم وهى غاية ما كان لهم من النصيب فى تاريخ تقدم الجمعية الانسانية فكان لهم خبرة بفن الفلاحة واستخراج المعادن المعتادة والاحجار النفيسة والتجارة فى البر والبحر وكان عدد السكان بتلك البلدان قديما وازداد سريعا على ارض خصبة تكاثرت فيها المدن والقرى والعمران واخذت العلوم والفنون فى التوسع والانتشار ونشأ فيهم بتلك الاعصار تحت سماء صاحية جليلة أصل وضع علم الافلاك والنجوم وتقرر عندهم على آثار العقائد الاصلية الاولى التى كانت قد نزلت بطريق الوحى على نوع البشر فى سالف العصر عبادة الشمس وغيرها من الاجسام السماوية وصارت هذه العبادة هى اساس دين تلك الاقطار

مطلب - ذكر الامة الكلدانية الاسورية قال المؤرخ المروى عنه اعلاه ما تعريبه ادناه وقد كان الاسوريون بوقت مهاجرتهم الى جهة الشمال قد جلبوا معهم الى تلك النواحى بعض

شيء من تلك الممارسة التمدنية واستمروا تحت تأثير البابليين دون غيرهم حيث كان البابليون قد سبقوهم فى طريق التمدن وكانوهم المعلمين لهم فى كل ما يتعلق به ولذلك كان لا يرى فى سائر السهول المروية بدجلة والفرات من سالف الاعصار اعنى من قبل ان يفتح الملوك الكلدانيون بلاد الاسورية بالقوة القهرية غير امة واحدة وملة مختلطة وان كانت من حيث الاصل مختلفة وهى الامة الكلدانية الاسورية ثم صارت تلك الملة الكبيرة من ذلك الحين قد تشاهد لنا فى بعض الاحيان منقسمة الى دولتين متباينتين وسلطنتين مستقلتين ولم تكن مدينة نينوى التى هى قاعدة الدولة الاسورية ومدينة بابل التى هى قاعدة الدولة البابلية تحت طاعة مملكة واحدة ثم آل امرهما الى ان ظهر عليهما علامات شدة الميل للاتحاد وصارها تان الفرقتان الاهليتان فى اغلب الاحيان مجتمعتين تحت يد ملك واحد ودولة متحدة وغاية ما كان يحصل من الحوادث الاصلية فى مدة سلسلة ملوك الدولة الكلدانية الاسورية الطويلة هو عبارة عن حركة تنقل مركز ثقل شوكتهما وتداول ايام دولتهما حيث كانت دولة تلك البلاد تتداول بينهما من الاسوريين للبابليين و بالعكس وكانت تتناقل تارة من جهة الجنوب اى من حيث نشأت الى جهة الشمال ومن الشمال الى الجنوب وتسمى سلطنة بلاد الجزيرة الفراتية على حسب اختلاف تلك الحركات التناقلية بالدولة الكلدانية او الدولة الاسورية اى السريانية ولكن كان دينهم واخلاقهم وعوايدهم التى كانوا عليها واللغة التى كانوا يتكلمون بها واحدة وكل من هاتين المملكتين المتداولتين والدولتين المتناقلتين امرا واحدا لم يتغير فى المواد الاصلية

مطلب ـــــ ذكر تملك الدولة الميدية على مدينة بابل العراقية (اى من سنة ٢٥٠٠ الى سنة ٢٣٠٠ ق م) قال المؤرخ المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما تعريبه ادناه ثم بعد حقبة من الدهر لم يتيسر لنا العثور على دليل يدل على تعيينها بالطريقة اليقينية جاءت غارة اجنبية الى بلاد البابلية وقلعت الدولة الكوشية اى الاكادية الاولى التى كانت متسلطنة بمدينة بابل قبل ميلاد المسيح بنحو ٢٥٠٠ سنة وهم من القوم المعروفين باسم الآريين اى الذين هم من ولد يافث بن نوح عليه السلام وغاية ما يظهر هو ان تلك الحادثة التاريخية كان وقوعها موافقا للوقت الذى وقعت فيه حادثة المهاجرة الكبرى أعنى الوقت الذى ترك فيه الاقوام الايرانيون من ولد يافث اوطانهم الاوصلية التى كانت لهم بشواطئ نهر جيحون وتوجهوا الى جهة الغرب ليتخذوا لهم اوطانا اخرى فى نواحى بلاد فارس و بلاد الميدية وكان فرع آخر منهم قد نزل ببلاد الهند غير ان دولة بنى يافث بمدينة بابل والجزيرة الفراتية ما اسرع ما زالت بعد فان دولتهم لم تستقر ببلاد آسية فيما وراء جبال تلك

(وهى)

(وهى التى منشأها من عند الحدود الفاصلة بين بلاد العرب والعجم وتسمى أيضا عند السلف المتقدمين بجبال زجروس) وانقرضت دولتهم فى بلاد كلدة بالكلية وفى بلاد الميدية مدة بعض قرون من الزمن بانقراض القوم الآريين حيث كان قد غلب عليهم بالثانى جنس القوم التورانيين الذين هم اعداؤهم من قديم الزمان

مطلب — ذكر تملك الدولة الايلامية على بلاد البابلية (من سنة ٢٣٠٠ الى سنة ٢٠١٧ ق م) — قال المؤرخ المروى عنه أعلاه ماتعريبه ادناه قال المؤرخ بيروز ان الذى تملك على بلاد بابل من بعد الدولة الميدية او الآرية المذكورة اعلاه هو دولة جديدة كانت قد جاءت فقلعتها واستولت على سرير الملك بدلا عنها وان اصلها من القوم الايلاميين وهم بنو ايلام (بامالة الهمزة على الياء المثناة التحتية فى اوله) اكبر ابناء سام ابن نوح عليه السلام وان اول مؤسس لهذه الدولة هو ملك من ارباب الفتوحات والصولة يدعى باسم (شودورناخونتة) ونص على انها اقامت على سرير ملك بابل من نحو سنة ٢٣٠٠ الى نحو سنة ٢١٠٠ قبل تاريخ الميلاد ووافق ذلك ماذكر فى التوراة من الاخبار بانه فى تلك الاعصار كان الملك المدعو باسم (شودورلاحومور) ملك ايلام قد استولى على سائر النواحى والجهات الكائنة فى حوض دجلة والفرات وكان من اتباعه الملك المدعو باسم (امرافيل) ملك بلاد شنعار يعنى كلدة والملك (اريوش) ملك مدينة (ايلاسار) وقد كانت اعظم المدائن الاسورية فى تلك الحقبة العصرية والملك (تارجال) قال فى التوراة «وهو ملك الاقوام الرحالين» فاستصحب الملك شودورلاحومور جميع الملوك المذكورين الذين هم من اتباعه وتوجه بهم للحرب نحو بلاد الغرب فاستولى مؤقتا على جميع بلاد الشام الى تخوم الديار المصرية وانتهب مدينتى سدوم وعمورة واخذ لوطا اسيرا حتى جاء ابراهيم فانتصر عليه واستنقذه منه (انتهى ملخص ماذكر بالتوراة) والظاهر ان الملك شدورلاحومور المذكور قد كان اشهر ملوك الدولة الايلامية ببلاد البابلية

مطلب — ذكر تملك الدولة الكلدانية ببلاد البابلية (من سنة ٢٠١٧ الى سنة ١٥٥٩) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروى عنه اعلاه بعد ذلك ماتعريبه أدناه وفى سنة ٢٠١٧ قبل تاريخ المسيح عليه السلام كانت قد قامت على سرير الملك بمدينة بابل عائلة ملوكية جديدة من القوم الكلدانيين واهل البلاد الاصليين فكانت مدة ٤٥٨ سنة ومن اشهر ملوكها الذين حصل العثور لهم على آثار عمرانية وقصور ملوكية ملكان كبيران وسلطانان عظيمان يدعى احدهما باسم (اسميداجان) (بكسر الهمزة فى اوله) وهو الذى انشأ الهيكل الكبير بمدينة ايلاسار المذكوره

اعلاه وكان قد جمع تحت سلطنته مملكتى الاسورية والبابلية معا والثانى يدعى باسم (هامورابى) (بفتح الهاء فى اوله) وهو الذى حفر الخليج السلطانى الشهير بمدينة بابل وهو اعظم طريق لرى الاراضى وسفر السفن ببلاد الجزيرة السفلى

مطلب — ذكر استيلاء الدولة المصرية على بلاد الجزيرة الفراتية (من سنة ١٥٥٩ الى سنة ١٣١٤ ق م) — قال المؤرخ المروى عنه اعلاه ما تعريبه ادناه

كانت دولة بلاد كلدة الاولى هذه قد زالت باستيلاء فراعنة العائلة الملوكية المصرية الثامنة عشرة عليها فان الملك فرعون طوطميس الثالث كان قد استولى على مدينتى بابل ونينوى وادخل تحت طاعته بلاد الجزيرة والاسورية وكلدة ومكثت سلطنة الفراعنة مستولية على تلك الاقطار مدة قرنين ونصف من الاعصار والذى ذكره تاريخ المؤرخ بيروز السالف الذكر ان الذى حكم بابل فى تلك المدة هو ملوك دعاهم بملوك العرب وقال انهم كانوا اتباعا لفراعنة طيبة صعيد مصر من ملوك العائلتين الفرعونيتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة المصريتين (اه)

الفصل الثالث

فى تاريخ ملوك الدولة الاسورية الاولى اوطبقة ملوك العراق الاولى

مطلب — ذكر تأسيس السلطنة الاسورية (من القرن الخامس عشر الى الرابع عشر ق م) قال المؤرخ المروى عنه اعلاه ما تعريبه ادناه ولما اخذت الدولة المصرية فى الانحطاط فى ايام الملوك الكسالى ملوك العائلة الفرعونية المتممة للعشرين فى تلك الاوقات تيسر لسكان شواطئ نهر الدجلة والفرات ان يتخذوا لانفسهم بالثانى دولة اهلية مستقلة وسلطنة ملية بنفسها مستبدة وكان مركز استقرارها فى هذه الدفعة بجهة الشمال اعنى ببلاد الاسورية (قريبا من نحو سنة ١٤٥٠ ق م) بعد ان كانت قاعدة مملكتهم فى الاعصار الاولية بالجهة الجنوبية اعنى فى جهة الخليج الفارسى ومن وقت ان اخذت دولة الفراعنة فى الاضمحلال كانت قد اخذت دولة بلاد العراق فى الاستفحال فاطاعت لسلطنتها سائر بلاد آسية الوسطانية وصارت المدينة نينوى من حينئذ على مدينتى اور وبابل درجة الاعلوية وصارت فى ذلك العصر هى قاعدة السلطنة العراقية وقد كانت قاعدة مملكتهم فى العصر الاول هى مدينة اور ثم بابل غير ان مبدأ تاريخ هذه الدولة الجديدة هو غير متضح الحال ومن الخطأ البين ما ذكر فى كتب التواريخ اليونانية من الروايات العامية واشتهر جدا عند السلف فيما شاع من القصص الحكوية حتى تداولته يد التعليم فى المدارس الاوروبية بناء على روايات حدثت فيما بعد من ذلك العهد بأن اول من اختط مدينة نينوى هو الملك

المدعو باسم (نينوس) ثم اعقبته على سرير الملك المرأة المسماة باسم (سميراميس) ونسبوا اليها مآثر الفتوحات التى صدرت فيما بعد من ذلك العهد عن الملوك الاسوريين فى تلك الاوقات وكل ذلك من قبيل الخرافات والصحيح انه لم يوجد على ظهر الكرة الارضية فى ذلك العصر ملك يدعى باسم نينوس ولا ملكة تسمى باسم سميراميس بالكلية وان اول من تملك على مدينة نينوى كان فى اول الامر هو بعض امراء صغيرين او ملوك طوائف تابعين لدولة المصريين ثم توسعوا فى املاكهم وتفسحوا فى اراضيهم واستفحل ملكهم شيئاً فشيئاً حتى آل امرهم الى ان تملكوا على مدينة بابل ولم يكن ذلك الا فى نحو سنة ١٣١٤ قبل ميلاد المسيح ومع ذلك فقد كانت تلك المدينة العتيقة والحاضرة الشهيرة قد بقيت فى ذلك العصر وهى بتقلد بالولاية عليها املاك مخصوص تابع لملوك نينوى المذكورة وفى اكثر الاوقات كان يخرج عليهم ولا يذعن بالطاعة اليهم وكان الملوك الاسوريون المذكورون يدفعون خراجا للفراعنة المصريين لغاية نحو سنة ١١٣٠ قبل ميلاد المسيح حتى تقلد بمملكتهم فى ذلك الزمان الملك المسمى باسم (اسورداايان) فقطع ذلك الامر وامتنع عن آداء ما ذكر من علامة التبعية والاسر

مطلب — ذكر اول فتوحات الاسوريين لبلاد الامم المجاوريين (من القرن الثانى عشر الى الحادى عشر ق م) قال المؤرخ المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه ولم يشرع الاسوريون فى طريق فتوح البلاد الخارجية الا فى الربع الاخير من القرن الثانى عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام فاستولوا اولا على الاقاليم الجبلية المحيطة ببلادهم الاصلية من جهتى الشمال والشرق وفى نحو سنة ١١٠٠ ق م كان قد ظهر احد ملوكهم المسمى باسم (تجلاتفلصر) الاول ففتح بلاد الجزيرة العربية وبلاد الشام لغاية جبل لبنان غير ان تلك الفتوحات التى كانت قد صارت بها دولة الاسوريين الى ما كانت قد آلت اليه فيما بعد من هذه الجهة كانت قد خرجت عن يدهم بعد سنوات قلائل فى مدة سلطنة ملكهم المسمى باسم (أسورابامار) اذ كانت قد قامت بينه وبين ملك القوم المعروفين بالهيثيين فى تلك الاعصار حرب شديدة كانت الغلبة فيها للملك الهيثيين على الاسوريين فاستردوها منهم وأخرجوها عنهم (فى نحو سنة ١٠٧٢ ق م)

مطلب — ذكر اول منشأ العائلة الملوكية الاسورية المسماة بالبيليطارية (من سنة ١٠٧٠ الى سنة ٩٣٠ ق م) — قال المؤرخ المذكور ما تعريبه بعد مسطور وكانت قد انحطت مرتبة العائلة الملوكية الاسورية الاولى المذكورة بهذه الهزيمة عن درجتها ولم تقم من سقطتها وبعد ذلك بقليل قامت عليها فتنة داخلية وعصبة اهلية كان رئيسها رجل يدعى باسم (بيليطارة) وهو رجل كان موظفا بوظيفة نظارة البساتين

السلطانية للملك المذكور أعلاه فقام على مولاه وقتله واستولى على كرسى مملكته بدلا عنه وبذلك صار أوّل عائلة ملوكية أخرى تدعى بالعائلة الملوكية البيليطارية (فى سنة ١٠٧٠ ق م) وأوائل ملوك هذه الدولة الاسورية الجديدة هم الذين فتحوا بلاد الميدية فى أثناء القرن العاشر قبل الميلاد وضموها الى الدولة الاسورية مدة عدة قرون من الدهر عديدة غير ان مدة حكمهم لا تعرف ولم يوقف من أخبارهم الا على شئ قليل جدا

مطلب — ذكر الملك اسورنازيرپال (من سنة ٩٣٠ الى سنة ٩٠٥ ق م)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السابق الذكر والبيان أعلاه بعد ذلك ما معناه ولم تزل مدة حكم ملوك العائلة الاسورية البيليطارية هذه مجهولة الحال حتى ظهر منهم الملك المدعو باسم (اسورنازيرپال) وبه اتضح تاريخهم وكانت مدة حكمه حيث مكث على سرير المملكة الاسورية خمسا وعشرين سنة هى أوّل مؤكد لحادثة استفحال الصولة الاسورية الشديدة بظهور الدولة البيليطارية الجديدة من حيث تعلق اطماعها بالاستيلاء على سائر بلاد آسية ولاسيما على الاقطار الغربية منها ودليل ذلك ما حصل عليه العثور من آثار الملك المذكور اذ عثر له على حجر وجد عليه قصة سائر غزواته مسطرة مع غاية التفصيل والبيان بالقلم السريانى المحفور فى الحجر المذكور يصف فيها نفسه مع غاية البلاغة والتبيان بانه ملك فى غاية الشجاعة والافتراس بالاعداء ويقول انه لم يتأخر أبدا عن كونه سلخ حيا كل من تجاسر على الخروج عن طاعته من الملوك التابعين لسلطنته وعثر له على لوح آخر من الحجر وجد منصوبا على مكان مدينة كان قد أخربها بالكلية وأزالها ووقف على أطلالها فسطر عليه ما نصه معربا هكذا «ان وجهى لينضر على أطلال المدن التى أخربتها وان رضاء قلبى لفى شفاء غليل غضبى» (انتهى)

وقد علم من نص الآثار المذكورة انه لم تمض سنة من مدة حكم هذا الملك بدون ان تشتهر بغزوة جهادية كبيرة وكان أكثر غزواته فى جبال بلاد ارمنية وكوماجينه (وهى جزء من البلاد المتكون منها الآن كل من ايالتى مرعش وحلب من مملكة آل عثمان) وفى بلاد بنطشر او بنطكسان (وهى البلاد المجاورة لبحر الخزر) وقد كان الحاكم عليها فى ذلك الزمان هم القوم المدعوين بالموشيين ثم فى بلاد الميديين وفى جزء من بلاد فارس الغربية وكان له غزوات أخرى بشواطئ الفرات حيث كان قد أدخل تحت طاعته سائر البلاد الكائنة على الجانب الايمن منه وهى المعروفة فى عصرنا هذا ببلاد العراق العربى وقد كانت فى ذلك العصر منقسمة الى عدة ممالك مزهرة وفيها جملة دول متعددة

وقد علم من الآثار المذكورة أيضا ان الملك آسورنازيرپال المذكور كان قد عبر نهر الفرات واستولى على جميع بلاد الشام الشمالية و بلاد الفينيقيين وسلسلة جبال آمانوس (المادداغ)

وحوض الاورنط (نهر العاصى) غير انه لم يتجاسر أن يتقدم فى تلك الجهة الى أكثر من تلك الحدود لداعى ان مملكتى يهودا وبنى اسرائيل كانتا فى ذلك العصر قويتين جدا بحيث لو تعصبت احداهما مع الاخرى لتيسر لهما دفعه وكان كل من الملك يهوشافاط والملك احؤب اللذين كانا معاصريه قد تعاهدا على محاربة الآراميين ملوك دمشق الشام وظفرا عليهم بالنصر التام ولم يكن الملك آسورنازيربال المذكور أعلاه قد تعرض لهم كذلك

مطلب — ذكر الملك سلمانصر الرابع (من سنة ٩٠٥ الى سنة ٨٦٥ ق م)

وظهر من بعد الملك آسورنازيربال المذكور ولده المسمى باسم سلمانصر الرابع ففاقت غزواته على غزوات والده وزاد طريف مجده على تالده ومن مدة حكم هذا الملك الاخير أخذ تاريخ مملكة آسور فى ان يكون له أشد الارتباط وآكد الاتحاد الكبير مع تاريخ الذوات المذكورين بالتوراة حيث صار من ذلك العهد يوجد فى تاريخ دولة الاسوريين أنفس تحقيق وأوضح توفيق لما اشتمل عليه الكتاب المقدس عن بعض ملوكهم من الحكايات التاريخية والروايات الاثريه

وقد كان أكثر غزوات الملك سلمانصر المذكور كغزوات أبيه متجهة تارة الى جهة الشمال فى بلاد ارمنية و بلاد بنطش وتارة الى جهة الشرق فى بلاد الميديين اذ كانت تلك البلاد لدولة الاسوريين على الدوام غير مذعنة بالطاعة والانقياد واخرى الى نواحى الجنوب ببلاد كلدة اذ كانت تلك البلاد أيضا فى كل وقت هى منشأ الفتن والفساد وطورا الى جهة الغرب ببلاد الشام وجبال امانوس التى هى جبال الماداغ الآن كما سبق بذلك التوضيح والبيان غير انه من تلك الجهة كان قد تعمق الى مالم يكن قد فعله اسلافه وكان ذلك هو أول الاسباب التى اقتضت ارتباط تاريخ مملكة اسور بالذوات المذكورين فى التوراة وكان هذا الملك أول من تداخل من ملوك الاسوريين فى مصالح دولة العبرانيين ببلاد فلسطين فقد دلت الكتابات التى هى عنه مأثورة على انه هزم الملك احؤب ملك بنى اسرائيل وانه أدخل تحت طاعته الملك ياهو من ملوك البلاد المذكورة

مطلب — ذكر الملك بيلوخوس الثالث والملكة سميراميس الحقيقية (من سنة ٨٥٧ الى سنة ٨٢٨ ق م)

وكان أفخر الملوك الاسوريين الذين خلفوا الملك سلمانصر الرابع المذكور من ملوك الدولة البيليطارية ببلاد اسور هو الملك المسمى باسم (بيلوخوس) الثالث فقد كان ملكا عسكريا وسلطانا مغازيا قويا زاد املاك المملكة الاسورية زيادة بليغة جدا من الجهة الشرقية فى ذلك العهد و بلغ بجيوشه الى حدود بلاد الهند وكان قد تزوج بامرأة من بنات ملوك بابل تسمى باسم (سميراميس) (ولم يكن فى التواريخ الحقيقية الاسورية من وجد بهذا الاسم غير هذه الذات الملوكية) وقد كانت

هى صاحبة الولاية السلطانية على مدينة بابل بحيث كان دولاب الحركة السياسية يدور بالنيابة عنها فى تلك الدائرة البلدية بخلاف سائر بلاد السلطنة الاسورية اذ كان دولاب الحركة الادارية يدور باسم الملك المذكور ولذلك نسب المؤرخ اليونانى المعروف باسم هيرودوت الى تلك الملكة سائر الاعمال العمومية التى تم انشاؤها والعمارات السلطانية التى حصل بناؤها بمدينة بابل وضواحيها فى تلك المدة العصرية كالجسور والقناطر والارصفة والخلجان التى عملت على نهر الفرات فى تلك الاوقات

مطلب — ذكر الملك سردانا پال (من سنة ٨٠٠ الى سنة ٧٨٩ ق م)

قد كان ما حصل للسلطنة الاسورية من الامتداد البليغ فى تلك الحقبة العصرية أمرا خارقا للعادة وكان ملوك نينوى وان كانوا قد أحاطت يدهم على ممالك كثيرة وأقاليم كبيرة لكنهم لم يصلوا الآن يجعلوا سائر الامم الكثيرين والاقوام العديدين الذين كانوا قد أطاعوهم بالقوة القهرية فى هيئة أمة واحدة وملة متحدة ولم يكن فى سلطنتهم قوة اتحاد ولا لدولتهم مركز اشتداد مطلقا وكانت طريقة سياستهم معيبة ورابطة الولايات التابعة لها فيما بين بعضها وبعض وفيما بينها وبين عاصمة المملكة غير وثيقة الى درجة بليغة بحيث كان عند مبدإ كل تقليد ملك من ملوكهم تشتعل نيران الفتن تارة فى مكان وتارة فى مكان آخر وكان لا يصعب ان يدرك انه متى قبض على دفة السفينة رجل غير ذى حنكة حقيقية ورجولية كاملة وتقلد بمملكة الاسوريين ملك غير شهم أو سلطان غير ذى حركة حربية قوية بحيث يكون دائما على رأس جيوشه فى ترحال مستعدا للحرب والقتال فلابد من ان ما أنشأه اسلافه من ملوك القرن العاشر والحادى عشر قبل الميلاد مع غاية المشقة والاجتهاد يسقط دفعة واحدة وتذهب هذه المملكة العظيمة هباء منثورا بسهولة يتعجب منها كل أحد تعجبا كثيرا ولقد حصل ذلك باستيلاء الملك المشهور باسم (سردانا پال) حيث قبض على قضيب الملك فى سنة ٨٠٠ للمسيح وكان زير نساء وأسير شهوات وخناء فانهمك كالملكين السالفين عليه كل الانهماك على اللهو واللعب واعتكف على أنواع الملاهى والطرب واشتغل بلاذ النساء عن مهام المملكة وصار لا يخرج من داخل قصره أبدا وترك كل عيش فيه شائبة عيش الرجال ولم يحصل منه أدنى التفات لمادة الحرب والجهاد ومكث على هذا السلوك القبيح مدة سبع سنين وغضب الناس عليه لا يزال فى كل يوم يزداد حتى جاء رجل يقال له (أرباس) كان رئيس طائفة الجنود الميديين وكان هو ذاته ميدى الاصل والملة فوجد فرصة للدخول عليه فى داخل قصره بمدينة نينوى وشاهده لابسا لابس النساء والمغزل فى يده منهمكا على قضاء شهوته يستتر خلف ستائر حرمه عورة جبنه وبطالته فبدا له انه يسهل الظفر بمثل هذا الملك المنفسد الاخلاق حيث كان لا يقدر على الاتيان

بمثل أفعال اسلافه الشجعان وظهر للقائد ارباس المذكور ان الوقت قد آن لكون الاقاليم التى كانت قد انضمت للسلطنة الاسورية بالقوة القهرية يمكنها أن تخرج عن الطاعة وتنشر ألوية العصيان وانضم لرجل آخر كلدانى الاصل يسمى باسم (فول) ويلقب بلقب (بيليزيس) كان قائد الطائفة العسكرية البابلية واسر اليه أفكاره ومقاصده فبادر بموافقته وتعاهد معه على معاضدته ومساعدته واتحد كلاهما مع قواد طوائف الجنود الاجنبية وكل من كان يرغب فى الخروج عن طاعة الدولة الاسورية ويستقل بنفسه من ملوك البلاد التابعين للسلطنة النينوية وعزم الجميع على عزل الملك سرداناپال عن كرسى المرتبة الملوكية وجمع سائر رؤساء الجنود فى آخر السنة جنودهم حوالى مدينة نينوى حتى بلغوا أربعين ألف رجل بعلة فرز وتبديل العساكر الذين كانوا قد أدوا واجب الخدامة العسكرية فى العام الماضى حسبما كانت قد جرت عادتهم بذلك ولما اجتمعوا فى ذلك المكان جاهروا جميعا بالعصيان

مطلب — ذكر زوال الدولة الاسورية الاولى وخراب مدينة نينوى (فى سنة ٧٨٩ ق م) ولما بلغ الملك سرداناپال خبر هذا الخطر الذى لم يكن له على بال قام فى الحال من غفلة شهواته وخرج عن حبالة لذاته وظهر فيه على حين غفلة من الشجاعة والشهامة ما لا مزيد عليه وسار امام من بقى على طاعته من فرقة الجيوش الاسورية الاصلية وبارز بهم عسكر الخوارج وقاتلهم فهزمهم شر هزيمة وانتصر عليهم نصرة تامة عظيمة على ثلاث مرات متواليات حتى أخذوا فى اليأس من الظفر بمقصودهم وبينما هم على تلك الحال واذا بالقائد فول السالف الذكر تدارك هذا الامر واستعان فى ذلك بمعونة الاوهام الاهلية وفساد الافهام العامية فقال لهم انه طالع الكواكب فعلم منها علم اليقين انهم ان صبروا خمسة أيام جاءهم من عند آلهتهم الامداد القوى وانتصروا من غير شك على عدوهم النصر المبين وفى الواقع ونفس الامر كان قد اتفق ان قدم من السفر بعد عدة أيام قليلة جماعة كثيرة من عساكر الاقاليم المجاورة لبحر الخزر كان قد طلبهم الملك لامداده فانحازوا الى عسكر الخوارج ولداعى انضمامهم اليهم فاز عسكر الخوارج بالنصر وظفروا بعسكر الملك غاية الظفر فانحصر حينئذ الملك سرداناپال فى داخل مدينة نينوى وعزم على ان يدافع عنها لغاية أن يخرج مستأمنا ومكث الحصار مدة عامين كاملين لداعى ان أسوار المدينة كانت حصينة متينة لا تؤثر فيها آلات الحرب واضطر الحال لاجبارها على التسليم بضرورة الوقوع فى سوء حالة الجوع فلم يكن سرداناپال يكترث بشئ من ذلك اذ كان بعض الكهنة قد أخبره بان مدينة نينوى لا تؤخذ من يده ما لم يكن النهر عدواله ثم فى العام الثالث نزلت أمطار غزيرة ازدادت منها مياه الدجلة زيادة كثيرة حتى أغرقت

جزأ جسيما من المدينة وهدمت حائطا عظيما من حصونها المتينة يبلغ طوله عشرين شوطا يونانيا (ومقدار الشوط عند قدماء اليونان ١٨٥ مترا فرانساويا) فاستيقن الملك من تحقق خبر الكاهن ويئس من النجاة ولاجل ان لا يقع فى يد أعدائه وهو بقيد الحياة أوقد فى داخل قصره نارا عظيمة ألقى فيها كل ما عنده من خزائن الذهب والفضة والحلل الملوكية ثم حصر نفسه هو ونساءه ومخاصيه فى قاعة كان قد بناها فى وسط النار وأقام معهم فيها حتى احترقوا جميعا وحينئذ فتحت المدينة أبوابها للقوم المحاصرين وسلمت نفسها اليهم فلم ينفعها ذلك التسليم شيأ لكونه جاء أخيرا بل أسلموها للسلب والنهب وأوقعوها فى غاية الكرب وأوقدوا فيها النيران ومحوا أبنيتها بالكلية والجزئية مع عناية حقدية تدل على شدة الغضب التى كانت قد جمعتها قساوة الملوك الاسوريين الفاتحين السالفين فى قلوب الامم الذين كانوا لهم بقوة السيف مطيعين فان الميديين والبابليين لم يتركوا حجرا على حجر من بناء الحصون والقلاع والقصور والهياكل التى كانت مشيدة فيها ولم يدعوا أثرا مطلقا من عمارة الدور التى كانت قائمة من تلك الحاضرة الشهيرة التى مكثت مدة قرنين كاملين وهى متغلبة على سائر بلاد آسية الداخلية حتى ان أهل العناية بالبحث عن الآثار القديمة من الافرنج المتأخرين لم تصل أعمال الحفر الجارية بمعرفتهم فى المكان الذى كانت توجد عليه مدينة نينوى المذكورة لغاية الآن الى العثور على شقة جدار قائم واحد من البناء السابق على حادثة استيلاء كل من القائد ارباس والقائد بيليزيس المذكورين على تلك المدينة وقد كان وقوع هذه الحادثة التاريخية الكبيرة فى سنة ٧٨٩ قبل الميلاد

الفصل الرابع

فى تاريخ الدولة الاسورية الثانية او ذكر الطبقة الثانية من ملوك الجزيرة الفراتية

مطلب — ذكر الملك فول (من سنة ٧٨٧ الى سنة ٧٤٧ ق م) وبعد خراب مدينة نينوى كان الميديون قد اكتفوا باسترجاع استقلالهم بانفسهم بالثانى وخروجهم عن طاعة الدولة الاسورية الاولى فعادوا للاقامة فى جبالهم كما كانوا ولم يتعلقوا بمصالح بلاد الجزيرة الفراتية بخلاف القائد الكلدانى المدعو باسم (فول) أو (بيليزيس) السالف الذكر فانه بعد خراب المدينة المذكورة كان قد استولى على سائر بلاد الاسورية وجعلها تابعة لمدينة بابل مدة حقبة من الدهر وضم اليها أيضا سائر الاقاليم الغربية من المملكة الاسورية السالفة أعنى سائر البلاد الآرامية الكائنة على جانبى الفرات وغاية ما نعلم من تاريخه هو ما اقتبس فى التوراة من قصة الغزوة التى غزاها فى سنة ٧٧٠ ق م بمملكة بنى اسرائيل لاغير

مطلب — اعادة الدولة الاسورية بالثانى وذكر الملك تجلات فلصر الثانى (من سنة ٧٤٤ الى سنة ٧٢٧ ق م) ولم تدم غلبة الكلدانيين على بلاد الاسوريين الالغاية وفاة الملك فول السالف الذكر وكانت وفاته فى سنة ٧٤٧ قبل الميلاد ولما كان الاسوريون هم أشجع الامم المتوطنين ببلاد الجزيرة الفراتية وأقواهم على الحرب والضرب وكانوا قوما أهل رجولية تامة وقوة عسكرية كاملة لم يزالوا يتذكرون فى القرن الثامن قبل ميلاد المسيح ما كان قد وقع من أسلافهم السابقين فى مدة القرنين السالفين من الحروب الكبيرة والوقايع الشهيرة مع ما أعقبها من هزيمة الملك سردانابال حسبما أسلفناه فلم يزل باقيا فى نفوس آهل المدن الاسورية الكثيرة العمران من الشوق الى الاستقلال بالنفس ما حملهم على ان ثاروا ثورة عامة وقاموا قيامة تامة بعد خراب مدينة نينوى بأربعين سنة وطردوا البابليين من بلاد الاسورية وكان قد بقى من نسل بيت الملك من بنى بيليطارة السالفين بعض امراء كانوا قد فازوا بالنجاة من حريقة سردانابال المذكور أعلاه وكانوا متخفين فى بعض أطراف البلاد منهم الامير المسمى باسم (تجلات فلصر) فأحضره الاسوريون وجعلوه رئيس عصبتهم عند ثورتهم ومكثوا يحاربون البابليين مدة ثلاث سنين حتى استولى تجلات فلصر على تاج الملك (فى سنة ٧٤٤ ق م) وانتهز فرصة من حروب داخلية ومنازعات أهلية كانت قد شتتت شمل بلاد البابلية فأدخلها تحت طاعته ووضع عليها الجزية بعد ان كانت بالامس هى التى تملى على نينوى قوانينها وأعاد الملك تجلات فلصر المذكور السلطنة الاسورية الى حدودها السابقة الاصلية ماعدا بلاد الميدية وذلك بعد عدة وقايع حربية متعاقبة فاز بالنصر فيها على التوالى ببلاد ارمنية وبلاد الشام وفلسطين وبلاد العرب والبلاد المجاورة لبحر الخزر والاقطار الكائنة فى أقصى الشرق فيما بين بلاد الميدية وفارس من احدى الجهات وبلاد الهند من جهة أخرى وهى التى يسمى مجموعها فى اصطلاح علماء الجغرافية الجارى على مقتضى طريقتهم التدريس بالمدارس الاوروبية باسم بلاد اريان (وهى التى تعرف الآن ببلاد افغانستان) وحينئذ فقد كان هذا الملك تعمق فى الفتوحات من هذه الجهة الاخيرة الى أكثر من سائر اسلافه وبلغ الى حدود بلاد الهند الغربية

مطلب — ذكر الملك سرجون (من سنة ٧٢١ الى سنة ٧٠٤ ق م) قال المؤرخ المروى عنه أعلاه ما تعريبه أدناه وقد تملك من بعد الملك تجلات فلصر ولده المسمى باسم (سلمنصر) فكانت مدة حكمه قصيرة (من سنة ٧٢٧ الى سنة ٧٢٢ ق م) وهو الذى كان قد شرع فى حصار مدينة سمرية ومات عندها فى اثناء الحصار ولما كان هو آخر نسل بيت السلطنة الاسورية أذ كانوا قد انقرضوا بالكلية ولم يوجد منهم من يلى المرتبة السلطانية اجتمع أعيان الدولة وقلدوا بمنصب الملك رئيس قواد الجنود المدعو باسم سرجون

وقد كان من أعظم الملوك أرباب الفتوحات ببلاد الأسورية وكانت العائلة الملوكية التى كان هو رئيسها والدولة السلطانية التى أسسها وان كانت قد مكثت مدة قصيرة لكنها كانت قد ألقت على وجه التاريخ بهجة كبيرة وذلك ان سرجون هذا من اوّل مبادى مدة سلطنته كان قد أخذ مدينة سمرية وأخربها بالكلية وحارب الملك سبا كون الحبشى ملك مصر وبلاد الايتيوبية فغلبه فى واقعة رافيا ببلاد الشام (فى سنة ٧٢١ ق م) ثم شن الغارة بالحرب فى بلاد ارمنية مدة مديدة فأطاعه الدولته كلها الا شيأ قليلا منها ودخل فى بلاد الالبانية (بلاد الارنئوط) حتى بلغ الى حد سفح جبال قوقازة وفتح بلاد الفلسطينيين (فى سنة ٧١٠ ق م) وكذلك جزيرة قبرص (فى سنة ٧٠٨ ق م) وقد كانت تلك الجزيرة فى ذلك الزمان يحكم فيها عدة ملوك طوائف صغيرين ورؤساء أقوام عديدين أصل أكثرهم من اليونان وفى أواخر مدة حكمه كان قد اختط مدينة (خورازا باد) وشيد قصرا عظيما له فيها بدلا عن مدينة نينوى من بعد خرابها قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان والذى دل على ذلك هو ما اتضح من أعمال الحفر والتفحص التى حصل اجراؤها على التعاقب بمعرفة اثنين من أهل بلادنا الفرانساوية وهما المعلم (بوطه) والمعلم (و يكتور پلاس) ومن تلك الاعمال صار الحصول على أغلب النقوش الجميلة الاسورية التى توجد محفوظة بانتيقخانة سراية لورة الملوكية (بمدينة باريس) ثم مات الملك سرجون المذكور حيث قتله جماعة من أرباب الفتن من أهل بابل (فى سنة ٧٠٤ ق م) و بقتله اشتعلت نيران الفتن الاهلية فى تلك الحاضرة الكلدانية

مطلب — ذكر الملك سنحاريب (من سنة ٧٠٤ الى سنة ٦٨١ ق م)

وكان قد تقلد بالملك من بعد الملك سرجون المذكور ولده المشهور باسم (سنحاريب) فلم يكن دون أبيه فى مادة الحرب والجهاد اذ كان قد ابتلى باطفاء نيران الفتن الشديدة القائمة بمدينة بابل واضطر لان يقاتل الخوارج فى واقعتين اذ كانوا قد قاموا عليه فى مدة ولايته مرتين (احداهما) تحت رياسة رجل يدعى باسم (ميرودا شبالادان) (والثانية) تحت رياسة رجل يدعى باسم (سوزوب) ثم انتهى الحال بان الملك النينوى المذكور اشتدّ غضبه على مدينة بابل فعاقب أهلها الطغاة وعذب سكانها هؤلاء البغاة بأن أباح فيها السلب والنهب وأسلمها للنيران واللهب فاحترقت عن آخرها وصار عاليها سافلها مع كونها قد كانت معتبرة عندهم كحرم محترم وكان ذلك (فى سنة ٦٨١ ق م) ولم تمنع هذه الفتن الداخلية الجسيمة الملك سنحاريب المذكور من ان يباشر بنفسه فى الجهات الخارجية عدة غزوات عظيمة فكان قد ذهب الى بلاد فلسطين (فى سنة ٧٠٠ ق م) وأدخل تحت طاعته مدينة صور وغيرها من مدن بلاد الفنيقيين وأغار على مملكة يهودا وهدّد فرعون مصر

بالديار المصرية ثم وضع الحصار على مدينة اورشليم أو القدس الشريف (كما سلف ذكر ذلك غير مرة فى مواضعه من هذا التأليف) غير انه ببركة دعاء ملك بلاد يهودا المسمى باسم (حزقيا) وكان رجلا صالحا وملكا تقيا ناجحا وبرجاء النبى (اشعيا) الذى كان له معاصرا من أنبياء بنى اسرائيل كانت يد الله سبحانه وتعالى قد وطئت على جنوده الوطء الثقيل فأرسل عليهم كما سلف ذكر ذلك فى الابواب السالفة طاعونا شديدا أهلك منهم مقدارا عديدا حتى اضطر الملك سنحاريب المذكور للنأى عن حصار مدينة القدس وقفل عائدا بجنوده الى جهة الفرات ولكنه كان أسعد طالعا فى غزواته ببلاد الميدية و بلاد السوس (خوارزم آلان) لغاية بلاد فارس وأعاد بناء مدينة نينوى بالثانى من بعد ان كانت قد بقيت خرابا من عهد هزيمة سرداناپال واتخذها مقر دولته وقاعدة بلاد سلطنته وجعلها ببلاد آسية أفخر حاضرة وأشهر مدينة عامرة (فى سنة ٦٨٤ ق م) وانتقل اليها وأقام فيها مدة ثلاث سنوات ثم مات حيث قتله اثنان من أبنائه الكبار لكنهما لم يتمتعا بثمرة جريمتهما بل اشتد عليهما الغضب العام وبادر الناس عليهما بالقيام حتى اضطرا الى الفرار ببلاد ارمنية وكان ذلك (فى سنة ٦٨١ ق م)

مطلب — ذكر الملك آسارادون (من سنة ٦٨١ الى سنة ٦٦٨ ق م) — قال المؤرخ المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما تعريبه ادناه وقد كان آسورادون المذكور هو ثالث ابناء سنحاريب وكان ابوه قد نصبه بوظيفة الوالى على مدينة بابل فلما تقلد بتاج المملكة استمر على الاقامة فى المدينة المذكورة ليضبط اهلها ويمسكهم تحت الطاعة السلطانية وقمع كذلك عصيان اهل المدن الفنيقية مع غاية القساوة والجبر وكانوا قد قاموا على الدولة السريانية وادخل تحت الطاعة أيضا مملكة يهودا وأمسك مدة من الدهر فى مدينة بابل الملك منشة مقيدا بسلاسل الاسر وغزا غزوة فى بلاد فارس واخرى على شواطئ البحر الاسود حتى بلغ بلاد اقليم (كولشيدة) (وهى المسماة الآن باسم ايميريتى ومنجريلى) الكائنين على غربى جبال قوقازة واستولى على أكثر جزيرة العرب وديار مصر ثم اعتراه المرض واحس بالعجز عن القيام بواجب الملك فتنازل عن سرير المملكة لولده البكرى المدعو باسم (آسور بانيپال فى (سنة ٦٦٨ ق م)

مطلب — ذكر الملك آسور بانيبال (من سنة ٦٦٨ الى سنة ٦٤٧ ق م)

وكان الملك آسور بانيبال المذكور هو آخر ملوك الاسوور بين المجاهدين وهو الذى يعرف عند اليونان باسم (سرداناپال) غير انهم كانوا يميزونه مع غاية الحرص والعناية عن الملك سرداناپال المتخنث الذى سقطت مدينة نينوى اول مرة فى ايامه من سالف الزمان

وقد كان الملك آسور بانيبال هذا هو الذى استمر أولا مدة ثلاث سنوات متواليات بالديار المصرية

وهو يقاتل الملك (طهراقة) ملك بلاد الاتيوبية (الحبشة) وينازعه على مملكة مصر فى ذلك العصر وظفر فى تلك الديار بعدة مرات بحجة من النجاح والانتصار واستولى على مدينة طيبة الصعيد مرتين واسلمها الى السلب والنهب واوقع بها غاية الكرب ثم انتهى امره لان ترك تلك الديار حيث رأى ان التملك عليها يحتاج لكثير من المشقة والتعب وقد كان من جملة الملوك الذين كانوا يدفعون له الخراج الملك المسمى فى تلك الحقب باسم (جيجيس) (بجيم فارسية مثلثة من تحتها ياء مثناة تحتية فجيم عربية معتادة ممالة على ياء مثناة تحتية أيضا يليها سين مهملة فى آخره) وهو ملك بلاد (ليدية) (وهى الجزء الغربى من ولاية الاناضول المتركب الآن من القسم المسمى باسم (سوراخان) وغيره من بلاد آسية الصغرى وبهمة هذا الملك الكبيرة امتدت دائرة اعلوية الدولة الاسورية على جميع بلاد آسية الصغرى المذكورة وكان للملك آسور بانيبال المذكور اخ يدعى باسم (ساموليسموچان) كان عاملا له على ولاية مدينة بابل فقام عليه واراد ان يستقل بنفسه ورفع الوية العصيان واستعان فى ذلك بملك بلاد السوس وملك بلاد العرب (فى سنة ٦٦٣ ق م) ووقعت بينهما حرب عظيمة دارت الدائرة فيها على جنود القوم الخوارج فهزمهم ملك نينوى شر هزيمة وظفر باخيه هذا واستولى عليه ثم اطلق سبيله وعفا عنه وتوجه عزمه للعزاة ببلاد السوس فادخلها تحت الطاعة النينوية بعد حرب مكثت مدة ثلاث سنوات (من سنة ٦٦٣ الى سنة ٦٦٠ ق م) واستولى على مدينة سوس قاعدة البلاد المذكورة حيث اخذها بطريق الهجوم عليها واسلمها للسلب والنهب واخذ ملكها اسيرا وشنقه ثم انتقل بجنوده الى بلاد جزيرة العرب وجاس خلال ديارها ومر بها من أولها الى آخرها فى غزوة مكثت عدة اعوام ظفر فيها بالنصر المستمر على الدوام (من سنة ٦٥٩ الى سنة ٦٥٧) قبل ميلاد المسيح عليه السلام

مطلب — ذكر آخر ما حصل من النجاح فى الجهاد على يد بعض ملوك الطبقة الثانية من الملوك الاسوريين بتلك البلاد (من سنة ٦٤٧ الى سنة ٦٢٥ ق م) ولما توفى الملك آسور بانيبال الظافر بالنصر على بلاد السوس كان قد تملك على مملكة نينوى ولد له يدعى باسم (آسور ديليلى) وفى أيام دولة هذا الملك الاسورى الجديد كانت قد ظفرت المملكة الاسورية من النجاح فى الجهاد بتلك البلاد ظفرة عسكرية أخرى وذلك ان بلاد الميديين كان فيها بمدة عصر الملك سرجون وولده عدة ملوك طوائف متفرقين ورؤساء قبائل كثيرة متحالفين بعضهم مع بعض فى هيئة الحكومة الجمهورية ولذلك سهل على الملكين الاسوريين المذكورين افتتاح بلادهم وادخالها تحت طاعة السلطنة الاسورية ثم اجتمعوا فى هيئة مملكة قوية واحدة وسلطنة ذات شوكة متحدة وقام فيهم الملك المدعو باسم (فراوورت) متقلدا بقلادة سلطنة الميديين (فى سنة ٦٥٧ ق م) فاجلى الآسوريين من

الاماكن التي كانوا لم يزالوا مستولين عليها من بلاده واقتنح بلاد فارس كلها وسائر البلاد الايرانية الكائنة فيما وراء جبال هندكوش وصحاري بلاد القرمان وبذلك صارت المملكة الميدية سلطنة جهادية متسعة ودولة كبيرة ذات صولة ومنعة فخطر له انه يقتدر على أن يأتي بمثل ما فعله الملك ارباس السالف الذكر ويهدم شوكة مملكة نينوى وبعدم قوة السلطنة الاسورية بالكلية فاغار على بلاد أسور غارة شديدة وقابله الملك اسورديابلي هذا بجيوش عديدة ووقعت بينهما واقعة حرب كبيرة عند مداخل مضائق الجبال الكائنة بتلك البلاد (في سنة ٦٣٥ ق م) قتل فيها فراوورت المذكور وهلكت الجيوش الميدية عن آخرهم وكان هذا النجاح هو آخر ظفرة جهادية وغاية نصرة عسكرية حصلت على يد ملوك الطبقة الثانية بمدينة نينوى من ملوك السلطنة الاسورية

مطلب — ذكر زوال الدولة الاسورية الثانية وخراب مدينة نينوى الخراب الثاني بالكلية والجزئية وبالطريقة القطعية (من سنة ٦٢٥ الى سنة ٦٠٦ ق م)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان أعلاه ماتعريبه ادناه وقد كانت الدولة الاسورية الثانية في ظرف تلك المدة الماضية مع ذلك قد أخذت في الاضمحلال وتدانت للزوال وسقطت قوتها العسكرية ونفدت خزائنها المالية مع كون من جاورها من الامم كانوا قد صاروا الى درجة العظمة والاستفحال وفي سنة ٦٢٥ قبل ميلاد المسيح عليه السلام كان قد قام الملك (سياكزار) (بكسر السين المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها يليها الف فكاف فزاي معجمة فألف فراء مهملة في آخره) ملك الميديين وخليفة الملك فراوورت المذكور آنفا على مملكتهم وكان قد استولى على سائر بلاد آسية الصغرى (بلاد الاناضول) لغاية النهر المسمى عند السلف باسم (هاليس) ويسمى الآن باسم (قزيل يرمق) وانتهز فرصة من موت الملك آسورديابلي وما ترتب عليه من ظهور الفتن والاختلال في بلاد السلطنة الاسورية وحضر بجنوده امام مدينة نينوى وحصرها وضيق عليها وكان الملك الكلداني المسمى باسم (نابو پولصر) (بنون موحدة فوقية فألف فباء موحدة تحتية عربية معتادة فباء فارسية مثلثة من تحتها بعدها واو فلام فصاد فراء مهملتان في آخره وهو أبو بختنصر المشهور) قد أثار الفتنة في مدينة بابل وأعلن لنفسه بالسلطنة فيها وتقلد بتاج المملكة عليها وأعاد لهذه المدينة الكبيرة ما كان قد عهد لها في الاعصار السالفة من الاستقلال وأخذت دولة الملك المذكور في الاستفحال وكادت مدينة نينوى ان تسقط بالكلية لولا ما حصل في ذلك العصر من غارة الاقوام السيتيين (قبائل يأجوج ومأجوج) على بلاد الميديين ونزولهم على أهالي تلك البلاد كالجراد المنتشر واستعبادهم اياهم مدة ١٩ سنة من الدهر حيث ترتب على تلك الغارة بقاء مدينة نينوى وانقاذ الدولة

الاسورية الثانية فى ذلك العهد مدة بعض سنوات بعد من الوقوع فى هاوية الزوال وكان الملك المدعو باسم (ساروق اوآسوراقوس) قد قبض على قضيب الملك بمدينة نينوى (من سنة ٦٢٥ الى سنة ٦٠٦ ق م) ولداعى ماحصل من الهدنة لتلك المدينة بغارة الاقوام السيتيين المذكورين كان قد تيسر له ان مكث على سرير المملكة النينوية نحو تسع عشرة سنة من غير مكدر ولا مناز ع تقريبا غير انه انما كان مستوليا على سلطنة ضعيفة ومملكة دنية وضيعة متمزقة الشمل لا قوة لها ولا ثبات ولا صولة لها ولا حياة ولم يجتهد هو فى اقامة اودها ولا سعى أدنى سعى فى اعادتها لما كانت عليه من قوة عددها ومددها بخلاف الملك سيا كزار ملك الميديين فانه بعد ان بذل مجهوده وبلغ مقصوده من انقاذ مملكته من غارة الاقوام السيتيين والامم التورانيين المذكورين كان قد عاد بجنوده الى اسوار مدينة نينوى بعد تلك المدة المذكورة ووضع عليها الحصار بالثانى عازما على ان يستأنف ما كان قد فعله بها فى أوائل تلك الازمان الملك ارباس أعنى انه أراد أن يخرب تلك الحاضرة التى كانت موطن هؤلاء الملوك الجبابرة وكانت قد استعبدت معظم بلاد آسية ووضعت تلك الاقطار فى أضيق ربقة الذل والصغار ويدمرها الدمار الذى لا تعود للعمار بعده ابدا وساعده على ذلك أيضا غاية الاسعاد الملك نابو پولصر ومن كان تحت طاعته من القوم البابليين بمثل ما كان الملك فول قد أتى به لارباس من المساعدة مع غاية الحمية والمجاهدة وبعد ان قام على حصارها مدة مديدة حصل فيها مقتلة شديدة واستولى عليها وأخذها فسقطت ويئس الملك آسوراقوس من النجاة ففعل بنفسه كما كان قد فعل سلفه سردانابال فى مثل هذه الواقعة وقتل نفسه بيده فخرب القوم الغالبون تلك المدينة العنيدة وحرقوا ماكان فيها من القصور والهياكل العديدة وصارت مدينة نينوى هذه العظيمة التى كانت احدى مفاخر بلاد آسية بعهد الملك سنحاريب عبارة عن تلال متكومة وأطلال متهدمة فى غاية الدمار والتخريب (فى سنة ٦٠٦ ق م) ولم تعد للعمارة مرة اخرى بعد ذلك أبدا كما أنذر بذلك أنبياء بنى اسرائيل

الفصل الخامس

فى تاريخ الدولة الاسورية الحادثة أو طبقة ملوك العراق الثالثة

مطلب — ذكر الملك نابوشودونوزور او بختنصر المشهور (من سنة ٦٠٧ الى سنة ٥٦١ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروى عنه أعلاه بعد ذلك ما تعريبه

أدناه وبهذه الحادثة الكبيرة انتقلت وراثة سلطنة نينوى الشهيرة مدة بعض سنوات يسيرة الى مدينة بابل أو بابيلون ويشاهد من حينئذ انه قد قام فى بلاد العراق القديمة دولة كلدانية حديثة تملكت على سائر الاقاليم الغربية والجنوبية التى كانت تحت يد الدولة الاسورية الثانية وهى طبقة ملوك العراق الثالثة وكان بطل هذه السلطنة العراقية الجديدة ومنشئ صولتها الشديدة هو الملك المدعو باسم (نابوشودونوزور) (وهو المعرب باسم بختنصر المشهور) وكان أبوه المدعو باسم (نابو بولاصر) قد استقل بالسلطنة فى مدينة بابل (فى سنة ٦٢٥ ق م) وبينما كان الميديون قد مكثوا تحت طاعة الاقوام السيثيين مدة مؤقتة كان هو بحسن تدبيره واتقان ادارة أموره قد أرقى بلاد أسفل الفرات من الفلاح والنجاح الى أعلى الدرجات واستفحل ملكه فى تلك الجهات واعانه على احسان ادارة مملكته حزم رأى زوجته المشهورة باسم (نيتوكريس) فأنشأ فى مدينة بابل بتلك الاوقات كثيرا من العمارات التحسينية والاعمال التزيينية والاشغال النافعة العمومية وفى سنة ٦٠٧ قبل ميلاد المسيح عليه السلام كان الملك نابو بولاصر المذكور قد أشرك معه فى منصب الملك ولده بختنصر المشهور وعهد له على السلطنة بولاية العهد فيما بعد

مطلب — ذكر واقعة حرب قيرقيزية اوقرقميش (فى سنة ٦٠٦ ق م) وقد كان بختنصر وهو فتى شاب بعد فى عين السنة التى كانت مدينة نينوى قد سقطت فيها قد قام على ساق الحرب وسار فى عدد عديد من الجيوش فقاتل الملك نخاووس ملك مصر بمدينة قيرقيزية اوقرقميش فى واقعة حربية قطعية ظفر فيها عليه بغاية النصر والغلبة العسكرية اذ كان الفرعون المذكور قد انتهز الفرصة من انحطاط دولة الاسوريين بمدينة نينوى فاستولى على بلاد الشام وفلسطين ثم تعدى بختنصر نهر الفرات وطرد المصريين من جميع الولايات والاقاليم التى كانوا قد افتتحوها من تلك الجهات وكان قد أراد أن يضع الحصار على مدينة اورشليم ومن ثم يدخل ديار مصر واذا بخبر وفاة أبيه قد وصل اليه فاضطر لسرعة العود الى مدينة بابل على الفور (فى سنة ٦٠٤ ق م)

مطلب — ذكر أوائل غزوات بختنصر على اليهود (من سنة ٦٠٢ الى سنة ٥٩٩ ق م) ثم عاد بختنصر بعد عامين الى بلاد الشام بالثانى وأغار على الملك يهوياقيم ملك يهودا وقرر عليه خراجا يؤديه اليه وأخذ معه الى بابل من أعيان اليهود عدة رهائن وجملة من الاوانى المقدسة الموقوفة على بيت المقدس وبعد ثلاث سنوات عاد ملك اليهود لنكس ما كان قد عقده مع بختنصر من العهود معتمدا على امداد فرعون مصر مع كونه لم يرد له من الديار المصرية أدنى مدد وكان ملك العبرانيين المذكور قد مات بعد ذلك بقليل فترك على

رأس ولده المدعو باسم (يخنيو) ثقل وبال ماترتب على عصيانه (كما أسلفنا ذلك فى مكانه من باب تاريخ العبرانيين بتفصيله وبيانه) ولم يقم يخنيو المذكور على سرير مملكة يهودا غير ثلاثة شهور اذ كان بختنصر قد أرسل عليه جنوده ثم حضر بنفسه الى بلاد اليهود بالثانى واضطر ملك اليهود المذكور لأن سلم نفسه وسائر أهل دولته ودائرته ليدعدوه هذا الجبار فلم يكتف بختنصر بأن يأخذ هذا الملك العبرانى مع أهل دولته بحالة الاسر بل دخل مدينة اورشليم وانتهك حرمة بيت المقدس الكريم واستلب سائر خزائنه المكنونه وخزائن قصر هذا الملك المصونة وأخذ معه فى رفقة الاسرا الى مدينة بابل من أشجع أبطال الجنود العبرانية ما يبلغ عشرة آلاف مقاتل وكثيرا من أرباب الحرف والصنايع الاسرائيليين ولاسيما الحدادين والغندقلية (صناع الاسلحة) وذلك لقصد منع بلاد اليهود من ان تعود بالثانى الى الاستعداد للدفع والمنعة ولم يترك فى مدينة بيت المقدس غير القليل من أفقر الناس واخذ معه الى مدينة بابل الملك يخنيو المذكور مع والدته وسائر نسائه ومخاصيه ووضعه فى السجن وضيق عليه غاية التضييق ثم أظهر انه يريد أن يترك للامة اليهودية خيال استقلالها الاول فنصب على كرسى مملكة اورشليم عم الملك الاسير المدعو باسم (صدقيا) كما هو فى موضعه فيما سلف من هذا الكتاب مسطور

مطلب — ذكر خراب بيت المقدس على يد بختنصر المشهور (من سنة ٥٩٠ الى سنة ٥٨٨ ق م) قال المؤرخ المروى عنه أعلاه بعد ذلك ما تعرب به أدناه وقد كان النبى ارميا من أنبياء بنى اسرائيل هو نبى ذلك العصر وقد أنذر الملك العبرانى السالف الذكر ومن تقدمه من ملوك اليهود بما سيحصل على مملكة فلسطين من التخريب والاسر فلم يكن يصغى لانذاره أحد منهم وعميت بصيرة صدقيا كغيره من أسلافه عن سماع هذه الاخبار النبوية والعمل بتلك النذر التدبيرية مع كون النبى ارميا كان لا يفتر عن الانذار اليه والاشارة عليه بأن الاولى له ان يسلك طريقة سياسية احتراسية ويذعن بالطاعة لسلطان الدولة البابلية ومع ذلك فقد خالف مشورته وناقض نصيحته وتخيل له انه يقتدر على الخروج عن طاعة ملك العراق ويستقل بنفس دولته فجاهر بالعصيان عليه وامتنع من اداء الخراج الذى كان يدفعه اليه واتحد مع فرعون الديار المصرية وملوك المدن الفنيقية (فى سنة ٥٩٠ ق م) فغضب بختنصر لذلك أشد الغضب وسار بنفسه مرة أخرى الى مدينة بيت المقدس ووضع عليها الحصار ثم تركها مدة يسيرة وتوجه لقتال فرعون مصر المشهور باسم (ابريس) اذ كان قد حضر بجنوده الى بلاد الشام لقصد امداد صدقيا عليه وكان ملك مصر المذكور قد عاد الى تلك الديار وأخذ فى الفرار بدون أن يضرب عليه ضربة واحدة فعادت الجيوش الكلدانية الى بلاد المملكة اليهودية واستولوا على مدينتى (لاخيس وآسيشه) ووضعوا الحصار

الحصار بالثانى على مدينة اورشليم وضيقوا عليها ومكث العبرانيون مدة تسعة عشر شهرا فى داخل قاعدة مملكتهم يدفعون هجوم الجيوش البابليين ويتجلدون على مقاومة صولتهم ثم اشتدت المجاعة عليهم فغلبت على قوة ثباتهم وأجبرتهم على الاذعان والتسليم وكان الاسوريون قد دخلوا المدينة من خرق فى السور وتصادف ان صدقيا المذكور كان قد أراد أن يخرج منه ويفر الى جهة نهر الاردن مع بعض خدمه فلحقه بعض الجنود البابليين فى سهل ريحا وقبضوا عليه وأحضروه لبختنصر فقتل أبناءه بين يديه وهو ينظر اليهم وسمل عينيه وحمله مقيدا فى سلاسل من الحديد الى مدينة بابل (فى سنة ٥٨٨ ق م) و بعد ذلك بشهر كان قد دخل قائد طائفة خفر الملك البابلى المذكور وهو المسمى باسم (نابورادان) فى مدينة القدس واستولى عليها وشرع فى تخريبها ودمر هاعن آخرها وأحرق قصر الملك والهيكل المكرم وذبح مع الحبر الاعظم ستين نفسا من أعيان بنى اسرائيل و بعث الى مدينة بابل فى ربقة الاسر كل من بقى فى المدينة من غير فرار الى البوادى والقفار من القوم اليهود (وهذا هو المعبر عنه عند أهل التاريخ بخراب بيت المقدس الاكبر على يد بختنصر)

مطلب — ذكر حصار بختنصر لمدينة صور واستيلائه عليها (من سنة ٥٨٨ الى سنة ٥٧٤ ق م) ولم يكن ملك بابل الجبار المذكور قد اكتفى بذلك بل تعلقت أطماعه بفتح بلاد الفنيقيين والاستيلاء عليها اذ كانت كثرة ثروة تلك البلاد قد جذبت فؤاده اليها وكان أنبياء ذلك العصر لم يزالوا من مدة مديدة ينذرون أهالى مدينة صور بما سيلحقها من مصائب الدهور وكانت قد صار لها درجة الاعلوية منذ ستمائة سنة على سائر المدن الفنيقية وقد كانت مدينة صور هذه قلعة ذات منعة حصينة فلما وضع بختنصر عليها الحصار ثبت الصوريون امامه وقاوموه حتى أقام على حصارها مدة ثلاث عشرة سنة ثم أخذها عنوة اى بطريق الهجوم عليها وفعل بالصوريين كما كان قد فعل بالقوم العبرانيين ونقل الى بلاد كلدة أوجه أعيان ذوى البيوتات من أهل تلك البلدة (فى سنة ٥٧٤ ق م) واعترف له بالطاعة بالضرورة سائر النزائل والمستعمرات من القبائل الفنيقية التى كانت تملكها مدينة صور بالسواحل الغربية من بلاد افريقية وفى بلاد اسبانيا (جزيرة الاندلس) كنزلة قرطاجة (وهى الآن ولاية تونس) قبل ان تصير ليد الدولة الرومانية وكنزلة قادس وصارت جميع هذه المستعمرات ملحقة بسلطنة بختنصر حيث صار له الغلبة على تلك المدينة الاصلية

مطلب — ذكر وقائع بختنصر الحربية ببلاد الجزيرة العربية (من سنة ٥٧٣ الى سنة ٥٧٢ ق م) وقد كان بختنصر المذكور بعد ان استولى على مدينة صور وأدخلها تحت طاعته وقبل أن يرجع الى مدينة بابل التى كانت قاعدة سلطنته شن الغارة

على الاقوام المدعوين عند الامم الاقدمين بالايديميين وبنى مؤاب والامونيين اذ كانوا قد تحالفوا مع دولة العبرانيين عند قيامهم الاخير عليه فأجبرهم كذلك على الدخول تحت طاعته وألزمهم بالاذعان اليه وغزا غزوة كبيرة فى بلاد العرب الجاهليين حتى بلغ الى مملكة سبأ ببلاد اليمن وكانت تلك الحروب التى انذر بها أنبياء ذلك الزمن هى آخر سلسلة الغزوات التى غزاها هذا الملك الكلدانى ببلاد آسية الغربية

مطلب — ذكر ما أثر عن بختنصر من العمارات والآثار فى تلك الاعصار — ولما عاد بختنصر من تلك الاسفار الحربية الى بلاده الاصلية التفت الى انشاء العمارات والآثار واشتهر بحسن ادارة الامور الداخلية كما اشتهر بالفتوحات الخارجية غاية الاشتهار وكان قد حصل له من تلك الغزوات أموال عظيمة ومقادير جسيمة من اسرا تلك البلاد الاجنبية فاستعملها فى بناء عمارات كثيرة وانفقها فى انشاء آثار كبيرة تحسنت بها مدينة بابل وتزينت أجمل الزينة حتى صارت تلك المدينة أشهر مدينة فى بلاد الدنيا بتمامها فى تلك الاعصار قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان قال المؤرخ هيرودوت اليونانى فى تاريخه عند الكلام على صفتها وقد كان سافر اليها ونزل بها واطلع عليها فى اثناء القرن الخامس قبل ميلاد المسيح عليه السلام ما هذا نص عبارته « وقد كانت تلك المدينة فاخرة جدا الى درجة بحيث لا نعرف لها مدينة اخرى يمكن مضاهاتها بها وذلك ان مدينة بابل هذه هى موضوعة فى وسط سهل متسع وهى على شكل مربع تبلغ مساحة كل ضلع من أضلاعه مائة وعشرين شوطا (والشوط مقياس لليونان يقدر الآن بقدر ١٨٥ مترا فرانساويا) يحيط به خندق عميق هو على الدوام ممتلئ بالماء يليه سور فيه يبلغ مساحة سمكه خمسين ذراعا ملوكية على مائتى ذراع ارتفاعا ويخترقها نهر الفرات من الوسط بحيث يقسمها الى قسمين ويختطها خطتين وهو نهر عظيم عميق القعر سريع الجريان يأتى من بلاد الارمن ويصب فى بحر (ايريترة وهو البحر الهندى الذى من ضمنه الخليج الفارسى) ومن داخل السور الكبير سور آخر هو بالنسبة اليه صغير وكلا طرفى السورين ينتهى من عند شاطئ النهر بزاوية خارجة يمتد منها على الجانبين حائط مشيد من الآجر يحيط بالنهر من الطرفين وفى داخله الديار منها ما هو على ثلاث طبقات ومنها ما هو على أربع فى شوارع مستقيمة متقاطعة بطرق اخرى منتظمة تنتهى الى النهر المذكور بأبواب صغيرة مفتوحة فى السور المبنى على طوله كلها متخذة من معدن النحاس لكل شارع من الشوارع القاطعة للشوارع الاصلية باب مخصوص والسور البرانى هو للمدينة حصن حصين على ان السور الجوانى ايضا متين غير انه دونه فى الاتساع ومركز كل من الخطتين المذكورتين ظاهر ممتاز (احدهما) بوجود قصر الملك فيه حيث يظهر للناظر بما يحيط به من سور عظيم

وحائط قوى متين (والثانى) يتبين لعين الرائى بتشييد هيكل جسيم لمعبودهم المسمى عندهم باسم (بعل) وأبوابه مصطنعة من النحاس الاحمر قال المؤرخ اليونانى المذكور ولم يزل هذا المعبد قائما على جدرانه لغاية الآن (انتهى نص عبارة هيرودوت)

ثم قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أعلاه بعد ذلك ما معناه ان سور مدينة بابل الكبير يشتمل بمقاس العالم الفرانساوى المشهور باسم (اوبير) على مسافة تبلغ خمسمائة كيلومتر (والكيلومتر عبارة عن ألف متر) مربع يعنى مقدارا من الارض يساوى جميع مساحة مديرية نهر السين ببلاد فرانسة اى بقدر أضعاف مسطح مدينة باريس على الحالة التى كانت عليها فى سنة ١٨٥٩ الميلادية خمس عشرة مرة و بقدرها سبع مرات على الحالة التى هى عليها الآن وأما السور الصغير فهو أضيق من الاول يشتمل على مسافة مائتين وثمان وتسعين كيلومترا مربعا اعنى على أكثر من مسطح مدينة لوندره بكثير

ولا يسوغ ان يقال ان هذين السورين كانا حصنين لمدينة كبيرة عتيقة بل هما عبارة عن معسكر حصين متسع جدا فان مسافة الارض المشمولة فى داخل السور الثانى فضلا عن الاول لم تكن كلها معمورة بأماكن السكان الاهلية وقد نص المؤرخ اللاطينى المعروف باسم كنتكورس) فى تاريخه على ان محيط الدائرة الكائن عليها الديار المعمورة بمدينة بابل المذكورة قد كانت تسعين شوطا لا غير وباقيها كان ارضا منزرعة على وجه بحيث تكفى الثمرة الحاصلة منها لمؤنة القوم المحصورين فيها وتمنع عنهم ضرورة الوقوع فى غائلة المجاعة لمدة عديدة من الزمن كما ان السور البرانى لبلاغة سعته يمنع هذه القلعة من غائلة الاخذ والاحاطة بها والتضييق عليها وقد كان بختنصر شيد قصره فيها على مقادير بليغة جدا وانشأ وزرع فى داخل سوره على ذات شاطئ الفرات البساتين المعلقة المشهورة كأنها جبال صناعية كبيرة لتتنزه فيها امرأته المسماة باسم (آميتيس) وقد كانت ميدية الاصل لقصد ان تتذكر بها المناظر الخلوية المعهودة لها فى بلادها الاصلية وهى عبارة عن طبقات مدرجة بعضها فوق بعض من قبيل ما يوجد فى عصرنا هذا بالجزيرة المسماة باسم (ايزولا بيله يعنى الجزيرة الجميلة) فى البحيرة المعروفة بالبحيرة الكبرى (بولاية سردينيا من بلاد ايطاليا) ومن تحتها اسفل عظيم يحملها وقد اصطنع فيه مغائر متسعة تحت كل طبقة منزرعة من السفل المذكور واسس فى تلك المدينة ايضا عدة هيا كل اهلية عديدة وجملة معابد دينية مشيدة واصلح شأن الهرم القديم الذى كان محل اقامة كاهن معبودهم المدعو باسم (بعل) السالف الذكر و بنى ما كان يدعى عندهم بما معناه (برج اللغات) الذى كان يوجد بالناحية المسماة (بورسيبة) احدى ضواحى مدينة بابل فى تلك الاوقات ولم يقتصر بختنصر على تحلية مدينة مملكته هذه كما كان يعبر عنها بذلك حسبما عثر عليه فى آثاره الأثورة وتزيين

سائر المدن الاخرى الداخلة تحت سلطنته بل كان قد التفت ايضا الوسائل تخصيب اراضى بلاد البابلية وتوسيع دائرة المعاملات التجارية فاجرى العمارة اللازمة للخليج السلطانى الشهير الذى كان قد انشأه الملك (هامورابى) قبل ذلك العصر بالف وثلاثمائة سنة وكان قد انسد بمرور الدهر وكاد ان يزول منه الاثر فاعاده بختنصر واصلح شأنه حتى عد اهل التاريخ هذه العمارة كانها انشاء جديد وتأسيس حقيقى مفيد وحفر بركة عظيمة عند اسفل الناحية المسماة باسم (سيبارة) لقصد ان تكون حوضا تجتمع فيه المياه اللازمة لرى ارض المزارع بذلك السهل واحدث فرضة بحرية فى الخليج الفارسى عند مصب الدجلة والفرات بمدينة (تير يدرن) (وهى ثغر بلاد كلدة على ساحل الخليج الفارسى وقد كانت قاعدة تلك البلاد فى ذلك العصر) وبذلك تم تأسيس مادة السفر فى البحر

مطلب — ذكر مااعترى بختنصر من داء الجنون وما حصل له من الغرور والفتون وحيث كان الحال كما توضح اعلاه فقد ثبت ان بختنصر قد كان ملكا كبيرا وسلطانا خطيرا غير انه كان قد غلب عليه الكبر فاضاعه واستولى عليه الجبر فاتلف احواله واوضاعه فاغتر بنفسه وافتتن وآل به الغرور والفتون حتى اعتراه الجنون كما قد يحصل كثيرا لامثاله من ذوى القرائح الكبيرة اذا اغتروا بما حصل لهم من السعادة الكثيرة وتخيل له انه آله يستحق العبادة فصنع لنفسه تمثالا من الذهب وامر سائر الناس بانهم يسجدون له ويعبدونه قال فى التوراة ولما ابى ثلاثة فتيان من العبرانيين ان يمتثلوا هذا الامر كان قد امر بختنصر بالقائهم فى النار فلم تؤثر فيهم وانجاهم الله سبحانه وتعالى منها ولما شاهد بختنصر هذه الكرامة اذعن لآله بنى اسرائيل غير انه لم يزل الكبر غالبا عليه ولذلك اوقع الله به العذاب المهول واصاب هذا الملك الجليل بارذل جنون رذيل حتى آلت به حالة الاختبال الى انه صار يألف الاعتزال عن الناس ويهيم فى الاودية كالبهائم ويروم ان يتغذى مثلها من الاعشاب التى تنبت فى البوادى حتى صار بدنه بشيع المنظر لداعى اهماله من التعهد بالنظافة والاغتسال والتعريض على الدوام لتغيرات الحوادث الجوية ومكث على تلك الحال مدة سبعة شهور ثم افاق ورجع للاشتغال بتدبير امور المملكة بالثانى وبعد ذلك بقليل مات (فى سنة ٥٦١ ق م) بعد ان اقام على سرير الملك مدة ثلاثة واربعين سنة وكان كما قيل قد اخبر هو من قبل بزوال السلطنة البابلية

مطلب ذكر سرعة انحطاط السلطنة البابلية وعجلة زوال الدولة الكلدانية قال المؤلف فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان ولم يكن يلزم لمن يتأمل فى الاحوال الواقعة فى تلك الاعصار ان يكون قد أوتى منحة من النبوة كبيرة لاجل ان يعرف ان سلطنة بابل هذه التى كانت قد بلغت بتلك الاقطار الى اعلى درجة من الابهة والفخار كانت قد تداركت

من الزوال والدمار وان ما كانت قد بلغته من اعلى درجة الشوكة فى مدة يسيرة لابد وانه سينقض منه الجدار فى مدة أسرع من مدة نشأتها بل يكفى لمعرفة ذلك مجرد عقل ذى قريحة ثاقبة ونفس باعقاب الامور متبصرة وذلك ان السلطنة المذكورة لم تكن مؤسسة فى حدذاتها على اساسات قوية ولم تستقر على اصول متينة على وجه بحيث تستمر بل كان هذا التمثال العظيم انما هو قائم على قدمين من طفل بمعنى انه سريع العطب كما فى تأويل الرؤيا المنامية التى كان قد رآها بعض ملوك بابل وكان قد أولها له النبى دانيال بهذا المعنى (حسبما سبق بذلك فى موضعه توضيح هذا المجال) ولم يكن فى الامة البابلية الشهامة الجهادية والهمة الجندية الكافية لحفظ ما تيسر لها من السلطنة القوية على اقوام عديدين وامم فى الجنس متنوعين كما اتفق للاسوريين حيث حفظوا دولتهم وابقوا سلطنتهم مدة عدة قرون من الزمن ولذلك كان بمجرد وفاة بختنصر قد انتشر الخبر بمدينة بابل على الفور بأن امة جديدة ذات بطش ووطأ شديدة ستسطو على دولتهم وانها قلعت دولة الميديين مع ان تلك الامة المستجدة قد كانت لها من التابعين وهم القوم المدعون بفارس كما كانوا يدعونهم فى تلك الاعصار وكانوا قد برزوا من خلال جبالهم الوعرة لشن الغارة على سائر الاقطار تحت قيادة ملك ناشئ من أعظم ملوكهم شهامة واعلاهم همة (وهو الملك كيرش اى قيروس) وكان بمجرد ظهور مبادى امره فى الوقايع الحربية قد انتشر صيته وامتدت شهرته فى سائر الانام وعد من جملة قواد الجيوش العظام وكان انبياء بنى اسرائيل قد انبأوا من منذ زمن طويل بغاية الجهر والاعلان بأن مدينة بابل العظيمة الشأن ستقع عن قريب فى مثل ماوقعت فيه مدينة اورشليم من السوء والخذلان

مطلب — ذكر من خلف بختنصر على كرسى مملكة بابل من الملوك فى ذلك العصر

(من سنة ٥٦١ الى سنة ٥٥٥ ق م) ولما توفى بختنصر كان قد خلفه على كرسى مملكة بابل ولده المدعو باسم (ايويلمروداش) (بألف ممالة على ياء مثناة تحتية ساكنة فواو مكسورة فياء مثناة تحتية فلام ساكنتين فميم فياء مثناة ساكنة فراء مهملة فواو فدال مهملة فألف فشين معجمة فى آخره) وكان هذا الملك الاخير قد اشتهر كما ذكر فى التوراة بأنه قد جاء من مكارم الاخلاق الانسانية بفعلة فى غاية الحسن وذلك انه بمجرد ان صعد على سرير الملك أمر بالملك (يخنيو) ملك يهودا فأخرج من السجن وكان قد مكث يقاسى سلاسل الاسر مدة سبع وثلاثين سنة ورفع مقامه فوق سائر أهل دولته وقلده بمنصب أعلى من مناصب سائر الملوك الذين كانوا مقيدين فى سلاسل الاسر بقاعدة مملكته وصار يؤاكله على خوانه ورتب له مايلزم لمعاشه على طرف خزينته غير انه فى سائر مدة حكمه لم يأت بما يوافق ماوقع منه فى اول أمره من هذا الفعل الجميل وقد قتله صهر له يدعى باسم (نيريجليصور) (بنون

موحدة فوقية يليها ياء مثناة تحتية ساكنة فراء مكسورة فياء مثناة تحتية فجيم معجمة ساكنتين فلام فياء مثناة تحتية فصاد مهملة فواو فراء مهملة فى آخره) وهو زوج بنت بختنصر وكان ذلك (فى سنة ٥٥٩ ق م) واستولى على سرير ملكه بدلا عنه ولكنه لم يمكث عليه غير أربع سنوات فقط وهلك هو كذلك فى واقعة حربية وقعت بينه وبين الملك (كيرش او قيروس) ملك فارس اذ كان قد توجه بجنوده اليه وأراد ان ينازعه مملكة بلاد الميدية التى كان قد انتزعها من يد السلطنة العراقية

مطلب — ذكر الملك نابونيد (من سنة ٥٥٥ الى سنة ٥٣٣ ق م) —

وكان الذى خلف الملك نيرجليصير المذكور على كرسى مملكة بابل طفل له صغير لم يمكث على سرير الملك غير بعض شهور وذلك ان رؤساء امناء الديانة الكلدانية وقد كانوا هم أرباب الخرقة القسيسية والطائفة الدينية السياسية المتحكمة بدولة بابل العراقية فى تلك الحقبة العصرية لما تلاحظ لهم ما يوجد فى أخلاق هذا الطفل من تباشير الرذائل والانطباع على الجبر والقساوة من صغر سنه قاموا عليه فخلعوه وعزلوه عن سرير الملك ونزعوه وولوا واحدا منهم بدلا عنه يقال له (نابونيد) (فى سنة ٥٥٥ ق م) فاستولى على سرير الملك واستقر عليه مدة السبع عشرة سنة الاخيرة من مدة السلطنة البابلية الشهيرة وكانت أوائل مدة سلطنته آمنة مطمئنة ومبادى أمره قارّة سارّة لداعى ان الملك كيرش ملك فارس كان مشتغل البال بافتتاح ممالك اخرى غير مملكة بابل هذه فلما خلا بال ملك العجم المذكور من غزواته وكان قد استولى على سائر بلاد آسية ما عدا مملكة العراق المذكورة توجه اليها وشنّ الغارة عليها (فى سنة ٥٣٨ ق م) بجنود من القوم الفارسيين والميديين معلما بأنه عازم على ان يضم مملكة كلدة الى ممالك سلطنته المتعددة

مطلب —— ذكر سقوط الدولة البابلية وزوال السلطنة العراقية بالكلية (فى سنة ٥٣٣ ق م) — وكان الملك نابونيد هذا قد بادر بملاقاة الملك كيرش فدارت الدائرة عليه وانهزم هزيمة تامة حتى اضطر للنجاة بنفسه وفرّ من امامه متبوعا ببعد يسير من جنوده وخدامه والتجأ الى قلعة بورسيبة وحصر نفسه فيها وترك بختنصر حتى وصل الى بابل ووضع الحصار عليها وكانت تلك المدينة يوجد فيها من الذخائر والمؤنة ما يكفيهم لمدة عدة سنوات ولم يتيسر لذات القوم المحاصرين لها فلم يكترثوا بهم ولم يبالوا بخطبهم ولكن كان قد جاء الوقت المحتوم بالتقادير الازلية للانتقام من تلك المدينة الكلدانية وكان الملك كيرش من عهد قريب قد جفف النهر المسمى باسم (لوجانديس) بواسطة فتح خلجان فيه وهو أحد الغدران الممدة للدجلة فعزم على ان يفعل مثل ذلك بنهر الفرات و يدخل بجنوده فى مدينة بابل من مجرى النهر المذكور فعمل عليه قناطر تتصرف

بها مياهه الى البحيرة الصناعية التى كانت الملكة نيتوكريس قد حفرتها هنالك كما أسلفنا ذكر ذلك و بهذه الوسيلة تيسر لجنوده ان يسيروا فى مجرى النهر حيث صار الماء لا يبلغ الا الى ما فوق سيقانهم فقط وتوسطوا فيما بين خطتيها وكان يمكن لسكانها ان يأخذوهم ويقبضوا عليهم كما يأخذ الصياد غنيمته فى حبالة مصيدته بأن يغلقوا عليهم أبواب أرصفتهم المصطنعة من النحاس التى سلف ذكرها و يقذفوا عليهم بآلات الحرب من أعلى أسوار مدينتهم ولكن كان أهل المدينة فى اشتغال باتخاذ موسم لهم فغفلوا عنهم وتركوهم حتى تمكنوا من وسط حاضرتهم قبل ان يشيع الخبر بهذا الامر فى باقى حاراتها العديدة وكان الملك نابونيد قبل ان ينحاز الى قلعة بورسيبة قد ترك فى مدينة بابل ولده المدعو باسم (بلطازار) اذ كان قد عهد اليه بالملك وأشركه معه فى كرسى المملكة العراقية ولاشك فى ان ما ذكر فى سفر النبى دانيال بالتوراة من الوصف العجيب والذكر الآخذ بمجامع القلوب فيما يتعلق بمجلس الفواحش الذى كان بلطازار قد انهمك فيه واعتكف عليه قد كان فى جوف ليلة هذا الموسم اعنى فى ذات الليلة التى كان كيرس قد فجأ بجنوده الفارسيين والميديين مدينة بابل هذه ودخلها على حين غفلة من أهلها واتفق ان أحد قواد عسكر العجم المسمى باسم (دارا) الميدى المأمور من طرف الملك الفارسى بقيادة هذه الغارة الليلية على قاعدة السلطنة البابلية قتل بلطازار بيده فكافأه مولاه بان قلده بالولاية على ستراتبية بابل (اى ولاية الستراب بمعنى الوالى او العامل) وكان الملك نابونيد قد سلم نفسه بصفة الاسير للملك فارس المذكور و بذلك زالت دولة العراق بالطريقة القطعية وانمحت بالكلية والجزئية من خريطة الكرة الارضية ولحقتها الى هاوية الزوال ذات مدينة بابل هذه بعد قليل من القرون الزمنية

الفصل السادس

فى كيفية ما كانت عليه بلاد الاسورية والبابلية من الدرجة التمدنية والحالة العمرانية فى سالف الاحقاب العصريه

مطلب — بيان كيفية المراتب الاساسية والمناصب السياسية التى كانت عليها الدولة الملوكية الاسورية الكلدانية فى سالف الاحقاب العصرية قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السابق الذكر والبيان اعلاه فى هذا الشأن ما تعريبه بغاية الضبط والتحرى على قدر الامكان كالمسطر ادناه وقد كانت الدولة الملوكية الكلدانية الاسورية فى تلك الاحقاب العصرية يتحقق فيها نوع ولاية الامر العامة التى حدثت فيما بعد باثر الدول السلطانية الحادثة

فى بلاد اسية وسائر الدول المشرقية كدول الخلفاء الاسلامية ودول فارس الكيانية والساسانية وهو عين نوع الحكومة التى عليها ترتيب الدولة العثمانية بالقسطنطينية والدولة الروسية الموجودتين فى عصرنا هذا وذلك عبارة عن أقبح جحد لتقدم الحرية البشرية وارذل فقد لمكارم الاخلاق التمدنيه فكان ترتيب دولتهم من قبيل الحكومة الاطلاق مايكون من غير ضابط يضبطها ولا قانون يربطها بوجه من الوجوه مطلقا غير ما كان يعتريها فى بعض الاحيان من ثوران بعض فتن داخلية مشتملة على سفك الدماء الغزيرة التى كانت تحصل فى داخل قصورهم الملوكية

ومع ذلك فلم يكن الملك فى بلاد كلدة والاسورية معتبرا فى درجة الالوهية كما كان الحال كذلك بالديار المصرية ولم نعثر فى ضمن الآثار القديمة التى حصل عليها العثور لغاية الآن من اطلال مدينة نينوى والمدن التى كانت مجاورة لها على اثر ولا عمارة تدل على ان من ملوك العراق السالفين من كان يحترم على انه اله معبود فى مدة حياته كما وجد ذلك فى آثار العمارات الفرعونية بل لا يوجد فيها ادنى شائبة ولا اثر مطلقا يدل على تأليه أحد منهم من بعد وفاته وكان الملك يعتبر عندهم دائما كفرد من البشر غير ان ذلك البشر كان بيده مجموع النفوذ الروحانى والبدنى معا بمعنى انه كان مسلطا على الارواح والابدان وبعبارة أخرى كان له الولاية المطلقة العليا واليد التصرفية القصوى على سائر الرعايا من حيث السياسة والاديان وكان هو الحبر الاعظم والسلطان الاطلاق وكانوا يلقبونه بلقب خليفة الالهة على الارض ويرون ولايته صادرة عن اصل آلهى فهى ولاية عامة مطلقة تشمل الارواح والاشباح وقد دلت النقوش والتصاوير التى حصل عليها الثور فى ضمن العمارات والقصور الباقية من آثار مدينتى نينوى وبابل على حقيقة كيفية المعيشة التى كانت عليها طريقة ترتيب الدولة النينوية والبابلية فى تلك الاعصار الاولية اذ يوجد على تلك العمارات والتصاوير من النقوش والتماثيل ما يدل تارة على هذا الغرض المذكور وتارة على صورة ما كان يحصل من الغزوات والحروب التى كانت تقع من بعض الملوك لقصد امتداد فتوحاتهم حيث كانت لا تزال تتسع بها الممالكة العراقية وترى صورة ملك الملوك منهم جالسا فى داخل قصره والقصر مع ذلك قلعة حصينة وحوله جم غفير وقوم كثير من رجال دولته واعلاهم منصبا طائفة طواشيته ومن أرقى أرباب وظائف ديوان الدائرة الملوكية ناظر سرايته وكبير سقاة الملك ورئيس الحرس السلطانى وكان من وظائف هذا الامير الاخير أيضا رياسة مشيخة البلد وادارة اعمال شنق المشنوقين وكان ارباب وظائف السراية الملوكية مع كونهم تحت ادارة الذات السلطانية بطريق المباشرة اى من غير واسطة وفى خدمته الخاصة هم أيضا أعيان رجال دولته ورؤساء حكومته وأرباب مشورته ينعقد منهم مثل مجلس شورى الوزراء الذى

ينعقد

ينعقد الآن فى الممالك العصرية (وهو المعبر عنه بالمجلس الخصوصى فى الديار المصرية) عبارة عن مجلس عال ينعقد من اكابر اعيان ارباب الدولة لقصد ادارة مهام المملكة تحت عالى رياسة الملك وان كان هو فى اغلب الاحيان معتكفا فى داخل حريم سرايته منهمكا على لذته مشتغلا بقضاء شهوته عن النظر فى المصالح العامة

مطلب — بيان كيفية تقليد الولاة على الاقاليم المفتتحة من طرف الدولة الكلدانيه الاسورية فى تلك الاحقاب العصرية — وقد كانت الاقاليم العديدة والولايات المديدة التى كانت قد افتتحتها الدولة الاسورية الكلدانية وجعلتها تابعة لولايتها السلطانية على ضربين (احدهما) ما كان يولى عليه عمال من طرف الملك بطريق المباشرة (والثانى) ما كان يلحق بالسلطنة العراقية بمجرد التبعية فقط فاما الضرب الثانى فكان متى فتح الاقليم توضع عليه يد السلطنة الاسورية العظمى ويقر على ما كان عليه فى سالف الاعصار من ترتيب كيفية ولايته وقوانينه الاهلية الثابتة فيه بالروايات الاثرية مع بعض تغيير وتبديل قد يحصل من لدن الحضرة السلطانية الكبرى ويقر بيت ملكه على ولايته والاصلية غير انه يلتزم بالاذعان والتبعية لملك الملوك الاعلى على انه سيده ومولاه ويجبر على ان يؤدى اليه فى كل سنة من المال اتاوة جسيمة ويبعث له حصة عظيمة من الجنود تنضم للعساكر السلطانية العراقية وقد كان من النوادر جدا ان يجرد ملك الاسورية بعض الاقاليم المذعنة بالطاعة اليه على أنها بالتبعية له من ولاتها الخصوصية ويبعث عليها عاملا من مدينة نينوى بطريق المباشرة من طرفه ولا يقع ذلك الا اذا تكرر من ذلك الاقليم الخروج عن الطاعة السلطانية والمجاهرة بالعداوة والعصيان للدولة الاسورية الكلدانيه

مطلب — بيان كيفية ترتيب الطبقات الاهلية وتركيب الجمعية البشرية ببلاد الاسورية — لم يكن يوجد ببلاد الاسورية فى سالف الاعصار لا طبقات اهلية متميزة بعضها فوق بعض ولا درجات متباينة بالدقة ولا طائفة سيادية وراثية مستقرة على وجه ثابت بل كان سائر الناس على قدم المساواة بعضهم لبعض فى هيئة الاجتماع البشرية اعنى تلك المساواة التى كانت تقتضيها وتريدها وترغب فيها وتقرها طبيعة نوع الحكومة الملوكية المطلقة التصرف فى سائر الامور لداعى انها هى التى يسهل لها ان تنفذ حكمها عليها وتطمئن اليها وهى عبارة عن كون سطح التسوية بين جميع الطوائف الاهلية تضغط عليه وطأة قدم السلطنة ذات الشوكة القوية التى يحصل الحرص عليها من لدن قوة النفوذ السلطانية على سائر رقاب الرعية بحيث لا يكون بينهم تمييز البتة اللهم الا باختلاف الدرجات الناشئ عن الترقية الى بعض المناصب العلية والمراتب الاولية التى يترقى اليها بعض الرجال بمجرد ارادة ولى الامر كما يريده ويرضاه وليس فوق يده يد عليا للتفتيش عليها وفى أغلب الاحوال

يكون ذلك الترقى لامبنيا على بواعث فضل واستحقاق بل لمجرد قضاء شهوة المولى وهواه لاغير حتى انه لم يوجد فى بلاد الاسوريين بتلك الاعصار تمييز ثابت مستمر ولا فرق ظاهر مستقر بين القوم الاسوريين والرعايا المغلوبين من اهل البلاد التى افتتحوها وتغلبوا عليها وتملكوها فكان الملك فى اغلب الاحيان ينصب بارادته بعض الرعايا الاجنبيين فى اعلى مناصب دولته ولم تكن المناصب العلية التى يناط اليها النظر فى اهم المصالح السلطانية العمومية ينصب فيها دائما بالخصوص من اعيان الاهالى الاسورية الاصلية

مطلب — الكلام على ما كان للاسوريين فى الاعصار القديمة من الشرائع والقوانين — لم يذكر فى كتب التواريخ المأثورة عن مؤرخى السلف المعتمد عليهم فى المدارس الاوروبية من الفوائد التفصيلية والمعلومات البيانية فيما يتعلق بمادة الشرائع والقوانين الاسورية كما نقلوا لنا فيما يتعلق من هذا القبيل عن أحوال الديار المصرية وغاية ما نعلم فى هذا المقام هو ان كيفية القضاء فى المواد الجنائية قد كانت تحصل عندهم بالطريقة الفورية أى السريعة بمعنى انهم كانوا يقضون على المتهم بمجرد ثبوت الدعوى عليه فى مجلس القضاء بالطريقة الشفاهية وقد كانت شرائعهم فى هذه المادة شديدة جدا وعقوباتهم بشعة للغاية وانهم كانوا يستعملون طرق التعذيب لاجل الحصول على اقرار المتهمين بالاجبار وان الحكم بالموت على المذنبين لا يصدر غالبا الا مسبوقا بالتفنن فى أنواع العذاب وتقليب المصاب على أصناف العقاب مما لا يعرف نظيره فى الديار المصرية وقد كان مجرد قطع رأس الآدمى من غير تمثيل به ولا تعذيب بالبلاد الاسورية فى تلك الحقبة العصرية مما يعد من الاحوال النزرية ويعتبر من أنواع القتل اللطيفة وهيئات الموت الغير العنيفة وكانوا فى أكثر الاحوال تارة يصلبون المذنبين ويمثلون بهم وتارة يخوزقونهم وطورا يسلخونهم وهم على قيد الحياة ولا يدفنون رمم الموتى المعاقبين بل يلقونهم فى البادية فتأكلهم أنياب السباع المستوحشة وتفترسهم الحيوانات المفترسة وكان من المعتاد لهم كثيرا أن يعاقبوا على الذنوب الصغيرة التى لا تستحق القتل بقطع عضو او عدة أعضاء من البدن وكثيرا ما كانوا كذلك يجازون بفقأ البصر

مطلب — ذكر طباع الاسوريين — قد كان الاسوريون فى سالف الاعصار بالاصالة هم من الرجال الغلاظ الشداد والابطال اولى الحرب والجلاد ولقد صدق بعض الصدق ووافق قوله بعض الحق من عبر عنهم بقوله انهم كانوا رومانى بلاد آسية القديمة وقد اتضح لنا بدليل ما نشاهده من تصاويرهم وتماثيلهم المصورة فى عماراتهم العظيمة انهم كانوا اناسا قصار القامة غلاظ الجسم شداد القوة اولى اعصاب تدل على انهم كانوا منطوين على قوة عصبية خارقة للعادة انوفهم صلبة محدودبة وعيونهم متسعة وفى تقاطيع وجوههم ما يشتمل

على أظهر العلامات المميزة لذوات نوع الرتبة الاهلية البشرية المعروفة بالسامية هذا فيما يتعلق بصفاتهم الحسية وهيآتهم الجسمية واما من حيث طباعهم العقلية واخلاقهم الباطنية فانهم كانوا على حسبما عهد فيهم من الفضائل والرذائل الاخلاقية جامعين لاتم مايكون عليه اعظم امة فاتحة للممالك ببلاد آسية فقد كانوا رجالا اهل جراءة واقدام على الحرب وقوما جبارين اهل قساوة للغاية يعشقون سفك الدماء ويحبون السلب والنهب اشد الحب وكانوا يبذلون نفوسهم مع غاية الحماس فى الصداقة لملوكهم ممتلئين من الكبر الذى لم يعهد له نظير ولا قياس فى امة من الامم السالفين وكانوا يزعمون انهم فوق جميع الملل المتقدمين ولهم صبر على الحرمان من الملاذ الدنيوية وفيهم ميل للخداع والخيانة واشد الطباع الغريزية المائلة لحب السلطنة وكانوا قوما أهل نشاط وشهامة ورجالا أهل جلادة ومواظبة ولداعى اجتماع جميع هذه الصفات فيهم كانوا هم احدى الملل التى خلقها الله سبحانه وتعالى بتدابيره الازلية واعدها بتقاديره الالهية لقصد ان تستولى على غيرها من الامم الآخرين مدة مامن الاحقاب الدهرية ولاجل ان يجعلها آلة عقاب لمن يستحق منهم سوء العذاب

وقد بلغت درجة خشونتهم وشدة نشاطهم وحركتهم لغاية انهم قاوموا مدة عدة قرون كاملة ما كان حاصلا عليهم من تأثير التنعم والرفاهية التى كانت قد غلبت عليهم من بعدما كان قد تحصل لهم من كثرة الغنى والثروة من سائر اقطار الدنيا باستيلائهم على الممالك الكثيرة والفتوحات الغير المحصورة وتيسر لهم من بعد سقطة الملك سردانابال انهم فى مسافة ثلاثين سنة قاموا من سقطتهم وعادوا لما كانوا عليه من شدة وطأتهم وعلو درجة صولتهم وشوكتهم واستمروا على فتوح البلدان أكثر مما كانوا عليه فى سالف الزمان ولم يتيسر لغيرهم من الامم الآسيين انهم استمروا على حفظ درجة أعلويتهم الجهادية مدة مديدة واعصارا عديدة كما تيسر لهم مع كون الامم الذين كانوا قد أطاعوهم بالقوة القهرية كانوا أقواما اولى عصبية شديدة ومقاومة عنيدة وكانوا هم ذاتهم محاطين بأعداء من أشد مايكون

مطلب ــ ذكر ما كان للاسوريين فى تلك الاعصار السابقة من درجة الفلاحة والصناعة الفائقة ــ قد كانت أرض بلاد الاسورية فى سالف الزمان ولم تزل لغاية الآن خصبة خصوبة تامة فى أى مكان أمكن جلب الماء اليه وتيسر ريه وكانوا قد تعلموا فن الفلاحة من جيرانهم البابليين الذين كانوا فى أول الامر هم أساتيذهم والقوم الاعلون عليهم ولذلك كان فن الفلاحة قد بلغ عندهم الى أقصى درجة الكمال من أعصار قديمة جدا فى سائر بلاد الجزيرة الفراتية سواء كان ببلاد كلدة أو ببلاد الاسورية وكانت طرقهم الزراعية مؤسسة على أقوى الاصول العلمية أعنى على أساليب علمية وتجاريب فعلية تصعد الى أقصى

الازمان السالفة مع كونها مبنية على قواعد من العلم مستندة للادلة العقلية ولم يكن يلحق الاسوريين والبابليين فى فن الفلاحة أمة من الامم السالفين ولم يفقهم فى كثير من الاعمال الزراعية أحد من الامم المتأخرين وكما كانت الزراعة عندهاتين الملتين فى أعلى درجة من الكمال فكذلك كانت الصنايع عندهم على تلك الحال فكان يخرج من معامل مدينتى نينوى وبابل فى تلك الاعصار الغابرة من الاقمشة المصبوغة بالالوان الزاهية اوالمطرزة والامتعة النفيسة والمصنوعات المتقنة من مخلوط المعادن الثلاثة التى هى النحاس والقصدير والخارصينى آوالتوتية المعدنية المسمى مجموع ذلك بالتوج ومواد من المصاغات التى عليها نقوش بغاية الدقة والظرافة ومن الاوانى المتخذة من الفخار المطلى مايرغب فيه الراغبون ويجلبه الجالبون الى سائر بلاد الامم المتقدمين وقد كان لمدينة بابل تجارة ذات حركة نشيطة فى البحر مع بلاد الهند وفى البر مع بلاد فارس والسوس ولمدينة نينوى قوافل تسافر الى بلاد الفنيقيين وآسية الصغرى و بلاد الارمن والميديين

مطلب — ذكر القلم السنانى والخط السريانى — قد كان الخط الاسورى اوالسريانى المعبر عنه عند علماء الافرنج المتأخرين بالقلم السنانى هو فى الاصل من قبيل الخط الهيوريجليفى والقلم المصرى القديم أعنى مركبا من حروف هى تماثيل الاشياء المحسوسة وصور المواد المكتوبة ثم بمقتضى الميل الطبيعى حصل فى تصوير الاشياء على هذا الوجه تبديل شديد وتحويل آخر جديد واحوجت ضرورة الاختصار الى استبدال تصوير الشئ المكتوب على صورته الاصلية بتصوير بعض خواص مميزة له عن غيره وهى وان كانت ليست بصورته الحقيقية غيرانها تدل على بعض صفات ظاهرية هى أخص خواصه الطبيعية ومن ثم نشأت صورة الكتابة السريانية المعبر عنها بالطريقة الكتابية السنانية وصفتها المميزة لها عن غيرها هى ان جميع الاشكال التى تتركب منها على أى هيئة كانت هى عبارة عن حروف ترجع بالاختيار أوبالجبر الى كونها تنتهى بما هواشبه بسنان الرمح أوالمسمار ولذلك تعبر عنها بالكتابة السنانية ولم تكن هيئة هذه الطريقة فى أول الامر الاناشئة عن كيفية رسم الخط وذلك ان الاسوريين والبابليين لم يكونوا يكتبون علامات كتابتهم هذه لا بالقلم الواسطى على كاغد كالمعهود عند أهل المشرق لغاية الآن ولا بقلم الرسم على ورق البردى ولا على جلود مدبوغة مجهزة لهذا القصد أوعلى خرق من القماش ولا بسن قلم النقش الجاف على ألواح من الخشب أوخوص النخيل أوقشور الاشجار بل كانوا لداعى عدم تيسر هذه الوسائل لهم بالسهولة يرسمون حروفهم مفرغة فى ألواح من الطفل الطرى ثم يحرقونها بالنار اذا أرادوا ابقاءها وحفظها على ممر الاعصار وكانت آلة كتابتهم قلما على شكل المثلث يتخذونه من الحديد لهذا العمل حصل العثور على عدة افراد عديدة منه فى اطلال مدينة نينوى فكان تصوير شكل

خطهم على تلك الصورة الغريبة أعنى صورة المسمار هذه ناتجاعن تأثير خط هذا القلم فى مجسم الطفل وترتسم صورة المسمار فيه بواسطة الطرق عليه طرقتين بقلم النقش المذكور ولاشك ان الرسم على الحجر بمثل هذا العمل كان اسهل لهم واسرع من تصوير تماثيل الاشياء المكتوبة بتمامها عليه ولذلك عدلوا عن هذه الطريقة الاولية الى تلك الطريقة السهلة قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروى عنه اعلاه وجميع الصحف التى تيسر لنا الحصول عليها من بقايا الكتب السريانية القديمة الحقيقية هى ناتجة عن اعمال الحفر التى حصلت فى اوائل هذا القرن الحاضر بمعرفة المعلم (ليار) الفرانساوى السالف الذكر واصلها من الكتبخانة العمومية التى كان قد انشأها الملك آسور بانيبال فى قاعة من قصره بمدينة نينوى فى ذلك العصر ولقد كانت تلك القاعة دار كتب عجيبة وكتبخانة غريبة وهى عبارة عن مجرد الواح مسطحة مربعة من الآجر كتب على كل من وجهيها بالقلم السنانى القديم ونوع الخط السريانى الدقيق المصموم (المعروف فى اصطلاح اهل الخط بقلم الرقعة) صحيفة من الكتابة مرسومة على أصل الطفل وهو بحالة الطراوة بعد وقد وضع بأعلاها رقم يدل على انها صفحة من كتاب يتركب مجموعه من جملة صفحات كلها من هذا القبيل ولاشك انها قد كانت فى الاصل مرصوصة بعضها فوق بعض على هيئة الكتاب موضوعة فى خانة من دولاب الكتبخانه المذكوره

مطلب — ذكر ديانة الاسوريين وعقائد اهل العراق السالفين — وقد كانت ديانة الاسوريين والبابليين هى اصل منشأ أغلب المذاهب الدينية التى كان عليها سكان بلاد الشام وبلاد آسية الصغرى السالفين وكان دينهم من حيث أصوله الاساسية وقواعده الاصلية العمومية من قبيل دين قدماء المصريين وسائر أديان أهل الجاهلية الصابئين وعبدة الاصنام من الامم السالفين على العموم وذلك انه متى أمعن الناظر فيه نظره وحقق بصره الى ماوراء القشرة الخشنة الغليظة أعنى مادة تعدد الآلهة المعبودين لهم التى كانوا يحجبون بها مصون عقائدهم عن أعين العامة منهم وصعد الى مرتبة من العقائد الدينية الحقيقية أعلى من تلك الاوهام العامية التى هى لتلك العقائد الاصلية وسائل ابتدائية وأوائل توسلية اتضح له فى ضمنها ادراك معنى أصلى دقيق من اصل الوحدانية الالهية وانه كان لهم حظ من عقيدة التوحيد الاصلية التى هى من آثار الوحى السابق غير انها كانت قد تشوهت على مرور الازمان بما كان قد تداخل فى اذهان هؤلاء الامم من التخيلات الشنيعة والاوهام البشيعة فى ميدان تعدد الآلهة المعبودين حيث خلطوا المخلوق بالخالق وتصوروا الذات المعبودة فى صورة مادة دنيوية آلهية جعلوا الحوادث الطبيعية هى مظاهرها وتوهموا ان الآثار الاعتيادية هى مآثرها فكانوا يعتقدون انه يوجد اله واحد اسمى وذات معبود

أعلى هو السبب الاعظم والكل الاقصى تنتهى اليه سائر الاشياء الاخرى وتشتمل فيه اشتمال الكل على الاجزاء ودونه عدة آلهة ثانوية سفلى وجملة ذوات معبودة دنيا صادرة عن الذات الآلهية العليا مرتبة فى اعتقادهم على درجات متنوعة بحسب اختلاف قدرها واهمية بعضها بالنسبة لبعض وليست فى الحقيقة الا عبارة عن صفات الذات الاعلى وهم قد شخصوها وعن مظاهرها الاثرية وهم قد خصصوها وجعلوها ذوات مستقلة وآلهة منفردة عن الذات الاصلية وأصل جميع أديان الامم الجاهليين وعبدة الاصنام الصابئين السالفين واحد وانما كانت تختلف خصوصا من حيث تنوع هؤلاء الذوات المعبودين الثانويين واختلاف ماهياتهم الذاتية فى تخيل هؤلاء الامم السالفين فكان المصريون كما أسلفناذكر ذلك فى موضعه قد تأثر تخيلهم خصوصا بالحوادث المتوالية المرئية لهم من حركة الشمس اليومية والسنوية فتراءى لهم فيها أعظم مظهر وأظهر أثر للذات الآلهية الاصلية وتصوروا ان فيها انموذج قوانين نظام الكون فجعلوها أصلا لتشخصات آلهتهم ومنشأ لتخصص ذوات معبوداتهم بخلاف أهل العراق السالفين أعنى الكلدانيين والاسوريين المذكورين فانهم لما كانوا قد انهمكوا بالخصوص على الاشتغال بعلم الفلك كانوا قد تصوروا ان مجموع سائر الكواكب الفلكية ولا سيما الكواكب السيارة منها هى آثار الذات الآلهية فاعتبروها هى مآثرها الظاهرية ومتعلقاتها الاثرية وجعلوها فى طريقتهم الدينية هى الصور المرئية الصادرة عن ذات معبودهم الاصلى المطلق وكانوا يعتقدون اتحادها بالعالم المرئى الذى هو صنعتها وقد كان هذا التصور موافقا لما كانوا منهمكين عليه من دوام الاشتغال بعلمى الفلك والنجوم حيث كان هذان العلمان هما الغالبان على عقول هذه الامة وكانت خرقة القسس الكلدانيين الذين هم أمناء ديانتهم منهمكين بالخصوص على رصد أحوال السماء ومافيها من الكواكب والنجوم ومعرفة حركاتها وكانوا قد تقدموا فى هذا العلم فوق سائر العلوم تقدما كبيرا جدا وكانوا لعلم الفلك هم اول الواضعين واسبق المؤسسين واليهم ينسب اختراع دائرة فلك البروج وتقسيم الدائرة الى ٣٠٠ درجة والدرجة الى ٦٠ دقيقة وانهم اول من رصد الكواكب السيارة وحسب حوادث خسوف القمر وقد جرهم الاشتغال بعلم الفلك الى البحث فى العلوم الرياضية ولا سيما علم الاعداد وعنهم أخذ الفيلسوف اليونانى المشهور بفيثاغورس جدول الضرب المشهور باسمه فى علم الحساب لغاية الآن ولقد كانت ديانة أهل نينوى و بابل تشتمل على رذائل شنيعة ومناسك بشيعة وأمور مخالفة لمكارم الاخلاق منفرة للطباع السليمة جدا ومن ثم كان التشنيع الشديد والتقبيح بالنفس العالى الذى كان يصدر من أنبياء بنى اسرائيل على هذه الديانة الدنيئة التى كانت تقرمثل هذه القبائح الشديدة

مطلب — ذكر فنون الاسوريين وصناعاتهم ومبانيهم وعماراتهم وكيف كان فن

العمارة عندهم — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان قد مكث الناس مدة مديدة واعصارا عديدة يعتمدون على مجرد قول أهل التاريخ السالفين كالمؤرخ (اكليزياس) مثلا فيما ذكروه من انه قد كان للاسوريين فى سالف الاعصار فنون وصنايع قد اتسعت دائرتها وعمارات اتقنت صنعتها الى درجة عالية جدا ويعتقدون بمجرد دعواهم فيما حرروه من بديع وصف العمارات الفاخرة والقصور والهياكل المشيدة التى كانت فى مدينتى نينوى وبابل حتى جاءت سنة ١٨٤٤ الميلادية (سنة ١٢٦٠ هجرية) وفيها عثر بلدينا العالم النحرير والقنصل الشهير باسم (بوطه) وكان قنصل دولة فرانسا بالموصل على آثار قصر قديم لبعض الملوك الاسوريين فى مكان قرية حقيرة تدعى باسم (خورازاباد) على القرب من مدينة الموصل المذكورة وكان هو اول من استكشف شيئا من تلك الآثار المأثورة ثم حذا حذوه وقفا أثره جماعة كثيرون من اهل العناية بالبحث عن احوال الامم السالفين فاستكشفوا من هذا القبيل استكشافات كثيرة جدا حتى وقف سائر الناس الآن على حقيقة فن من العمارات لم يكونوا يعرفوا وجوده ولا قدره الا بمجرد الاعتماد على تلك الاقوال الادبية والشهادات التاريخية المشهورة ولقد علم بدليل هذه الاستكشافات ان ما كان يوجد ببلاد البابليين من العمارات الدينية كان كله على منوال واحد فانهم كانوا يبنون هياكلهم على شكل هرم مدرج يتركب من عدة سطوح عديدة مربعة وجملة طبقات مركبة من قصات بعضها فوق بعض من جميع جهاتها أعنى ان كل سطح او طبقة منها هى أضيق مما دونها على وجه بحيث ان الطبقة السفلى اعنى قاعدة الهرم كانت على اوسع مسافة من الارض والطبقة العليا وهى الرأس هى اضيقها وقد كان بناء برج بابل المشهور على هذا الوجه من قبل وكذلك كان بناء اقدم الاهرام المصرية كهرم صقارة مثلا وقد كان انشاء معابدهم على هذه الهيئة موافقا لما كان مركوزا فى اذهانهم من بناء العقائد الكلدانية خصوصا من مبادى اصلها على القواعد الفلكية وكأنهم كانوا يعتقدون انهم بهذه الوسيلة يتقربون الى الاجسام السماوية التى كانوا يعبدونها فاتخذوا هياكلهم هذه كأنها رصدخانات حقيقية لكى يرصدوا فيها حركاتها الدورية ولذلك تراهم على سطح الطبقة العليا منها يبنون زاوية أو مصلى صغيرا وهو عبارة عن حجرة مربعة مزينة بأجمل الزينة يوضع فيها تمثال الاله المعبود لهم فى كل هيكل من هياكلهم وكل سطح اوطبقة من الطبقات الكائن بعضها فوق بعض مكسو ببلاط من الآجر تختلف ابعاده وألوانه فى كل واحدة منها عن غيرها من الطبقات الاخرى وقد كان من عوايد الاسوريين على وجه العموم ان يعملوا جبيلات مرتفعة عظيمة اى تلالا مصطنعة جسيمة يجعلونها قواعد مسطحة يبنون عليها هياكلهم وقصورهم ومدائنهم وديارهم ومنازلهم وكانت مدينة نينوى مبنية على هضبة مصطنعة من هذا القبيل تمتد على

خط مديد من مساحة الارض وكانت اسوارها تحيط على نطاق من الارض يبلغ مقاسه ٣٦٠
شوطا يونانيا ظاهرها مبنى بالآجر وباطنها محشو بتراب مجلوب ولذلك تراها المازال عنها الحائط
المبنى بالآجر انها التراب المذكور واختلط بالارض كأن لم يكن لها سور وحيث كانت
عماراتهم مبنية على تلك التلال الصناعية كانت بحسب طريقة بنائها هذه تظهر لعين الرائى
كانها فى الحقيقة تلال أخرى من اعمال البشر متركبة على التلال الاولى وكأنهم كانوا يحتفرون
فى جوانبها امساكنهم اذ كانوا يضطرون لذلك كما يظهر بضرورة جنس المواد المتيسرة عندهم
لعمل الابنية ولحاجة كونهم يتخذون لانفسهم بيوتا طرية لتقيهم الحر فى مثل تلك الاقطار
الشديدة الحرارة نعم ان ارض بلاد الاسورية يوجد بها أحجار بكثرة للبناء لكن البابليين
الذين كانوا للنينويين هم الاساتذة المعلمين كانوا لا يجدون فى ارض بلادهم مواد للبناء حيث
كانت ارضهم كلها سهولا تتركب من مجرد طينة طفلية مجلوبة ولذلك اضطروا لاتخاذ أبنيتهم
كلها من الطوب المصطنع اما محروقا بالنار او مجففا بحرارة الشمس لا غير وقد قفا أثرهم فى ذلك
تلامذتهم الاسوريون غير انهم بدلا عن كونهم يضربون الطوب بطريقة اساتيذهم البابليين
انما كانوا يقتصرون على عمل مداميج من الطفل اى على مجرد القاء المادة الطفلية من بعد
سحقها سحقة فى قوالب من الخشب فقط ولم يكن للاسوريين مواد بناء أخرى غير هذه المادة
حسبما اتضح من جميع اعمال الحفر التى حصلت فى آثار العمارات الاسورية القديمة لغاية
الآن اذ لم يوجد فيها البناء بالحجر اللهم الا فى صورة تطبيق من الظاهر لبعض الحيطان تراه
مرصوصا على طبقات او صفوف بعضها فوق بعض وفيها نقوش خفيفة تمتد على طول جوانب
القيعان وتلك القيعان فى غاية من الزينة الزاهرة الزاهية والنقوش الباهرة الباهية يكسو
حيطانها من الظاهر طبقة من الحجر المنحوت مبنية على الوجهات الخارجية من السطوح
المذكورة ولما كان الاسوريون لا يتخذون ابنيتهم الا من المداميج الطفلية لزمهم ان
يجعلوا حيطانهم سميكة جدا وكانوا لا يبنون الا حجرات ضيقة وحيطانا غير مرتفعة لان القبوة
المصنوعة من المداميج الطفلية المذكورة لا يمكن ان تكون الا على ابعاد غير عظيمة وكانوا
لا يجعلون عماراتهم الا بدور واحد ويبرقون سطح سقوفها بطبقة جسيمة من الطين لاجل
ان لا تخترقها الامطار ولا ينفذ فيها الشقوق الناشئة عن اشعة الشمس

مطلب — ذكر ما كان قد اشتهر عند الاسوريين فى تلك العصور من صناعة
التصوير — قد كان فن التصوير ببلاد الاسورية فى سالف العصور من اعظم الفنون التى
كان يشتغل بها الامم الاقدمون ومنهم تعلم اليونان مبادى تصويراتهم اذ كانت هذه الصناعة
قد انتقلت اليهم بواسطة سكان بلاد آسية الصغرى وهم كانوا قد اخذوها عنهم وتعلموها منهم
وذلك انه بامعان النظر فى اعمال التصوير المصنوعة بعلم ارباب الفن النينويين واليونانيين فى

الاعصار

الاعصار الاولية يرى ان بينهما درجة قرابة عجيبة ومناسبة غريبة جدا وقد كانت صناعة التصوير عند الاسوريين كما هو شأن جميع الفنون الابتدائية والصنايع الاولية وكما كان الحال كذلك عند قدماء المصريين عبارة عن تقليد غير تام للصور الطبيعية وصنعة غشيمة في رسم التماثيل التصويرية تكاد ان تكون اعمالا ابتدائية اوهي اساليب اتفاقية مصطلح عليها عندهم واكثرها من قبيل ما يشتغل به الصبيان في سائر البلدان في مبادى اشتغالهم بفن الرسم والتصوير فترى سائر رسم الوجوه في التصاوير البارزة عندهم مثلا مأخوذا بالجنب ولو ترتب عليه اختلال تركيب مجموع الصورة بتمامها لداعي كون تمثيل المستويات على الجنب اسهل من تمثيلها بالمواجهة غير ان فن التصوير عند الاسوريين كان مبنيا على أصول مغايرة لاصول فن التصوير عند المصريين ولم يكن على الصناعة الاسورية تلك الفخامة الاحتفالية والفخامة الاثرية التي كانت تشاهد على التماثيل المصرية وذلك ان الاسوريين كانوا ابدا لا عن كونهم يصورون الاشياء بصورها العمومية وينظرون لمجرد القوانين الجبرية من الصور الطبيعية وفقط فيختصرون صور المستويات والخطوط بواسطة ايجاز الصورة المراد تمثيلها والاقتصار فيها على اجزائها الاصلية واوصافها الطبيعية المميزة لها وينتخبون ما يستحق العناية به مبنيا على أصول الدقة والحذق كانوا يتعلقون بتصوير دقائق الاحوال مع غاية العناية والتدقيق فلا ينسون تطريز الثياب ولا يهملون رسم ضفيرة من شعر الرأس أو اللحية اوعصب ذراع اوفخذ وما أشبه ذلك واشدة اعتنائهم بمثل هذه الدقائق كانت صناعة التصوير الاسورية كالمصرية تبعد عن تمثيل الحقيقة الطبيعية لكن كل منهما من طريق مخالف للثاني مخالفة الضد للضد وكانت عنايتهم في التصوير بالاحوال التبعية تبلغ من درجة الاهمية البليغة الى ما يضر بمجموع الرسم على العموم وكانت كيفية رسمهم لاعصاب أعضاء الجسم لداعي المبالغة في اظهارها تصيرها هائلة جدا وتصير النسبة بين اجزاء البدن غير مضبوطة ومن هذه الحيثية بقي فن التصوير ببلاد العراق القديمة دون فن التصوير في ديار مصر بكثير ولم يكن فيه ما كان في فن التصوير المصري من الروح التخيلي ودرجة التصور العقلي وعظمة السكون والجلالة الدينية الموجودة في التماثيل المصرية لكنه في مقابلة ذلك يشتمل على حركة ونشاط ونوع من الروحانية والحياة لم تكن تعرف عند أرباب الفن المصريين (انتهى من تاريخ الامم المشرقية والهند للمؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان)

مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم فى هذا الباب الرابع من الفوائد والافكار

افكار تقديميه وفوائد عموميه

١ ـ ما المقتضى لترتيب تاريخ الاسوريين والبابليين بعد قدماء المصريين والعبرانيين بالنسبة الينا معاشر المصريين

مقدمة

٢ ـ ما صفة حوض دجلة والفرات وما اشتمل عليه من الممالك والولايات

٣ ـ كيف تنقسم الجزيرة الفراتية بالنسبة لطبيعة طبقتها الارضية وما طبيعة أرض كل قسم منها

٤ ـ ما المراد من التعبير ببلاد الاسورية وكيف كانت تنقسم فى سالف الحقب العصرية

٥ ـ ماهى الولايات المشمولة فى حوض دجلة والفرات وما صفة تلك البلدان على حسب ماهى عليه الآن

٦ ـ ما مكان مدينة (نينوى) القديمة ومن هو أول من استكشف آثار هذه المدينة العظيمة

٧ ـ أين توجد اطلال مدينة بابل المشهوره

٨ ـ ما المراد من النبط أو النبطيين فى مقابلة القبط أو القبطيين

٩ ـ ما أوجه المقابلة بين وادى النيل ووادى دجلة والفرات وما الموجب لتعلق اطماع الدول بالجمع بينهما والاستيلاء عليهما فى كل عصر وجيل

١٠ ـ ماذا قيل من الاشعار العربية الشهيرة فى المقابلة بين نهرى النيل والفرات

الفصل الاول

١١ - من كان سكان بلاد كلدة من الامم الاقدمين فى سالف الازمان بعد الطوفان وماذا يذكر عن السومير والاكاد - وهل كانوا وحدهم سكان تلك البلاد

١٢ - من كان اول من أنشأ التمدن والعمارات على شواطئ نهرى الدجلة والفرات

١٣ - ما النمرود وماذا يحكى عنه فى التوراة من الروايات

١٣ - ما أسور وماذا يؤثر عنه من الآثار والعمارات

١٥ - ما أصل منشأ الاسور بين أوا والسريانيين وما نسبتهم للبابليين

الفصل الثانى

١٦ - ماذا ثبت من تاريخ أوائل أمر الدولة الكلدانية والدولة الاسورية حين كانتا مجتمعتين ببلاد الجزيرة الفراتية وماذا كانت مساكنهم من تلك الاقطار وما تحقق عنهم من الاخبار

١٧ - ما حال الامة الكلدانية الاسورية فى تلك الاعصار الاولية

١٨ - ما قصة تملك الدولة الميدية على مدينة بابل العراقية وما مدة تملكهم على تلك البلاد قبل الميلاد

١٩ - ما قصة تملك الدولة الايلامية على بلاد البابلية وما مدة تملكهم على تلك البلاد قبل الميلاد

٢٠ - من الذى اعقب الدولة الايلاميـة على بلاد البابلية وفى أى سنة كان ذلك قبل الميلاد - وما أشهر ملوك هذه الدولة الذين عثر لهم على بعض آثار بتلك البلاد

٢١ - ما قصة استيلاء الدولة المصرية على بلاد الجزيرة الفراتية وما مدة ذلك الاستيلاء وبماذا يستأنس لذلك من كتب المؤرخين المتقدمين

الفصل الثالث

٢٢ - كيف كان تأسيس السلطنة الاسورية بتلك البلاد (من القرن الخامس عشر الى الرابع عشر قبل الميلاد) وما حالة تاريخ تلك المدة من حيث الصحة والاعتماد

٢٣ ـ ماأوائل فتوحات الاسوريين لبلاد الامم المجاورين ومن هم أول الملوك الاسوريين الفاتحين

٢٤ ـ ماأول منشأ العائلة الملوكية الاسورية المعروفة بالبيليطارية وماتاريخ حدوثها ـ قبل المدة الميلادية وماذا ثبت من تاريخ بيليطارة ومن خلفه من ملوك تلك العائلة الملوكية

٢٥ ـ ماذا ثبت من تاريخ الملك آسورناز يربال وماعثر له عليه من الآثار الدالة على ماكان فيه من غرائب الخصال وعجائب الافعال

٢٦ ـ ماذا ثبت عن الملك سلمانصر الرابع وماتحقق له من الغزوات والوقايع

٢٧ ـ ماذا ثبت من أخبار الملك بيلوخوس الثالث والملكة سميراميس الحقيقية وهل فى ـ التواريخ الاسورية الصحيحة امرأة تسمى بهذا الاسم غير هذه الذات الملوكية

٢٨ ـ ماذا يذكر عن الملك سردانابال من رذائل الخصال وماذا تضرب به الامثال وماذا ترتب على قبح سلوكه من الفتن والاختلال وخراب مدينة نينوى الخراب الاول بعد القتال

٢٩ ـ ماقصة زوال الدولة الاسورية الاولى وخراب مدينة نينوى الاول وماتاريخ هذه الحادثة الكبرى

الفصل الرابع

٣٠ ـ ماذا كان من حال القوم الميديين بعد خراب مدينة نينوى الاول وماذا يذكر عن الملك فول بعد ذلك بمدينة بابل

٣١ ـ كيف كانت مدة مكث الدولة البابلية وماذا فعل الاسوريون بعد ذلك من المسالك حتى عادت السلطنة الاسورية الى مدينة نينوى بالثانى وماذا يذكر عن الملك (تجلات فلصر) الثانى

٣٢ ـ ماذا يذكر عن الملك (سلمانصر)

٣٣ ـ ماذا يذكر عن الملك (سرجون)

٣٤ ـ ماذا يذكر عن الملك (سنحاريب)

٣٥ ـ ماذا يذكر عن الملك (آسارادون)

٣٦ ـ ماذا يذكر عن الملك (آسور بانيبال)

٣٧ ـ ما آخر ما حصل من النجاح فى الجهاد على يد بعض الملوك الاسوريين من الطبقة الثانية بتلك البلاد

٣٨ ـ كيف كان زوال الدولة الاسورية الثانية وخراب مدينة نينوى الخراب الثانى بالكلية والجزئية وما قصة غارة الاقوام السيتيين على بلاد الميديين وماذا ترتب على تلك الحادثة الدهرية

٣٩ ـ من هو آخر ملوك الدولة الاسورية الثانية بمدينة نينوى وكيف كانت حالته بالنسبة لصاحب الدوله الميدية

الفصل الخامس

٤٠ ـ ماذا يذكر من غرائب الامور عن الملك بختنصر المشهور

٤١ ـ ما قصة واقعة قرقميش الشهيرة وما الذى أوجب سرعة عود بختنصر الى مدينة بابل عقب هذه الواقعة الشهيرة

٤٢ ـ ما قصة أوائل غزوات بختنصر ببلاد اليهود بناء على ما كان قد حصل من طرف ملكهم من نقض العهود

٤٣ ـ ما قصة خراب بيت المقدس على يد بختنصر وماذا فعل بالملك صدقيا من أفعال الجبر والتهور

٤٤ ـ ما قصة وقايع بختنصر الحربية ببلاد الجزيرة العربية

٤٥ ـ ما قصة ما يؤثر عن بختنصر من العمارات والآثار وما صفة مدينة بابل حسبما نص عليه المؤرخ هيرودوت اليونانى فى تلك الاعصار

٤٦ ـ ما ملحوظات المؤرخ فرانسيس لونورمان فيما يتعلق بقياس مدينة بابل فى تلك الازمان ببعض المدن الموجودة الان

٤٧ ـ ما تعريف البساتين المعلقة المشهورة فى قديم الزمان وبماذا يمكن تشبيهها بما يوجد من هذا القبيل الان

٤٨ ـ ماذا كانت آثار بختنصر فيما يتعلق بالمواد الزراعية والتجارية والاسفار البحريه

٤٩ ـ ما قصة ما اعترى بختنصر من الجنون وما حصل له فى آخر عمره من الغرور والفتون

٥٠ ـ ما أسباب سرعة انحطاط السلطنة البابلية وعجلة زوال الدولة الكلدانية بالنسبة للسلطنة الاسورية وما تأويل الرؤيا المنامية التى كان رآها بعض ملوك الدولة العراقية فيما يتعلق بهذه القضية

٥١ ـ ما تاريخ خلفاء بختنصر على مملكة بابل من الملوك فى ذلك العصر

٥٢ ـ بماذا اشتهر ولد بختنصر المدعو باسم (ايوبلير وداش) من مكارم الافعال الانسانية وهل استمر على حسن تلك السيرة الملوكية

٥٣ ـ ما قصة صهر بختنصر المدعو باسم (نيريجليصور) وكيف كانت عاقبة أمره فى تلك العصور

٥٤ ـ من ذا الذى خلف الملك (نيريجليصور) وما قصة استيلاء الملك (نانونيد) على سرير السلطنة البابلية وكيف كانت حالة أيام هذا الملك الاخير

٥٥ ـ ما قصة سقوط الدولة البابلية وزوال السلطنة العراقية بالكلية

الفصل السادس

٥٦ ـ كيف كان ترتيب الدولة الاسورية الكلدانية فى سالف الاحقاب الزمنية وما نوع تلك الولاية العمومية وكيف كانت تعتبر عندهم المرتبة الملوكية بالنسبة لسائر المراتب الدولية

٥٧ ـ ما كيفية تقليد الولاة على الاقاليم الاجنبية المفتتحة من طرف الدولة الكلدانية الاسورية فى تلك الاحقاب العصرية

٥٨ ـ كيف كانت طريقة ترتيب الطبقات الاهليه وتركيب الجمعية البشرية ببلاد الاسورية فى تلك الاحقاب الدهرية

٥٩ ـ ماذا يذكر عما كان للاسوريين فى الاعصار القديمة من الشرائع والقوانين بالقياس على شرائع المصريين

٦٠ ـ كيف كانت طباع الاسوريين الاخلاقية وهيئاتهم الجسمية

٦١ ـ ماذا يذكر عن الاسوريين فى تلك الاعصار السابقة من درجة الفلاحة والصناعة الفائقه

٦٢ ـ ما تعريف القلم السنانى والخط السريانى القديم

٦٣ ـ ما كيفية ديانة الاسوريين وماهية عقائد اهل العراق السالفين وماذا كانوا قد برعوا فيه من أنواع العلوم والفنون

٦٤ - ماحالة صناعاتهم ومبانيهم وعماراتهم وكيف كانت قد بلغت درجة فن العماره عندهم

٦٥ - ماحقيقة ما كان قد اشتهر عن الاسوريين فى تلك العصور من صناعة التمثيل والتصوير



الباب الخامس

فى تاريخ الفرس والميديين وسكان بلاد العراق العجمى واذربيجان السالفين

(واصل مأخذ هذا الباب من تأليفات العلماء الاوروباويين المتأخرين وتحقيقات المؤرخين المحققين العصريين ولاسيما من تأليف المؤلف (برجان) فيما يتعلق باصول الامم المتكونة من بنى يافث السالفين وتأليف العالم (بيشيت) فيما يتعلق باصول الامم الهنديين والاوروباويين اوالآريين الاولين وكتاب المعلم (شيبيل) فيما يتعلق باصل ديانة الجنس البشرى الهندى الايرانى وتأليفات العالم البروسيانى المشهور باسم (كوهن) وغير ذلك)

افكار تقديمية وفوايد عمومية

قد علمنا مما تقدم فى الابواب السابقة ان الديار المصرية هى قطب رحى الدنيا القديمة والحديثة فى الاعصار السالفة والخالفة كما سيأتى ايضاحه أيضا فى الابواب اللاحقة وفهمنا مما سلف ذكره لغاية الآن ان كل امة نبعت بصولتها بين الامم المتقدمين وكل ملة برعت بشوكتها بين الملل السالفين فى ذلك الزمان لابدوأن تتعلق بالاستيلاء عليها اطماعها وتتشوق لاستصفائها نفسها واستتباعها لداعى ما منحها الله سبحانه وتعالى دون سائر الاقطار الدنيوية من المزايا الطبيعية وحسن الاحوال الموقعية كالخودآء البديعة الجمال الغزيرة المال والحسناء ذات الحسب والنسب الكثيرة النشب يتزاحم عليها الراغبون ويتنافس فى مهرها الخاطبون ولذلك يجب علينا معاشر ابنائها المصريين وطلبة العلم العصريين فى درس التاريخ العام والبحث عن اخبار سائر الامم والاقوام ان لا نقطع النظر عن هذه البقعة الكريمة والجنة الارضية العظيمة ونردسائر تواريخ الامم المتنوعين اليها ونبحث فى جميع اخبارهم واحوالهم لا من حيث كونهم لنا هم الغرض الاصلى والباعث الاولى بل بطريق التبعية والقياس عليها واذا سرحنا او روحنا فى بعض ميادين اخبار هولاء الامم والاقوام فى كل مكان وفى كل زمان ينبغى لنا ان نرجع دائما الى هذه الاوطان التى حبها من الايمان ونقول لها بالقلب واللسان قول العاشق الولهان (شعر)

اورّى بسعدى والرباب وزينب * وكل بديع الحسن والقصد انتمو

وان من اشهر الامم السالفين واكبر الملل الاغراب المتقدمين الذين امتدت يدهم

واستعدت عددهم وعددهم للاستيلاء على الديار المصرية فى سالف الاحقاب العصرية اعنى بمدة التواريخ القديمة التى نحن بصدد البحث عنها والاقتباس منها بعد غارة الملوك الرعاة المعروفين بالهيكسوسيين وغارة ملوك الايتيوبيين ومزاحمتهم عليها كما علمتم تفاصيل ذلك فيما سلف من ملوك الاسوريين هم ملوك فارس والميديين أى سكان بلاد العراق العجمى واذربيجان السالفين وكانت مساكنهم فيما وراء البحر المسمى عند السلف باسم بحر (اير يترة) وهو المعروف الآن بالخليج الفارسى الخارج من الاوقيانوس الهندى او بحر الهند و يتصل بخليج عمان وذلك القطر هو ما يعرف فى هذا الزمان ببلاد العجم أو دولة (ايران) والغرض لنا من هذا الباب ان نبحث عما ثبت عند المحققين من علماء التاريخ الاروباويين المتأخرين من أخبار هذه الامة الشهيرة والملة ذات الشوكة الكبيرة من سالف الاحقاب لغاية ان امتدت سلطنتهم وشملت غارتهم ديارنا هذه المصرية واستلحقوها بالتبعية ونتابع تاريخها بعد ذلك لغاية ما يعرف فى اصطلاح أهل التاريخ بالحروب الميدية يعنون بذلك الوقايع الحربية التى وقعت بين الامة الفارسية واليونان المعبر عنهم عند العرب بالروم كما هو معلوم وذلك فى نحو القرن الخامس قبل ميلاد المسيح عليه السلام كما فعلنا بالامم المذكورين فى سالف الابواب من هذا الكتاب

وقبل الشروع فى ايراد هذه التحقيقات التاريخية والنتائج الاستكشافية العلمية يلزم أن نقدم امام هذا الباب مقدمة تشتمل على معلومات جغرافية وفوائد وصفية تتعلق بالاقطار الارضية التى كان فيها مساكن هذه الامة الميدية وتلك الملة الفارسية التى نريد ان نشتغل بالوقوف على حقيقة تاريخها فى سالف الاحقاب لضرورة معرفة وصف المكان قبل السكان على حسب الاسلوب الذى سلكناه فى هذا التأليف لغاية الآن

مقدمة

فى بعض فوائد جغرافية ومعلومات وصفية تتعلق ببلاد فارس والميدية

جرت عادة المؤرخين الاوروباويين ان يذكروا تاريخ بلاد فارس والميديين اومادى فى باب واحد وان كانوا أمتين متغايرتين وملتين مختلفتين كما جرت عادتهم أيضا بأن يذكروا فى باب واحد كذلك تواريخ الاسوريين والبابليين لارتباط أخبار بعضهم ببعض ولكون مساكنهم متقاربة والاقليم بلاد الميدية (و يقال لها أيضا بلاد مادى) هى خلاف بلاد فارس وان كانت اماكنهم متصاقبة من أقطار الارض وحدود كل منهما كالسطر بعد

مطلب — حدود بلاد الميدية — اما بلاد الميدية فهى محدودة من جهة الشمال ببحر الخزر و بلاد أرمنية ومن جهة الغرب ببلاد الاسورية الاصلية ومن جهة الجنوب ببلاد فارس ومن جهة الشرق بالبلاد المسماة ببلاد الفرثية (بالثاء المثلثة بعد الراء المهملة) وهى القطر الكائن بشرقى العراق العجمى وغربى خراسان الآن و جبال الخزر تستر سائر سطح الجهة الشمالية منها وفى تلك الجهة أيضا ما يوجد بتلك البلاد من الانهار وذلك غديران يسمى أحدهما باسم (قورش اوقور) والثانى بنهر (آراس) وقد كانت مدنها الاصلية فى سالف الزمان كل من مدينة (ايكباتان) (قال صاحب معجم مشاهير الرجال والبلدان ولعلها الآن المدينة المعروفة بهمدان) ثم مدينة (راجيس) (وهى المدينة المعروفة باسم الرى الآن)

مطلب — حدود بلاد فارس — وأما بلاد فارس أو فارستان فقد كانت فى سالف الزمان عبارة عن الارض المشمولة فيما بين بلاد الميدية المذكورة اعلاه والخليج الفارسى من جهتى الشمال والجنوب و بين بلاد الكرمان (بكسر الفاء الموحدة وسكون الراء المهملة) و بلاد البابلية من جهتى الشرق والغرب وفيها من جهتى الشمال والغرب جبال لا يمكن منها الدخول اليها الا بغاية المشقة والتعب وكانت مدنها الاصلية فى سالف الزمان كل من مدينة (برسپوليس) (وهى المعروفة الآن باسم (ايتشهيل منار) ثم مدينة (بازارجاد) (بالبا الفارسية فى اوله وهى المعروفة الآن باسم (بارا) او (فازا) (بالباء الفارسية او بالفاء الموحدة الفوقية فى اوله)

وقد كانت سلطنة فارس المشهورة فى عصر (دارا) الاول تشتمل على عشرين ستراببة اى عمالة بمعنى اقليم اوولاية ينصب عليها عامل من طرف دولة فارس المذكورة منها ما هو ببلاد افريقية كالديار المصرية وما يليها من بلاد (قورين) او بلاد (ليبيا) (وهى بلاد برقة) من الاقطار المغربية ومنها ما هو ببلاد آسيا بما فيها بلاد الميدية لغاية بلاد الهند ولاجل تصور مجموع بلاد فارس ومادى الاصلية قبل الشروع فيما يتعلق بهما من الاخبار التاريخية رأينا ان نعرب هنا ما تسطر فى كتاب جغرافية المعلم (فورتنبير) الكبرى الفرانساوية فيما يتعلق بهذه الاقطار الفارسية وذلك كالمسطر بعد

مطلب — اوصاف مملكة فارس الطبيعية وذكر بعض احوالها المحلية — قال المعلم (فورتنبير) المذكور فى كتاب جغرافيته الكبرى المشهور ان دولة فارس المسماة عند اهل المشرق بدولة (ايران) تمتد الآن فى شرقى دولة بنى عثمان على الاقطار الكائنة فيما بين بحر الخزر من جهة الشمال والخليج الفارسى من جهة الجنوب وتتصل من جهة الشرق ببلاد (بلوجستان) و (افغانستان) ومن جهة الشمال الشرقى ببلاد (تركستان) المسماة ايضا ببلاد (التتر المستقلة) ومن جهة الشمال الغربى ببلاد ماوراء جبال قوقازة ومساحة طولها

٢٠٠٠ كيلومتر من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى على متوسط عرض يبلغ ١١٠٠ كيلومتر ومساحة سطحها مليون واحد كيلومتر امربعا وتعداد اهلها الآن عشرة ملايين نفسا ومتوسط اقطارها على درجة ٣٥ من العرض وتمتد من جهة الجنوب الى حد الرأس المسمى باسم (رأس ياسك) الكائن على بحر عمان ويسمى مدخل الخليج الفارسى من بحر الهند باسم بوغاز (هرمز) ويشتمل البوغاز المذكور على جزيرتين تدعى احداهما باسم جزيرة (هرمز) والثانية باسم جزيرة (كيشم) وفى داخل الخليج الفارسى عدة جزائر عديدة وهذا البوغاز شهير باستخراج اللؤلؤ

وأجمل اقطار بلاد فارس المذكورة هو الجهة الجنوبية منها غير ان هواءها حار وكثيرا ما تعتريها الرياح الخطرة المعروفة بالسموم وأما فى جهة الشرق والشمال الشرقى فان درجة الهواء لطيفة موافقة للصحة وفى جهة الشمال منها اعنى على سواحل بحر الخزر تجد اقطارا خصبة بخلاف جهة الشرق حيث تجد فيها الصحراء الكبيرة المسماة باسم (ساله) أى المالحة ويخرج ببلاد فارس هذه ثمرات طبيعية نفيسة وفواكه أرضية جميلة فهى الموطن الاصلى لشجرة التين والرمان والتوت واللوز والخوخ والمشمش والبرقوق والعنب ويصطنع بها الخمر الجيد ويخرج بعدة أقطار منها كذلك من القمح والارز والقطن وقصب السكر ما هو سبب لثروتها ويزرع بها من البساتين التى هى منتزهات أهل فارس ما يزدان بما لا يحصى من أنواع الازهار الجميلة وفى هذه الاقطار الخيل الفارسية المشهورة الجليلة والجمال الجيدة النافعة للاسفار وهى نفيسة أيضا من حيث مالها من دقيق الاوبار التى تتخذ منها الاقمشة المتقنة وفى الاقطار الشرقية منها صنف من المعز يكاد أن يضاهى فى الاشتهار معز بلاد (التبت) من حيث دقة الشعر وقد يوجد فى عدة أقاليم منها الاسد والنمر وغير ذلك من السباع الضارية وأعظم المواد المعدنية التى توجد بها الملح حيث يوجد فى كل مكان منها والنفط وهم يستعملونه للتنوير بدلا عن الزيت ومنها النحاس والياقوت والفيروزج واللازورد ذو اللون الازرق الجميل

وتنقسم بلاد فارس بحسب احوالها الطبيعية الى ثلاثة اقطار اصلية (الاول) وهو اعظمها يشتمل على وسط تلك المملكة وعلى جهة الشرق منها ومنه يتركب الجزء الغربى من ارض مستوية مرتفعة متسعة تعرف بما معناه هضبة فارس وهذه الهضبة يحدها من جهة الشمال جبال خراسان وجبال البرج ومن جهة الغرب جبال (الوند) واعلى هذه الجبال هو رأس (دماوند) الكائن فى جبال البرج المذكورة ومقدار ارتفاعه ٦٤٠٠ متر (الثانى) من اقطار بلاد فارس الطبيعية هو منحدر بحر الخزر وهو فى جهة الشمال منها (الثالث) فى جهة الجنوب منها وهو يشتمل على المنحدر المائل نحو الخليج الفارسى وبوغاز (هرمز)

وبحر عمان

وسائر الانهار الموجودة بهضبة فارس المذكورة لامصاب لها بل تضيع امافى رمال الصحارى اوفى البحيرات والبرك الموجودة فيها بدون ان يرى لها مصارف معلومة واعظمها النهر المسمى باسم (زاياندهرود) وهو يضيع فى الصحراء الكبيرة المسماة باسم (سالة) المذكورة اعلاه النهر المسمى باسم (بندهمير) وهو يصب فى بحيرة (بختاجان) وفى جهة الشمال الغربى من ثم هضبة فارس هذه بحيرة ملحة عظيمة تعرف ببحيرة (أرميه) (بضم الهمزة وسكون الراء المهملة) ومساحة طولها ١٣٠ كيلومترا وماؤها كبحيرة لوط وبحيرة (ألوان) املح المياه التى تعرف بغربى بلاد آسيا فلا يعيش فيها سمك ولا حيوان مطلقا ومن أنهار هذه الاقطار أيضا نهر (قزل أوزان) ونهر (أراس) وهو نهر سريع الجريان جدا يتكون منه بعض الحدود الفاصلة بين أرض فارس وبلاد ماوراء جبال قوقازة (وهو الذى كان يسمى عند الامم المتقدمين كنهر (بندهمير) السالف الذكر باسم (آراس) ثم نهر (تدران) وأسفل مجراه ببلاد (تركستان) (أوبلاد التتر المستقلة) وفى المنحدر الجنوبى من تلك الاقطار نهر الكرخ يلتقى مع النهر المسمى بشط العرب ثم نهر (قارون) يصب فى خليج فارس مع اختلاط بعض مياهه بماء هذا النهر الاخير

مطلب — ذكر تقاسيم مملكة فارس السياسية فى هذه الاحقاب العصرية — قال العالم الجغرافى المروى عنه أعلاه مامعناه ان مملكة فارس تنقسم من حيث خططها السياسية الى أحد عشر أقليما أوحكمدارية اثنان منها فى جهة الشمال على طول بحر الخزر وهما (مازندران) و (كيلان) أما الاول فقاعدته مدينة (بلفروخ) يبلغ عدد أهلها ١٠٠٠٠ نفس وهى حاضرة شهيرة بكثرة المتاجر والصنايع والمدارس ويليها مدينة (سارى) وعدد أهلها ٣٠٠٠٠ نفس واما الثانى فقاعدته مدينة (رشت) ومبلغ أهلها ٨٠٠٠٠ نفس غيران موقعها فى مكان مضر بالصحة

وفى وسط مملكة فارس أوايران الاقليم المعروف بالعراق العجمى أى الفارسى وهو يشتمل من جهة الغرب منها على أقطار خصبة ثم يمتد من جهة الشرق الى صحارى جدبة وقاعدته مدينة (طهران) التى هى قاعدة سائر مملكة فارس وهى على القرب من جبال البرج وعدد أهلها فى الشتاء ١٣٠٠٠٠ نفس وفى الصيف ٤٠٠٠٠ نفس فقط ومن أظهر مافيها من الابنية الكبيرة والعمارات الشهيرة قصر الملك وهو عمارة متسعة جدا محلية بكثير من الزواق والزينة وعلى شرقى تلك المدينة مدينة (دماوند) الكائنة على القرب من الرأس المسمى باسمها من جهة الجنوب وبجوارها اطلال مدينة الرى التى يقال انها هى مدينة (راجيس) القديمة وهى مكان ولادة الخليفة هارون الرشيد المشهور وفى جنوب العراق

العجمى المذكور مدينة (أصفهان) وقد كانت هى قاعدة المملكة الفارسية قبل مدينة (طهران) ثم انحطت عن عالى درجتها السالفة اذ كان عدد أهلها فى سالف الزمان نحو مليون كامل من السكان ثم صارت لا يوجد بها الا نحو ١٠٠٠٠٠ نفس الآن ومن أظهر العمارات الظاهرة بتلك الحاضرة عدة قصور وقنطرة (زاياندهرود) والسوق المعروفة بسوق عباس والمسجد السلطانى الموجود بها والسهل المحيط بها ذو خصوبة غزيرة جدا يخرج منه خصوصا من القاون والبطيخ أصناف شهيرة وفيما بين أصفهان وطهران مدينة (قاشان) وهى مدينة جميلة جدا والمدينة المسماة باسم (قم) وهى عند أهل فارس كعبة محترمة يكثر حجهم اليها وبقعة مباركة يترددون بالزيارة اليها وعلى شمال طهران مدينة (قزوين) يبلغ عدد أهلها ٦٠٠٠٠ نفس وقد كانت فى سالف الازمنة مقر السلطنة وهى شهيرة بما يصطنع بها من السيوف العجمية والمصنوعات النحاسية وفى غربى العراق العجمى مدينة (همدان) أو (همذان) (بالذال المعجمة أو بالدال المهملة) وهى من أجل مدائن بلاد فارس موضوعة على القرب من اطلال المدينة الشهيرة عند السلف باسم (ايكباتان) وفى الجنوب الشرقى من العراق العجمى المذكور مدينة (يزد) وهى حاضرة كبيرة لا بأس بها وأكثر سكانها من المجوس وهم عبدة النار المتدينون بديانة (زردشت) (وسيأتى بيان تاريخ مذهبهم فى هذا الباب ان شاء الله تعالى)

ومن الاقاليم السياسية بغربى المملكة الفارسية ثلاثة اقاليم تمتد على حدود الدولة العثمانية وهى (اذربيجان) (وكردستان) و (خوزستان) اما الاول فهو عبارة عن اراض جبلية حفراء قفراء باردة الهواء تكثر بها الزلازل الارضية الشديدة وتظهر فيها الانقلابات البركانية (اى النارية) العديدة (والبركانية نسبة للبركان بمعنى الجبل الذى قد تنفجر فيه فوهات من النيران) وقاعدة هذا الاقليم مدينة (تبريز) وهى حاضرة جميلة ذات تجارة كبيرة على الشمال الشرقى من بحيرة (ارميه) يبلغ عدد اهلها ١٦٠٠٠٠ نفس وعلى الشمال الغربى من البحيرة المذكورة المدينة المشهورة بعض الشهرة باسم (خوى) (على صيغة التصغير)

واما اقليم كردستان الفارسى فهو كذلك عبارة عن اراض جبلية اكثر سكانها قبائل من الاكراد الرحالين النزالين والاقوام الغير المتوطنين ومن مدنه ايضا مدينة (سهنه) ومدينة (كرمانشاه) وهى مدينة ردئية الابنية غير انها كثيرة التجارة يبلغ عدد اهلها ٤٠٠٠٠ نفس واما اقليم خوزستان فهو كائن من جهة الجنوب على ساحل الخليج الفارسى ويشتمل من جهة الشمال على الخطة المسماة باسم (لورستان) وقاعدته مدينة (ششتر) على القرب من اطلال المدينة القديمة المشهورة باسم (سوس) ومن مدنه الشهيرة مدينة

(ذيسفول)

ومن اجل اقاليم مملكة فارس ايضا الاقليم الجليل والوادى الجميل المسمى باسم (فارستان) وهو بلاد فارس الاصلية وارض دولة العجم القديمة الحقيقية وقاعدته مدينة (شيراز) موضوعة فى اجل المواضع واجل المواقع بواد هو فى الحقيقة جنة يستمر بها فصل الربيع على ممر ايام السنة ويخرج بها اجود اصناف الخمر الذى يتأتى ببلاد آسيا والبرقوق اللذيذ وغيره من أنواع الفواكه الشهيرة وهذا الوادى معدود من جملة الجنان الارضية عند اهل البلاد الشرقية غير انه يكثر به الزلازل التى قد يترتب عليها خراب بعض الاماكن والمنازل ويسمى آهل فارس مدينة شيراز هذه بدار العلم وبها كانت اقامة الشاعرين الفارسيين الشهيرين باسم الحافظ والسعدى وفى الشمال الغربى من هذا الاقليم ايضا الوادى المسمى باسم (شهاب ديوان) وهو احد الجنان الاربع المشهورة بتلك البلدان وعلى الشمال الشرقى من شيراز آثار مدينة (پرسپوليس) التى كانت قاعدة مملكة فارس فى سالف الازمان وأعظم المين الكائنة بهذا الاقليم هى الفرضة المسماة باسم (أبوشهر أو بندر ابوشهر) على ساحل الخليج الفارسى وهى عرضة لدرجة من الحرارة خانقة وامامها فى الخليج المذكور جزيرة (كرك) التى توالت عليها ايد الفلمنكيين ثم الفرانسيس ثم الانجليز

وأقصى الاقاليم الفارسية الى جهة الجنوب أقليم (لارستان) وقاعدته مدينة (لار) التى كانت فى سالف الزمان مدينة عظيمة ثم انحطت عن عالى درجتها القديمة الآن

وفى الجنوب الشرقى من المملكة المذكورة أقليمان أحدهما بحرى وهو المسمى باسم (موغستان) والثانى أدنى منه وهو أقليم (كرمان) اما الاول فهو من جهة على ساحل بوغاز (هرمز) وبحر عمان وبه مينا تعرف باسم (بندر عباس أو جومرون) كانت فى سالف الزمان موضع تجارة عظيمة وفرضة بحرية جسيمة وليست تابعة لمملكة فارس بل هى مملوكة لامام مسقط من ملوك العرب ويوجد امام هذه الفرضة جزيرة (هرمز) فى البوغاز المسمى باسمها وهى عبارة عن صخرة قفرة لا تنتج شيأ غير ان فيها مدينة مزهرة كانت فى الاعصار المتوسطة لغاية القرن السابع عشر من الميلاد من أعظم البقاع تجارة ببلاد آسيا

وعلى القرب من هذه الجزيرة من جهة الغرب منها جزيرة (كيشم) وهى أوسع منها وأرضها خصيبة جدا وكلتاهما تابعة لامامة مسقط لا لمملكة فارس

وأما الثانى وهو أقليم (كرمان) فهو مشهور بما يصنع فيه من الانسجة الجميلة المتخذة من أوبار الابل وشعور المعز وما يخرج منه من العقاقير الطبية والمواد المعدنية والخمور الجيدة وقاعدته مدينة (كرمان) وتسمى أيضا (سرجان)

وفى شرقى مملكة فارس أيضا الاقليم الكبير المسمى باسم (خراسان) وهو بقعة خصبة جدا

فى الجهة الشمالية ومتكونة من صحارى جدبة فى الجهة الجنوبية وهى مشهورة بما يتلقط منها من نوع الياقوت المسمى باللعل وبالفيروزج والخيول الجيدة والبسط المتقنة وقاعدته مدينة (المشهد) (مشهد الحسين بن على رضى الله تعالى عنه) وقد كانت أكثر عظمة فى المدة السالفة مما هى عليه فى هذه الاعصار الخالفة بكثير وبها مسجد شهير واثر كبير يقال انه مؤسس على مشهد الامام الحسين ولذلك يكثر عليه تردد الزائرين ومحط رحال المسافرين وبجوار المدينة المذكورة آثار مدينة (طوس) المشهورة وقد كانت فى الاعصار السالفة حاضرة كبيرة ومنها الشاعر الفارسى الشهير بالفردوسى ومن المدن العظيمة باقليم خراسان أيضا (نيسابور) وبجوارها معادن الفيروزج وفى نواحى بحر الخزر من مدن مملكة فارس الشهيرة مدينة (أستراباد) عدد سكانها ٤٠٠٠٠ نفس وبها يسمى الخليج المعروف بهذا الاسم ثم مدينة (دامغان) الكائنة على جنوب المدينة المذكورة وهى الآن مدينة حقيرة مع كونها قد كانت فى الاعصار الغابرة مدينة مزهرة جدا تسمى باسم (هيكاتومفيل) قال المعلم (فورتنبير) المنقول عنه اعلاه بعد ذلك مامعناه وهيئة حكومة بلاد فارس من قديم الزمان ولم تزل لغاية الآن هى من قبيل الحكم الملكى المطلق غير ان عدة قبائل منهم لا يزالون يعيشون بحالة من الاستقلال تكاد ان تكون تامة و يلقب السلطان عندهم بلقب (الشاه) ودينهم الآن دين الاسلام من شيعة على رضى الله عنه وهم يعبرون عن انفسهم بالناجية و يسمون اهل مذهبهم من حيث الديانة بالعدلية واخصامهم من اهل السنة هم الذين يدعونهم بالشيعة وأهل فارس هم امة مهذبة وملة مؤدبة يوجد فيها جملة فضائل ظاهرية جميلة واخلاق تمدنية مقبوله (اه)

مطلب — ذكر جغرافية أرض فارس التاريخية ومقابلتها بما استجد من الاسماء الحادثة فى هذه الاحقاب العصرية - قال العالم الجغرافى المحكى عنه اعلاه فى هذا المقام مامعناه ان دولة فارس او ايران وهى المعبر عنها عند العرب بدولة العجم التى وصفناها فى المطلب السابق البيان هى الآن فى مكان ماكان يدعى فى سالف الزمان بهذه الاسماء القديمة وهى كالمسطر ادناه

(اولا) القطر المسمى باسم (مادى) او (الميدية) فى جهة الشمال الغربى
(ثانيا) بلاد (هركانيا) فى جهة الشمال
(ثالثا) بلاد (السوسية) أو (السوس) فى جهة الغرب
(رابعا) اقليم (فارستان) أو بلاد فارس الاصلية فى جهة الجنوب
(خامسا) بلاد (كرمانيا) أو (الكرمان) فى جهة الجنوب الشرقى
(سادسا) بلاد (القرثية) فى جهة الشمال الشرقى

اما

أما بلاد (مادى) أو (الميدية) المذكورة اعلاه فقد كانت قاعدتها فى سالف الزمان المدينة الشهيرة باسم (ايكباتان) (و يقال انها هى همدان الآن) وقد كان من جملة اقاليمها ما يسمى باقليم (لابروباتين) (كصيغة المثنى) وكان فيه القلعة المسماة باسم (برواسبه) ومن مدنها الكبيرة الكائنة فى جهة الشمال الشرقى منها مدينة (راجيس) وهى مدينة عتيقة جدا على القرب من جبال الخزر لها ذكر فى التوراة وقد كان اسمها عند المقدونيين من اليونان (اوروبس) وفى عهد الملوك الفرثيين (ارساوبا) ثم سميت فى مدة القرون الوسطى فى عهد دولة العرب المسلمين باسم (الرى) و بقى عليها هذا الاسم الاخير لغاية الآن ثم مدينة (طابه) على القرب من بحر الخزر وكانت قاعدة الاقليم المسمى فى ذلك العصر باسم (طابور) وعلى القرب من ذلك المكان كانت مساكن القوم الاقدمين المعروفين باسم (الماردين الشماليين)

وأما بلاد (هركانيا) فقد كانت تمتد على السواحل الجنوبية الشرقية من بحر الخزر ولذلك كان يدعى ذلك البحر أيضا باسم بحر (هركانيا) وكانت قاعدة تلك البلاد تسمى باسم (زودراكارته) أو (كارته) أو (هركانيا) وموقعها فى ناحية الجنوب بالاقليم الذى كان يدعى حينئذ باسم (لاستابين) (كصيغة المثنى) وقد كان اعظم أقاليم تلك البلاد فى ذلك الزمان وكانت هذه المدينة هى قاعدة سلطنة القوم المعروفين بالفرثيين

وأما بلاد (السوسية) أو (السوس) فهى المعروفة الآن بأقليم (خوزستان) وقد كان من أهلها فى سالف تلك الازمان فضلا عن السوسيين الاصليين أقوام آخرون يدعون باسم (الكوسيين) و (الاوكسيين) و (الماردين الجنوبيين) وكانت المدينة الشهيرة عند السلف باسم (سوس) هى قاعدة تلك البلاد وموقعها فى جهة الشمال منها وقد كان ملوك فارس يتخذونها محل اقامة لهم فى بعض الاحيان ومن مدنها الاصلية ايضا مدينة (سيلوقية) فى جهة الشمال الغربى منها ومدينة (عراقه) على نهر الدجلة والظاهر ان أصل منشأ التسمية بلفظ العراق عنها

وأمّا بلاد فارس فهى التى كانت تدعى فى التوراة باسم (فاراس) أو (ايلام) وهى الآن عبارة عن اقليم (فارستان) مع جنوب العراق العجمى وقد كانت السلطنة القديمة التى كان يطلق عليها هذا الاسم عند الامم المتقدمين قد امتدت امتدادا عظيما واتسعت اتساعا جسيما بكثرة الاقطار التى كان قد افتتحها الملك (قورش اوقيروس) وعدة ممن خلفه على سرير مملكة فارس وكانت تشتمل فضلا عن بلاد فارس الاصلية بالمعنى المراد هنا على بلاد (مادى) او (الميدية) و بلاد (السوسية) و (البابلية) و (الاسورية) و بلاد (ارمنية) و (آسية الصغرى) (وهى بلاد الاناضول الآن) وعدة اقطار أخرى من بلاد آسيا الغربية وقد كانت تنقسم بلاد فارس الاصلية عند الامم المتقدمين الى قسمين اصليين (احدهما) فارس الحقيقية الاصلية

فى الجهة الجنوبية و (الثانى) ما كان يدعى باسم (فاريتاسين) فى الجهة الشمالية اما القسم الاول فقد كانت قاعدته المدينة المشهورة باسم (پرسپوليس) على نهر (آراس) وكان بها قصر ملوكى فاخر احرقه الاسكندر وكان به مدينة كبيرة اخرى تسمى باسم (پازارجاده) على نهر (القور) وبها قبر الملك (قورش) السالف الذكر وقد كان فى القسم الثانى المدينة المسماة باسم (اسپادانه) وهى المعروفة باسم اصفهان الآن فى الجهة الغربية منه والمدينة المسماة باسم (ايكباتان المجوس) فى الجهة الشمالية الشرقية وانما تنسب للمجوس لكون الملك (دارا) كان قد بناها لهم بالخصوص

وأما بلاد (كرمانيا) وهى المعروفة بالكرمان الآن فقد كان من ضمنها جزيرة (اوراكته) وهى المسماة الآن باسم (كيشم) وجزيرة (اورجانه) وهى المسماة الآن باسم (هرمز) وهى اصغر من الجزيرة الاولى غير انها صارت اشهر منها فى القرون الوسطى لداعى ما حصل فيها من واقعة التجاء القوم المسلمين المسمين باسم (الهرمزيين) حين هربوا من التتر والمغول اليها وقد كانت مدينة (كرمانه) وهى المعروفة بمدينة (كرمان) الان هى قاعدتها غير ان الظاهر ان مدينة (كرمانه) المذكورة قد كانت موضوعة على المكان الكائن عليه مدينة (جومرون) الان

وأما بلاد (الفرثيين) فقد كان موقعها على شرقى بلاد (هركانيا) وقد كانت فى الاصل جزءا منها وأصل القوم المعروفين بالفرثيين من الاقوام السيتيين (اقوام يأجوج ومأجوج) ظهروا فى القرن الثالث قبل ميلاد المسيح واحدث رئيسهم المسمى باسم (ارباس) سلطنة عظيمة ودولة ذات شوكة جسيمة جدا امتدت حدودها الى غاية شواطئ الفرات من جهة الغرب والخليج الفارسى من جهة الجنوب حتى خشيت منها دولة الرومانيين على نفسها حقبة من الزمن وانتهت فى القرن الثالث لميلاد المسيح عليه السلام

وقد كانت بلاد الفرثيين تشتمل من جهة الشمال الشرقى على الاقليم المسمى باسم (مرجيان) ومن جهة الشمال على الاقليم المسمى باسم (قوميزين) ومن جهة الجنوب على الاقليم المسمى باسم (طابيين) وكانت المدينة المشهورة باسم (هيكاتونفيل) الكائنة بأقليم (قوميزين) المذكور هى قاعدة دولة الفرثيين ودار اقامة الملوك الارباسيين المذكورين وأما مدينة الاسكندرية التى كانت توجد بأقليم (مرجيان) فقد كان الاسكندر هو الذى اختطها وبناها ثم جاء الملك (أنطيوكوس سوتير) فاتقن بناءها وزينها ولذلك سميت فيما بعد باسم (انطاكية) على نهر (مرجوس) وهو المعروف الان باسم (مرجاب) (بفتح الميم وسكون الراء المهملة فى أوله) قال العالم الجغرافى المروى عنه أعلاه فى تاريخ دولة فارس على وجه الاجمال كما هى طريقة العلماء الجغرافيين ما تعريبه أدناه وكانت بلاد فارس قد مكثت بحالة

الخمول وعدم الذكر من سالف الدهر حتى جاء عصر الملك (قورش) فأحدث فيها سلطنة متسعة البلاد ودولة ذات منعة وجهاد فى القرن السادس قبل الميلاد وجاء الاسكندر (الرومى أو المقدونى أو اليونانى) بعد قرنين فاز الها وبوفاته اقتسمها خلفاؤه الى آخر ما أبداه (هذا ما اردنا نقله هنا من جغرافية قورتنبير الكبرى لقصد تعريف هذه البلدان التى نريد الوقوف على حقيقة تاريخها على وجه التفصيل والبيان وذلك هو ما يأتى بعد (معربا من كتاب تاريخ الامم المشرقية والهند للمؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر) منحصرا ذلك فى ثلاثة فصول وهى هذه نذكرها فنقول

الفصل الاول

فى بيان اصل الذرية الايرانية ومنشأ الامة الفارسية

مطلب — ذكر الآريين الاولين الذين هم اصل القوم الفارسيين - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر وابيان اعلاه ما معناه ان اقدم الآثار التاريخية التى تتعلق بذرية بنى يافث أو الطائفة البشرية المعبر عنها فى اصطلاح علماء الافرنج المتأخرين بالمرتبة الهندية الاوربية لا تصعد الى اكثر من نحو ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام وقد كانت تلك الطائفة فى تلك الازمان منحصرة كلها بالمواطن الكائنة على القرب من المهد الاول الذى كان قد نشأ فيه نوع الانسان قبل الطوفان اعنى على شواطئ نهر (جيحون) ببلاد (البكترية) (وهى ما يدعى الان بخانية بلخ من بلاد (تركستان) او بلاد التتر المستقلة) قال المؤرخ الفرانساوى المذكور ولقد صدق من حقق النظر ودقق الفكر فذهب الى ان هذه البلاد هى اقدم المساكن وأول المواطن التى اقام بها فيما يعلم من التواريخ البشرية اصل تلك الذرية اليافثية التى نحن منها معاشر الاوربايين وكانها كانت لهم كخلاية نحل خرج منها على التوالى قبائل شتى وعدة أقوام متفرقين اتخذوا لهم مواطن أخرى من اقطار الارض والذى يظهر من احوالهم التاريخية انهم حين كانوا مجتمعين فى قطر واحد على هيئة اجتماعية واحدة كان لجميع الفروع المتفرعة عن اصل يافث بن نوح عليه السلام صورة وجود ذاتى مخصوص وكانوا يتكلمون بلغات متباينة بعضها عن بعض غير انها ترجع كلها الى لغة أصلية مشتركة بينهم صار كل فرع من فروعها المذكورة فيما بعد تفرق هؤلاء القبائل من بنى يافث الى تلك الاماكن المختلفة من الارض اصلا للغة أو لفرقة من اللغات البشرية وقد كانت سائر هذه الذرية تسمى نفسها باسم (الآريا أو الآرية) أو (الآريين)

(بعنى المحترمين)

مطلب — ذكر اخلاق القوم الآريين الاقدمين حسبما تحقق عند علماء الافرنج المتأخرين — لما لم يبق لنا من آثار هذه الاعصار الاولية للاقوام اليافثية الاصلية ما نقف به على حقيقة اخبارهم التاريخية غير ما بقى من بعض كلماتهم اللغوية تشبث اهل النظر فى مضاهاة اللغات البشرية ببعض الكلمات التى كانوا يتكلمون بها فى تلك الاعصار الغابرة واستنبطوا منها أكثر ما كانوا عليه قبل تفرقهم من الاحوال الدنيوية والهيئة الاجتماعية الانسانية والقاعدة الاصلية التى توصلوا بها للوقوف على هذه الحقيقة التاريخية هى ما تنبه اليه بعض علماء الافرنج المتأخرين من ان جميع الكلمات الدالة على مدلول واحد فى اللغة الهندية الدينية المسماة باسم (السنسكريت) واللغة الايرانية القديمة المعروفة باسم (الزند) وفى اللغات التى يتكلم بها أهل أوروبة فى هذا العصر الاخير هى على حال بحيث لم تتغير صيغتها ولا معناها غير تغير يسير وبذلك استدلوا على ان الآريين الذين هم اصل القوم اليافثيين هم أصل اهل الهند وفارس وسائر الامم الاوروباويين المتأخرين واستنبطوا من ذلك ما كان عليه تلك القبائل الآرية الاصلية فى تلك الاعصار الاولية من الدرجة التمدنية والهيئة المعاشية الدنيوية حين كانوا مجتمعين بعضهم مع بعض على تلك الارض التى كانت تسمى فى تلك الاحقاب الدهرية باسم (البكترية) اعنى قبل ان يتفرقوا فى ذلك العهد الى الاقطار الشتى التى توطنوا بها فيما بعد وتوضيح ذلك انهم وجدوا مثلا ان طائفة الالفاظ اللغوية التى تتعلق بالمعيشة الرعائية كاللفظ الدال على معنى الدابة أو الماشية أو البهيمة مثلا كلها تقريبا متحدة اللفظ والمعنى فى جميع طوائف اللغات الهندية والاوروبية وبذلك حق لهم ان يستنتجوا أن هذه الطريقة المعاشية (اعنى رعاية المواشى) قد كانت هى الحرفة الاصلية التى كان يتخذها وسيلة لمعاشهم بنو يافث السالفون حين كانوا متوطنين بالاقطار الكائنة على شواطئ نهر جيحون ومن ثم علم ان أكثر أنواع الدواب المنزلية والحيوانات الاهلية كانت معلومة لهم وانهم كانوا يقتنون نوع البقر والخيل والغنم والمعز والخنزير والاوز وغير ذلك من الحيوانات والطيور الانسية

وبواسطة مضاهاة الكلمات اللغوية بعضها مع بعض استدلوا على ان هؤلاء الاقوام قد كانوا فى سالف تلك الايام يعرفون تعليق الخيل والبقر تحت ناف المحراث ولا يعرفون فن الفروسية وانما كان لليونان به بعض معلومية فى أيام جاهليتهم الاولى المسماة بالاعصار الاميروسية (أى التى ذكرها الشاعر اليونانى المشهور باسم (اميروس) فى قصائده الشعرية) وقد كان القبائل اليافثيون السالفون قد عرفوا أيضا صناعة بعض معادن وابتدؤا فى زراعة الارض ولم يكونوا يسكنون تحت الخيام كالعرب ولا فوق العربانات كالاقوام السيتين بل كانوا يبنون لهم

مساكن يأوون اليها و بيوتا ثابتة يقيمون فيها وكانوا يجمعون بعضها البعض فى بعض بقاع من الارض بحيث يتكون منها ما يمكن ان يطلق عليه لفظ القرى أو الكفور بل ربما كان منها ما يصح ان يطلق عليه ما هو من قبيل المدينة أو الحاضرة أو البندر الكبير

مطلب — ذكر ما كانت عليه العائلة والملة عند الاقوام الآريين السالفين وبنى يافث المتقدمين — ومما تحقق أيضا عند علماء الافرنج المتأخرين بواسطة مضاهاة الكلمات اللغوية من احوال الاقوام الآريين السالفين و بنى يافث المتقدمين ان العائلة تظهر لنا عند الاقوام الآريين المذكورين ببلاد (البكترية) فى سالف تلك الاحقاب العصرية مادة محترمة وعقدة وثيقة قوية مكرمة ينبنى عليها أساس ترتيب الهيئة الاجتماعية والزواج عقدا مقدسا معتبرا وعملا مختارا مشتهرا تسبقه خطبة و يشار اليه بانضمام اليدين من العروسين ومتى دخلت الزوجة فى بيت الزوج صارت من حسن المعاملة وجميل المعاشرة والمواصلة حرما محترما ودستورا مكرما كما يليق بمقام من به بقاء النسل نعم ان المرأة كانت عندهم تحت طاعة الرجل غير ان تلك الاعلوية كانت ملطفة بما كان يحصل بين الزوجين من التعاشق الحاصل من الطرفين وبما كان متمكنا فى اخلاقهم وعوايدهم من احترام الزوجة لزوجها واتخاذ الزوج لها حرما يذب عنه وحمى يحميه ويقاتل دونه

وبالتوسع فى دائرة العائلة حدثت عندهم العشيرة وقد كانت فى أوائل أمر الاقوام اليافثيين عبارة عن مجموع عدة عائلات مرتبطة بعضها مع بعض بروابط القرابة النسبية كما صارت كذلك فيما بعد ببلاد ايران والهند وجزيرتى (ارلمدة) و (ايقوسيا) ببلاد انجلترة وعند سائر الامم الاسلاو يين ببلاد اوروبة وكان لها رئيس هو شيخ العشيرة او ولى أمرها او كبير القوم أو أبو العائلة ومع ذلك فلم يكن يسوغ له ان يتصرف فى سائر أمورها وحده بمجرد رأيه بل كان له مجلس شورى يتركب من بعض رجال كلهم من مشايخ القوم وآباء العائلات الذين يجمعهم أصل واحد فيستشيرهم ويرجع لقولهم ومن اجتماع عدة عشائر تتألف القبيلة ومن عدة قبائل تتركب الامة وللامة رئيس أعلى له الولاية العامة القصوى على سائر رؤساء العشائر والقبائل وهو الملك وكان يعبر عنه عندهم بما معناه (القائد أو المرشد)

وكان من وظائف الملك عند الامم المتناسلين من بنى يافث السالفين انه هو الذى يعقد الصلح ويأذن بالحرب و يقود الجند وكان قد ابتدأ عندهم فن القتال العام بالتقاء الصفين ومقابلة الجيشين وأخذوا يبنون حول القرى والبنادر بعض اسوار تحصينية بطريق العمارة الخلوية وكان من وظائف ملكهم ايضا ان يقضى بينهم ومن اغرب اخلاقهم وخصالهم واعجب عوايدهم وخلالهم انهم كانوا فى حالة الشك يرجعون لما كانوا يعبرون عنه (بقضاء الله) وكان ذلك عندهم أولا عبارة عن الامتحان بالنار وهو الا كثر استعمالا

لديهم ثم عمدوا فيما بعد الى الامتحان بالماء

مطلب - ذكر كيف كانت ديانة الامم الآريين السالفين وعبادة الملل اليافثيين المتقدمين - قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه قد علم الناس من ترجمة الكتب الدينية الاربعة المشتملة على الادعية والصلوات التعبدية الهندية القديمة المعروفة باسم (الويدا) وهى الكتب التى بقيت الى هذا العهد فى بلاد الهند بطريق الرواية والتوارث جيلا عن جيل من آثار القبائل الذين كانوا قد افتتحوا تلك البلاد قبيلا بعد قبيل ان ديانة الامم الآريين السالفين وعبادة الملل اليافثيين المتقدمين وان كانت الكتب الدينية المذكورة لم تفدنا منها غير صورة مقتطفة من اصولها الاصلية وهيئة فرعية من عقائدها الاولية لكنها قريبة جدا منها وهى اصل سائر الخرافات التى تحكمت فيما بعد على عقول جميع الامم الهنديين والاوروباويين وخصوصا عند اليونانيين قد كانت كلها مبنية على عقيدة الوحدانية الآلهية فقد كان اسلاف الامم الهنديين والاوربيين يعتقدون ان كل شئ صادر عن الذات الآلهية العليا والحضرة المستحقة للوجود بالحقيقة القصوى وهى ذات الله سبحانه وتعالى ويرون ان تلك الذات كما هو عين العبارة المنصوصة فى صلب الكتب الويدية المذكورة هى « الذات الحى والروح الآلهى الباقى السارى فى العالم » ومما ذكر فى احد هذه الكتب الدينية المأثورة وهو الكتاب المسمى باسم (لوريج ويدا) وهو عبارة عن مدايح الهية وادعية توسلية على الهيئة الشعرية فى حق الذات العلية) ماهو قريب مما ورد فى نصوص التوراة من العبارات المتعلقة بما يستحقه المولى الاعلى جل جلاله من الصفات ونص عبارته (معربة) هكذا ان الآله الذى ندعوه «» هو وحده مالك الملك وهو ملء السموات والارض وهو المحيي والمقوى لكل شئ وكل ما عداه من الآلهة يلتمسون بركته وليس الموت والحياة المخلدة الا بامره وارادته وان الجبال المغمورة بالثلج والبحار مع ما يعتريها من الموج والاقطار السماوية المتسعة لتشهد بقدرته وهو الذى بنى على امكن اساس كلا من السماء والارض والفراغ والفلك ونشر النور فى الجو وان السماء والارض لتقشعران من هيبته بحضرته وهو الآله الاعلى فوق كل آله «» (انتهى نص عبارته) قال المؤرخ المذكور ولم يتفق ان احدا من ارباب الاديان من الامم السالفين فى قديم الازمان تكلم فى المواد الدينية باعلى من هذا اللسان غير العبرانيين ولعمرى ان ادراك الذات الالهية بهذه الصفة العالية بالنسبة للعقائد الدينية التى كانت تعلن فى اشهر المعابد والهيا كل ببلاد آسيا عند الامم المتناسلين من ابناء سام اوحام لهو اظهر دليل على ما ابنى يافث من درجة الاعلوية العقلية وشدة الميل للتصورات الروحانية العلية غير ان معنى الوحدانية الالهية الذى كان قد بقى فى عقول الناس من آثار العقائد البشرية الاصلية وبقايا الوحى الذى نزل على ارباب النبوة المتقدمين قد كان

اعتراه الفساد عند بنى يافث الاولين كما حصل مثل ذلك عند سائر الامم السالفين ماعدا العبرانيين حيث اختصهم الله سبحانه وتعالى بعنايته وامدهم باعانته اذ جعلهم مستودع حقيقته وموضع امانته فبقيت حتى وصلت الينا بخلاف غيرهم من الملل والاقوام الآخرين كبنى يافث هولاء المذكورين حيث كانت قد فسدت عقائدهم الوحيية الاصلية بما سلكوه من طرق الضلال وتوهموه بمجرد الخيال من تشخيص الصفات والنعوت الالهية وتأليه الآثار الصادرة عن الذات المؤثرة واعتقدوا ذلك كله آلهة اخرى متنوعة المراتب والاحوال صادرة عن الذات العليا فخلطوا الاله الخالق بالعالم المخلوق وحللوا وحدته الى عدة افراد اشركوهم معه فى مرتبة الالوهية وبذلك بدلوا اصل الادراك للذات المعبودة الصادر عن الوحى الاول اشنع التبديل وحولوه ابشع التحويل وانمحى ذلك الاصل بالكلية والجزئية فى صور العبادة العامية الظاهرية حتى جر ذلك الى ان سقطوا فى هاوية الاشراك وتعدد الالهة المعبودين ووقعوا من عبادة الاصنام فى اقبح دين وقد كانت المظاهر الطبيعية والآثار الظاهرية التى ترأى للاقوام الآريين الاولين انها اثر قوة الذات المعبودة الاصلية ومظهر القدرة الالهية الاولية فعبدوا فيها صفاتها وشخصوها وجعلوها ذوات آلهية اخرى وصارت اصلا لخرافاتهم الاهلية ومنشأ لاوهامهم الملية هى محض الحوادث الجوية التى تتولد منها خصوبة الكائنات الطبيعية كتأثير الشمس على الحياة النباتية وكالرياح الجارية والابخرة الرطبة والسحب والصواعق والامطار وغير ذلك من الآثار الالهية النوية

مطلب - ذكر مهاجرة القبائل اليافثية الى الاقطار المغربية وكيفية رحلتهم الى الاراضى الاوربية - لم تكن مهاجرة القبائل اليافثيين السالفين الذين تكونت منهم اهالى بلاد اوروبه الان وكيفية رحلتهم من الاقطار الاسية فى سالف الزمان قد حصلت دفعة واحدة ولم يخرجوا كلهم خرجة متحدة بل لزم الضرورة ان يكون ذلك قد حصل شيئا فشيئا وجزءا فجزءا بالطريقة التدريجية حسبما اقتضته ضرورة ازدياد عدد النفوس وتكاثر مقادير الاهالى الآريين المشرقيين لانهم لداعى كونهم بحسب طبيعة تلك الاقطار كانوا ممنوعين من جهة الشرق بموانع عظيمة وقواطع جسيمة من الجبال الصعبة القطع والارتقاء فاضطروا الان يدفعوا غيرهم من القبائل اليافثيين الآخرين الى جهة المغرب حيث كان هولاء الاقوام الاخيرون يجدون امامهم فى تلك الاقطار مسافات متسعة وفراغات من الارض مطلقة من غير مانع يمنعهم ولا قاطع يقطعهم عن ان يتخذوا لانفسهم فيها مواطن مستجدة واماكن اخرى مستعدة غير ان الظاهر ان هذه المهاجرة وان كانت فى اول الامر تدريجية كان قد طرأ عليها حين من الدهر لزم ان تكون فيه قد تزاحمت على حين

فجأة وتراكمت دفعة واحدة على حين غفلة لسبب من الاسباب اقوى دفعاً مما ذكرناه هو ليس لنا به علم غير ما يظهر من انه في ذلك الحين كان كل من بقى ببلاد آسيا من اصول القبائل اليافثيـة الاولى التى انتشت منها الملل الاوروبية والامم الافرنجية الموجودة الآن كانوا قد هاجروا مرة واحدة وخرجوا خرجة متحدة من تلك الاقطار المشرقية الى هذه النواحى المغربية ليبحثوا فيها عما فيه اصلاح شؤونهم من ترقية الاحوال والحصول على السعادة والمال وتركوا هنالك اخوانهم الآريين المشرقيين يتملكون وحدهم ويتمتعون دون غيرهم بذلك القطر الخصب الذى كان اول مهد لنسلهم وكان وقوع هذه الحركة الاهلية الكبيرة والحادثة الهجرية الاخيرة قبل ميلاد المسيح عليه السلام بثلاثة آلاف سنة من الاعوام وفى المدة التى تلى تلك الواقعة التاريخية على الفور كان قد حصل انشاء اقدم القطع المؤلفة من مجموع الكتب الدينية الاربعة المعروفة باسم (الويدا) السالفة الذكر وبالتأمل فيها والاطلاع عليها يظهر منها ان القبائل اليافثيين المشرقيين قد كانوا ايضا فى تلك الاعصار التالية على حالة من الهيئة الاجتماعية البشرية كالحالة التى كانوا عليها فى الاعصار السالفة سواء سواء غير انهم لما كانت اعداد الاهالى فيهم لا تزال تزداد بغاية السرعة لزم ان ترتب على ذلك عندهم ان العمارات والمدن كثرت والبنادر والحواضر عظمت وكبرت ومنطقة الزراعة اتسعت وتقدمت واخذت تغلب على ما كانوا عليه اولا من حالة المعيشة الرعائية والحياة الخلوية وشرعت جمعيتهم البشرية وكيفية شركتهم الانسانية فى ان تنتظم بالهيئة التدريجية اعنى انها قد اخذت فى ان تكون منقسمة الى درجات اى طوائف اهلية ومراتب ملية بدون ان تتصور بهيئة الخرق الحقيقيـة والفرق القانونية اى المراتب الاهلية التى تكون بحيث لا يسوغ لاحد من ارباب اى فرقـة منهم ان يتعداها الى ما عداها وغاية ما هنالك انها كانت على وجه بحيث ان الحرف والصنايع قد كانت عندهم فى تلك الازمان على وجه العموم وراثية بمعنى ان الولد فى اغلب الاحيان كان ينتحل صنعة ابيه ويتبعه فى وسيلة معاشه ويقتفيه لا غير وقد كانت هذه الطوائف الاهلية عبارة عن طائفة امناء الديانة او مشايخ الدين وطائفة العسكر او المجاهدين وطائفة ارباب الزراعة او الفلاحين وقد كانت تنقسم هذه الطائفة الاخيرة عندهم فى بعض الاحيان الى فصيلتين متميزتين وطائفتين اخريين وهما فرقة رعاة المواشى وفرقة الحراثين الحقيقيين ثم بتمكن حوادث الفتوحات المتوالية من الاقوام اليافثيين الغالبين وبتأثير قوة طائفة امناء الديانة المعروفين بالبراهمانيين فى بلاد الهند قد آل امر الفرق الثلاث المتركبة من اسلاف الاقوام الاريين المتقدمين لان صارت خرقا اهلية حقيقية وفرقا قانونية ملية وصارت هى الطبقات الاهلية العليا فيما بعد وصار الاهالى المغلوبون من نسل حام الذين كانوا قد سبقوهم الى تلك البلاد

فى سالف الايام منحصرين فى الطبقة السفلى وأرباب هذه الدرجة الدنيا محتقرين وهم يدعون أرباب هذه الطبقة الاهلية الدنية باسم (السودرا) اوالسودريين

مطلب — ذكر زردشت ومذهب ديانته وشرح حاله وملته — قال المؤرخ المحكى عنه اعلاه بعد ذلك ماتعريبه أدناه — وفى ذلك العصر يلزم أن نضع تاريخ حادثة المذهب الدينى الذى تدين به الايرانيون فى ذلك العهد وينسب الفخر فيه للرجل المشهور باسم (زردشت) (بفتح الزاى المعجمة وسكون الراء المهملة يليها دال مهملة مضمومة ثم شين معجمة ساكنة بعدها تاء مثناة فوقية ساكنة أيضا وضبطه ابو الفدا فى تاريخه بلفظ (زرادشت) بزاى منقوطة مفتوحة وراء مهملة مفتوحة بعدها ألف فدال مضمومة مهملة وشين منقوطة ساكنة وتاء مثناة من فوقها وهو المحرف عند اليونان بلفظ (زرواستر) (بضم الزاى المعجمة وسكون الراء المهملة يليها واو مفتوحة فألف فسين مهملة ساكنة فتاء مثناة فوقية مكسورة فراء مهملة ساكنة فى آخره) واصل معناه (اشراق الذهب) وقد اجمع سائر من كتب فى التواريخ القديمة على ان (زرادشت) هذا قد كان موجودا فى اعصار عتيقة جدا والذى استقر عليه الآن رأى اهل العلم من الافرنج المتأخرين هو انه ولو لم يتحقق تاريخ مضبوط لوقت وجود هذا الرجل المؤسس لدين الاقوام الفارسيين فى سالف الزمان ولم يزل يصعب تعيين العصر الذى حدث فيه هذا المذهب الدينى الشهير لداعى عدم الوقوف لغاية الآن على مواد صحيحة ينبنى عليها مايدل على ذلك من البرهان الا ان الاقرب للصحيح انه قد كان فى نحو القرن الخامس او السادس والعشرين قبل ميلاد المسيح ولا علم لنا بشئ ثابت صحيح فيما يتعلق بحياة (زرادشت) المذكور غير انه قد كان هو المنشئ للمذهب الدينى الذى هو باسمه لغاية الآن مشهور وتبينت أصوله فى ضمن كتب تعرف باسم (زندوستا) (بزاى معجمة مفتوحة فنون موحدة فوقية ساكنة يليها دال مهملة مفتوحة فواو ممالة وسين مهملة ساكنة فتاء مثناة فوقية مفتوحة بعدها ألف فى آخره) بل لا نعرف له على وجه الضبط وطنا معينا ونهاية ماهنالك ان المكان الذى كان فيه قد نشر أصول مذهبه وظفر بنجاحها وعظ به من قواعد دينه هذا هو الذى تعين فقط وهو بلاد (البكترية) (بلخ) وان ذلك كان فى عهد الملك (جوستاسب) بن (لوهراسب) بن (كيخسرو) بن (كيكاؤوس) بن (كيقباد) الذى هو مؤسس العائلة الملوكية المعروفة بالكيانية التى كانت هى المتولية على كرسى مملكة بلاد (البكترية) فى تلك الحقبة العصرية ولا نعرف حقيقة هذا الصانع الا بصناعته ولم تقف على هذا الرجل المشرع الا بشريعته وذلك انها فى الحقيقة هى شريعة عظيمة الشان واحكام عالية المقام تستحق اعلى درجة من الاستحسان وان ديانة (زرادشت) هذه لهى اقوى اجتهاد يتصور زمن تصاعد العقل البشرى نحو عالم الروحانيات وحقائق ماوراء الطبيعيات

وامكن عما ديمكن ان تؤسس عليه أصول ديانة ناشئة عن مجرد العقل البشرى اعنى بدون مساعدة الوحى الالهى و بمحض الاستحسان العقلى الطبيعى وبالنسبة لسائر الاديان التى كان يتدين بها سائر الملل ببلاد آسيا فى سالف الازمان وغيرهم من جميع الامم المتقدمين ماعدا ديانة العبرانيين الصادرة عن الكلمة الآلهية هى اشرف ديانة وانقاها واتحف شرعة واعلاها واقرب طريقة تشريعية للحقيقة الدينية الحقيقية وهى نتيجة اشرف الطباع المجبولة فى نفوس بنى يافث الذين هم ارباب العقول الفلسفية الحقيقية واصحاب النفوس العالية الابية التى تأنف الميل للعقائد المادّية وتأبى دون سائر بنى نوح ماينبنى عليها بالضرورة من الديانات المبنية على تعدد الآلهة المعبودة التى كانت قدسرت تدريجا فى عقائد الآخرين السالفين ومحت آثار الشريعة الموحاة السالفة فى الاعصار الاولية ولذلك ترى (زرادشت) قد جاء فى أصول ديانته بمثل ما جاء به أنبياء بنى اسرائيل واحبار دين النصرانية السالفون من شدة الغضب على عبادة الاصنام وأتى فى هذا المقام من الاحكام بما يقتضى تسمية الذوات التى كانت الاقوام اليافثيون يعبدونهم على انهم آلهة لهم بناء على أصول الديانة الويدية القديمة بالارواح الخبيثة وانه جعل الآلهة الذين كانوا لهم فى سالف الزمن معبودين بمقتضى ذلك الدين بالنسبة لديه من قبيل الشياطين والجلتقات (زرادشت) يميل فى مذهب دينه الى حقيقة الوحدانية المحضة ويصعد باجنحة قوة عقله الى اعلى هذه العقيدة الصادقة الازلية و يرقى الى اوج تلك الحقيقة الثابتة الخالدة غيرانه لما كان قد وكل نفسه لمجرد قوة عقله الطبيعية وانحرم من عناية الوحى الآلهية زلت قدمه عند هذه المسألة المعضلة وسقطت هممه لدى تلك القضية المشكلة التى هى مسألة اصل الشر فكانت هى العقبة المهولة التى انكسرت دونها سفينة علمه والصخرة الغائلة التى عجزت عندها قريحة فهمه وحيث لم يتيسر له ان يرقاها ولم يمكنه أن يخلص دونها ويتعداها اضطر لان سقط الى اسفل هذه الثنية وهبط الى ارذل عقيدة دينية اعنى عقيدة التثنية (أى اعتقاد الآله اثنين و بناء اصول دينه على اصلين) وهما الخير والشر أو النور والظلمة المدعو (أولهما) باسم (اورموزد) و (الثانى) باسم (اهريمان) وسيأتى لذلك فى المطلب الآتى بعد هذا زيادة ايضاح و بيان

مطلب — ذكر ما المراد من (اورموزد) و (اهريمان) وما حقيقة ما انبنى عليه منهما دين (زرادشت) فى سالف الزمان — وقد كان (اورموزد) فى اعتقاد (زاردشت) ومن تبع مذهبه لغاية الآن عبارة عن اله الخير فيقول بانه هو الذى خلق الخلق وانه كما هو نص الكتب المأثورة عنه المذكورة آنفا هو الروح العاقل او الحكيم و يعبر عنه كذلك بروح القدس واصل الخير و يتصور عنده بالنور والشمس والنار ويدعوها بصفة ولده وانه خالق

لكل شئ و يصفه بانه قائم بذاته غير مخلوق ازلى باق لا أول له يعهد ولا آخر له ينفد و يعتقد انه يوجد بازاء هذا الاله الجيد واصل الخير المستعد اله آخر هوله على الدوام والاستمرار خصم وضد وان اله الخير معه فى نزاع مستمر اقصد ان يتسلطن عليه و يعلوفوقه وانه اصل يساويه فى القدرة و يضاهيه فى الطبيعة والحقيقة وانه كما هو نص عبارة الكتب المذكورة اعلاه ايضا هو الروح الخبيث او اصل الشر و يدعوه باسم (اهريمان) و يقول انه هو الذى خلق الشر المعنوى والحسى وانه هو الذى خلق الموت غير ان غريزة (زرادشت) العقلية لم تأذن له ان يجزم باعتقاد كون الشر يقتضى ان يكون باقيا مخلدا الى ما لا يزال فقال بان (اهريمان) وان كان ازليا لا اول له يعهد لكنه لابد من انه يأتى عليه يوم فى آخر الزمان يغلبه فيه اله الخير ويعلو عليه ويستحيل آله الشر المذكور الى حالة العدم و ينفد وتعود الخليقة الى ما كانت عليه فى اول الامر من النقاوة والصفو و يذهب (اهريمان) الى حيث لا يرجع بالثانى الى عالم الاكوان ويسمى مذهب (زرادشت) هذا بالديانة المزدية

مطلب ــ ذكر تفرق الآريين المشرقيين الى فرقتين وتوجههم الى ناحيتين متعارضتين ــ ولما كان بالضرورة مثل هذا التبديل الدينى الكلى والحادث الكبير الاصلى الذى حدث فى تلك الازمان على يد (زرادشت) السالف الذكر والبيان لا يمكن ان يتقرر فى الاذهان بدون معارضة شديدة ومقاومة عنيدة تحصل من سكان تلك البلدان فالظاهر ان الاقوام الايرانيين الذين هم اسلاف القبائل الساكنين ببلاد الفارسيين والميديين (بلاد الآرية) قد صبوا فى اسرع حين الى التدين بأصول دين المزدية وهو مذهب (زرادشت) المذكور وذلك ان صاحب هذا المذهب الجديد المسطور كان قد خرج منهم وظهر من بينهم وذلك باعث قوى يحملهم على ان ينضموا اليه ويعتمدوا عليه وافترق منهم اعداؤه وهم القبائل الذين توجهوا منهم الى نواحى الهند وافتتحوها فى ذلك العهد وبقى فى اذهان أمثاء ديانتهم قوة العبادة الوهمية وغلبة الديانة الصنمية المتوجهة نحو تأليه الحوادث الطبيعية والاعتقاد فى اعلوية المخلوقات الكونية ولاشك فى ان حادثة تبديل ديانة الاقوام الاريين المنسوبة الى (زرادشت) المذكور واصل منشأ الوعظ به فى تلك العصور قد كانت قبل حركة المهاجرة الكبيرة التى تفرق بها مجموع الآريين المشرقيين الى فرعين وتوجههم الى ناحيتين متعارضتين احدهما الى جهة الشرق والثانى الى جهة الغرب بعد ان كانوا غاية ذلك العصر مجتمعين بعضهم مع بعض على تلك الارض ولاشك فى ان اصل هذا الافتراق الذى حصل بين هؤلاء الاتسال الآرية لا مقتضى له غير المنازعات الدينية والظاهر ان القبائل الذين اظهروا العداوة لمذهب (زرادشت) كانوا هم الذين تمت عليهم الغلبة فى تلك المنازعات التى وقعت بينهم فيما يتعلق بمسائل العقائد الدينية وكيفية الاعمال التعبدية فاضطروا

للمهاجرة بالكلية من ارض (البكترية) التى كانت هى اصل مسقط رأسهم واول مهد لابناء جنسهم وصارت تلك الارض وطنا خاصا لاخصامهم وارتحلوا زمرا عنها وانتقلوا جموعا منها الى ماوراء سلسلة جبال (هند كوش) من الجهة الاخرى

ولم يزالوا يتقدمون من هنالك دائما الى نحو المشرق والجنوب وتوطنوا على التدريج بالاقطار التى كانت تعرف عند اليونان فى تلك الاعصار باسم (البارو بانيسوس) و(الدرنجيان) و(الاراكوزيا) وتداخلوا فى الجزء الشمالى من وادى جيحون ومكثوا فى تلك الاقطار مدة الف سنة يتنازعون مع الاقوام البلديين الاصليين الذين هم من نسل حام ومن ثم تعدت يدهم وامتدت سلطنتهم على سائر البلاد الكائنة بحوضى جيحون ونهر السند

واما الايرانيون التابعون لمذهب (زرادشت) فكانوا قديما متوطنين ببلاد (البكترية) (وهى خانية بلخ) و بلاد (السوجديان) (وهى مايدعى الآن بخانية بخارى وخوقند من بلاد تركستان) و بلاد (مرجيانه) (وهى البلاد الكائنة على شواطئ النهر المعروف الآن بنهر مرجاب) واستقر بعضهم فى تلك الاقطار وهاجر آخرون منهم بضرورة كثرة عدد النفوس ديهم الى جهة الجنوب الغربى وعبروا بلاد (هركانيا) وتغلبوا على بلاد (مادى او الميدية) و(السوسيه) و بلاد فارس الاصلية وطردوا منها بالسهولة سكانها الاصليين الذين هم من الاقوام الكوشيين المذكورين فى الروايات القديمة المتداولة عند الفرس بانهم كانوا رجالا سود البشرة اولى شعور قصيرة تشبه اصواف الغنم

الفصل الثانى

فى تاريخ الماديين او الميديين وذكر الدولة الميدية

مطلب — ذكر الماديين الاريين والتورانيين — اما فى بلاد فارس الاصلية وفى بلاد القرمان التى كانت ملحقة بها من وقت استيطان القبائل اليافثية فيها فان الايرانيين لم يجدوا من طرف سكانها الاصليين معارضة شديدة ولا مقاومة قوية عنيدة ولذلك مكثوا بتلك البلاد وتوطنوا فيها وصاروا هم المالكين لها بدون منازع قوى ينازعهم عليها بخلاف بلاد الميدية حيث كان الاقوام الاريون قد سبقهم اليها القبائل التورانيون الذين هم اعداؤهم الشديدون واخصامهم الالدون وكان هؤلاء القبائل التورانيون الذى كانوا متوطنين فى اول الامر ببلاد الميدية يوجد منهم فيها اقوام عديدون ورجال اولو عصبية كثيرون

ولذلك لم يتيسر للقوم الايرانيين ان يخرجوهم من ديارهم بل اضطروا الان يساكنوهم فيها ويبقوا فوقهم هم الاعلون ويمكثوا عليهم بصفة اقوام الفاتحين

مطلب — ذكر منازعة القومين ومقاومة الخصمين المذكورين — وقد كان التورانيون الذين هم سكان بلاد (مادى) الاصليون فى اول الامر قد امتثلوا الشدة الوطأة الناشئة بادئ بدء عن قوة علية الاقوام الاريين ثم رفعوا رؤسهم فى اقرب مدة واشتبكوا بالحرب والقتال مع القوم الايرانيين الذين ارادوا ان تكون لهم الدولة عليهم ولم يزل النزاع بين القومين يتردد مرة بعد مرة ويتجدد بين الخصمين المذكورين كرة بعد كرة على ذلك القطر حيث كانت القوة متساوية من الطرفين والشجاعة متعادلة من الجانبين حتى مكث النزاع بينهما مدة اكثر من عشرة قرون والحرب بينهما سجال تارة ينتصر هؤلاء واخرى يظفر الآخرون وليس لهذه الوقايع الحربية تاريخ ثابت وثيق يعتمد به ولا ذكر محقق يعتمد عليه غير ان ذكراها لم تزل محفوظة مع غاية الوضوح والصراحة العجيبة فيما بقى لغاية هذه الايام الحاضرة من الروايات المتداولة بين العوام ببلاد فارس ولم يزل مذكورا فى ضمن الحكايات الخرافية والافتعالات التخيلية المأثورة عن الشعراء الفارسيين فلم يزالوا يتحدثون بان مدة الحروب المذكورة كانت قد طالت جدا وعالت اشتدادا وبعدا ثم آلت فى اخر الامر لان غلب ايران على توران وصار هو الاعلى عليه غير انه لم يصل لغاية ان يعدمه بالكلية ويفنيه وقد كان ذلك فى الحقيقة هو ما وقع فى آخر الحروب الاهلية والمنازعات النسلية التى وقعت فى تلك الاعصار الغابرة بين التورانيين والايرانيين ببلاد الميدية اعنى ان الايرانيين لم يبلغوا املهم من اعدام صورة الوجود الملية وهيئة الكينونة الاهلية التى كانت متكونة من الاهالى التوارنيين الذين كانوا قد سبقوهم بالتوطن فى تلك الاقطار من سالف الاعصار وانما تغلبوا عليهم بالقوة القهرية وتحكموا فيهم بالحالة السيادية وصارت لهم الدولة عليهم وصاروا هم بالتبعية اليهم

مطلب — ذكر دين المجوسية وبيان كونه هو غير دين المزدية — ومع ما كان قد استقر الحال عليه من توطن هاتين الملتين المتغايرتين فى الاصل والنسب ببلاد الميدية وهما الايرانيون والتورانيون ومن بعد ما وقع بينهما من المقاومات الاهلية والمخاصمات الدينية فى ظرف تلك المدة المديدة من القرون الزمنية قد كان من المستحيل ان مذهب (زاردشت) المجلوب الى تلك البلاد مع القبائل الايرانية يبقى فيها على حال النقاوة الاصلية بدون ان يعتريه بعض تغيير وتبديل وفى الواقع ونفس الامر كان قد حصل فى مذهب الديانة المزدية الذى هو دين فارس الاصلية بعض تحويل فى ذلك العصر وآل الى ما صار يعرف بدين المجوسية وهو مذهب الديانة الذى حدث بتخاصم الملتين المذكورتين وتفاقم هذين القومين

المخاصمين ببلاد الميدية وكان مذهب دين الميديين مخالفا بالكلية لمذهب الاقوام الفارسيين وانما عرف بدين المجوسية نسبة الى طبقة امناء الدين السيادية التى كانت تقوم بخدمته وكانوا يدعون بالمجوس وحينئذ فدين المجوسية هو خلاف دين المزدية وقد جرت عادة الناس ان يطلقوا اسم دين المجوس على مذهب (زرادشت) المسمى بدين المزدية والحال ان هذا خطأ كان اول من وقع فيه مؤرخو اليونان فى سالف الازمان وكان اولهم المؤرخ اليونانى المعروف باسم (هيرودوت) وذلك انه قد كان انما سافر فى بلاد الميدية لا فى بلاد فارس الاصلية فخلط دين المزدية بدين المجوسية ولا شك فى ان ذلك خطأ صريح والصحيح كما علمنا من المعلومات التى تحصلنا عليها فى هذا الشان وان كانت قليلة الوضوح والبيان هو ان دين المجوسية عبارة عن مذهب اعتزال ناشئ عن اصل دين (زرادشت) مبنى على عقيدة التثنية الالهية كدين المزدية غير ان الفرق بينهما ان المجوس يعتقدون مساواة الاصلين (اهريمان) و(اورموزد) اللذين هما اله الشر واله الخير عندهم ويتعبدون لعدد كثير من الالهة المتعددين والاصنام المعبودين حيث سرى لهم ذلك من ديانة الامم المجاورين ولاسيما من الاسوريين وهذا امر مناقض بالكلية لاصل شريعة (زرادشت) الاصلية

مطلب — ذكر استيلاء الدولة الاسورية على بلاد الميدية — وقد كانت بلاد الميدية من اول الاقطار التى تعدت اليها ايدى ملوك الاسوريين من دولة بنى بيلطارة فكانت فى ايديهم مذعنة لوطأة ظلمهم وتعديهم مع غاية الامتثال والاذعان مدة ثلاثة قرون من الزمان وكانت طريقة سياسة الاسوريين فى تلك البلدان ان يعتمدوا على القوم التورانيين لكونهم رأوهم اقرب للطاعة والامتثال من الاقوام الاريين لما كان فى طباع الاريين المذكورين من حب الحرية والاستقلال وعدم سهولة الاذعان لاحكام الدولة الاجنبية ولكونهم كانوا كثيرا ما يتظاهرون عليهم بالعصيان ولداعى كونهم كانوا على الدوام والاستمرار مستعدين عليهم للقيام والثوران ثم لما تثاقلت وطأة الدولة النينوية مع مرور الزمن على سائر الاهالى الميديين من كلا الجنسين المذكورين سواء كان أصلهم من التورانيين أو الايرانيين حصل ارتداد فعلى فى الجنس الايرانى الاصل الذى كان هو المقاوم لجور الدولة الاجنبية ولداعى توجيه الحرب على الدوام من طرف الملوك الاسوريين الى الطبقة الآرية ببلاد الميدية تقررت اعلويتها وثبتت أفضليتها وامتزجت بالطائفة التورانية وانضم كل من هاتين الطائفتين الاهليتين المذكورتين كلتاهما الى الاخرى وان كانتا من منذ قرون عديدة متعاديتين عداوة شديدة واجتمعتا لقصد التخلص من ظلم هذه الدولة الغريبة والماجاء وقت توجيه اول ضربة قوية على الشوكة النينوية التى كانت متسلطنة على بلاد الميدية فى تلك الحقبة العصرية كان القوم الآريون هم أول

ذكر الدولة الميدية

مطلب — ذكر ارباس والدولة الجمهورية الميدية (من سنة ٧٨٨ لغاية سنة ٧١٠ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السابق الذكر والبيان أعلاه بعد ذلك ما معناه قد قصصنا فى الباب المعقود للبحث عن تاريخ الاسوريين والبابليين السابق قصة العصيان الذى حصل بمجموع تدبير كل من قائد العسكر المسمى باسم (ارباس) الميدى الاصل والقائد الكلدانى المسمى باسم (فول) أو (بيليزيس) فى سنة ٧٨٨ قبل ميلاد المسيح عليه السلام وما ترتب على ذلك من خروج الجنود الملكية على الدولة الاسورية واستيلائهم على مدينة نينوى وقتل الملك سردانابال الى آخر ما ذكر فى موضعه هناك فلا حاجة لتكراره هنا بالثانى وتمام ما ترتب على هذه الفتنة الجندية بالنسبة لبلاد الميدية هو ما انعقدت له هذه الترجمة بالخصوص وهو المعبر عنه فى كتب التواريخ الاسلامية بتاريخ ملوك دولة فارس الاولية وما تحقق منه عند علماء الافرنج المتأخرين هو ما نذكره بعد فنقول

قال المؤرخ المذكور انه من بعد تمام هذه الفتنة الاسورية واستقرار (ارباس) فى بلاده الاصلية لم يكن هو فيها ملكا حقيقيا ولاسيما بالمعنى الذى يطلق عليه هذا اللفظ عند الامم الاسيين بل كان قائدا عسكريا ورئيسا جهاديا واحدا للة مرتبة ترتيبا سياسيا أساسيا على هيئة ما يعرف الآن عند الامم المتأخرين بالحكومة الجمهورية وبقى الحال كذلك حتى لحقته الوفاة فاستمر الميديون على تلك الهيئة الجمهورية من بعد وفاته غير انهم لم يوجد فيهم من بعده رجل وجيه ذو فخر وشوكة يجتمعون اليه ورئيس نبيه ذو اعتبار وصولة يعتمدون عليه ليمسك فى يده عروة امورهم العمومية ويحفظ فى قيده ولايتهم المركزية فتفرق شملهم وتمزق حالهم بالكلية والجزئية والجملة فقد كان التفرق الذى هو من هذا القبيل مدة مقدار عديد من القرون جيلا عن جيل هو الحال الاصلى المتسلطن فى سائر القبائل الايرانية على العموم حين كانت عندهم طريقة تمييز القبائل لداعى موافقتها لما كان متحكما فى طباعهم من حب المعيشة الحربية مع الاشتغال بالفلاحة ورعاية المواشى دون سائر الصنائع والفنون قد بقيت لديهم على حالة نقاوتها الاصلية وكانت عندهم هى القاعدة

الاساسية التى ينبنى عليها تركيب هيئتهم الاجتماعية البشريه
واذا كانت هذه الحالة التفرقية توافق حب الاستقلالية المحلية وتناسب الحرية الشخصية الاهلية وتليق بحال أمة لا بأس عليها ولا خطر يصل اليها من الغارات الاجنبية كالامة الفارسية الاصلية فقد كانت مضرة بامة كالامة الميدية اذ كانت على خطر شديد من جهة الدولة الاسوريه وذلك انه على أبواب الميديين كانت السلطنة الاسورية قد قامت من سقطتها فى اسرع مدة زمنية واعادت قوتها العسكرية الى اقوى مما كانت عليه فى اى حقبة عصرية وكانت قد دخلت فى طريق الفتوحات والتغلب على سائر الاقطار والولايات وتوجهت مطامعها خصوصا الى استرداد سائر البلدان التى كانت تحت طاعتها فى سالف الزمان واشتد تتبعها على الوجه الاخص لاعدام سائر الدول التى كانت قد تعصبت عليها وخرجت عن القاء يد الطاعة اليها وترتب على تحزبها عليها خراب مدينة نينوى بالكلية وكانت بلاد الميدية بعد ان كان قد اخرجها (ار باس) من رق عبودية الملوك الاسوريين قد كادت ان تقع فى حبالة أسر الدولة العراقية بالثانى لولا ان شدة الخطر المتوجه اليها من تلك الجهة وضرورة الاجتماع للمدافعة العامة عن الاوطان قد الجأت الاقوام الميديين على ان تركوا الحالة الاستقلالية التى كانوا عليها فى كل خطة ارضية من بلادهم واجتمعوا فى هيئة دولة واحدة قوية واتخذوا هيئة الحكومة الملوكية وتوضيح ذلك هو ما يأتى فى المطالب المسطورة بعد

مطلب ـــ ذكر (ديجوسيس) ومنشأ ترتيب الملك ببلاد الميدية (من سنة ٧١٠ لغاية سنة ٦٥٧ ق م) قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه قال المؤرخ اليونانى المشهور باسم (هيرودوت) ما نص عبارته هكذا قد كان يوجد فى بلاد الميديين رجل حكيم يسمى باسم (ديجوسيس) وكان قد تعلقت اطماعه بان يكون ملكا عليهم فسلك مسلك العدل وحسن السيرة للحصول على اغراضه وذلك انه قد كان من اخلاق الاقوام الميديين انهم كانوا متفرقين الى احطاط متميزة كل قبيلة منهم فى خطة ارضية مختصة بها لا يتعدى عليها فيها غيرها وكان (ديجوسيس) هذا منذ زمن طويل قد صار رجلا معتبرا فى قومه مشتهرا فى خطه ولكونه يعد ان المظلومين يبغضون الظلمة ويحبون من يقضى بينهم بالعدالة والحكمة كان يبذل كل طاقته فى ان يقضى بالحق بين اهل عشيرته بخلاف سائر القبائل ببلاد مادى كلها حيث كانت اصول العدل فيها منكرة وسائر القوانين والشرائع محتقرة ولما شاهد أهل خطه حسن سيرته ولوه عليهم قاضيا فسلك فى جميع أعماله مسلك العدل والاستقامة ولم ينحرف عن طريق الحق فى جميع أحكامه حتى استوجب ذلك غاية الثناء عليه من أهل قبيلته وسمع به غيرهم من سكان الخطط الاخرى وكانوا الى ذلك الوقت يقضى عليهم ظلما وجورا وحيث ثبت لديهم من غير شك ولا التباس ان (ديجوسيس) دون غيره هو

القاضى

القاضي الكامل والحاكم العادل الذي يقضي بالحق بين الناس صاروا يتجارون الى محكمته ولا يرضون الا بحكومته ولم يزل يزداد فى كل يوم عدد المتقاضين لديه ويشتد زحام المتحاكمين اليه لتيقنهم من عدالة احكامه ولما شاهد ان جميع الناس قد انكبوا عليه وانه قد صار وحده هو الحامل لثقل اعباء جميع القضايا والاحكام امتنع من الجلوس بمجلس القضاء وأبى ان يصعد على كرسي المحكمة بعد ان كان هو وحده من تلقاء نفسه يصعد عليه وينظر فى كل أمر يعرض اليه ويقضي فيه وصرح بتنازله عن وظيفة القضاء بين الناس متعللا ان ذلك اوجب اهمال مصالحه الخصوصية حيث صار يقضي ايامه كلها فى قضاء المصالح العمومية فترتب على امتناعه هذا ان عادت السرقات وانقطعت الطرقات وفشا الظلم والجور فى سائر الطبقات الاهلية واختل نظام الجمعية بالكلية فى سائر أخطاط جميع بلاد الميدية اكثر مما كانت عليه فى أى مدة كانت من الاعصار الخالية ولذلك اجتمع سائر الاهالى الميديين فى مجلس جمعية عمومية وتشاوروا فيما بينهم لقصد ان يرسوا الهم على صورة مستحسنة فى شأن حالتهم الراهنة وقام أصدقاء الحكيم (ديجوسيس) فى المجلس وقالوا امام من فيه حيث كانت هذه الحالة التى نحن عليها بهذه البلاد لا يمكن معها ان نعيش فيها فقد وجب علينا ان نختار لنا ملكا يضبط امورنا ويقضي بيننا على أصول جيدة وقوانين متقنة حتى يتيسر لنا ان نزرع أراضينا مع الامان بدون ان نخشى من احد يخرجنا منها بالظلم والجور والقوة القهرية فأثر هذا القول على عقول سائر القوم الميديين واتفقوا جميعا على ان يتخذوا لهم ملكا وأخذوا على الفور فى ان ينتخبوه وحيث اجمعت سائر الاراء بالمدح والثناء على الحكيم (ديجوسيس) المذكور واتفقوا كلهم على انه هو الجدير وحده بالقيام بولاية الامر العمومية توجهوا اليه وبايعوه وباجماعهم عليه قلدوه بالملك وولوه فأمرهم بان يشيدوا له قصرا يليق بمرتبته ويرتبوا له حرسا يقومون بحفظ ذاته وحضرته فامتثلوا ذلك الامر وبنوا له فى المكان الذى أشار لهم اليه عمارة متسعة حصينة ودار مملكة جميلة متينة واباحوا له ان ينتخب من شاء من جميع افراد الامة الميدية ليكونوا لنفسه طائفة حرس ملوكية وبمجرد ان صعد على سرير الملك اجبر الرعية على ان يبنوا له مدينة وامرهم بان يزينوها بانواع الزينة ويحصنوها بالقلاع والحصون المكينة ولم يلتفت لغيرها من الاماكن التى كان يلزم ان تكون حصينة بتلك البلدان فامتثلوا امره وأذعنوا اليه كل الاذعان وشيدوا له مدينة حصينة وقلعة كبيرة جدا وهى المسماة فى ذلك الزمان باسم (ايكباتان) وفى مكانها الآن مدينة (همدان) (اه) ما نقله المؤرخ فرانسيس لونورمان عن (هيرودوت) مؤرخ اليونان

مطلب — ذكر الملك (فراورت) وما نشأ فى عصره من السلطنة الميدية الكبيرة

(من سنة ٦٥٧ الى سنة ٦٣٥ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان أعلاه بعد ذلك ما معناه والظاهر ان مدة ولاية الملك (ديجوسيس) هذا قد كانت مدة سلمية استعملها هذا الملك بالخصوص فى ترتيب أحوال المملكة الميدية الداخلية لتكون مستعدة لما كان قد كتب لها من المقادير الازلية وتوصلت اليه فيما بعد بذلك العهد من المراتب العلية وذلك انه من بعده كان قد تقلد بالملك فى ذلك الوقت ولده المدعو باسم (فراوورت) وكان ملكا محبا للجهاد وسلطانا مغرما بفتح الممالك والبلاد ولا نعلم شيأ صحيحا من اخبار أوائل مدة حكمه غير ما يظهر لنا من انه كان قد اشتغل بطرد الاسوريين من سائر الاماكن التى كانوا لم يزالوا عليها مستولين من بلاد الميدية وذلك اننا نرى هذا الملك من أوائل مدة الفتوحات التى كان قد تحصل عليها من البلاد الاجنبية مستوليا على سائر بلاد (مادى) من غير منازع ينازعه ولا معارض يعارضه فى ذلك مع ان من المحقق كون جزء منها قد كان فى مدة عهد الملك (ديجوسيس) السالف الذكر فى يد بعض الامم الاجنبية ولم يبتدئ الملك (فراوورت) فى مغازيه الكثيرة الا فى (سنة ٦٥٠ ق م) وكانت قد توجهت همته الجهادية أولا الى جهة المشرق وكان مبدأ امره ان أطاع لدولته بادئ بدء سائر بلاد فارس الاصلية وكانت فى ذلك العصر قد أخذت فى ان تتكون فى هيئة مملكة متحدة بعد ان كانت قد مكثت مدة مديدة وهى متفرقة الى عدة قبائل متعددة لا رابطة لها ولا عقدة تحالفية وثيقة تضبطها وكان أول تصورها فى صورة المملكة المتحدة فى الوقت الذى كانت بلاد مادى قد خرجت فيه بواسطة عصيان (ارباس) السالف الذكر عن طاعة السلطنة الاسورية التى كانت قائمة بمدينة (نينوى) فى ذلك العصر وكان ملك فارس المسمى عند اليونان باسم (آشيمينوس) هو آخر ملك استقل بمملكة فارس الاصلية ثم حاربه فانتصر عليه وغلبه الملك (فراوورت) ملك مادى المذكور فاعترف له بالتبعية وصارت مملكة فارس الاصلية تابعة للدولة الميدية والملك (آشيمينوس) هذا هو أصل العائلة الملوكية الفارسية التى منها الملك (كيرش أوقيروس) وسائر ملوك فارس المسمين عند اليونان بالآشيمينوسية (وعند مؤرخى العرب وفارس بالكيانية)

ولم يقتصر ملك مادى المذكور فى تلك الجهة من الفتوحات والاستيلاء على الممالك والولايات على ما ذكر أعلاه فقط بل كان فى مسافة بعض سنوات قلائل قد أطاع لدولته سائر الامم المتوطنين فيما وراء جبال (هندكوش) وصحارى بلاد القرمان اذ كان أصل اكثرهم من الايرانيين وقد صرح الطبيب المؤرخ اليونانى المشهور باسم (اكتازياس) فى كتاب تاريخ فارس والهند الذى كان قد ألفه وبقى بعضه مسطورا فى ذيل تاريخ (هيرودوت) بان الفرثيين وهم قوم أصلهم من الاقوام البيتيين او التوارنيين كان الملك (فراوورت) قد

أدخلهم تحت طاعته ومن ابتداء مدة حكم هذا الملك نرى ايضا بلاد (البكترية) وما التحق بها من ولاية (هركانيا) وولايتى (المرجيان) و(السوجديان) كلها منضمة لدولته وكذلك فى جهة الغرب من بلاد مادى كانت الامة الارمنية التى هى من جملة الامم الآرية وكانت متحالفة من عهد (ارباس) مع الامة الميدية لزم الضرورة ان تكون مذعنة بالتبعية لسلطنة الملك (فراوورت) المذكور وعلى حسب الظن القوى وصادق الحدس العقلى انه كان فى نظير تلك التبعية قد انقذ بعض اراضيهم من يد الدولة الاسورية اذ كان بعضها تحت ايديهم وكانت قد وصلت اليهم يد تعديهم

وحيث كان الملك (فراوورت) قد استولى على جميع هولاء الامم وبذلك جعل المملكة الميدية سلطنة جهادية متسعة ودولة عسكرية ذات منعة قوية ظن انه يمكنه ان يفعل بمدينة نينوى كما فعل بها من قبله (ارباس) أعنى انه اراد ان يخربها ثانى مرة وكانت قد قامت من سقطتها ورجعت لسالف بهجتها وعظمتها بعناية الملك (سنحاريب) وشرع فى ان يطيع لدولته بلاد الاسورية لكن خاب أمله فى ذلك اذ توجه مع نخبة جنوده اليها فلم يظفر بها وهلك هو وهم جميعا فى (سنة ٦٣٥ ق م)

مطلب — ذكر الملك (سياكزار) (من سنة ٦٣٥ الى سنة ٥٩٥ ق م)

وتقلد بمملكة الميديين من بعد الملك (فراوورت) المذكور ولده المسمى باسم (سياكزار) فكان اكثر حبا للجهاد واقوى شغفا بالحرب والجلاد من والده المحكى عنه أعلاه وذلك انه اعتبر بسوء عاقبة أبيه فكان أول عنايته منذ صعد على سرير مملكته ان أحدث فى الامة الميدية ترتيبات عسكرية جيدة وكان القوم الفرثيون بوفاة أبيه قد خرجوا عن طاعته فتوجه اليهم وحاربهم واطاعهم بالثانى لدولته ثم التفت لتنفيذ مقاصد والده فيما يتعلق باخراب مدينة نينوى بالثانى وتدبر فى ذلك الامر وتفكر وتأمل وتبصر فأداه حسن التدبير الى ان مثل هذا المشروع المهم لا يتم الحصول عليه الا بواسطة عقد محالفة مع اهل الجنوب من حوض دجلة والفرات كما فعل مثل ذلك (ارباس) فى سالف الاوقات ولاجل ان لا يقدم وحده على مثل هذا الامر العظيم عقد عهدا مع الملك الكلدانى المعروف باسم (نابوبولاصر) على انهما يفتتحان معا ويقتسمان المملكة الاسورية وتوثقت عروة هذا العهد بما حصل بينهما على الفور من المبادرة بعقد زواج بنت الملك (سياكزار) المذكور على ولد الملك (نابوبولاصر) وهو (بختنصر) المشهور وقد كان شابا حديث السن بعد وبوفاة الملك (آسورديليلى) ملك نينوى فى سنة ٦٢٥ قبل الميلاد (كما اسلفنا ذكر ذلك فى موضعه) بدت لهذين الملكين المتحالفين والسلطانين المتصاهرين فرصة ان ينفذا أغراضهما وعزما على ان يبلغا مقاصدهما فاغارت الجيوش الميدية والكلدانية دفعة واحدة على بلاد الدولة الاسورية

فتوجه الميديون اليها من جهة الشمال والكلدانيون من جهة الجنوب والتقى الجمعان والتحم الصفان من الجنود الميدية والعساكر الاسورية وكان قد غلب الميديون على الاسوريين فى ملحمة عظيمة وواقعة حرب منتظمة جسيمة وأخذ الملك (سيا كزار) فى أن يعقد على مدينة (نينوى) دائرة الحصار وتقدم الملك (نابو بولاصر) ودنا من ان يحضر لامداده بسائر اجناده على اخذ هذه المدينة واذا بملك الميديين قد نزل عليه على حين فجأة منه جيش عديد من الاقوام السيتيين وشنوا الغارة على سائر بلاد الميديين

مطلب — ذكر غارة الاقوام السيتيين على بلاد الميديين — وقد كانت غارة الاقوام السيتيين عبارة عن مهاجرة حصلت من امة متوحشة سارت بالصدفة وذلك انه كانت قد قامت حرب بينهم وبين قوم آخرين كانوا لهم مجاورين يقال لهم (القريميون) كانوا فى ذلك العصر متوطنين بالصحارى الجبلية الكائنة فى شمال بحر الخزر وجبال قوقازة فلما تمت غلبة السيتيين على هؤلاء القوم القريميين اندفعوا وراءهم ولم يزالوا هم متتبعين حتى ضلوا فى مضائق جبال قوقازة ولم يزالوا يتقدمون فيها الى جهة الامام ويهيمون فى تلك الصحارى بدون أن يعرفوا الى أى جهة هم متوجهون حتى نزلوا كالسيل على بلاد الميديين فقام الملك (سيا كزار) المذكور وأراد ان يوقف غارتهم ويمنع صولتهم عن بلاده ولاقاهم بجنوده فهزموه وغلبوه واضطر لان صار تحت طاعة هؤلاء القوم المتوحشين وملك السيتيون مدة ثمانى عشر سنة يخربون سائر بلاد آسية الداخلية حتى انهم بلغوا الغاية حدود الديار المصرية وكان الميديون هم اكثر سائر الامم الآسيين اصابة بغارة هؤلاء القوم المغيرين حيث كانوا قد توطنوا ديارهم وتمكنوا فيها على وجه بحيث كان يظهر عليهم انهم لا يريدون ان يخرجوا منها أبدا ولم يتوصل الميديون للنجاة منهم الا باعمال الحيلة والخيانة عليهم وذلك ان الملك (سيا كزار) وأصحابه من طائفة اسياد الميديين الكبار دعوا ملك السيتيين وأعيان رؤسائهم الاصليين الى وليمة كبيرة واسكروهم بكثرة شرب الخمر ثم ذبحوهم عن آخرهم وهم سكارى وقامت جميع الاهلين الميديين على سائر الاقوام السيتيين فقتلوهم عن آخرهم وقطعوا دابرهم جميعا حيث صاروا لا رئيس لهم ولا رابطة عامة تجمعهم

مطلب — ذكر ما حصل بعد ذلك للملك (سيا كزار) من الظفر الجديد — وبمجرد ما انتقذ هذا الملك من غارة هؤلاء الاقوام المتوحشين كان قد جدد العهد مع الملك (نابو بولصر) والتفت لتنفيذ ما كان قد عقد عزيمته عليه وتحبب اليه من العزم على خراب مدينة (نينوى) بالثانى فتوجه كل من هذين الملكين المحالفين بجنودهما اليها وعقدا الحصار عليها وظفرا بها تمام الظفر وانتصرا عليها كل النصر وفى (سنة ٦٠٦ ق م) كانت هذه

المدينة الجبروتية الفاخرة والحاضرة العظيمة المتكبرة التى كان قد أعادها الملك (سنحاريب) بالثانى من بعد خرابها الاول الى درجة عظمتها الاولى قد سقطت فى قبضة هذين الملكين الجبارين فأخرباها فى هذه المرة خرابا لم تعد للعمارة من بعده ابدا واقتسما بينهما بلاد الاسورية فاخذ الميديون جهة الشمال واستولى البابليون على جهة الجنوب منها ثم بعد ذلك بثلاث سنوات أعنى فى (سنة ٦٠٣ ق م) كانت قد قامت حرب أخرى بين (سيا كزار) وملك القوم المسمين باسم (الليديين) وهو المدعو باسم (أليات) وكان هذا الملك الاخير قد استولى منذ بعض سنوات قليلة على أقليم (افريجيا) وهو على وجه التقريب عبارة عما يسمى الآن بلواء قونية وآقسراى وآقشهر ببلاد القرمان ولوائى كوتاهية وقراحصار من بلاد الاناطول المعروفة (ببلاد آسيا الصغرى) وكذلك على أقليم (قابادوسيا) وهو جزء من ولايتى سيوة والقومان الآن) قال المؤرخ اليونانى المشهور باسم (هيرودوتس أو هيرودوت) فى تاريخه ما نصه (معربا) هكذا

مكث الميديون والليديون يتحاربون مدة خمسة سنوات والحرب بينهما سجال تارة يظفر هؤلاء وأخرى ينتصر الآخرون حتى جاءت السنة السادسة فحصل بينهما ما هو أشبه بواقعة حرب ليلية وبيان ذلك ان القومين المذكورين بعد ان مكثا تلك المدة على الدوام والاستمرار فى قتال تعادل فيه الحظ من الطرفين لما قد تلاقيا فى ملحمة كبيرة ومقتلة خطيرة واذا بالنهار قد صار ليلا على حين غفلة منهما بانكساف قرص الشمس وهما فى حومة الميدان يتحاربان ويتضاربان وكان الحكيم (طاليس) الميلطى احد فلاسفة اليونان السبعة المشهورين قد أنذر من قبل بهذه الحادثة الجوية واخبر بوقوعها الامة اليونانية وعين ذات اليوم والسنة التى تقع فيها ولما تراءى للجيوش الميدية والليدية ان النهار قد انقلب ليلا أحجموا عن القتال وبادروا للصلح . . . . وتوسط بينهما فى ذلك ملكا بابل وبلاد (سيليسية) (وهى المعبر عنها الآن بولايتى سليفكة وادنة) ولما كانوا يظنون ان عروة العهود لا تتأكد الا برابطة قوية كرابطة مصاهرة ونحو ذلك ألزم هذان الملكان الملك (اليات) بان يزوج ابنته المسماة باسم (ار يانيس) بابن الملك (سيا كزار) المذكور المدعو باسم (أستياج) (اه نص كلام هيرودوت) ثم قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المنقول عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه وتعين مجرى النهر المسمى باسم (هاليس) (وهو المعروف الآن باسم (قزيل يرموق) وهو القاسم لارض اقليم (قابادوسيا) المذكور الى قسمين متساويين هو الحد الفاصل بين تخوم السلطنتين المذكورتين

مطلب — ذكر الملك (استياج) والملك (كيرش أو قيروس) المشهور وقصة زوال سلطنة الميديين فى سالف العصور (من سنة ٥٩٥ الى سنة ٥٦٠ ق م)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أعلاه بعد ذلك ما معناه وكان الملك (استياج) ابن (سياكزار) المذكور قد خلف أباه على سرير سلطنة الميديين فى (سنة ٥٩٥ ق م) وكان ملكا ظالما وسلطانا جائرا غاشما لا فخر له ولا مجد قال المؤرخ الفرانساوى المعروف باسم (روبيو) ما نصه (معربا) بعد
وكان قد رأى فى المنام انه يعزله عن سرير مملكته ابن بنته المسماة باسم (مندانة) وكان قد زوجها بولد من ذرية العائلة الملوكية الفارسية القديمة يقال له (قمبيزس أو قمبيز) فأراد ان يقتل الطفل الذى ولداهما عند ولادته وهو (كيرش أو قيروس) وأمر بهذه المأمورية رجلا من كبار ضباط عسكره يقال له (هرباجوس) وهذه القصة مبنية على ما حكاه اهل فارس نفسهم فى حكاياتهم الاهلية ورواياتهم الملية حيث ارادوا أن يغربوا فى قصة تاريخ مدة طفولية الملك (كيرش) هذا بذكر احوال غريبة ووقائع عجيبة اذ كان هو الذى وسع سلطنتهم ورفع صولتهم وبواسطته استولوا على سائر بلاد آسيا فذكروا ما معناه ان (هرباجوس) المذكور أعلاه لما أمره الملك (استياج) بان يأخذ حفيده هذا ويقتله كان قد هزته أريحية الرأفة اليه واخذته شدة الرحمة والحمية عليه فتعلقت ارادته بان انجاه من القتل الذى أمره به الملك وألقاه عند راع من رعاة الفلاه واودعه اياه ثم عثر عليه الملك الميدى الذى هو جده لامه وعرفه بتقاطيع وجهه وأسرة محياه فاستحياه وابقاه مؤولا رؤياه بأنها قد تصدقت بما كان (كيرش) قد اجراه بوقت طفوليته وقد رآه وهو يلعب مع الاطفال يجرى صورة رسوم المملكة عليهم ويلقى الاوامر العلية بنخوة الملك اليهم فاخذه الى قصر مملكته وضمه الى اهل دولته وانتقم من ضابط العسكر الذى كان قد امره بقتله على وجه شنيع وطريق بشيع بان اطعمه لحم ذات ولده فى هيئة لحم جدى مشوى فحقد ذلك (هرباجوس) على (استياج) وحمل (كيرش او قيروس) على الخروج عن طاعة جده وعلى ان ينقذ امة فارس الاصلية من رق السلطنة الميدية ووعده بان يساعده على ذلك بكل قوته ويعضده بذاته متى شرع فى تلك المسالك قال المؤرخ (روبيو) المروى عنه اعلاه بعد ذلك أيضا ما معناه وكان (كيرش) المذكور قد اعمل الحيلة وتوصل لان اثار نيران الفتنة والعصيان عند ابناء اوطانه الاصليين اعنى الاقوام الفارسيين وكانوا أقواما جبليين واناسا بدويين اشد قوة واقوى على الحرب والقتال من الاقوام الميديين وكان الملك (استياج) قد أساء التدبير اذ قلد (هرباجوس) هذا برياسة جنده المتوجه لقطع دابر هذه الفتنة وقمع ذلك العصيان حيث خان الملك لداعى ما كان قد اسره فى باطنه من الحقد عليه بما اجراه فى حقه من الظلم بذبح ولده واطعامه لفلذة كبده وترك راية الظفر ومزية الغلبة والنصر لرئيس جند القوم الفارسيين على الميديين فقام الملك (استياج) بنفسه

على رأس جنوده واراد أن يدفع الجنود الفارسية عن كرسي مملكته فلم ينجح واجتهد كل الاجتهاد فى اطفاء نيران هذا العصيان فلم يفلح بل انهزم اتم هزيمة واقبحها وقتل اكثر عسكره فى حومة الميدان ووقع هو ذاته اسيرا فى يد اعدائه وكان قد مكث على سرير السلطنة الميدية خمسا وثلاثين سنة وهو آخر ملوك دولة الميديين التى كانت قد ظهرت فى الاقطار الآسية ذات شوكة كبيرة مدة حقبة من الزمن يسيرة (اه كلام المؤرخ (رويو) المنقول عنه اعلاه

الفصل الثالث

فى تاريخ السلطنة الفارسيه الاصلية

مطلب ـــ ذكر فتوحات الملك (كيرش) (من سنة ٥٥٩ الى سنة ٥٤٥ ق م) ـــ قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروى عنه أعلاه بعد ذلك مامعناه وكانت نتيجة هزيمة الملك (استياج) المذكور وافتتاح بلاد الميدية ان صار بيد الملك (كيرش) الولاية السلطانية على سائر البلاد التى كانت تابعة للسلطنة الميدية وصار له اليد العليا خصوصا على جميع الامم الآريين والملل الايرانيين المتوطنين فيما وراء جبال (هندكوش) وصحارى بلاد القرمان فبادر لوضع اليد بالفعل عليها وأجرى رسوم السلطنة بالعمل فيها وقد كان ذلك أمرا سهلا عليه اذ كان سائر هؤلاء الملل أخوات ملته فكانوا يميلون بالطبع اليه ويعطفون بالجبلة اليه ويؤثرون بالضرورة ان يكونوا تحت أعلوية امة ايرانية الاصل المحض كالامة الفارسية على أمة مختلطة النسب والحسب يدخلها أصول أمم غرب كالامة الميدية

ولما كانت بلاد البكترية معرضة لكثرة غارات هؤلاء الامم الاغراب وتكرار سقوط هولاء القبائل المتوحشة عليها بالقتل والسلب والانتهاب كان اول ما تعلقت به همة الملك (كيرش) ان ابتدأ القصد الحصول على الامن فيها بان حارب القوم التورانيين المسمين باسم (الساسيين) وهم قوم من الاقوام التورانيين كانوا متوطنين حوالى ينابيع نهر سيحون المسمى ايضا باسم (سيردار يا) فغلبهم وانتصر عليهم وأسر ملكهم المسمى باسم (آمورجيس) وجعل بلادهم سترابية من اعمال سلطنته أى ولاية جعل عليها واليا من ولاة فارس الملقبين بلقب السترابي بمعنى العامل على أقليم من أقاليم الدولة الفارسية
وحيث توطدت بذلك سلطنته وتمهدت البلاد لدولته من الجهة الشمالية الجنوبية شرع

يفتح البلاد المجاورة لجبال قوقازة وكانت قد بقيت مستقلة لم تدخل تحت طاعة الدولة الميدية وبعد أن أقام على قتالها عدة سنوات عديدة وقاسى فيها عدة حروب شديدة وهلك فيها أناس كثيرون كان قد ادخل تحت طاعته وألحق باعمال سلطنته كلا من اقليمى (البانيا) و (ايبيريا) (ومجموعهما هو ما يعبر عنه الآن باسم (داغستان وبلاد الجرج) واما الاقوام المدعوون باسم (الكولشيديين) سكان اقليم (كولشيدة) (وهو ما يعبر عنه الآن بولايتى ايميرسيا ومنغريليا) فقد كانوا امتثلوا لقوته ودخلوا صلحا تحت طاعته وكذلك الاقوام الذين كانوا يسكنون الجبال الوعرة الكائنة على الساحل الجنوبى الشرقى من بحر الخزر وهم (المارديون) و (المكرونيون) و (الكاليبيون) والقوم المشهورون باسم (الطبرانيين) وهم قوم كانوا مشهورين عند الامم السالفين من أقدم الاعصار السابقة بعمل المصنوعات المعدنية وباختراع حديد الصلب كلهم كانوا قد اطاعوا صولته ودخلوا تحت أمر دولته وبذلك صار الملك (كيرش) الفارسى المذكور مستوليا على سائر الاقطار الكائنة بآسيا الصغرى (بلاد الاناضول) الى حد نهر (قزيل يرموق)

مطلب — ذكر الملك (كريزوس) ملك بلاد ليديا — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المنقول عنه أعلاه بعد ذلك ما معناه وقد كان معاصر الملك (كيرش اوقيروش) المذكور آنفا ملك يقال له (كريزوس) ملك بلاد ليديا وهى الجزء الغربى من بلاد آسيا الصغرى او الاناضول ويعبر عنها الآن باسم سوراخان ومنتيه من بعض بلدان اخرى وكانت قاعدة مملكته فى ذلك الزمان تدعى بمدينة (سردوس) وكان ذلك الملك هو أقوى الملوك ببلاد آسيا الصغرى وكان قد اجتهد فى أن احدث له فى تلك الاماكن من الدنيا القديمة دولة عظيمة وسلطنة متسعة جسيمة يضاهى بها السلطنة الفارسية وكان قد اجبر المدائن اليونانية التى كانت كائنة على السواحل البحرية من تلك الجهة الآسيوية على ان تذعن بالطاعة اليه وبلغ الغاية ان جمع تحت قبضة مملكته سائر البلاد الكائنة فيما وراء نهر (قزيل يرموق) وكان قد اغتر بما حصل له من النجاح فاراد ان يبدأ بالحرب والكفاح الملك (كيرش ملك فارس) المذكور اذ كان يخشى صولته على بلاده واراد أن ينتقم عليه ويأخذ منه بثار الملك (استياج) الذى هو صهره ويحكى انه قد كان استشار كاهنة مدينة (ديلفوس) (ويقال لها ايضا ديلفى) وهى مدينة شهيرة كانت باقليم (فوكيده) من بلاد اليونان القديمة كان بها هيكل وكاهنة تخبر بالمغيبات لمعبودهم المدعو باسم (ابوالون) (بتفخيم اللام) وفى مكانها الآن مدينة (كسترى) (بفتح الكاف فى أوله وتاء مثناة فوقية يليها راء مهملة مكسورة ثم ياء ساكنة فى آخره) وسألها كيف تكون عاقبة هذه الحروب فاجابته بقولها انك اذا

جزت نهر (قزيل يرموق) اخربت مملكة عظيمة فسافر مطمئنا لقولها جازما بأنه سيزيل مملكة فارس فكان الحال بالعكس وكانت المملكة التى زالت هى مملكته والسلطنة التى تخربت هى سلطنته فى ذلك العهد وبيان ذلك هو كما يأتى بعد

مطلب — ذكر هزيمة الملك (كريزوس) وزوال دولة الليديين على يد (كيرش أوقيروس) من (سنة ٥٤٥ الى سنة ٥٤٤ ق م) جاز (كريزوس) بجيوشه النهر المذكور ودخل بهم اقليم (قابادوسية) واستولى عليه بغاية السهولة لداعى انه لم يجد من يصده عنه غير سكان تلك البلاد ثم التقى مع جيوش فارس تحت قيادة الملك (كيرش) بنفسه ووقعت بينهما مقتلة شديدة هلك فيها نفوس عديدة من الطرفين غير انه لم يظهر فيها النصر لاى الجانبين حتى جاء الليل فانتهى بذلك القتال ولم يرد (كريزوس) ان يعود عليه بالحرب فى الغد لداعى انه كان قد قبل له ان جنوده هم دون جنود خصمه فى العدد فعاد الى مدينة (سردوس) التى هى قاعدة مملكته وبعث يطلب المدد من ديار مصر وبابل و (لقدمونيا) بلاد اليونان بناء على ما كان منعقدا بينه وبينهم من العهود وعزم على ان يعود بالحرب فى فصل الربيع الآتى قال المؤرخ (روبيو) وكان الملك (كيرش أو قيروس) قد تبصر فى نتيجة تلك الاستعدادات الطويلة وبلغه الخبر بان الملك (كريزوس) اعتمد على طول مدة فصل الشتاء ففرق شمل جنوده وأذن لهم بالعود الى بلادهم فبادر ملك فارس بالسير الى مدينة (سردوس) قبل ان يتيسر للملك الليدين ان يجمع جنوده ويستمد الافانه ومع كون الملك (كريزوس) كان قد جاءه ملك فارس على حين غفلة منه وفجأه بالقتال من حيث لم يكن له ذلك على بال سار لقتاله مع من تيسر له جمعه من رجاله وكان الليديون قد فتحوا فى مدة عهده فتوحات كثيرة واستولوا تحت قيادته على بلاد متسعة كبيرة فاغتروا بامتداد صيتهم وشهرتهم بالحرب والظاهر انهم كانوا قد تغالوا فى قيمتهم من حيث الجلاد والضرب وكانوا قد اطمأنوا لانفسهم واعتمدوا على شجاعتهم وكان لهم خصوصا مهارة كبيرة وحذاقة شهيرة بركوب الخيل فالتقى الصفان والتحم الجيشان فى سهل متسع عظيم مكشوف امام مدينة (سردوس) عند ملتقى نهرى (هيلوس) و (هرموس) وهو النهر المعروف الآن بنهر (شرابات او القادوس) على القرب من مدينة (ازمير) قال المؤرخ (هيرودوت) اليونانى المحكى عنه أعلاه فى هذا الموضع من تاريخه ما نصه (معربا) أدناه

وكان الملك (كيرش) قد جمع الجمال الحاملة لذخيرة جنوده ووضعها فى مقدمة جيوشه المشاة باشارة بعض قواد عسكره فلما نظرت الخيول عسكر الليديين فزعت من منظرها وهلعت من رائحتها لعدم اعتيادها عليها فنفرت منها ونفرت عنها قبل ان تحمل عليها فنزل فرسانها عن ظهورها وتركوها واجتهدوا فى ان يحاربوا على الارض بدونها فلم يصادفوا الغرض

ولم يغن عنهم اجتهادهم ذلك شيئا اذ كان أقوى عددهم قد فقد واشد مددهم قد نفد فتمت عليهم من جنود فارس الغلبة والنصر وتفرق شملهم وتمزق جمعهم وانهزموا شر هزيمة وانحصر الملك (كريزوس) فى مدينة (سردوس) اشد الحصر (انتهى نص كلام هيرودوت) منقولا من تاريخ (روبيو) ثم قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المتكرر الذكر والبيان اعلاه بعد ذلك ما معناه ومع ذلك فقد كان ملك الليديين المذكور لم يقطع العشم من الظفر اذ كان الاقوام اليونانيون قد دخلوا تحت طاعته من عهد قريب وكانوا له مصادقين وكان قد ارسل مراسيله بالثانى يستعجلون حضور الامدادات اليه من عند هؤلاء الامم والملل المتحالفين معه فلم يفد كل ذلك ثمرة ولم يعد عليه منهم عائدة معتبرة بل كان الملك (كيرش) بعد اربعة عشر يوما من تاريخ الحصار قد هجم بجنوده على تلك المدينة التى كانت فى ذلك العصر قلعة مؤسسة على صخرة ذات منعة مشتهرة فدفعهم القوم المحصورون فى اول الامر وكان بعض جنود الفرس قد لحظ بالامس طريقا يوصل الى مكان من سور القلعة يمكن منه التسلق عليها وكانت القلعة حينئذ عاطلة من الحرس لاعتقادهم عدم امكان الصعود على الصخرة التى كانت هذه القلعة موضوعة فوقها فارشد اخوانه اليها وصعد عليها وتبعه كثير من اصحابه وبذلك سقطت مدينة (سردوس) المذكورة هى وذات ملكها وسائر بلاد المملكة الليدية فى قبضة يد الملك (كيرش) (فى سنة ٥٤٤ ق م)

مطلب — فتح المدائن الاغريقية بمعنى اليونانية المسماة ببلاد (يونيا) اى البلاد اليونانية الاصل التى كانت على سواحل بلاد آسيا الصغرى وذكر استيلاء دولة فارس على سائر الامم والاقوام الكائنين ببلاد آسيا العليا (من سنة ٥٤٤ الى سنة ٥٣٩ ق م)

قال المؤرخ المذكور آنفا ولم يتأخر (كيرش) ان شن الغارة على سائر المدن الاغريقية بمعنى اليونانية المسماة ببلاد (يونيا) أى البلاد اليونانية الاصل التى كانت قائمة على سواحل بلاد آسيا الصغرى (وهى سواحل الويلة سيوى وصوراخان وعايدين الآن) وحيث لم يرد لهم امداد من اخوانهم اليونانيين المتوطنين بنواحى أوروبة كان الملك (كيرش) قد استولى عليهم وامتدت يده اليهم وامتنع اهل مدينة (تيوس) (وهى المدينة المسماة باسم (سيدشيدجك) الآن واهل مدينة (فوكيا) (وهى المدينة المسماة بهذا الاسم على القرب من ازمير لغاية الآن) من الاذعان لطاعته فهاجروا من اوطانهم الاصلية وانتقلوا الى الجهات الاوروبية وانضم الفوكيون الى اخوانهم اليونانيين الذى كانوا قد هاجروا من قبل الى الجهات المغربية اعنى القبائل اليونانية الذين كانوا قد نزلوا بجهة (مرسيليا) (من سواحل فرانسة) ثم فتح اقليمى (كارياوليسيا) (لوائى منتشروتكه الآن) مع ما كان قد حصل من أهاليهما من المقاومة الشديدة والمصادمة

العنيدة وقد كان الذى تمم له فتح سائر البلدان التى كانت تتركب منها رأس آسيا الصغرى فى ذلك الزمان هو القائد (هرباجوس) المذكور آنفا وكان (كيرش) نفسه مشتغلا فى اثناء تلك المدة بالاستيلاء على جميع الامم والاقوام المتوطنين ببلاد آسيا العليا وسائر الاقاليم الكائنة فيما بين بلاد الهند وفارس أعنى سائر الاقطار التى كانت تعرف عند الجغرافيين السالفين باسم عام وهو (بلاد الاريان او الاريا) بمعنى بلاد الآريين وهى ما يعرف الآن بسجستان وخراسان وما يليهما من البلدان لغاية بلاد (الهند) وفتح بلاد (جيدروز يا) (وهى ما يعرف الآن بولاية (مهران) وسائر الاقطار التى تليها لغاية بلاد القوم المسمين باسم (الجندار يين) المصاقبة لاعلى مجرى نهر جيحون

مطلب — ذكر زوال الدولة الاسورية على يد (كيرش) ملك فارس المذكور فى (سنة ٥٣٨ ق م) قال المؤرخ المروى عنه أعلاه بعد ذلك ما معناه وقد كان الملك (كيرش) لم يزل ينتقل من فتح الى فتح ويرتحل من بلد الى بلد فائزا بالنصر والنجح حتى تعلقت اطماعه بالاستيلاء على جميع بلاد آسيا بتمامها والاحاطة بالاخذ بزمامها وكان قد استولى على معظمها ولم يبق عليه للحصول على هذا الغرض على وجه لم يتيسر لاى ملك كان من ملوك ذلك الزمان لغاية ذلك الاوان غير ان يخرب مملكة الكلدانيين التى كان قد أسسها فى ذلك العصر بمدينة بابل الملكان الشهيران (نابو بولاصر و بختنصر) على آثار المملكة الاسورية القديمة وكانت هذه المملكة قد أخذت فى الاضمحلال والسقوط لسوء الحال وابتدأت فى الزوال ولم يتأخر الملك (كيرش) ان فعل ذلك وتحصل على بلوغ آماله فيما هنالك (كما قصصنا قصة ذلك فى الباب السالف فلا حاجة لتكراره هنا) ولما استولى الملك (كيرش) على مدينة بابل (فى سنة ٥٣٨ ق م) صار سائر سكان الاقطار الكائنة فيما بين نهر السند الى بحر الارخبيل او بحر جزائر الروم ومن عند صحارى بلاد العرب الى حد نهر سيحون امارعايا السلطنته واما ملوكا مذعنين بالتبعية لدولته ولم يخرج عن ذلك بحسب الظن الا بعض أناس قليلين من سكان الجبال المتوحشين او بعض قبائل بدويين من الاقوام الرحالين النزالين كان هذا البطل الفارسى يأنف من ان يكدر عليهم فى عزلتهم معيشتهم وتأبى نفسه العالية منازلتهم ومقاتلتهم وكان متى استولى على امة او ملة من هؤلاء الامم والملل العديدة او اطاع لدولته مملكة او دولة من تلك الممالك والدول الكثيرة لم يبدل أقسامها السياسية ولا خططها الارضية ولم يغير شيئا من الشرائع والقوانين الجارية عندها بل كان يبقيها على حالها ولم يكن مطمح نظاره متوجها الا نحو انشاء دولة جهادية وسلطنة عسكرية قبل كل شئ على سائر هذه الاقطار الآسية

مطلب — ذكر خاتمة الملك (كيرش) (من سنة ٥٣٦ الى سنة ٥٢٩

ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان وقد كان الملك (كيرش) قد اقام على كرسى سلطنة فارس من بعد استيلائه على مدينة بابل مدة ثمانى سنوات وهو بحالة السلم الكامل وفى تلك المدة كان قد اطلق سبيل القوم العبرانيين الذين كانوا بمدينة بابل مأسورين واذن لهم ببناء هيكل أورشليم بالثانى كما قصصنا ذلك تفصيلا فى تاريخ القوم اليهود (وتقدم ذكره ايضا فى الباب الثالث من هذا التأليف نقلا عن كتاب التاريخ القديم للمؤرخ جيلمان)

ومكث الملك (كيرش) على تلك الهدنة لغاية (سنة ٥٢٩ ق م) ثم فى تلك السنة اما لقضاء ما كان قائما بنفسه الى فتح البلاد من الشهوة التى لاتشبع والحاجة التى لا تقنع او لقصد ان يقمع غارات بعض القبائل الذين كانوا له مجاورين وكانوا له بالاذى يتعرضون كان قد شرع فى شن الغارة بحرب جديدة على القوم المسمين فى ذلك العصر باسم (الماساجيتيين) (يأجوج ومأجوج)وهم قوم من الانسال التورانية او التركية كانوا متوطنين بالصحارى الكائنة على شمال نهر سيحون وانتهز الملك (كيرش) الفرصة لشن الغارة عليهم من حيث كونهم كانت تملكهم امرأة يقال لها (توميريس) فجمع جيوشا عديدة وسافر بهم اليها وانشأ عدة قناطر على نهر سيحون ومر بهم عليها ولما بلغ الملكة (توميريس) المذكورة خبر سير تلك الجيوش الفارسية اليها بعثت اليه رسولا يعرض عليه ان يلتقى الجيشان و يلتحم الصفان فى ميدان حرب مغلقا باى مكان اراده فلم يقبل و بدلا عن ان يرضى بالقتال على هذا الوجه الصادق والطريق المستقيم اللائق عمد وعول على طريقة مكر وخديعة بمشورة الملك (كريزوس) ملك الليديين وكان معه فى هذه الغزوة الشنيعة وذلك انه اشار عليه بان يترك معسكره معطلا عن الدفع والاحتراس ويملأه بالذخائر من سائر الانواع والاجناس بحيث يسهل على الجنود (الماساجيتيين) ان يلجوه و يسلبوا ما فيه وينتهبوه ومتى دخلوه واشتغلوا بتعاطى ما فيه نزل هو عليهم على حين فجأة منهم بجل جنوده ففرق شملهم ومزق جمعهم وظفر بهم كل الظفر وانتصر عليهم كل النصر وكان قد خبأ فى ناحية من النواحى جل جيوشه العديدة فتمت عليهم هذه المكيدة قال المؤرخ (هيرودوت) اليونانى فى تاريخه ، وكان الملك (كيرش) قد تباعد عن نهر سيحون بمرحلة يوم وترك اقبح جنوده هناك وعاد مع اجودهم الى ذلك النهر بالثانى فجأ القوم (الماساجيتيون) وهجموا على معسكره بثلث جنودهم وقتلوا سائر الحرس وظفروا منهم بمقصودهم واشتغلوا بالسلب والنهب والسكر والاكل والشرب واذا بالجيوش الفارسية كانت قد اقبلت اليهم ونزلت عليهم فقتلوا منهم رجالا كثيرين وأخذوا اكثرهم مأسورين كان من جملتهم قائد عسكرهم المسمى باسم (اسبارجابيتيس) وهو ابن الملكة (توميريس) التى هى ملكتهم فارسلت

المملكة المذكورة اعلاه رسولا الى الملك (كيرش) تقول له مامعناه يا أيها الملك السفاح الذى لا يشبع من سفك الدماء لا تفتخر بما حصل لك من هذا النجاح فانك لم تحصل عليه الا بواسطة عصارة العنب وهذا الشراب الذى يزيل العقل وانى لناصحة لك بنصيحة جيدة فاسمع ما أقول لك ردّ علىّ ولدى واخرج سالما من بلدى ولو أنك أتلفت معظم جنودى والا فانى أقسم بالشمس التى هى الاله الاعظم والسيد المالك الاكرم للقوم (الماساجيتيين) اننى لاشبعنك بالدماء ولو بلغت ما بلغت من الظمأ فلم يعبأ الملك (كيرش) بقولها هذا المسطور أعلاه واما ولدها فانه لما أفاق من سكره التمس من الملك ان يفك قيوده وبمجرد ان انفك من سلاسل الحديد قتل نفسه بيده ولما بلغ ذلك أمه اجتهدت فى ان جمعت سائر من كان عندها من الرجال وعقدت الحرب والقتال مع ملك فارس المذكور فتم النصر للقوم (الماساجيتيين) على العساكر الفارسيين وهلك اكثرهم فى ذلك المكان وفى هذه الواقعة الحربية مات الملك (كيرش) نفسه بعد ان كان قد أقام على سرير المملكة الفارسية مدة تسع وعشرين سنة كاملة وأمرت الملكة (توميريس) بالبحث عن جثته فى جملة الموتى فعثرت عليها ومثلت بها وغمست رأسه فى قربة مملوءة من دم الآدميين المقتولين وهى تقول انى وان كنت لم أزل على قيد الحياة ظافرة بالنصر لكنك قد قتلتنى بقتل ولدى فلاشبعنك من دم البشر كما أوعدتك (اه ما نقل من تاريخ (هيرودوت) اليونانى قال المؤرخ فرانسيس لونورمان الفرانساوى وهكذا كانت خاتمة هذا الملك الفاتح الكبير غير ان السلطنة العظيمة التى كان قد اسسها كانت قد بقيت من بعده مدة حقبة من الدهور كما هو بعد مسطور

مطلب — ذكر الملك (قمبيزاوقمبيزس) فاتح الديار المصرية وذكر فتح ديار مصر بغارة الجنود الفارسية (من سنة ٥٢٩ الى سنة ٥٢٥ ق م)

ولما مات الملك (كيرش) كان قد خلف ولدين اكبرهما يدعى باسم (قمبيزاوقمبيزس) وكان قد تقلد من بعده بتاج المملكة الفارسية والاصغر يدعى باسم (سمرديس) كان قد تقلد بالعمل على ولايتى البكترية والبرثية من اعمال السلطنة الفارسية بشرط ان لا يدفع لاخيه خراجا غير انه يعترف له بالاعلوية السياسية لا غير وبمجرد ان جلس الملك (قمبيز) على سرير المملكة الفارسية وجبر ما كان قد ترتب من المصائب وسوء العواقب على الغزوة الماساجيتية كان قد تعلقت رغبته وتوجهت همته لان يشهر نفسه هو كذلك بفتوح البلاد ويذكر بالغزو والجهاد وأول ما توجه نظره الى فتح الديار المصرية حيث كانت لداعى ما اشتملت عليه من أنواع الغنى والثروة دائما تجذب اطماع الملوك الآسيين اليها وكانت تلك الديار فى ذلك العصر خصوصا قد أوجبت حقد القوم الفارسيين عليها اذ كانت

قد تعاهدت مع الملك (كريزوس) ملك الليديين عليهم وكان قد وفد على دولة ملك فارس فى ذلك العهد رجل يونانى يقال له (فانيس) (بامالة النون الموحدة افوقية على ياء مثناة من تحت بعدها سين مهملة فى آخره) كان قائد الجنود اليونانيين المقيمين بالاجرة فى خدمة فرعون مصر المدعو باسم (امازيس) وكان قد فر من الملك المذكور والتجأ الى ملك فارس المدعو باسم (قمبيزس) هذا فاطلعه على حقيقة أحوال تلك البلاد ودله على طرق الوصول بالسهوله اليها فكان ذلك موجبا لتمام التصميم على فتحها والتوجه اليها وباشارة الرجل اليونانى المذكور كان الملك (قمبيزس) قد عقد معاهدة مع مشايخ قبائل العرب الذين كانت لهم اليد على الطرق الموصله من البر الى وادى النيل وكان الملك (امازيس) ملك مصر قد مات وخلفه على سرير المملكة الفرعونية ولده المسمى باسم (ابساماتيكوس) الثالث فقابله بالجيوش المصرية عند فرع النيل المسمى بفرع (بيلوز) (وهى مايسمى بناحية (تينة اوالفرمه) الآن) وكان فى جملة الجيوش الفرعونية اوجاق لجنود اليونانيين والكاريين المستخدمين عند الدولة المصرية بالجامكية فارادوا ان ينتقموا من الرجل اليونانى الخائن هذا على اولاده وكان قد سافر الى بلاد فارس وتركهم بمصر فاحضروهم الى المعسكر وذبحوهم بين الصفين وابوهم ينظر اليهم ويتفجع تفجع الوالد عليهم ثم التقى الصفان والتحم العسكران وكان الملك (قمبيزس) قد وضع فى مقدمة جيوشه جملة من القطط والبازات وغيرها من أنواع الحيوانات المحترمة عند المصريين فلم يتجاسروا ان يضربوا بسهامهم على العدو خوفا من ان تصيب تلك الحيوانات وانهزموا الى وراء بمجرد أول صدمة حصلت عليهم وثبت مع غاية القوة الجهادية امام الجنود الفارسيين العساكر اليونانيون والكاريون المؤجرون فى خدمة الدولة المصرية حيث لم تمنعهم مثل هذه التدقيقات الاعتقادية واشتد القتال بينهم مدة مديدة وقتل من الطرفين عدة عديدة ثم انتهى الحال بان تمت غلبة الفارسيين عليهم لداعى كثرتهم بالنسبة اليهم ولما فاز الملك (قمبيزس) بالنصر على جيوش مصر ارسل اليهم رسولا من قومه بمدينة (منف اومنفيس) وكانوا قد رجعوا منهزمين اليها يطلب منهم ان يعقدوا معه عقد شروط يتفقون عليها فصعد النهر على سفينة من سفن جزيرة (ميدلين اوميديلى) اليونانية وبمجرد ان وصل الى مدينة مصر القديمة ورآه أهلها على البعد خرجوا من قلعتهم زمرا زمرا وقبضوا على السفينة فكسروها قطعا قطعا وقطعوا راكبها اربا اربا وأخذوها معهم الى القلعة علامة على النصر فغضب الفارسيون من هذا الفعل الذى هو من قبيل الخيانة الاهلية للحقوق الملية وجاؤا الى القلعة المصرية واحاطوا بها وحصروها وضيقوا عليها وبالعنوة والقهر استولوا عليها واخذوها وقتلوا ولد الملك (ابساماتيكوس) الثالث فرعون مصر وجماعة كثيرين

من أعيان المصريين المأسورين وكان اولا الملك (قمبيزس) ملك فارس قد أبقى ملك مصر نفسه ولم يقتله ثم بعد مدة من الزمن امر بقتله فقتل بناء على دعوى انه عقد عصبة وأقام فتنة على القوم الفارسيين

مطلب — ذكر كيف كان سلوك الملك (قمبيزس) بديار مصر لما استولى عليها فى ذلك العصر — ولما تمكن الملك (قمبيزس) من ديار مصر وتسلطن عليها ذهب الى مدينه (سييس) (صاالحجر الآن) حيث كان قبر الملك (امازيس) فنبش قبره واحترمته واجرى عليها انتقاما قبيحا اذ كان يزعم انه كان قد سببه وأذاه فى مدة حياته فامر بمومياته (يعنى بجثته المصبرة بالموميا) فضربت بالمناخيس حتى تمزقت وتقطعت قطعا وتفرقت وتمثل بها غاية التمثيل والتشويه ثم ألقاها فى نار فاحترقت وكان فى ذلك اساءة للعقائد الدينية من وجهين (أولا) للعقائد الدينية الفارسية حيث كانت أمة فارس تعتقد ان النار هى أكرم صورة لاله الخير المسمى عندهم باسم أ(ورموزد) ويرون ان من قبيل أقبح الكفر تدنيسها وتنجيسها بالقاء الرمة فيها و (ثانيا) للعقائد الدينية المصرية اذ كان من عقائد أهل مصر الاصلية وشعائرهم الدينية الاهلية أن يحفظوا جثث موتاهم بغاية الدقة ومع ذلك فقد كان (قمبيزس) المذكور قد سلك فى أوائل أيام افتتاحه للديار المصرية طريقة سياسية تأنيسية ومسلك معاشرة تأليفية تجنح لمراعاة جانب الخواطر الملية والعوائد والاخلاق الاهلية وسعى فى أن يجذب قلوب المصريين بواسطة تقليد من بقى من اعيانهم بعلامات تميزا كثر لهم منها وعلى الخصوص باظهار العناية الظاهرة بعوائد عباداتهم حتى انه كان قد اتخذ لنفسه القابا سلطانية مصرية محضة واراد ان يوهم الناس انه من نسل العائلات الملوكية الفرعونية القديمة واخذ فى انه يتعلم قواعد الديانة البلدية

مطلب — ذكر غزوة الملك (قمبيزس) فى بلاد الايتيوبية (الحبشة) (فى سنة ٥٢٥ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروى عنه اعلاه بعد ذلك مامعناه وكانت ديار مصر قد تمهدت للقوم الفارسيين وتوطدت واستقرت على حالة السلم وتمكنت ولم ير فيها كما فى عهد افتتاح الايتيوبيين لها واستيلائهم عليها فى العصر السالف ان قام بالاقاليم البحرية المسماة بالدلتة منها بعض عصب اهلية ولا حصل بها حروب حزبية لقصد اخراج القوم الفاتحين لها منها بل كان فتح الديار المصرية بالجيوش الفارسية قد أفزع سائر الامم والملل المجاورين لها فلجأ الليبيون (اى البرقيون وهم اهل جبال برقة اى الجبال الغربية من الديار المصرية) واذعنوا بالطاعة من غير قتال اليهم والتزموا للملك (قمبيزس) بخراج يدفعونه اليه وبعثوا له هدايا واقتفى اثرهم فى ذلك القوم اليونانيون القورينيون (وهم سكان المدينة

المسماة الآن باسم قورين أو جريدة ببلاد المغرب)» وصفاله الحال فاراد ان يوجه الحرب فى آن واحد الى ثلاث أمم متنوعين وهم القرطاجيون (سكان مدينة قرطاجة) وهى تونس الآن) والآمونيون (وهم سكان واحات آمون الكائنة بالجبال الغربية من الديار المصرية) والايتيوبيون (وهم الحبشة) وكان اسطوله مركبا من أناس بحارة من الفنيقيين وهم الصوريون (أى سكان سواحل الشام البحريون) فامتنعوا منه موافقته على التوجه للهجوم على القرطاجيين لكونهم فى الاصل من اخوانهم الذين هاجروا من السواحل الشامية وصاروا بتلك السواحل المغربية نازلين ولذلك توجه (قمبيزش) بجنوده الى بلاد الايتيوبية بجراءة لا يتصورها العقل غير ملتفت بالكلية لما يلزم لمؤنة جيوشه من الذخائر الضرورية ولا لما يلزم لنفسه من وسائل الاحتراس والامنية ولما وصل الى مدينة (طيبة) الصعيدية وجه فرقة من جنوده الفارسية تبلغ نحو خمسين الف عسكرى لمحاربة الآمونيين واخراب ما كان لهم فى تلك الناحية من هيكل الصنم المعبود للاقوام الليبيين باسم (آمون) وهو المسمى عند اليونانيين باسم (جوبيتير) وكان له فيه كهنة مشهورون بالاخبار بالمغيبات فى تلك الاعصار فامر عسكره باحراق ذلك الهيكل ومافيه من الكهنة اللذكورين واستمر على السير بباقى جنوده الى جهة بلاد الايتيوبية واراد أن يختصر الطريق فانحرف عن شواطئ النيل من عند أوّل اعوجاجاته الكبيرة وتوغل بعساكره الكثيرة فى الصحراء (المعروفة الآن بصحراء كروسكو) فلما صاروا فى وسط سهول متسعة من الرمال لا أشجار فيها ولا علف للدواب ولا ماء للشرب ولا شئ ما مطلقا مما يؤكل صاروا فى مجاعة شديدة حتى أكل بعضهم بعضا واضطر (قمبيزش) لان رجع على أثره مع فل عسكره ابعدان ترك فى تلك الصحراء اكثرهم واهلك فيها معظمهم واما من كان قد توجه منهم الى واحات (آمون) فلم يعرف لهم خبر ولم يوقف لهم على أثر وبقى حالهم مجهولا لغاية الآن والظاهر انهم لم يتيسر لهم ان يصلوا الى محل مأموريتهم وانهم هلكوا كذلك فى طريق مسيرتهم بتلك الصحارى الجبلية حيث لم يرجع منهم رجل واحد الى الديار المصرية وقد روى عن بعض الكهنة الآمونيين ان فرقة الجيوش الفارسيين الذين كانوا قد توجهوا الى تلك الناحية لما وصلوا الى نحو نصف الطريق من تلك الصحارى الليبية كانت قد قامت عليهم من جهة الجنوب ريح عاصفة شديدة فدفنتهم تحت جبال من الرمال حتى هلكوا جميعا بهذه الآفة السماوية

مطلب — ذكر مااعترى الملك (قمبيزش) من الجنون والاغترار بداء الكبر فى ديار مصر (من سنة ٥٢٥ الى سنة ٥٢٢ ق م) — ولما كان (قمبيزس) بمكان عال من الكبر والاغترار ببلوغ الآمال جاءته هذه المصائب فحطت

من

من كبره وجرحت جرحا شديدا من غروره وجبره حتى اختل لذلك عقله واعتراه داء الجنون وعاش بعد ذلك مدة خمسة عشر شهرا لا يصدر عنه الا افعال جنونية شديدة واعمال قاسية عنيدة من أشد أفعال اختلال العقل والفنون وذلك انه لما رجع من غزوته هذه الخائبة الى مدينة (منف اومنفيس) كان قد وجد الاهالى المصريين مشتغلين باشهار موسم معبودلهم وهو العجل المشهور باسم (ابيس) وكان قدمات لهم عجل قديم وارادوا ان يستبدلوه بعجل آخر جديد وكان من عادتهم انهم يشهرون تلك الحادثة بافراح اهلية عظيمة وخلاعات عامية جسيمة فتخيل له ان اهل مصر انما كان انبساطهم هذا فى ذلك العصر تشمتا بما حصل له من النوائب وانتلال الامر فدعا لحضرته كبار ولاة الامور اعيان الطوائف الاهلية بمدينة (منفيس) ومع ما حصل منهم من توضيح الحال وبيان الاسباب المقتضية للاعلان بهذه المواسم الملية أمر بقتلهم فقتلوا بعلة انهم كذبوا عليه وغشوه ثم طلب القسس والكهنة المصريين وأمر بضربهم بقضبان الحديد فضربوا وأمر بقتل كل من وجد من الاهالى المصريين مشتغلا باشهار شئ من شعائر هذا الموسم الدينى ورغب فى ان يرى بنفسه ذات العجل المعبود لهم باسم (ابيس) فاتى به اليه فقال حين رآه ما معناه ان هذا لعمرى لهو المعبود الذى يليق بعقول المصريين وطعنه بسيفه فى فخذه ثم تراكمت منه على رؤس المصريين مظالم شديدة وتوالت عليهم منه مغانم عديدة فانكر حق المالكية فى سائر الاماكن من الديار المصرية بالكلية وابطل سائر الشعائر الدينية أوعطلها واختل أمر الاحتفالات الجنازية واصدر الامر بمنعها بالكلية مع كونها قد كانت من أشد ما تتعلق به عناية الطوائف الاهلية وآكد ما تتشوق اليه قوة العقائد الدينية المصرية ولم يكن القوم الفارسيون نفسهم باكثر مراعاة ولاوقاية من شر افعال هذا الرجل المجنون المعربد على الاهالى المصريين حيث امر أحد خواصه المسمى باسم (ابريكراسب) بقتل أخيه المدعو باسم (سمرديس) السالف الذكر فقتله فى السر وأعقب ذلك أيضا بقتل أصغر أخواته اذ كان قد عرض عليها ان يتزوج بها على خلاف العوائد الجارية ببلاد فارس فى ذلك العصر فامتنعت الى غير ذلك من القبائح الشنيعة والقسارات البشيعة التى ثبتت عنه ورويت

مطلب — ذكر تعدى (جوماتيس) المجوسى على سرير المملكة الفارسية ووفاة (قمبيزش) بالديار المصرية (فى سنة ٥٢٢ ق م) — وبينما كان الملك (قمبيزش) ملك فارس منهمكا بالديار المصرية على هذه الافعال الجنونية والاعمال العربدية كانت قد قامت فتنة عظيمة ومحنة جسيمة بالديار الفارسية وترتب عليها ان صارت مقاليد السلطنة بيد القوم الميديين مدة حقبة يسيرة من الاحقاب الزمنية وكان رأس

تلك العصبة هم طائفة المجوس وعادت ثمرتها عليهم اذ كان الملك (كيرش) لقصد ان يجذب قلوب الامة الميدية و يستميلهم اليه قد أعطى للطائفة المجوسية جاها عريضا وتأثيرا كبيرا وقد كان قصد المجوس بقيام هذه الفتنة فضلا عن الاستيلاء على ولاية الامر العمومية ان يجعلوا للأمة الميدية درجة الاعلوية على الامة الفارسية و يجعلوا دين المجوسية الذى هو مذهبهم هو الاعلى على مذهب الديانة الزرادشتية المحضة التى هى ديانة القوم الفارسيين اذ كان كل من المذهبين المذكورين على الدوام متعاديين وكان كل من القومين متخاصمين فقام رجلان اخوان من المجوس وتكفلا للقوم بتنفيذ هذه المقاصد وكان أحدهما منصوبا من لدن (قمبيزش) بمنصب نظارة الاملاك السلطانية ببلاد الميدية فقام بتدبير هذا الامر وذلك انه كان قد علم بان الملك (قمبيزش) قد قتل اخاه (سمرديس) وكان قد أسر هذا الخبر وكان اكثر الناس يعتقدون انه لم يزل على قيد الحياة وكان للمجوسى المذكور أخ يدعى باسم (جوماتيس) كان بينه و بين (سمرديس) مشابهة ذاتية شديدة فقام المجوسى المذكور ونصب اخاه (جوماتيس) هذا على سرير مملكة فارس على انه هو (سمرديس) و بعث رسلا فى سائر الاقاليم والولايات الفارسية وعلى الخصوص فى الديار المصرية يعرفون العسكر بعدم الاطاعة الى (قمبيزش) وانهم لا يعترفون من الآن فصاعدا الا بسلطنة (سمرديس) ابن (كيرش اوقيروس) فلما بلغ (قمبيزش) خبر هذه الفتنة عزم على ان يسافر بمن بقى على طاعته من الجنود الى بلاد فارس وتجهز للسفر الى قاعدة مملكته وهم بان يركب حصانه على وجه عنيف كما يفعل المجنون فجرح نفسه جرحا شديدا بذات سن سيفه ومع وجود هذا الجرح أمر بان يحمل على نعش فتجهز له وسار عليه مسافة من الطريق ثم غلب عليه تعب السفر فتقرح الجرح وعضل الداء واستولت عليه الغنغرينة فهلك به فى قرية حقيرة بالشأم

مطلب — ذكر مدة تملك المجوسى (جوماتيس) باسم (سمرديس) واستيلاء (دارا اودار يوس) على سرير الملك الفارسى (من سنة ٥٢٢ الى سنة ٥٢١ ق م) —

ولما مات (قمبيزش) ظن (جوماتيس) المجوسى المذكور انه قد ثبتت أقدامه على سرير مملكة فارس بالوجه القطعى فأقام على سرير الملك الفارسى مدة بعض شهور يحكم البلاد و يلى امر هؤلاء العباد باسم (سمرديس) بدون منغص يكدر عليه ولا منازع ينازعه فى ذلك وكان قومه المجوسيون لم يزالوا يفعلون على اعدائهم الفارسيين الزرادشتيين من افعال التشفيات الغلية الناشئة عن التعصبات الدينية الجهلية والتحزبات الملية ماساءت سيرته وشاعت قباحته بين الناس حيث كانوا قد عذبوا أمناء الديانة الزرادشتية وأخربوا معابدهم واتلفوا احوالهم بالكلية فاراد (جوماتيس) المذكور ان يستميل

قلوب الرعية اليه و يعادل سوء ميرة قومه المجوسيين المذكورين بانعطاف الناس عليه فامر بأن كل من كان له ثلاثة أطفال من الرعية يعفى من كل خراج وخدمة عسكرية ومع ذلك فقد كان السر الذى هو فيه مستتر لكى لا تعرف حقيقة حاله قد انكشف وظهر وذلك ان رجلا فارسيا يدعى باسم (اوتانيس) كان واليا له على اقليم (القابادوسية) الجنوبية وكان له بنت كانت فى جملة نساء المجوسى (جوماتيس) المزور باسم (سمرديس) هذا فتفطن لتزويره وتيقن من حقيقة حاله وتعيينه واسر بذلك الى بعض اعيان قومه الفارسيين فاجتمعوا على الفور وتذاكروا فيما بينهم وتدبروا فى وسائل عزل هذا الرجل المتعدى على كرسى مملكتهم بطريق الغش والتزوير وكان المتواطئون على هذا الامر سبعة نفر كان من جملتهم رجل يدعى باسم (دارا اودار يوس) فاشار عليهم بانه يلزم ان يتوجهوا فى الحال ليهجموا على الملك المجوسى فى قصره و يقتلوه فوافقه جميعهم على ذلك ولم يتأخروا ان ذهبوا اليه فى الحال وهجموا عليه فى قصره من غير تواني ولا اهمال وقتلوه هو وكل من صادفوه معه فى القصر الملوكى من المجوس و بلغ هذا الخبر الى مدينة (ايكباتان) (همدان) فقام أهلها الفارسيون وفى أيديهم السلاح وقتلوا كل من لاقوه فى طريقهم من القوم المجوسيين تشفيا الغليل صدورهم من جراءة تعديهم عليهم واستلاب قضيب الملك بطريق الغش من ايديهم وحصل مثل ذلك فى أغلب المدن ببلاد فارس كلها بل اتخذوا مثل ذلك اليوم من كل سنة عيدا اهليا ونوروزا مليا يشهرون فيه هذه المقتلة الداخلية ولم يزل هذا العيد يشهر عندهم لغاية القرن التالى لذلك العصر حتى ذكره المؤرخ (هيرودوت) اليونانى فى تاريخه المروى عنه غير مرة اعلاه وسماه بما معناه (موسم مقتلة المجوس)

ولما تمت هذه الفتنة على الوجه المذكور آنفا اجتمع السبعة نفر المتعصبون وتشاوروا بينهم فى كيفية هيئة الحكومة التى تليق بحال بلاد فارس اذ كان فرع بيت الملك المستقيم من آل (كيرش) قد انقرض فيها وبعد مذاكرة طويلة ومجادلة جادة عميقة فيما يترتب من الفوائد والمضار على كل واحدة من انواع الحكومات الثلاثة التى هى الحكومة الملوكية او السلطانية والحكومة السيادية او الاعيانية والحكومة الاهلية او الجمهورية استقر رأيهم على ان النوع الاول هو اجودها واحسنها وانه هو أليقها بأحوال بلادهم واتقنها واجمعوا رأيهم ايضا على طريقة مخصوصة ينتخبون بها الملك الجديد وهى انهم اتفقوا على ان يتوجه كل واحد من السبعة الاعيان المذكورين من صباح يوم الغد وهم راكبون على صهوة افراسهم امام المدينة واول من يسلم على الشمس وهى طالعة بأول صهيل حصانه صار هو الملك المتقلد بتاج المملكة دون غيره منهم وكان الذى فاز بقصبة السبق فى حومة هذا

الميدان بواسطة حيلة وخديعة حصلت من سائس ركابه هو المدعو منهم باسم (دارا اودار يوس) بن (جوستاب اوهيستاب) ولذلك صار هو السلطان فى (سنة ٥٢١ ق م) وهو رجل من نسل الملك (اشيمونوس) من خامس جيل ينتهى اليه بواسطة اخ ثان لوالد الملك (كيرش اوقيروس) كان يسمى باسم (ار يارامنيس) وكان والد (دارا اودار يوس) المدعو باسم (جوستاب اوهيستاب) المذكور واليا للملك جوماتيس المجوسى على ولاية فارستان الاصلية وبقى على هذه الوظيفة بعد تقليد ولده بتاج المملكة الفارسية (ولعل الملك (اشيمونوس) هذا الذى جعله اليونان مؤسس العائلة الملوكية الفارسية المسماة عندهم باسم الدولة (الآشيمونوسية) وهى عين العائلة المسماة عند فارس والعرب باسم الدولة (الكيانية) هو عين الملك المعروف فى كتب مؤرخى فارس والعرب المذكورين بلقب (كيقباذ) حيث جعلوه هو أوّل الدولة (الكيانية المذكورة)

مطلب — ذكر ما حصل من الفتن والعصيان فى سلطنة فارس بتلك الازمان (من سنة ٥٢١ الى سنة ٥١٤ ق م) — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان اعلاه بعد ذلك ما معناه ولما جلس (دارا) على سرير مملكة فارس قام عليه عدة ثورات شديدة وسلسلة فتن هائلة عنيدة كان مبدأ جملتها من عهد سلطنة (جوماتيس) المجوسى المتشبه بذات (سمرديس) السالف الذكر وحدث بعضها بمجرد صعود (دارا) نفسه على كرسى المملكة الفارسية فى ذلك العصر فمكث مدة ست سنوات وهو على قدم الحرب والقتال حتى اطفأ نيران ذلك الاختلال واستأصل تلك الفتن كلها وتوصل لأن اقرله بالمملكة سائر العباد فى سائر سعة تلك البلاد التى كانت تابعة للدولة الفارسية بتمامها ولم تكن تلك الحركات عبارة عن مجرد ثورات أهلية ناشئة عن بعض أهواء وقتية او بعض مظالم محلية اودسائس طمعية صادرة عن بعض أعيان من كبار الطوائف الاهلية بل كان اكثرها ناشئا فى الاقطار الارضية التى كانت توجد فيها مخاصمات قومية توجب نفور أهلها عن الدخول تحت طاعة الدولة الفارسية وتمييزهم عنها بالكلية لداعى تذكر ما سبق لهم عنها من أحوال الاستقلالية والاستبداد بالنفس الملية

وبالجملة فقد كانت أغلب نواحى السلطنة الفارسية على التعاقب اودفعة واحدة ميدانا لتلك الفتن الداخلية والثورات الاهلية فكان الخروج عن الطاعة السلطانية قد حصل أوّلا ببلاد السوسية بل فى بلاد الولاية الفارسية الاصلية نفسها ولكن الظاهر ان أشد الامم الخارجين عن طاعة السلطنة الفارسية مقاومة وعنادا فى تلك الحقبة العصرية كانوا هم القوم الميديون لداعى ايغار صدورهم بما وقع عليهم عن قرب عهد من ازالة ما كان

لهم من الدولة القوية ودرجة الاعلوية ولاسيما بحادثة مقتلة خرقة المجوس الذين هم طائفة أمناء دياناتهم الاهلية والارمنيون لداعى ما كان قد قام بقلوبهم من الحقد والضغينة من حيث كون الدولة الفارسية قد عاملتهم بصفة الرعية والقوم المغلوبين مع كونهم كانوا يرون انهم انما هم بالنسبة اليها خصوصا من الاقوام المتحالفين فقط والبابليون لداعى ان الفارسيين كانوا قد فقدوا حريتهم وأزالوا دولتهم واستولوا عليهم من عهد قريب قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروى عنه اعلاه نقلا عن كتاب المؤرخ (روبيو) الفرنساوى بعد ذلك ما معناه ولم يحك المؤرخ (هيردوت) اليونانى فى هذا الموضع من تاريخه مما يتعلق بهذه الحوادث التقلبية غير مقدار يسير من الاخبار التاريخية وان كانت قد شغلت اوائل مدة حكم الملك (دارا) من تلك الاحقاب الدهرية وكان الذى تعرض لذكره منها هو أهمها فى الجملة ثم حصل العثور فى هذه الحقبة العصرية على الاثر القديم المشهور باثر جبل (بيهستون) وجاءنا هذا التاريخ المسطور فقص لنا قصة تامة لهذه الوقائع الدولية الفارسية (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان) المذكور فى تاريخ بلاد المشرق القديمة الكبير بعد ان قص ما حكاه المؤرخ (هيرودوت) فى تاريخه ما نصه هذا ما رواه المؤرخ (هيرودوت) فى تاريخه ولقد اكد كل ما قاله فى هذا الشان وتمم بعض ما نقص منه مع غاية الايضاح والبيان ما عثر عليه فى هذه الايام الاخيرة من الاثر المكتوب ذى الاهمية الكبيرة حيث جاء فحقق أعظم التحقيق وصدق كل التصديق على الحقيقة التى ذكرها هذا المؤرخ اليونانى الشهير بأبى التاريخ وذلك هو ما وجد مسطورا على جبل (بيهستون) وهو صخرة توجد على نحو مرحلة من شمالى مدينة (كرمانشاه) على يسار الذاهب من مدينة بغداد الى همدان الآن أعنى فى أقليم كردستان الفارسى اى الارض التى كانت تعرف فى قديم الزمان باسم (الميدية) وصخرة (بيهستون) هذه هى ما كان يسمى عند علماء الجغرافية السالفين المتداولة كتبهم فى مدارس الاوروباويين باسم جبل (راجستان) وهى صخرة ترتفع ارتفاعا قائما بقدر ٤٥٦ مترا ووجد على جانبها رسم صورة منقوشة بالنقش البارز المجسم والنحت المعظم ودونها اثر قديم مسطور مستطيل العبارة الى غاية بليغة بحيث ان السياح المشهور باسم (كير بورتير) قال فى رحلته انه يلزم لنسخه لا أقل من مدة شهرين وذلك هو صورة ملك جالس على هيئة الهدء والسكون فى مجلس احتفال يقدم اليه فيه صورة أعداء مأسورين وهو يدوس تحت أقدامه رمة رجل مغلوب وهذا الملك هو (دارا أودار يوس) والرجل الذى يدوسه تحت أقدامه هو المجوسى (جوماتيس) وهؤلاء المأسورون هم رؤساء اقوام كانوا قد انتهزوا الفرصة من تعدى المجوسى المذكور على كرسى السلطنة الفارسية فأثاروا الفتن الداخلية وخرجوا عن الطاعة السلطانية فى سائر الاقاليم الفارسية والذى استكشف

هذا الاثر العظيم وعرف ذلك الكتاب المسطور الكريم وترجمه ونشره فى عالم المنشورات العلمية هو (الجنرال راولنسون) الانجليزى المشهور وهو محرر النقش والتعبير بثلاث لغات معا وهى اللغات الرسمية واللهجات الدولية التى كانت مستعملة فى ديوان كتابات الدولة الفارسية الكيانية فى تلك الحقبة العصرية أعنى اللغة الفارسية والميدية والاسورية اقتص فيها قصة استيلاء الملك (دارا) المذكور على سرير المملكة الفارسية وحوادث مدة سلطنته لغاية سنة ٥١٤ قبل ميلاد المسيح عليه السلام وهى أنفس أثر يؤثر ويستند اليه واصدق تاريخ مسطر يذكر ويعتمد عليه فى حقيقة تاريخ ذلك العصر ولذلك رجعنا اليه واعتمدنا عليه فى كثير من مواضع هذا التاليف لداعى كونه خصوصا قد ترجم الى اللغات الاوروبية أولا جناب (الجنرال راولنسون) الانجليزى المذكور ثم جناب (الموسيو أوبير) السياح الفرانساوى المشهور وبذلك صار هذا الاثر المأثور الآن سهل التناول والاطلاع عليه من كل أحد (انتهى ما اردنا نقله عن كتاب تاريخ المشرق الكبير للمؤرخ فرانسيس لونورمان ورجعنا للنقل من تاريخه الصغير)

قال المؤرخ المذكور نقلا عن تاريخ (روبيو) المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه وهذا الاثر الذى هو اطول اثر قديم عثر عليه فى الدنيا بتمامها كان قد نقش فى الحجر بامر الملك (دارا) على جانب جبل ببلاد الميدية محررا بثلاث لغات اصلية كانت هى اللغات الثلاثة الرسمية المستعملة بديوان كتابات الدولة (الآشيمونوسية أو الكيانية) وكانت كلها تكتب بالحروف المعروفة بالسنانية وهى الفارسية والميدية والاسورية وهى عبارة عن قصة جميع الحوادث والغزوات التى فعلها هذا الملك من اول قتل (جوماتيس) المجوسى المتشبه بذات (سمرديس) الى ان ثبتت اقدامه على سرير المملكة الفارسية وتم له الاعتراف بالسلطنة فى جميع الاقطار التى كانت تابعة لهذه الدولة المتسعة الآسية وباعلى كتابة الاثر المذكور رسم صورة مجسمة هائلة بقلم النقش البارز فى ذات الصخر المسطور تصور فيها ذات صورة (دارا) على هيئة الدائس تحت اقدامه رمة (جوماتيس) المجوسى وامامه صورة عدة من رؤساء الفتن التى كانت قد قامت على دولته فاطاعهم اصولته بوقت جلوسه على سرير مملكته وفى رقابهم أغلال الحديد وبيان ذلك كما هو ملخص نص الاثر المروى عنه اعلاه هو كما سطرناه.

وهو ان بلاد السوسية كانت قد قامت اولا واثارت فيها الفتنة وخرجت عن طاعته وثارت معها ايضا مدينة بابل تحت رياسة رجل زعم انه ابن الملك (نابونيد) الذى هو آخر ملوكها فتوجه اليهم (دارا) بجنوده وقاتلهم أشد القتال وحاربهم اجد الحرب والنزال وبعد ان انتصر عليهم مرتين عظيمتين (احداهما) على شواطئ نهر الدجلة (والثانية) على

شواطئ الفرات كان زعيم القوم البابليين قد انهزم والتجأ الى داخل مدينة بابل ومكث فيها مدة مديدة محصورا يذب عن نفسه ٠
وحكى قصة ثوران هذه الفتنة بمدينة بابل المؤرخ (هيرودوت) اليونانى فى آخر المقالة الثالثة من تاريخه المشهور فقال ان هذا الحصار كان قد مكث مدة عشرين شهرا ولم ينته الا بواسطة خيانة وخديعة حصلت على يد رجل فارسى يقال له (زوبير) (بالزاى المعجمة فى اوله يليها واو فباء موحدة فارسية مكسورة بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة فراء مهملة فى آخره) كان للملك (دارا) من الخدمة الصادقين والاولياء الذين هم لمصلحة اسيادهم المالكين لارواحهم من الباذلين وكان من هؤلاء الرجال الذين تقوم بهم الحمية الملكية اى التعصب لبعض الدول السلطانية او الحمية الوطنية فتحملهم على ان يعملوا بنفوسهم افعالا عجيبة واعمالا غريبة وكثيرا ما يوجد من امثال هؤلاء الرجال فى التواريخ البشرية فقطع انفه واذانه وذهب على هذه الهيئة المشوهة الى القوم البابليين لقصد ان يوهمهم ان الملك (دارا) هو الذى فعل به تلك الفعلة القاسية وانه انحاز اليهم لينتقم لنفسه من سوء معاملته هذه الظاهرة فتمت عليهم هذه الحيلة وصدقوه واعتمدوا عليه ووافقوه فسلم مدينة بابل للملك فارس بواسطة هذه المكيدة وبينما كانت الجيوش الفارسية محاصرة لتلك المدينة الكلدانية كانت قد قامت فتنة اخرى متسعة شديدة فى الاقاليم الشمالية وذلك ان كلا من الامم الميديين والاسوريين والارمن كانوا قد اتحدوا بعضهم مع بعض وتعصبوا على القوم الفارسيين لداعى ما هو قائم بقلوبهم من الحقد التام والضغن العام عليهم وانقلب ايضا اليهم اهالى ولاية (المرجيان) وغيرها من الولايات الشمالية الشرقية فاعانوهم على ذلك حتى قامت فتنة ثانية ببلاد السوسية مع كونها قريبة من مركز السلطنة الفارسية ولكنها كانت وقتية حصل تسكينها فى برهة يسيرة من الزمن بخلاف الفتنة العظيمة التى كانت قد قامت ببلاد الميدية اذا كان رئيس هذه العصبة الاهلية كما هو نص ماسلف ذكره من تلك الكتابة الاثرية قد ادعى انه ابن (سياكزار) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان يعنى من غير شك انه زعم كونه حفيد الملك (استياج) اخر ملوك بلاد الميدية وانه كان قد منع عن حق استيلاء التملك عليها لداعى سبق تقليد الملك (كيرش) بتاج المملكة اليها) ولذلك وجه الملك (دارا) نحو بلاد الارمن والميدية معاجر باشديدة مكثت مدة مديدة مع غاية الهمة والشهامة العنيدة واقامت مادامت مدة حصار مدينة بابل واضطر الملك (دارا) ايضا الارسال احد قواد عسكره لاستئصال الفتنة القائمة بولاية (المرجيان) حتى قامت عليه فتنة أهلية اخرى ايضا فى ذات أقليم (فارستان) من رجل منازع له فى سرير الملك ثان باسم (سمرديس) السالف الذكر والبيان ثم أعقب ذلك فى متن الاثر المذكور أعلاه

ذكر عدة فتن اخرى عديدة وقيامات اهلية جديدة (اولا) بولايه (آرا كوزيا) ثم بمدينة بابل مرة ثانية اذ كان قد قام بها مدع آخر يزعم انه ابن الملك (نابونيد) ثم ببلاد (السوسية) و بلاد القوم الساسيين يعنى القبائل (السيتيين) الذين كانوا داخلين فى ضمن السلطنة الفارسية غير ان تفاصيل جميع هذه الفتن الاخيرة لم تزل مجهولة الحال ولكن كلها حصل اطفاؤها بعناية الملك (دارا) بالقطع والاستئصال (انتهى مانقل عن تاريخ المؤرخ (رو بيو) المنقول عنه اعلاه)

مطلب —— ترتيب الستراپيات بالسلطنة الفارسيه —— قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان اعلاه بعد ذلك مامعناه وقد كان (دارا) بعد ان ادخل تحت طاعته السلطانية سائر الاقاليم التى كان قد اطاعها الملك (كيرش) من قبله للدولة الفارسية قد اجرى تقسيما سياسيا جديدا وعمل ترتيبا اداريا سديدا فى الخطط الارضية والاقطار المذعنة لصولته بصفة الرعية لقصد توثيق جباية الخرابات السلطانية على وجه الانتظام وتقويه سريان نفوذ ولاية الامر العمومية المركزية فى سائر اجزاء جسم السلطنة الفارسية اعنى فى جميع الولايات والاقاليم التى كانت لها بالتبعية ولاجل التسوية بين اهمية المراتب العسكرية الكبيرة فقلد بتلك المناصب الجهادية العلية قوادا لقبوا بلقب (الستراب) وسميت الولاية المنوطة لعهدتهم باسم (الستراپية) وهى عبارة عن وظيفة عسكرية وملكية معا يعنى انه اناط اليهم قيادة العسكر الموضوع فى كل ولاية لقصد حفظها مع وظيفة جباية الخراج السلطانى المضروب عليها فقسم سائر البلاد التابعة الى السلطنة الفارسية فى تلك الحقبة الزمنية الى تسع عشرة ستراپية وقد كان الغرض الاصلى المقصود للملك (دارا) من احداث هذا الترتيب الجديد هو ان يغير ما كان قد سلكه اسلافه من قبله فى تقسيم ولايات السلطنة الفارسية على مقتضى الطريقة الطبيعية وهما (كيرش وقمبيزس) حيث كانا كلما افتتحا مملكة اجنبية تركاها على كيفية تقسيمها الاصلية اعنى انهما جعلا كل مملكة كانت مستقلة مجرد ستراپية ملحقة ببلاد الدولة الفارسية فقط فلما جاء (دارا) وزع سائر بلاد السلطنة الفارسية توزيعا صناعيا جديدا وقسمها تقسيما سياسيا سديدا اعنى على حسب اقتضاء الاحوال السياسية والطرق الاحتراسية اى على وجه بحيث يصعب على الامم والملل الداخلين تحت طاعة الدولة الفارسية ان يثيروا الفتن الاهلية ويخرجوا عن طاعة الدولة السلطانية الاصلية اذ كان الملك (دارا) قد ظهر له بالتجربة فى مبادى مدة حكمه بكثرة الفتن التى قامت عليه ما يوجد من الخطر فى طريقة التقسيم القديمة ولذلك عدل عنها الى هذه الطريقة الجديدة

وهذه هى قائمة الستراپيات الفارسية اعنى الاقاليم والولايات التى كانت تابعة للدولة الفارسية ·

الفارسية وكان قد وضع عليها (ستراب) بمعنى العامل او الوالى من طرف السلطنة الاصلية حسبما كان قدرتبها (دارا) كما سطرها المؤرخ (هيرودوت) اليونانى فى تاريخه ولم تكن ولاية (فارستان) الحقيقية مندرجة فيها لداعى ما كانت عليه من الاحوال السياسية المختصة بها ولم تكن تدفع خراجا للخزينة السلطانية كسائر الولايات الفارسية الشاهانية وذلك كالمسرود بعد

(اولا) الاقوام اليونانيون المتوطنون ببلاد آسيا الصغرى (وهى بلاد الاناضول الآن) وهم اليونانيون والمانيون والاليوليون مع اقليم (كاريا) (وهى لواء منتش) واقليم (ليسيا) (لواء تكه) وولاية (بنفيليا) (وهى الجزء الغربى من ولاية (ايتشيل) مع الجزء الجنوبى من ولاية الاناطول الآن)

(ثانيا) سترابية (الليديا) (وهى الجزء الغربى من ولاية الاناضول اعنى صوراخان وما يليها من تلك البلدان) وولاية (الميزيا) (وهى لواء قره سى وغيره من البلاد المجاورة له ببلاد آسيا الصغرى) مع سائر القبائل المتوطنة بالجبال الكائنة فيما بين هاتين الولايتين

(ثالثا) سترابية سواحل بوغاز (هيليسپون) (وهو بوغاز الدردانيل او بوغاز (شنق قلعه) الآن) مع ولايات (افريجيا) (وهى تقريبا ما يعرف الآن بالوية قونية وآقسراى وآقشهر ببلاد القرمان ولوائى كوتاهية وقره حصار ببلاد الاناضول) و (بثنيا) (وهى الجزء الشمالى الغربى من ولاية الاناضول) و (بفلاجونيا) (وهى ما يعرف الآن بلوائى قسطمونى وكيانجارى) و (القابادوسيا) (وهى الآن جزء من لوائى سيوة و بلاد القرمان)

(رابعا) سترابية (سيليسا) (وهى ولاية (سلفتش وادنه) الآن)

(خامسا) سترابية بلاد (فنيقيا) والشام وفلسطين وجزيرة قبرس

(سادسا) سترابية مصر و بلاد (ليبيا) (وهى الجبال الغربية من الديار المصرية) و بلاد (القيرونية) (وهى بلاد برقة الآن)

(سابعا) سترابية بلاد (الساتاجيتيين) و (الجندريين) و (الداديسيين) والاباريتيين وكل هؤلاء هم اقوام من الامم الاقدميين كانوا متوطنين فى الجبال الكائنة فى اعلى نهر السند

(ثامنا) سترابية بلاد السوسية (وهى خوارزم الآن)

(تاسعا) سترابية بلاد بابل والاسورية (بلاد العراق العربى القديمة)

(عاشرا) سترابية بلاد الميدية (وهى بلاد اذربيجان والعراق العجمى الآن)

(حادى عشر) سترابية بلاد (هركانيا) مع ما فيها من الاقوام الشتى وهم (الكاسبيون) و (الينتيماثيون) و (الداريتيون)

(ثانى عشر) سترابية بلاد البكترية (وهى الآن خانية بلخ ببلاد تركستان المستقلة)
(ثالث عشر) سترابية بلاد الارمن مع بعض الاخطاط المجاورة لها
(رابع عشر) سترابية بلاد الاقوام المسمين باسم (الساجارتيين) و (السارنجيين) و (الطامانيين) و (الميزيين) و (الاوتيين) والظاهر ان جميع هؤلاء الاقوام كانوا هم اهل بلاد القرمان و بلاد (السوجديان) الاقدمين وسكان الجزائر الكائنة فى مدخل الخليج الفارسى فى تلك الازمان
(خامس عشر) سترابية بلاد (الساسيين) (وهم قوم من الاقوام السيتيين كانوا متوطنين حوالى منابع نهر سيحون)
(سادس عشر) سترابية بلاد (البرثية) و (الخوارزمية) و (السوجديان) و بلاد الآرية)
(سابع عشر) سترابية بلاد (الباريكانيين) و (الابتيوبيين) يعنى الحبشة او الكوشيين المتوطنين ببلاد (جيدروزيا) (وهى المسماة ببلاد مهران الآن)
(ثامن عشر) سترابية بلاد (ايبيريا) و (البانيا) وهى البلاد الكائنة فيما بين نهر (آراس) وسلسلة جبال قوقازة
(تاسع عشر) سترابية بلاد بحر (بنطش) (وهى قطر من بلاد (آسيا الصغرى) مع ما كان متوطنا فيه من الاقوام الصغيرين والامم الكثيرين وهم الاقوام المسمون باسم (الموشيين) و (الطبارانيين) و (المكرونيين) و (الموزيناكيين)
هذه هى قائمة بيان السترابيات الفارسية حسبما اورده المؤرخ (هيرودوت) اليونانى فى تاريخه وكما كان قدرتبها الملك (دارا) ولما ضم الملك المذكور الى مملكته البلاد الكائنة على الشاطئ الايمن من نهر السند جعلها سترابية متممة للعشرين وحينئذ فقد كان عدد السترابيات اى الاقاليم التابعة للسلطنة الفارسية فى عهد (دارا) عبارة عن عشرين سترابية فقط وكان المؤرخ (هيرودوت) المروى عنه اعلاه قد جمع سائر مبالغ الخراج المتحصلة من الاقاليم الفارسية المذكورة وحول النقود الفارسية الى النقود اليونانية فبلغت قيمة الواردات للدولة الفارسية من العشرين سترابية المسرودة اعلاه فى كل سنة مبلغ ١٤٥٦٠ تالانا بسكة مدينة (اتينه) وذلك يساوى بالوزن مبلغ ٨٢ مليونا و ٧٩٩٨٦٦ فرنكا بالسكة الفرانساوية واذا نظرنا لما كانت عليه قوة الفضة فى ذلك الزمان بالنسبة لما هى عليه الآن صح لنا ان نقول ان مبالغ ايراد الدولة الفارسية المرقوم اعلاه يضاهى قيمة حقيقية تبلغ ٨٦٢ مليونا و ٣٨٢٩٢٨ فرنكا
مطلب — ذكر بيان طريقة ولاية الاقاليم بالسترابيات — قد كان سائر

العمال الملقبين بلقب الستراب للدولة الفارسية فى درجة متساوية بعضهم لبعض وكانت درجة نفوذهم فيما يتعلق بالمواد العسكرية والمالية متحدة غير ان طريقة الادارة الداخلية التى كانت تجرى فى كل سترابية من تلك السترابيات هى التى كانت مختلفة ولم تكن على وتيرة واحدة بل كانت السترابيات الفارسية كما كان الحال كذلك فى السلطنة الاسورية على ضربين (الاول) الاقاليم التى كانت يوضع عليها ولاة أو عمال بطريق المباشرة من طرف السلطنة الفارسية المركزية اعنى ان ادارة امورها كانت جارية على مقتضى القوانين السلطانية الاصلية و(الثانى) الاقاليم التى كانت ملحقة بها بمجرد علاقة التبعية اى على وجه كونها تابعة للسلطنة الاصلية يعنى انها كانت باقية على حالة الاستقلالية الداخلية بحيث تجرى ادارة أمورها بمقتضى قوانينها الخصوصية ويوضع عليها ولاة أو عمال من أعيان طوائفها الاهلية فاما الضرب الاول فقد كان من جملته ما كان الباعث على التشديد عليه وتضييق حبل ارتباطه بقوة النفوذ المركزية هو خشية ان يحصل فيه الثورات الاهلية والقيامات الملية المتكررة على الدولة السلطانية الاصلية مثل ولاية الليدية والبابلية والميدية ومنه ما كان الباعث على ذلك فيه هو كونه محطات بحرية ومواقع عسكرية أصلية للاساطيل الحربية الفارسية بحيث يلزم جعلها تحت مباشرة ادارة السلطنة العليا لداعى انها من حيث كونها جهات ثغرية بحرية هى ذات اهمية قصوى مثل الديار المصرية وولاية السيليسية ومنها ما كان الباعث على التضييق عليه وجعله تحت مباشرة الاوامر والنواهى السلطانية كونه قد كان قبل ذلك تحت طاعة الدولة الميدية مثل ولاية البكترية وما يليها من الولايات المجاورة لها فقد كانت طريقة سياسة السلطنة الفارسية من حيث ادارة الاقاليم التى هى من هذا الضرب جارية على مقتضى العوائد القديمة فلم يكن الستراب المتولى عليها مقلدا فقط بقيادة الجنود الموضوعين فيها للمحافظة عليها وجباية الخراج المضروب عليها بل كان منوطا اليه أيضا ادارة سائر امورها وجميع تفاصيل تدابيرها بان يقلد من طرفه سائر العمال والولاة اللازمين لمباشرة سائر المصالح فيها وكان من اهم ما يوكل اليه واعظم ما يوصى عليه بأن يلتفت بالخصوص اليه ويعتنى به هو العناية التامة فى كل سترابية بمصلحة الفلاحة اذ كانت زراعة الارض من أهم ما تهتم به الامة الفارسية هذا فيما يتعلق بالسترابيات الكائنة تحت مباشرة الدولة السلطانيه

وأما فى البلاد التى كانت تابعة للسلطنة الفارسية بمجرد علاقة التبعية فقط فقد كانت وظيفة الستراب منحصرة فى مجرد قيادة الجنود الموضوعين فى القلاع والحصون والمواضع العسكرية ذات الاهمية منها للمحافظة عليها وجباية الخراج المضروب عليها وبعثه الى الخزائن السلطانية لا غير ولا تعلق له بشئ من أمور الادارة الداخلية غير انه كان له حق

الحسبة والتفتيش والملاحظة بوجه عام على ولاة الامور الاهلية المنصوبين فى مناصبهم الاصلية كما كانوا قبل فتح بلادهم لطاعة السلطنة الفارسية وقد كان منصب الستراب فى تلك البلاد بتلك الاحقاب الزمنية أشبه شئ بمنصب عمال الدولة الانجليزية الموضوعين فى هذه الحقبة العصرية عند بعض ملوك الهند البلديين المسمين باسم (راجا) بمعنى الملك البلدى المتقلد بمنصب الملك الاصلى فى بعض الممالك الهندية التابعة للمملكة الابريطانية بمجرد علاقة التبعية فقط وقد كان من جملة السترابيات الفارسية ستراببتان متميزتان على وجه بحيث كانتا متصورتين فى هيئة مملكتين كثيفتين وولايتين تكادان ان تكونا تقريبا مستقلتين اذ كان الرئيس عليهما بتولاهما بطريق التوارث وان كان يلقب كغيره من ولاة الاقاليم الفارسية بلقب الستراب غير انه لم يكن يوضع عنده عامل بمنصب بطريق المباشرة من طرف الدولة السلطانية وهما الستراببية الثالثة عشرة والتاسعة عشرة اعنى ولاية ارمنية وولاية بنطش فاما بلاد أرمنية فانه الداعى ما كان حاصلا من الصداقة للسلطنة الفارسية من طرف ملك أرمنية المدعو باسم (تيجران) الاول ومن خلفه على سرير مملكة ارمنستان كانت قد أعطيت لها هذه المزية السياسية على خلاف المعتاد فى سائر الاقاليم التابعة للدولة الفارسية وأما بلاد (بنطش) فانها وان كانت لم يسبق لها كبلاد أرمنية انها كانت مملكة مستقلة قديمة بل كانت مسكونة بمجموع أمم متفرقين واقوام بعضهم عن بعض مستقلين لغاية ان افتتحها الملك (كيرش) وضمها للمملكة الفارسية وكانت من ذلك الوقت قد اجتمعت وانضمت ووضع عليها ملك من فروع العائلة الملوكية الفارسية المسماة باسم (الاشيمونوسية أو الكيانية) كان يدلى لبيت الملك الذى منه (دارا) بدرجة نسبة قريبة جدا فلذلك أعطيت لها أيضا هذه المزية السياسية

وفيما عدا هاتين الستراببتين المذكورتين آنفا كانت حادثة ترتيب الستراببيات التى كان قد أحدثها (دارا) بناء على ما كان جاريا من قبله عبارة عن كونه قد جمع كل عدة ولايات كانت محكومة أولا بعدة ولاة أمور أهلية ورؤساء محلية كان اغلبهم يلقب أولا بلقب الملوك وجعلها كلها استراببية واحدة أعنى عمالة أو خطة سياسية تابعة للدولة الفارسية وذلك لقصد ان يستوثق ولا يخشى من كون الستراب المنصوب من طرفه عليها يتيسر له بالسهولة ان ينتهز الفرصة اذا كان مستوليا على ملة واحدة من ميل تلك الملة للخروج عن طاعة الدولة الاجنبية فيتحد معها ويجعل مصلحته مصلحتها ويخرج بذلك عن الطاعة السلطانية ويفوز بالاستقلالية وكان من جملة ترتيب الستراببيات بالدولة الفارسية أيضا ان الملوك التابعين للدولة السلطانية بمجرد علاقة التبعية فقط لم يستمروا فى عهد (دارا) على ما كان لهم فى عهد أسلافه (كيرش وقمبيزش) من التصرف التام وولاية الامر العام

على ممالكهم بل كان دائما يوضع عندهم عامل فارسى ينصب عليهم من طرف الدولة السلطانية المركزية ليكون نائبا عنها ويكون له اليد الطولى عليهم وكان له المرتبة العليا فوقهم بحسب ترتيب درجات أرباب المناصب السياسية والمراتب السلطانية الفارسية ولما كان ملك فارس فى تلك الاحقاب الدهرية يوجد تحت طاعته السلطانية عدة أمراء مستولين على امارات ارضية وجملة ملوك طوائف كثيرين كانوا له بالتبعية كان الملك الكيانى يلقب فى ذلك العصر بملك الملوك أو بالملك الاعظم او الاكبر

مطلب — بيان ماترتب على ترتيب الستراپيات من المترتبات — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان أعلاه بعد ذلك مامعناه هكذا كانت طريقة الخطط الارضية والتقاسيم السياسية والمالية حسبما كان قدرتبها (دارا) فى بلاد السلطنة الفارسية وقد حصل فيه بعض تغيير وتبديل وجرى عليه بعض اصلاح وتكميل فى كثير من التفاصيل غير انه بقى على حاله الاصلى واستمر على حسب الترتيب الاولى فيما يتعلق بالخطط الارضية الاصلية والاصول السياسية الاساسية لغاية ان جاء الاسكندر الاكبر وافتتح الممالك الآسية

كان من مقتضى هذا الترتيب ان الملك هو الذى ينصب الستراپين ويعزلهم واقل مخالفة للاوامر السلطانية كانت تعد من قبيل العصيان والبغى على السلطان والخروج عن طاعة ولى الامر الفارسى فيترتب عليها فى أغلب الاحيان قتل المرتكب لذلك الذنب وأدنى تهمة تكفى لضياع أى ستراپ كان من ولاة الاقاليم الفارسية وذلك انه قد كان يرسل اليه بمجرد السعى عند السلطان الاعظم رسول مخصوص ومعه سند توكيل عام وترخيص تام من طرف السلطان للحرس بان يقتلوا الشخص العاصى فينفذوا الامر السلطانى على الفور من غير تأخير ولا توان وقد كانت دولة فارس لاجل سرعة المواصلات بين الاقاليم التابعة اليها قد رتبت سعاة على خيول موزعة على محطات بين كل واحدة والثانية مرحلة يوم كانوا يحملون اوامر الملك الى الستراپين ومراسلاتهم الى الدولة العليا وهذا هو مايعرف بالبريد وهو من اختراعات (دارا) وقد كانت هذه الطريقة مما يسهل سريان نفوذ الدولة المركزية فى سائر اجزائها الفرعية ومع ما كان حاصلا من ملوك فارس من الاحتراسات الشديدة والاحترازات الاكيدة لقصد مراقبة أحوال ولاة الاقاليم الملقبين بالستراپين وامساكهم فى قيود الطاعة والامتثال على الدوام والاستمرار لم يتيسر لهم تدارك ما كان يكثر وقوعه منهم فى تلك الاعصار من الفتن الاهلية المتكررة والحروب الداخلية المتكاثرة التى كانت قد مزقت شمل السلطنة الفارسية فى آخر أيامها المتأخرة وذلك ان الستراپين كان قد نيط بيدهم من ولاية الامر نفوذ كبير فكان الوالى منهم ماأسرع ماينتزع وزراءه ذاتيا و يتأبط شرا وكبرا

شخصيا ويرى لنفسه زيادة درجة من الاهمية الذاتية لسعة ما يراه تحت طاعته من البلاد الموكولة لولايته حتى انتهى أمرهم لان صاروا يعتبرون أنفسهم فى مرتبة ملوك مستقلين وولاة أمور حقيقيين وصارت البلاد الموكولة لعهدتهم لاعبارة عن ولايات منوطة لامانتهم وهم فقط بمنزلة العمال عليها للدولة سلطانية عليا بل صارت لهم كانها املاك خصوصية يستغلونها لانفسهم وحفالك ارضية يتمتعون بها المنفعة ذواتهم الشخصية ولذلك تضاعفت قوة الدولة المركزية واضمحلت وتلاشت شوكة السلطنة الفارسية الاصلية واسترذلت وجاءت سرعة زوالها فى أيام الاسكندر الاكبر فدلت على ضعف عروة الرابطة السياسية الجامعة بين اجزائها العضوية

مطلب ــــ ذكر شن الغارة من الملك (دارا) بجنوده الفارسيين على الامم المعروفين بالسيتيين (فى سنة ٥٠٨ ق م) ــــ وبعد ان أتم الملك (دارا) اطفاء سائر الفتن الاهلية والقيامات الملية التى كانت قد قامت على دولته ورتب جميع بلاد سلطنته ترتيبا سياسيا جديدا تراءى له من عزم الامور السياسية وحزم الآراء الاحتراسية لاجل حفظ حالة السلم الداخلية ان يوجه همة رعاياه الجهادية وشهامتهم الحربية نحو غزوات خارجية وقد كان كبره أيضا يدعوه لان يدخل فى طريق الفتوحات ويشمر نفسه كاسلافه بالجهاد والغزوات وذلك ان سلفه الملك (كيرش) كان قد افتتح جميع ممالك آسيا و (قمبيزش) ذهب بجيوشه الى بلاد افريقية فعزم هو أيضا على ان يستولى على بلاد اوروبة ولاجل الحصول على هذا الغرض احتج بعلتين وهما انه أراد ان يمنع من الآن فصاعدا ما كان يقع دائما على بلاده من غارات الاقوام السيتيين وان يقطع درجة الاعلوية التى كانت قد تقررت لهؤلاء القبائل المتوحشين على جميع بلاد آسيا فى سالف الاعصار مدة ثمانى عشرة سنة من قبل عهد الملك (سياكزار) فصمم على ان يجهز تجريدة عظيمة ويذهب بنفسه على رأس غزوة جسيمة لشن الغارة على الامم السيتيين

ولفظ (السيتيين) هذا هو لفظ عام وكلمة غير معينة المعنى والمرام يعبر بها عند السلف ولاسيما عند اليونان فى تلك الايام عن جميع القبائل التى كانت تعيش بالحالة البدوية والهيئة الانتجاعية أعنى القبائل الرحالين النزالين والاقوام الغير المتوطنين فى اماكن ثابتة ولا فى مدائن وقرى مستقرة كقبائل العرب المنتجعة من كل من كانوا يعيشون فى الصحارى المتسعة والبوادى الكبيرة الكائنة على شمال البحر الاسود وجبال قوقازة وبحر الخزر وبحيرة (آرال) وينتجعون الى ماهو ابعد من ذلك الى جهة الشرق من أى جنس كان من الاجناس البشرية وكان هذا اللفظ يطلق عند اليونان وسائر الامم المتقدمين فى تلك الازمان على قبائل شتى ويطبق على اقوام من اكثر ما يمكن تنوعا وتفرقا

من حيث الاصل والجنسية فاما السيتيون الآسيون الذين كانوا قد انتشروا كالجراد المنتشر ببلاد آسيا فى عهد الملك (سياكرار) ووصلوا الغاية بلاد فلسطين فقد كانوا بيقين من التورانيين ولاشك فى انهم هم أسلاف الاقوام المعروفين فى الاعصار الوسطى باسم التتار والمغول اعنى الاقوام المفسدين والامم المؤذين الذين كانوا قد اخربوا البلاد ودوخوا العباد تحت قيادة (خنكيزخان وتيمورلنك) المشهورين وهؤلاء الاقوام السيتيون السالفون هم الذين كان الملك (كيرس) قد توجه لشن الغارة عليهم فيما وراء نهر سيحون فلحقته من سيوفهم المنون ومات هنالك كما تقدم ذكر ذلك واما السيتيون الاوروبيون فهم من جنس الذرية اليافثية المعبر عنها بالطبقة الهندية الاوروبية والظاهر انهم هم أصل الفرع الجرمانى بالخصوص من فروع هذه الطبقة البشرية فانهم هم أول من عرفهم اليونان فعبروا عنهم فى الاصل على وجه التخصيص بهذا اللفظ اليونانى القديم وهو لفظ (السيتيين)

ولاشك فى ان ماذكره المؤرخ (هيرودوت) اليونانى فى تاريخه من الوصف الغريب والشرح الطويل العجيب لاخلاق السيتيين وعوائدهم واحوال بلادهم واماكنهم ليس المراد منه غير الاقوام السيتيين الاوروبيين المذكورين وهم السيتيون الحقيقيون اعنى القبائل الآرية الاصل الذين كانوا مقيمين بالبوادى والصحارى التى هى صحارى بلاد الروسيا الآن وكان اكثرهم ساكنا فيما بين النهر الذى كان يعرف عند القدماء باسم (لو بورستين) وهو مايدعى الآن باسم نهر (دنيبير) والنهر الذى كان يعرف عند السلف باسم (لوتانايس) وهو المدعو الآن باسم نهر (الدون) ببلاد الروسيا وقد كانوا فى اعلى أوج من الشوكة واقوى درجة من الصولة حين شن الغارة عليهم (دارا) الفارسى ووصف احوالهم المؤرخ (هيرودوت) اليونانى ثم انحطت درجتهم واضمحلت حالتهم بعد ذلك فى أقرب ... هاجرت قبائلهم تدريجا الى جهة الشرق وآل أمر الامم السيتيين المذكورين فى عهد الملك (ميتريدات) ملك (بنطش) المشهور بلانصار والاعداد لهم ولا اعتداد بهم بطريق الجد فى جملة الامم الذين كان لهم حظ من العمل فى الحروب الجارية بسواحل بحر (بنطوكسان) (البحر الاسود) فى تلك الاعصار وكانت ذراريهم قد انقرضت من تلك الاقطار وصارت البلاد التى كانت مساكنهم بعضها قفارا وبعضها احل فيه بدلا عنهم الاقوام (السرماتيون)

ولما أراد (دارا) ان يشن الغارة على الاقوام السيتيين من جهة شمال بحر (بنطوكسان) اجتاز بجنوده الى اقليم (طراقه) (وهو الجزء الشمالى الشرقى) من الولاية المسماة باسم (الرومللى الآن) وذلك انه وضع قناطر على بوغاز (البوسفور) (وهو المعروف ببوغاز

القسطنطينية او بوغاز اسلامبول الآن) ومر بهم عليها وانشأ قنطرة أخرى أيضا على نهر (طونه) واجتاز بهم كذلك عليها وأقام القوم اليونانيين الذين كانوا فى ضمن جيوشه حرسا عليها وأخذ يتتبع الاقوام السيتيين فى تلك النواحى فلم يثبتوا امامه بل صاروا كلما دنا منهم يتباعدون وهكذا صار واعلى الدوام والاستمرار ينتقلون ويرتحلون قدامه فى سهول متسعة لا آخر لها حتى كادت ان تنفد ذخائر جنوده وتلحقهم مجاعة شديدة واضطر للرجوع بجيوشه الى وراء بالثانى لاجل ان لا يقع فى مثل ماوقع فيه قبله (قمبيزس) من المصائب بديار مصر بل بادر بالفرار اذ كان السيتيون قد عادوا عليه بالكرة لما تراءى لهم ضعفه وارادوا البطش به واهلاك جنوده بالكلية حتى ان الجيوش الفارسيين لقصد سرعة قهقهرتهم كانوا قد تركوا مرضاهم فى الطرقات ولم يحملوهم معهم وابتدؤا عملية عودتهم من الليل لاجل ان ينتهزوا فرصة بعض ساعات يستترون فيها عن اعين العدوّ حيث كان قد كاد ان يلحقهم ويبطش بهم وصاروا يرهبون من ملاقاته بقدر ما كانوا فى أوّل الامر يرغبون فيها ولربما كان فرارهم هذا لا ينفعهم فى شئ لولم يكن القوم اليونانيون الذين كانوا موضوعين على حراسة قنطرة نهر (طونه) قد صدقوا فى حفظها وأنقذوا بذلك هؤلاء العساكر الفارسيين المساكين الذين كانوا قد كادوا ان يكونوا من الهالكين شهداء جراءة ملكهم وقضاء لاوطار اطماعه هذه

مطلب ـــــ ذكر ما حصل بعد من فتوحات (دارا) باقليم (طراقة) و بلاد الهند

(فى سنة ٥٠٦ ق م) ولما لحق (دارا) من الخجل بتلك النوائب والغضب مما أصابه من تلك المصائب فى غزوة السيتيين اخترق بجنوده اقليم (طراقة) واجتاز بهم بوغاز (البوسفور) وانتقل الى سواحل آسيا من عند مدينة (سستوس) (بسينين مهملتين فى أوّله وهى المسماة الآن باسم (باوالى قلعةسى) وترك بجهة اوروبه جيشا يبلغ ثمانين الف مقاتل تحت قيادة (ميجابيس) بن (زوبير) احد السبعة نفر الذين كانوا قد تعصبوا معه على عزل (جوماتيس) المجوسى وقتله كما سبق ذكر ذلك فى محله فما كان من القائد (ميجابيس) المذكور الا انه نأى عن التوجه بجنوده للحرب على الاقوام السيتيين والتفت لمحاربة اهل اقليم (طراقة) فادخله تحت طاعة الدولة الفارسية بالكلية فى اقل من سنة ثم شن الغارة بعد ذلك على مملكة (مقدونيا) وهى الجزء الغربى من ولاية (الرومللى الآن) وطلب من ملكها المتولى عليها فى ذلك الزمان وهو المسمى باسم (امانتاس) الطين والماء عبارة عن طلب الاذعان والامتثال لطاعته فلم يتأخر الملك المذكور ان اجابه لما طلب واذعن له بالطاعة من غير توقف كما رغب فوضع القائد الفارسى المذكور اليد على مدينة (بيرانثة) المسماة أيضا باسم (هرقلة) ولم تزل تعرف

بهذا

بهذا الاسم الاخير لغاية الآن وعلى مدينة (بيزانسة) (وهى المسماة بالقسطنطينية اوالاستانة العلية او اسلامبول الآن) وهما مفتاح بوغاز (البوسفور) من نواحى اقليم (طراقة) ووضع اليد ايضا على كل من جزيرة (امبروس) (بالسين المهملة فى آخره) وهى المسماة الآن باسم (امبرو) (من غير سين مهملة فى اخره) وجزيرة (كيمنوس) وهى المسماة الآن باسم (استاليمن) من جزائر بحر الارخبيل (بحر جزائر الروم)
وفى تلك السنة بعينها كانت قد توجهت غزوة فارسية ايضا لفتح بلاد الهند فخرج جيش من الجنود السلطانية من اقليم (الجندارية) التابع للسلطنة الفارسية فاطاع سائر الامم والاقوام القاطنين فى الجهات التى يخترقها اعلى نهر (السند) قبل ان يدخل بلاد (بنجاب) من سلسلة جبال الثلج الهندية المسماة بجبال (هيمالية) وانضموا بطريق التبعية للستراپية السابعة مع بقائهم تحت ولاية ملوكهم الاصليين وولاة أمورهم الاهليين كما كانوا قبل فتح بلادهم للدولة الفارسية ومن هنالك بأمر (دارا) انشئت عمارة بحرية واسطول مركب من سفن فارسية على نهر السند من اخشاب بلاد (كشمير) وجعل القائد عليها امير البحر اليونانى الماهر الشهير باسم (سيلاكس دوكار ياندە) وكان قد اشتهر فى ذلك العصر بما عاناه من كثرة السفر فى البحر فنزل بالسفن الفارسية على نهر السند لغاية مصبه من بحر الهند واشرع بها الى جهة المغرب حتى وصل بعد مدة ثلاثين شهرا الى نهاية البحر الاحمر اعنى الى الميناالتى كان فرعون مصر المشهور باسم (نيخاووس) قد وجه منها السفن الفنيقية لقصد السفر فى البحر حول بلاد افريقية وكانت نتيجة سفر القائد (سيلاكس دوكار ياندە) اليونانى المذكور بالاسطول الفارسى على الوجه المسطور ان امتدت يد سلطنة (دارا) على سائر البلاد الكائنة فيما بين الشاطئ الايمن من نهر السند وجبال (پكتيان) ومنها تكونت الستراپية الفارسية المتممة للعشرين ولم تتجاوز الامة الفارسية الى الشاطئ الايسر من النهر المذكور ولم تدخل خصوصا فى البلاد المعبر عنها الآن باسم (بنجاب) بمعنى الخمسة الانهار من تلك الاقطار حيث كانت يسكنها فى تلك الاعصار اقوام اولو حرب وجهاد وأمم أرباب شجاعة وجلاد وكان الاسكندر الاكبر هو اول من فاز بفخر ادخالهم تحت طاعته وحاز ذكر اشمالهم فى دائرة سلطنته

ولم يكتف (دارا) بالاقتصار على جميع هذه التوسعات الملكية والتملكات الارضية من الاقطار بل كان لما وصل الى حدود الممالك الاوروبية القائمة فى تلك النواحى بتلك الاعصار تعلقت مطامعه أيضا بأن يفتح اقطارا اخرى من تلك الجهات اوسع وابهج من اقليمى (طراقة) و(مقدونيا) واراد ان يطيع لدولته ذات مملكة اليونان الاصلية الكائنة على السواحل البحرية من تلك البلدان فتعلل لشن الغارة عليها بعلة خروج عن الطاعة السلطانية الفارسية

حصل من بعض الطغاة اليونانيين المتملكين على بلاد (اليونية) (أى المدن اليونانية الكائنة على السواحل الآسية) وكان قد خشى على نفسه من (غضب دارا) فعصى عليه وخرج عن طاعته وكان الاثينيون أى أهل مدينة (اثينة) قاعدة مملكة اليونان الاصلية قد ساعدوه عليه مدة حقبة من الزمن وان كان أمدادهم له ضعيفا خاليا عن القوة والحزم ومن ثم صارت مملكة اليونان دون غيرها من سائر البلدان عند الملك الفارسى هى مرمى اشتغال البال ومحط رحال الحرب والقتال وترتب على ذلك انه تورط فى تلك المنازعة الطويلة والحرب العوان الثقيلة التى اشتهرت بين فارس واليونان فى ذلك الزمان بقوة الجيوش من الطرفين وبما بعث عليها من البواعث السياسية من الجانبين حتى استمرت على الدوام تقريبا مسافة قرن ونصف من الدهر وترتب عليها فى ذلك العصر خراب مملكة فارس وزوالها بالكلية وتحويل احوال بلاد آسيا الغربية بتأثير قوة الفنون والصنايع التمدينية الاثينية وقوة اللغة اليونانية وهذه المدة هى المشهورة على لسان اهل التواريخ اليونانية والاوروبية بعهد الحروب الميدية بمعنى الفارسية وهى عبارة عن الحروب التى حصلت بين ملوك فارس واليونان فى القرن الخامس قبل ميلاد المسيح عليه السلام وكان مبدأها فى عهد (دارا) بن جوستاب هذا وهو (دارا الاول) ولذلك لزمنا ان نقف هنا من تاريخ دولة فارس على هذا العهد وبقيته تأتى فى ضمن باب تاريخ اليونان الآتى بعد لان تاريخ بلاد المشرق من أوائل عهد الحروب الميدية فى الحقيقة وعلى وجه الاصالة انقطع ولا يكون من الآن فصاعدا الا عبارة عن حوادث تذكر بطريق التبعية لتاريخ اليونان حيث يكون تاريخ اليونان من الآن هو تاريخ التمدن والعمران (انتهى الى هنا معربا من تاريخ بلاد المشرق والهند للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

تذييل

يتضمن بعض فوائد تفصيلية ومسائل تكميلية مما يتعلق باحوال الدولة الفارسيه

(معربا من تاريخ المعلم (فرانسيس لونورمان) الكبير)

المسألة الاولى — ماذا يؤثر عن (دارا) ومن سبقه من ملوك دولة فارس السالفين من الابنية والعمارات المأثورة عنهم فى تلك الاوقات — قال المعلم فرانسيس لونورمان فى تاريخه الكبير المتقدم الذكر والبيان فى هذا الشان أعلاه ما تعريبه أدناه

قد كان من عيوب ترتيب الدولة الفارسية مع ما كانت عليه من عدم البلوغ لدرجة الكمال

بعد فى عهد كل من الملك (كيرش) والملك (قمبيزش) انهالم يكن لها قاعدة سلطنة ثابتة ولا كرسى مملكة معين يقيم فيه ارباب الدولة المركزية بل كان هذان الملكان الاولان يعيشان عيشة تكاد أن تكون انتجاعية بمعنى رحالة نزالة وحالة على الدوام انتقالية منتجعة فكانا تارة يقيمان فى ناحية وتارة فى اخرى من نواحى سلطنتهما المتسعة اما الملك (كيرش) فكان قد ثبت فى المدينة التى كانت تدعى فى ذلك العصر باسم (ايكباتان) (وهى همدان الان) وكانت اقامته فى القصر الملوكى الذى كان قد شيده لنفسه الملك (ديجوسيس) كما تقدم ذكر ذلك فى موضعه من هذا الكتاب واما الملك (قمبيزش) فلم يكن قد خرج من ديار مصر منذ افتتحها حتى مات وكانت حادثة تعدى (سمرديس) المجوسى على سرير الملك الفارسى قد دلت على ما كان يوجد فى تلك الحالة من الخطر من وجهين (احدهما) فى طول اقامة الملك فى احدى نهايات حدود مملكته و (الثانى) فى جعل مركز السلطنة الفارسية ببلاد الميديين مع كونهم لم يزالوا يحلمون باسترداد ما كانوا يزعمونه من انه قد كان لهم الدولة العظمى واليد العليا على القوم الفارسيين وان القوم الفارسيين انما اغتصبوها منهم واستولوا عليها بدلا عنهم ولذلك لما جاء الملك (دارا) واراد ان يرتب أحوال الدولة الفارسية على وجه بحيث يعطى للصولة الملوكية زيادة قوة احس بشدة ضرورة ان يجعل لمملكته قاعدة ثابتة مستمره ويعين لسلطنته نقطة مركزية مستقرة فانتخب لقضاء هذا القصد مدينة (سوس) وهى المسماة الآن باسم (شوستير) لكونها قد كانت معتمدة من جهة على ولاية فارستان الاصلية التى كان فيها مركز قوة السلطنة الفارسية الحقيقية ومن جهة أخرى كانت قريبة من مدينة بابل ومن بلاد الميدية وموضوعة على ابعاد متساوية من نهاية حدود بلاد سلطنته المتسعة من المشرق الى المغرب وشيد فيها قصرا ملوكيا عظيما فاخرا صار بعد ذلك محل سكنى سائر الملوك الكيانيين اذا كانوا ليسوا مسافرين على رأس جيوشهم فى الغزوات البعيدة وكان (دارا) قد اسس ايضا فى وسط ولاية فارستان الاصلية المدينة المسماة فى ذلك العصر باسم (پرسبوليس) او (فارستخرا) وهى المسماة الان باسم (ايتشيل منار) (بمعنى الاربعين عمودا) لقصد ان تكون مقبرة لمدافن ارباب عائلته الملوكية وبنى فيها أيضا قصرا ملوكيا متسعا

أما قصر (سوس) فكان قد حفر عليه منذ بعض سنوات القائد الانجليزى المسمى باسم (الجنرال ويليام) المشهور بالدفع عن مدينة (كارس) (الكائنة ببلاد الارمن على حدود الدولة العثمانية من جهة دولة ايران الآن) والسائح الانجليزى المشهور باسم (نوفتوس) فلم يجدا منه غير اطلال واهية وآثار بالية غير انها لم تزل تدل على ما كان لفن العمارة الفارسية من الصفات الاصلية المميزة لها عن غيرها من انواع العمارات التى كانت للامم السالفين واما قصر (پرسبوليس) وهى التى كانت تسمى عند الفارسيين المتأخرين باسم (استخار)

فان اكثر بنيانه هو لغاية الان قائم على جدرانه وكل من اطلع عليه من السياحين منذ قرون عديدة عجب له واستغرب به غرابة شديدة وهو موصوف فى كتب التواريخ المطولة بما لا يسع هذا الدرس المختصر ان يحيط به من البيانات المفصلة

المسألة الثانية — كيف كان فن التمثيل والتصوير والعمارة عند الامم الفارسيين فى سالف العصور — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى تاريخه الكبير ما تعريبه كما هو بعد مذكور

قد كان فن التمثيل والتصوير الفارسى حسبما يظهر لنا من التأمل فى العمارات المذكورة والنظر فى تلك الآثار التى هى عنهم مأثورة متولدا بطريق المباشرة عن فن التصوير الاسورى القديم وانه منسوخ على صورته وان الفرع ليس دون الاصل بل ربما كان تفريغه اعلى واسلم وضرب قلم النقش فيه اطلق واتقن واعلم وتناسب الاجزاء العضوية من البنية البشرية اضبط واكثر مراعاة واحوط ولكن الامر الذى يظهر ان الفارسيين كانوا فيه بالحقيقة مخترعين وفى الواقع ونفس الامر مبتدعين فى تلك الازمان هو فن العمارة والبنيان نعم لا شك فى انهم كانوا قد استعاروا ايضا كثيرا من نموذجات فى العمارة والبنيان الذى كان متبعا فى مدينة (نينوى) عند الاسوريين مثل طريقة السطوح المدرجة والنقوش المفروغة فى داخل الحجرات على صورة سلاسل غير منقطعة من الاشكال والهيئات ورسم الابواب المصور على جوانبها صورة أثوار ذات أجنحة وغير ذلك من الكيفيات فكل ذلك لابد من انه قد كان مأخوذا عن الاسوريين غير ان القوم الفارسيين كما كانوا يقتدون بغيرهم كانوا كذلك يقترحون ويخترعون ويختلقون فى فن العمارة ويبتدعون فانهم قد غيروا فن العمارة عندهم تغييرا كليا وذلك انهم لم يبنوا أبنيتهم من الآجر ولا من المداميج المصطنعة من الطين النيء كما كان ذلك شأن البناء بمدينتى بابل ونينوى بل كانوا يتخذون مواد ابنيتهم كالهاسوآة الحيطان او الاعمدة من المرمر الجميل المستخرج من جبال فارس الاصلية دون غيره من سائر المواد والمهمات العمارية وكانوا ينحتونه مع غاية الضبط والدقة ويصقلونه صقلا عجيبا وأما السقوف والخرجات فكانوا يتخذونها من الخشب ويطلونها بانواع الالوان ويكسون بعضها بصفائح المعادن ومع ذلك فاعجب شئ انفردت به طريقة العمار الفارسية واختصت به دون غيرها من طرق العمارات التى كانت مستعملة عند الامم المتقدمين هو كيفية وضع الاعمدة وذلك ان الاعمدة توجد بكثرة بليغة جدا فى بناء قصر مدينة (سوس) وقصر مدينة (پرسبوليس) وكلها على وتيرة واحدة وهيئة متحدة وحيث كانت اعمدتهم لا تحمل الاثقالا خفيفا جدا لانهم كانوا لا يبنون ابنيتهم على طبقات متعددة وكانت ابنيتهم العلوية متخذة دائما من الخشب كان العمود عندهم يرتفع الى درجة عظيمة وخفة بليغة

جدا كأنه جذع شجرة ارتفع فى الجو ليأخذ حظه من الهواء والشمس ولم يتفق لامة من الامم السالفين انها رفعت فى ابنيتها اعمدة الى هذا الحد من الارتفاع وشيدتها مع هذه الدرجة البليغة من الظرافة والابتداع فان الاعمدة التى حصل العثور عليها فى قصر مدينة (برسبوليس) يبلغ ارتفاعها اضعاف قطر قاعدتها ثلاث مرات ويظهر عليها انها مصطنعة من الحجر على منوال اعمدة قد كانت متخذة من الخشب الخفيف وتتميز تلك الاعمدة خصوصا عن طريقة المساند التى كان يستعملها المصريون واليونان والاسوريون بما كانت عليه كيفية صناعة رؤسها من الترتيب العجيب والتنظيم الغريب وذلك انهم كانوا يصطنعون رؤس اعمدتهم مستطيلة جدا على وجه بحيث تتسع كلما ارتفعت على عدة طبقات من قباب توضع بعضها فوق بعض متعاكسة حتى تنتهى بصورة مقدم ثورين تعتمد عليهما الاخشاب الخارجة البارزة من البناء وبالجملة فان فن العمارة الفارسية هو نسيج وحده وفن فريد لا يوجد ما يضاهيه ولا يعهد ما يحاكيه فى فنون العمارات القديمة من حيث كونه قد جمع بين الظرافة والعظمة

المسألة الثالثة ـــــ باى لغة كان تحرير الدفاتر الديوانية والاوامر السلطانية والوثائق العمومية بديوان الدولة الفارسية فى عهد (دارا) وما هو الخط الفارسى القديم ـــــ قال المؤرخ المروى اعلاه انه لما كان الملك (دارا) قد استولى على بلاد متنوعة وامم مختلفة اللغات والاجناس جدا اضطر فى ترتيب دولته لان يتبع الطريقة القديمة التى كانت مستعملة من قبله عند الملوك النينويين وهى تحرير الدفاتر الديوانية والوثائق العمومية بعدة السن مختلفة واتخذ جملة لغات متنوعة بصفة اللغات الرسمية بمعنى الديوانية فكانت الاوامر الملوكية والوثائق العمومية الصادرة من لدن الدولة الفارسية فى تلك الاحقاب العصرية تنشر فى البلاد الكائنة على سواحل آسيا الصغرى باللغة اليونانية وفى بلاد القبادوسية و (سيليسيا) و (سورية) و (فلسطين) باللغة الارمنية وفى ديار مصر باللغة المصرية وتكتب بقلم الكتابة الهيروجليفية كما كان الحال كذلك فى عهد الدولة الفرعونية الاصلية سواء بسواء واما فى بلاد آسيا الوسطانية فقد عثر على الآثار المأثورة عن ملوك الدولة الكيانية من عهد (كيرش) لغاية عهد (دارا الثانى) الملقب بلقب (نوتوس) مسطرة بثلاث لغات كلها مرسومة بنوع الخط السنانى وهى اللغة الفارسية الاصلية واللغة التورانية الميدية واللغة الاسورية وقد اسلفنا الكلام فيما تقدم على كيفية الخط السنانى الذى كان يكتب به كل من هاتين اللغتين الاخيرتين فلا حاجة لتكراره هنا واما اللغة الفارسية الاصلية فانها كانت مباينة لهما بالكلية ولم يكن لها مشاركة مع الخط الاسورى القديم الذى كان مستعملا فى مدينتى نينوى وبابل الا من حيث اتحاد رسم سائر الاجزاء التى تتركب منها الحروف على هيئة سنان

الرمح او المسمار فقط وقد كان اول من وقف على قراءته واثبت قيمة بعض العلامات الدالة على حروفه هو العالم الالمانى المشهور باسم (جروتفند) الذى هو من مدينة (هانوره) ببلاد المانيا ثم اقتفى اثره مع النجاح فى ذلك كل من العالم الفرانساوى المعروف باسم (سنمارتان) والعالم الدانيمارقى المعروف باسم (باسك) والذى تمم الوقوف على حقيقة الخط الفارسى القديم المذكور وجعل هذه المادة من قبيل الاستكشافات العلمية التى صار الحصول عليها بالطريقة القطعية هو ما حصل فى هذا الشأن فى سنة ١٨٣٦ الميلادية من الاشغال البحثية باتحاد كل من العالمين الفرانساويين المعروفين باسم (أوجين بورنوف) و (الموسيو لاسان) وجاء كل من (الدوكتور رهانكس) و (السير هنرى رآولنسون) الانجليزيين فاشتغلا أيضا بالبحث عن طريقة الخط الفارسى القديم ثم جاء العالم الفرانساوى الشهير باسم (الموسيو اوبير) فاوضح ما كان قد بقى غامضا الغاية الآن من مسائل هذا الشأن والظاهر ان أول منشأ هذا الخط قد كان ببلاد (البكترية) وانه قد كان فى أول الامر مركبا من مقاطع حرفية ولكن ما عثر عليه من الآثار المكتوبة فى عهد الدولة الكيانية لم يكن بهذه الصفة بل هو مركب من مجرد حروف هجائية تبلغ ستة وثلاثين حرفا وكيفية رسمها كرسم صورة الحروف الهيروغليفية المصرية والسناتية الاسورية القديمة توجد فى كتب التواريخ المطولة (انتهى من كتاب تاريخ بلاد المشرق الكبير للمؤرخ فرانسيس لورنومان)



مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم فى هذا الباب الخامس من الفوائد والافكار

١ — ما اصل مأخذ هذا الباب

افكار تقديميه وفوائد عموميه

٢ — كيف يقتضى ان يعتبر البحث عن تواريخ سائر الامم المتقدمين بالنسبة الى تاريخ مصر عندنا معاشر المصريين

مقدمه

٣ — ما حدود بلاد الميدية
٤ — ما حدود بلاد فارس والى كم سترابية كانت تنقسم فى عهد (دارا) الاوّل
٥ — ما اوصاف مملكة فارس الطبيعية وما بعض احوالها المحلية
٦ — ما اقسام مملكة فارس السياسية وما بعض احوالها فى هذه الاحقاب العصرية
٧ — ما جغرافية ارض فارس التاريخية ومقابلاتها بما استجد من الاسماء الحادثة فى هذه الاحقاب العصرية

الفصل الاول

٨ — ماذا يذكر عن الآريين الاولين الذين هم أصل القوم الفارسيين
٩ — ماذا يذكر من اخلاق القوم الآريين الاقدمين حسبما تحقق عند علماء الافرنج المتأخرين
١٠ — كيف كانت حالة العائلة والملة عند القوم الآريين السالفين وبنى يافث المتقدمين
١١ — كيف كانت ديانة الامم الآريين السالفين وعبادة الملل اليافثيين المتقدمين
١٢ — ما قصة مهاجرة القبائل اليافثية الى الاقطار المغربية وكيفية رحلتهم الى الاراضى الاوروبية وماذا يفهم من احوالهم حسبما علم من الكتب الويدية
١٣ — ماذا ثبت من تاريخ (زردشت) ومذهب ديانته وشرح حاله وملته
١٤ — ما المراد من (اورموزد) و (اهريمان) وما حقيقة ما انبنى عليه منهما دين (زردشت) فى سالف الزمان

١٥ — ماذا يذكر عن حادثة تفرق الآريين المشرقيين الى فرقتين وتوجههم الى ناحيتين متعارضتين

الفصل الثانى

١٦ — ماذا يذكر عن الميديين الآريين والتورانيين وكيف كانت منازعة القومين ومقاومة الخصمين المذكورين

١٧ — ماحقيقة دين المجوسية وهل هو غير دين المزدية ام كيف الحال

١٨ — ماقصة استيلاء الدولة الآسورية على بلاد الميديه

ذكر الدولة الميديه

١٩ — ماذا يذكر عن (ارباس) والدولة الجمهورية الميدية وكيف كانت حالتها الاولية

٢٠ — ماذا يذكر عن الحكيم (ديجوسيس) وكيف كان منشأ ترتيب الملك ببلاد الميدية

٢١ — ماذا يذكر عن الملك (فراروت) وماحدث فى عصره من السلطنة الميديه الكبيرة

٢٢ — ماذا يذكر عن الملك (سياكرار) من الاخبار وماتوجه اليه عزمه من خراب مدينة (نينوى) فى تلك الاعصار

٢٣ — ماقصة غارة الاقوام السيتيين على بلاد الميديين

٢٤ — ماذا حصل بعد ذلك للملك (سيا كرار) من الحوادث والاخبار

٢٥ — ماذا يذكر عن الملك (استياج) وكيف كان منشأ الملك (كيرش اوقيروس) المذكور وماقصة ماترتب عليه من زوال دولة الميديين فى تلك الاعصار

الفصل الثالث

٢٦ — ماذا يذكر من اخبار فتوحات الملك (كيرش) للبلاد وقصة تدويخه للعباد

٢٧ — ماقصة الملك (كريزوس) ملك ليديا وماذا يحكى عنه من قضية استشارته لكاهنة (ديلفوس)

٢٨ — كيف كانت هزيمة الملك (كريزوس) وزوال دولة الليديين على يد الملك (كيرش اوقيروس)

٢٩ — ماقصة فتح مدائن يونيا واستيلاء دولة فارس على سائر الامم والاقوام المتوطنين ببلاد آسيا العليا

٣٠ — ماقصة زوال دولة آسور على يد الملك (كيرش) المذكور

٣١ — كيف كانت خاتمة الملك (كيرش اوقيروس) وماقصة مكيدته ووفاته فى واقعة حربية مع الملكة (توميريس)

٣٢ — ماذا يذكر عن الملك (قبيزاوقمبيزش) فاتح الديار المصرية وماقصة فتح هذه الديار المصرية بالجنود الفارسيه ودكر (فانيس) احدقواد الفرقة العسكرية اليونانية المؤجرة للدولة المصرية

٣٣ — كيف كان سلوك الملك (قمبيزش) بديار مصر لما استولى عليها فى ذلك العصر

٣٤ — ماقصة غزوة الملك (قمبيزش) ببلاد الايتيوبية وفى واحة (آمون) بالصحارى الليبية

٣٥ — ماقصة مااعترى الملك (قمبيزش) من الجنون فى ديار مصر بذلك العصر

٣٦ — ماقصة الفتن الاهلية والمحن الداخلية التى حصلت بالدولة الفارسية من طائفة المجوسية بمدة غياب الملك (قمبيزش) فى ديار مصر وكيف كان تعدى (جوماتيس) المجوسى على سرير الملك الفارسى وكيف كانت وفاة (قمبيزش) فى ذلك العصر

٣٧ — ماذا يذكر عن مدة استيلاء (جوماتيس) باسم (سمرديس) وكيف كان استيلاء (دارا اودرايوس) على سرير مملكة فارس

٣٨ — ماقصة ماحصل من الفتن والعصيان فى سلطنة فارس بتلك الازمان حسبما قصها المؤرخ اليونانى (هيرودوت) وماحقيقة الاثر القديم المعروف با ثرجبل (بيهستون)

٣٩ — كيف كان ترتيب السترابيات بالدولة الفارسية حسبما كان قدرتبها (دارا) ونص عليها المؤرخ (هيرودوت) وماذا ذكر فيما يتعلق بتقدير مبلغ الخراج الوارد منها للدولة الفارسية فى تلك الحقبة العصرية

٤٠ — كيف كانت طريقة ولاية الاقاليم الفارسية بالستراببات والى كم ضرب كانت تنقسم الولايات الفارسية فى تلك الاوقات

٤١ — ماذا ترتب على ترتيب الستراببات من النتائج والمترتبات

٤٢ — مامعنى البريد ومن كان أول من ابتدعه فى الدولة الفارسية

٤٣ — ماقصة غارة الجنود الفارسيين على الامم والاقوام المعروفين عند اليونان باسم (السيتيين) وماذا كان المراد بهذا اللفظ عند الامم المتقدمين وذكر

(السيتيين الاوروبيين والآسيين)

٤٤ ــ ماقصة ماحصل فيما بعد من فتوحات (دارا) باقليم (طراقة) و بلاد الهند وذكر امير البحر اليونانى المشهور فى تلك المدة باسم (سيلاكس دوكاريانده)

٤٥ ــ ما المراد بما اشتهر فى عرف اهل التاريخ بعهد الحروب الميدية ولماذا وقفنا هنا من تاريخ دولة فارس على هذه المدة التاريخية

تذييل

٤٦ ــ المسألة الاولى ــ ماذا يؤثر عن الملك (دارا) ومن سبقه من ملوك دولة فارس السالفين من الابنية والعمارات المأثورة عنهم فى تلك الاوقات

٤٧ ــ المسألة الثانية ــ كيف كان فن التمثيل والتصوير والعمارة عند الامم الفارسيين فى سالف العصور

٤٨ ــ المسألة الثالثة ــ بأى لغة كان تحرير الدفاتر الديوانية والاوامر السلطانية والوثائق العمومية بديوان الدولة الفارسية فى عهد الملك (دارا) الاول وماهو الخط الفارسى القديم



الباب السادس

فى تاريخ الفنيقيين او الصوريين وقدماء سواحل الشام السالفين

واصل ما آخذ هذا الباب الاصلية من امرين

(الاول) التأليفات العمومية والتحقيقات التاريخية العلمية التى كتبها بعض علماء الافرنج المتأخرين فيما يتعلق بعموم احوال الكنعانيين وسكان بلاد الفنيقية المتقدمين

(الثانى) الرسائل الخصوصية التى الفها بعض علماء الافرنج المذكورين فيما يتعلق بكشف احوال بعض الآثار القديمة التى حصل العثور عليها فى هذه الاعصار الراهنة من اثار هؤلاء الامم السالفين)

مقدمة

فى بيان اصل الفنيقيين وتعريف المدائن التى كانوا فيها متوطنين

(معربا من مختصر تاريخ الامم المشرقية والهند للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

مطلب ـــ بيان اصل الفنيقيين ـــ قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى مختصر تاريخ الامم المشرقية والهند ما تعريبه بعد ـــ ان اصل الفنيقيين كما هو نص العبارة الواردة فى الباب العاشر من سفر الخليقة من التوراة وكما كانوا هم انفسهم يقولون به فى سالف الاوقات وكانت ذراريهم قد حكوه لاحد احبار النصارى المشهور باسم (سنتوغوستان) حسبما نص عليه فى الكتب المأثورة عنه هم من نسل (كنعان) الذى هو من نسل حام بن نوح عليه السلام كما روى فى نصوص التوراة غير ان بنى كنعان لم ينحصروا فى الفنيقيين فقط بل كانوا فروعا متفرعين كان منهم هؤلاء الفنيقيون وكان هذا الفرع قد تكون من اول الامر فى صورة وجودية منفردة عن سائر الفروع الكنعانيين وكان هو أشهرهم واكبرهم وآخرهم انقراضا واقدرهم

مطلب ـــ ذكر اصل الكنعانيين وكيفية مهاجرتهم من الاوطان التى كانوا فيها فى أول الأمر متوطنين ـــ وقد كانت مدائن الكنعانيين من أول الامر على سواحل الخليج الفارسى فى اقليم بلاد العرب المعروف الآن باسم (القطيف أو البحرين) وفى جزائر البحرين وقد كانت اثنتان منهما تسمى احداهما فى ذلك العصر باسم (صور) والثانية باسم (ارواد) ولما انتقل الكنعانيون من تلك الاماكن فيما بعد كانوا قد اخذوا هذين اللفظين وسموا بهما بعض اماكن من بلاد فلسطين حين انتقلوا اليها وتوطنوا فيها وعلى نحو ٢٥٠٠ سنة تقريبا قبل الميلاد كانوا قد اضطروا للخروج من مساكنهم الاولية هذه امالداعى زلازل ارضية

وقعت فيها فاخرجتهم منها كما ذكر ببعض الروايات واما كما ذكر برواية اخرى لداعى اجبارهم على الخروج منها عقب واقعة حربية وقعت عليهم من بعض ملوك بابل وكانوا قد انتصروا عليهم فيها فاضطروا للمهاجرة من اوطانهم الاصلية وهاجروا كلهم منها واخترقوا بلاد العرب فى سالف الازمان سائرين فى الطريق الاصلية التى لم تزل القوافل تسير فيها من تلك الاقطار لغاية الآن حيث كانت هى التى توجد بها آبار الماء العذب الذى يلزم لسقى المسافرين ودوابهم وصاروا يرتحلون من واحة الى اخرى من تلك الصحارى حتى وصلوا الى بلاد فلسطين على القرب من بحيرة (طبرية) وقد كان ذلك هو آخر مدى هجرتهم ولما استقروا ببلاد الشام تغلبوا على تلك البلاد ووضعوا اليد عليها وتفرقوا هناك الى اربعة فروع (احدهما) تكون من عدة اقوام مختلفة وقبائل متنوعة منهم واقاموا ببلاد فلسطين و(الثانى) توطن على السواحل الشامية فيما بين جبل لبنان والبحر المتوسط الابيض (بحر سفيد) و(الثالث) تعمق الى جهة الشمال واستقر بوادى (الاورونط) (وهو نهر العاصى) وهذا الفرع عبارة عن اكثر القبيلة المعروفة باسم (الهيثيين) (بالتاء المثناة الفوقية او الثاء المثلثة) وقد كانت هذه القبيلة فى ذلك العصر هى اقوى سائر القبائل الكنعانيين شوكة واشدهم صولة و (الرابع) كان قد اغار على الديار المصرية مسترشدا بجماعة من القوم الهيثيين المذكورين فاستولوا عليها معهم مدة حقبة من الدهر وتأسس منهم فيها العائلة الملوكية المعروفة بالملوك الرعاة (اوالملوك العمالقة)

وقد كان استيطان الكنعانيين ببلاد فلسطين من قبل نزول ابراهيم عليه السلام فيها اذ كان قد وجدهم مستولين على سائر ذلك القطر فعاش بين اظهرهم فيها مدة حقبة من الدهر

مطلب ـــ ما المراد من لفظ الفنيقية وتعريف ما كان يوجد فيها من المدن الاصلية ـــ اما لفظ (فنيقية) فهو كلمة يونانية تكتب وينطق بها فى الاصل بلفظ (فينيسيا) (بالسين المهملة بدل القاف المثناة) وقد جرت عادة المعربين فى هذا العصر ان يقلبوا السين قافا ولذلك صارت (فنيقية) ولم يعلم اصل اشتقاقها ومأخذها لغاية الآن غير ان المعلوم ان لفظ (الفنيقيين) لا يطلق على سائر الاقوام الكنعانيين الذين توطنوا فى نواحى الشام الجنوبية كلهم بل على الكنعانيين البحريين اى المتوطنين على سواحل البحر فقط وهم الذين قد كان لهم صورة وجود منعزلة عن غيرهم من سائر الاقوام الكنعانيين بالكلية وحينئذ فالمراد من لفظ (الفنيقية) فى اصطلاح اهل التاريخ او الجغرافية المدرسية هو هذا القطر الضيق جدا المنحصر فيما بين الجبل والبحر ممتدا شمالا من اول جزيرة (ارواد) لغاية مدينة (عكة) جنوبا وهو يشتمل على الاراضى التى كانت يعبر عنها فى تلك الاعصار باراضى ممالك القوم (الارواديين) و (السميريين) و (الصيداويين)

وهذا القطر هو الذى نريد ان نشتغل بتاريخه فى هذا الباب غير اننا قبل ان نقص مختصر الحوادث القديمة التى وقعت فيه رأينا من النافع ان نذكر هنا على سبيل التقديم بعض ما يتعلق به من المسائل الجغرافية وتعداد مدائنه القديمة الاصلية ونبتدئ من جهة الشمال فنقول ان اول ما يبدو للناظر من تلك الجهة هو الجزيرة التى كانت تدعى فى سالف الازمان باسم (ارادوس) ولم تزل تعرف لغاية الآن باسم (ارواد) وهو ذلك الاسم بعينه مع بعض تحريف اعتراه وهى موضوعة على القرب من الساحل تحت عين درجة الطول التى توجد عليها مدينة (شيتى اولارناكة). التى هى احدى مدن جزيرة (قبرص) وهى جزيرة ضيقة جدا فلذلك كانت ارضها مستغرقة بموضع مدينة كانت توجد فيها تسمى مدينة (ارادوس اوارواد) وقد كانت هى قاعدة مملكة الارواديين السالفين وكانت هذه المملكة عبارة عن المدينة المذكورة مع مدينتين اخريين كائنتين على الساحل القريب منها كانتا بالتبعية اليها وهما (اولا) مدينة (انتارادوس) (وهى المعروفة باسم (طرطوش) الآن) وفى السهل الذى توجد فيه هذه المدينة الاخيرة يظهر انه قد كان موضع مقبرة اموات تلك المدينة الكائنة بالجزيرة المذكورة و (ثانيا) مدينة (ماراتوس) وهى المعروفة الآن باسم (عمريط) وفيها يشاهد اعظم آثار العمارة الفنيقية التى بقيت لغاية عصرنا هذا وقد كانت مملكة الاروادييين هذه اعنى مدينة (ارواد) والمدينتين التابعتين لها على السواحل القريبة منها بعد ان انضمت الى مملكة الصيداويين لم يزل لها ملك مخصوص ملحق بطريق التبعية للملك الاكبر الذى كان له درجة الاعلوية على سائر بلاد الفنيقية

ثم الى جهة الجنوب وعلى القرب من مصب النهر الذى كان يسمى فى ذلك العصر باسم (ايلوتيروس) وهو المعروف الآن بالنهر الكبير كانت توجد المدينة المسماة باسم (سيميرا) (وهى المسماة الآن باسم (سمرة) وقد كانت هى قاعدة مملكة السيميريين وهى وان كانت قد دخلت فى ضمن المحالفة الفنيقية قد كان لها كما كان لمدينة (ارواد) المذكورة قبلها ملك مخصوص وفى عهد المملكة اليونانية. والسلطنة الرومانية كانت هذه المدينة العتيقة قد فقدت درجة عظمتها الاولية وانتقلت حالة اهميتها الاصلية الى مدينة اخرى كانت تدعى باسم (اورتوريا) ثم فيما يلى ذلك الى جهة الجنوب أيضا يوجد المكان الذى كان قد اسس فيه كل من أهالى (ارواد) و (صيدا) و (صور) ثلاث عمارات متجاورة وسموها فى ذلك العصر باسم (تريبوليس) (ومعناها المدن الثلاثة) وهى المحرفة الآن باسم (طرابلس) و بعد ذلك ندخل فى ارض الامة القديمة التى هى من ضمن الاقوام الفنيقيين وهى التى كانت تعرف فى قديم الاعصار بالصيداويين وهم كما هو عين نص التوراة (ابناء كنعان البكريون) وقد كانت ارض الفنيقية فى اول الامر محدودة بنهاية ارض المملكة الصيداوية المذكورة

واول مدينة يبدو للناظر منها بهذه الجهة هى المدينة التى كانت تسمى فى ذلك العصر باسم (بوتريس) وهى التى تعرف الآن باسم (بترون) ثم مدينة (الجبيل) وهى التى كانت تسمى عند اليونان باسم (ببلوس) وتعرف الآن باسم (جبيل) (بصيغة التصغير) وقد كانت تابعة لمدينة (بوتريس) المذكورة قبلها وكانت مدينة (الجبيل) هذه مدينة مقدسة وحرما مكرما محترما يصعد اليه اقصى اذكار العقائد الخرافية التى كانت هى دين الاقوام الفنيقيين فى تلك الاعصار وكان لهم فيها موسم سنوى يشهرون فيه اسرارا مشهورة عندهم تعظيما لمعبودهم المسمى باسم (آدونيس) ثم يلى ذلك فنازلا الى جهة الجنوب أيضا المدينة التى كانت تسمى حينئذ باسم (بيريت) وهى المعروفة الآن باسم (بيروت) وقد كانت فى ذلك العصر كرسى مملكة ولم تزل فى كل عصر من الاعصار فرضة بحرية عظيمة وميناتجارية جسيمة ثم تليها المدينة التى كانت تسمى فى ذلك العصر باسم (صيدون) وهى التى تعرف الآن باسم (صيداء) وقد كانت كذلك فى سالف الزمان مدينة عظيمة وكرسى مملكة جسيمة ولكنها قد آلت الآن الى حالة حقيرة جدا ولم يبق من الآثار الدالة على عظمتها القديمة غير بقايا مقبرة متسعة جسيمة توجد هناك واصل لفظ (صيدا) مشتق من الصيد وذلك يدل على ان هذه الصناعة هى أول صناعة اتخذها أول سكان تلك الاوطان بمجرد ان توطنوا على ساحل البحر وفيه تمرنوا على فن الملاحة بمعنى السفر فى البحر الملح وقد كانت هذه المدينة هى أقدم مدن الفنيقيين وكانوا يلقبونها بلقب (أم سائر المدن الفنيقية الاخرى) ما عدا مدينة (الجبل) فانها ربما لم تكن من جملة مدن الفنيقيين الاصليين بل كانت من مدن السينيين (بالنون الموحدة الفوقية فى وسطه وهم قوم اخرون من الكنعانيين)

وعلى جنوب (صيدا) توجد المدينة التى كانت تدعى باسم (سار يبطا) وهى التى تعرف الآن باسم (سرفند) وقد كانت فى سالف الدهر مدينة ذات ثروة كبيرة ودرجة من العظمة والاهمية لا بأس بها ولا سيما فى الاعصار الغابرة جدا ثم صارت فى القرن الثانى عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام تابعة من حيث السياسة لمدينة (صور) ثم مدينة (صور) هذه وقد كانت هذه المدينة الاخيرة مدة حقبة مديدة من مدة تاريخ الفنيقيين حائزة للدرجة الاعلوية القصوى على سائر مدن الفنيقيين التى كانت أولا لمدينة (صيدا) من قبلها ومدلول لفظ (صور) فى اللغة الكنعانية (صخرة) ولم تزل تعرف بهذا الاسم عند العرب لغاية الآن وهى تنقسم عند علماء الجغرافية من اليونان والرومانيين الى مدينتين (احداهما) كائنة على جزيرة من الصخر صغيرة قريبة جدا من الارض القارة و (الثانية) على الساحل وقد كانت هذه المدينة الثانية موضوعة فى المكان الذى يعرف الآن باسم (رأس العين) وكانت تدعى فى ذلك الزمان بالخصوص باسم (بالاتيروس) ومعناها مدينة (صور) القديمة

وفى ضواحى (صور) يلزم ان يكون منتهى الحدود الجنوبية للمملكة الصيداوية القديمة حسبما يفهم من الباب العاشر من سفر الخليقة من التوراة فى تلك الاوقات ثم امتدت حدود تلك المملكة بعد ذلك الى جهة الجنوب وذلك انه بوقت ان كان بنواسرائيل قد اغاروا على الاقوام الكنعانيين المتوطنين ببلاد فلسطين وفتحوا بلادهم واستولوا عليها واغار ايضا القوم المعروفون باسم (الفلسطينيين) على سائر السواحل الجنوبية من ذلك القطر كانت المدن البحرية من ولاية (جاليلة) التى هى احدى الولايات الاربعة التى كانت تتركب منها بلاد (فلسطين) فى ذلك العصر قد تعصبت للمدافعة عن نفسها من غارة هؤلاء القومين الاجنبيين و بلغت أمنيتها من حفظ جنسيتها المالية الكنعانية غير انها لم يمكنها ان تستمر على هذه الحالة وحدها ولم يتيسر لها ان تبقى على حفظ نفسها من غاراتهم بمفردها فاضطرت بالطبيعة لأن تلتجأ الى الصيداويين وتبذل نفسها لهم اذ كان يمكنهم أن يحموها من غارات القومين المذكورين وبذلك صارت تلك المدن الثغرية من ضمن المحالفة الفنيقية وقد كان ابعد تلك المدن البحرية الى جهة الجنوب واقصاها واعظمها ثروة واغناها هى المدينة التى كانت تدعى فى ذلك العصر باسم (اكو) وتدعى عند اليونان فى بعض الاحيان باسم (بطولوميس أو البطلموسية) ثم غلب عليها فى الاعصار المتوسطة اسمها الاصلى مع بعض تحريف فيه باسم (عكا) هذا ما اردنا ايراده هنا بالاختصار من جغرافية هذه الاقطار وقد ساغ لنا الآن ان نتكلم بوجه الاقتصار ايضا على الحوادث التاريخية التى وقعت بتلك البلاد فى سالف الاعصار وهو اصل موضوع هذا الباب وذلك فى ثلاثة فصول فنقول

الفصل الاول

فى تاريخ عصر الصيداويين اعنى وقت ان كانت مدينة (صيدا) هى مقر مملكة الفنيقيين

مطلب ـــ ذكر مبادى اخذ الصيداويين فى الاشتغال بالسفر فى البحر فى سالف العصر ـــ بينما كان جماعة من الكنعانيين قد توجهوا نحو ديار مصر وفتحوها فى ذلك العصر وكان القوم المعروفون منهم باسم (الهيثيين) الذين كانوا هم اقواهم شوكة وأشدهم صولة قد أحدثوا لهم فى تلك الديار دولة ووضعوا على سرير مملكة الفراعنة من رؤسائهم عائلة ملوكية اجنبية (وهى التى تعرف عند أهل التاريخ بدولة العرب أو عائلة الملوك الرعاة او دولة العمالقة بالديار المصرية) قد كان من بقى فى مدينة صيدا من الكنعانيين وهم المعبر عنهم بالصيداويين يظهر انهم لم يكن لهم اطماع حربية

ولارغبة جهادية فى الارض القارة فلذلك انصرفت قوتهم وهمتهم وتجردت نشاطتهم وشهامتهم للتشبث بالاعمال البحرية حيث كانوا قد استوطنوا اسواحله ولاندرى هل ماوجد فى الصيداويين من هذا الاستعداد الغريب والتأهل العجيب للاشتغال بفن السفر فى البحر والتجارة البحرية الذى تميزوا بهما عن غيرهم من سائر الاقوام الكنعانيين فى ذلك العصر قد كان ظهر فيهم من أول الامر وهم فى أوطانهم الاصلية منذ كانوا متوطنين على سواحل الخليج الفارسى أم لم يظهر فيهم ذلك الامر الا من بعد ان هاجروا من تلك الاوطان وتوطنوا على سواحل البحر المتوسط الابيض (بحرسفيد) فقط وعلى كل حال من هذين الحالين فمن المعلوم المحقق ان هذا الاستعداد كان من بعد انتقالهم الى هذه الاقطار الاخيرة قد نما وازداد مع غاية السرعة والازدياد وذلك انهم لما كانوا منحصرين فى أرض ضيقة جدا فيما بين الجبل والبحر كما فهم من سالف الذكر بحيث لايكفى مقدار تلك الارض من طريق الزراعة لغذاء اهلها اضطر الصيداويون باشد اللوازم الضرورية وبدواعث غرائزهم الطبيعية لان يتخذوا لهم ماهو اشبه بمواطن جديدة ويتشبثوا بوسائل معاش وثروة مفيدة فوق امواج البحار ولاسيما وقد كان أكثر الامم المتوطنين على سواحل بحرسفيد فى تلك الاعصار لم يزالوا بعد باقين بحالة الاقوام المتوحشين ولم يكونوا يعرفون ولا يقدرون فى ذلك العصر على انشاء قارب يمكنهم ان يذهبوا به الى ادنى مسافة على امواج البحر وكان مثل المصريين مع كونهم قد كانوا فى تلك الاحقاب الزمنية هم مركزا اسبق الدائرة التمدنية ومحط اقصى الدرجة العمرانية لم يصلوا بعد من فن الملاحة الا هم الا للتجاسر على شئ يسير جدا من السفر على القرب من السواحل بدون ان يتباعدوا منها ولا يغضوا النظر عنها بخلاف الصيداويين فانهم كانوا اول الحالة هذه اول من سافر فى البحر وقد مكثوا امدة مديدة واعصارا عديدة من الدهر وهم وحدهم منفردون بفن الملاحة دون غيرهم من سائر سكان الدنيا بتمامها ولم يسبقهم احد فى التجاسر على طويل الاسفار واقتحام اخطار الرياح العاصفة والزوابع الشديدة فوق اللجج والامواج المتسعة والاندفاع بغاية الجرأة الى أبعد السواحل البحرية للشاسعة ليجلبوا منها المعادن والاخشاب النفيسة والمواد الاولية من سائر الاصناف التى كانت تلزم لاعمالهم الصناعية واقد مضت أعصار عديدة وادهار مديدة من الزمان قبل ان تظهر امة أخرى تزاحمهم فى هذا الميدان

وبالجملة فلم يكن البحر بالنسبة للصيداويين معدن ثروة وغنى لاينفد وميدانا النشاط قوم آولى جراءة وصناعة واهال ذوى فطانة وبراعة لم يجدوا فى حراثة ارضهم مايقوم بضرورة معيشتهم فقط بل كان البحر ايضا ملجأ لحريتهم ولا ملجأ لهم سواه ولم يكن لهم سبيل يوجهون اليه

اليه سائرة وتهم غير طريق التجارة البحرية وذلك انهم كانوا على الدوام والاستمرار تدفعهم غارات الاقوام المجاورين لهم الى السواحل البحرية وتقذفهم صولة الامم الاقوى شوكة منهم الى الجهات الثغرية (أولا) من أبناء جنسهم وهو القوم الهيثيون و (ثانيا) فيما بعد من ملوك دولتى وادى النيل ووادى الفرات العظيمتين اللتين كانتا قائمتين فى تلك الاوقات فلم يتيسر للصيداويين أن يتوسعوا الى داخل البر ولا ان يكون لهم منصب سياسى ولا مقام جهادى بين الامم السالفين ولم يقدروا حتى على أن يحفظوا حالة استقلال بانفسهم تامة لهم ولا ان يتمتعوا الا بحالة استبداد بالنفس ضيقة تابعة للغير فاننا نراهم فى أغلب أعصارهم التاريخية بالتبعية لدولة من تلك الدول الكبيرة القائمة فى ذلك العصر وفى الواقع ونفس الامر اذا كانت امة من الامم لا تجد فى حوزة الارض التى هى قائمة عليها ما يقوم بضرورة غذائها ولا يتيسر لها ان تكون قوما فلاحين ولا جند مجاهدين ولا ان تحفظ حالة استقلالها بالكلية من صولة الصائلين وكان فيها مع ذلك تلك الشهامة الاهلية والنخوة العصبية الملية التى ينتج عنها اعظام الامور فلا سبيل لها الا غير طريق واحد وهو ان تندفع فى ميدان التجارة والسياحة فى البحر لا غير ولقد كان ذلك هو حال القوم الفنيقيين فى ذلك العصر ولما لم يكن لهم سابقة تتقدمهم ولا خصم يزاحمهم فى ذلك الامر الذى كانوا قد اندفعوا فيه بضرورة الحال لزم بالضرورة ان يتمكنوا فيه و يستقيموا عليه و يختصوا منه بمزية الاحتكار مدة احقاب مديدة من الاعصار

مطلب — ذكر استيلاء الدولة المصرية على بلاد الفنيقية — لم يعلم لغاية الآن الوقت الذى فيه قد كان اول تشبث الصيداويين بالاخذ فى مبادى الاسفار البحرية والنجاح فى الاعمال التجارية فانه لم يعثر لغاية يومنا هذا فى الآثار القديمة التى حصل العثور عليها فيما يتعلق ببلاد الشام وقدماء سكانها السالفين ما يدل على شئ من ذلك ولا تظن انه يحصل العثور على شئ من هذا القبيل فى المستقبل ومن ثم فهم ان تلك الحادثة قد كانت فى اعصار سابقة على تلك الآثار التى حصل عليها العثور لغاية الآن ولم يوجد أيضا شئ مما يستدل به على تاريخ الحادثة المذكورة فى الروايات الاهلية والحكايات الملية المأثورة عن القوم الفنيقيين نفسهم فيما حكاه عنهم مؤرخوا السلف ونقلوه الينا على وجه ضعيف وانما من الثابت المحقق ان الصيداويين قد كانوا أمة بحارة وقوما فى فن السفر على البحر أولى جراءة وجسارة وملة ذات تجارة عظيمة وثروة جسيمة فى وقت ان كان المصريون قد استيقظوا من غفلتهم الاهلية وقاموا بعصبيتهم الملية وطردوا من بلادهم طائفة ملوك العرب الرعاة وعادوا الا الاخذ بثارهم من هؤلاء الامم الاجانب بعد ان كانوا قد استعبدوهم

مدة اعصار مديدة فاستولوهم كذلك على سائر بلاد اسيا السالفة وقد ذكرنا فيما سلف فى ضمن الباب الثانى المعد للبحث عن تاريخ المصريين والفراعنة السالفين انه قد كان من امر العائلة الملوكية المصرية الثامنة عشرة ان فراعنة مصر كانوا قد استولوا على جميع بلاد الشام ومن ذلك الوقت كان الصيداويون كغيرهم من سائر الامم والاقوام الذين هم لهم مجاورون قد صاروا تحت يد الدولة المصرية واقامت الدولة الفرعونية واضعة اليد عليهم بدون انقطاع مدة اقامة العائلة الملوكية المصرية الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين اعنى من ابتداء النصف الثانى من القرن السابع عشر لغاية القرن الثامن عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام

مطلب ـــ ذكر حادثة توسع الصيداويين فى الاسفار البحرية ـــ ومن المعلوم من وجه ان مثل الصيداويين المذكورين الذين هم قوم تجار يلزم لهم بالضرورة ان يكونوا تابعين لسلطنة كبيرة ليكونوا هم سماسرتها المقدمون على غيرهم ومن وجه آخر قد كان المصريون لداعى ما كان متسلطنا عليهم من الاوهام الدينية ينفرون من الاسفار البحرية فلذلك كان لا سبيل للفراعنة فى الحصول على انشاء اسطول لهم غير ان يستعينوا بالقوم الفنيقيين وقد كان الفراعنة المصريون بالضرورة يكافئونهم على هذه الخدمة بأن يمنحوهم بأعظم المزايا التجارية ولذلك اتفقت كلمة المؤرخين من السلف السابقين على ان قالوا ان اعلى درجة بلغتها سعة الاسفار البحرية وتأسيس المناقد التجارية فى الجهات الثغرية من اكثر الاقطار لمدينة صيدا فى تلك الاعصار قد كان بمدة عهد استيلاء الدولة المصرية على بلاد الفنيقية (اعنى فيما بين القرن السابع عشر فنازلا لغاية القرن الخامس عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام) وقد كان جل حركة أسفارهم على البحر واصل نقطة دائرة اتجارهم بذلك العصر فى النواحى الشرقية من البحر المتوسط الابيض (بحر سفيد) اذ لم يكن قد حدث فى تلك الاقطار لغاية تلك الاعصار سفن بحرية اهلية تزاحمهم ولا ما ل بحارة تخاصمهم وفى جزائر بحر الارخبيل (بحر جزائر الروم) وفى البحر الاسود

مطلب ـــ ذكر سفر الصيداويين فى بحار اليونان بتلك الازمان ـــ وفى تلك المدة المنقضية فيما بين القرن السابع عشر فنازلا لغاية القرن الخامس عشر ق م المذكورة اعلاه كان الصيداويون قد اسسوا مدينة (شيتى) (المعروفة ايضا باسم لارناكه) بجزيرة (قبرص) ومدينة (ايطانوس) بجزيرة (كريد) وانشأوا على سواحل بلاد (سيليسيا) (وهى ما يعبر عنه الآن بجموع ولايتى سيلفتة وادنه) عدة نزلات استعمارية اضطر اهلها الاصليون فيما بعد للمهاجرة منها الى الجبال الداخلية وصاروا هم اصل القوم المعروفين عند الامم السالفين بالقوم (السوليميين) وقد كانت سفن الصيداويين هى التى تخترق فى ذلك الزمان سائر بحار بلاد اليونان وقد كان لهم اليد عليها الايشاركهم فيها احد غيرهم وكانوا

يفدون الى تلك البلدان ليأخذوا منها حواصلها البلدية ويعطوا للاهالى البيلاجية يعنى اليونانية حواصل الصنائع الآسية والديار المصرية اذ كان اليونان لغاية تلك الازمان لا يعرفون بانفسهم شيأ مما يضاهى تلك الحواصل الصناعية ولداعى ما كان يوجد على سواحل الارض القارة ببلاد اليونان وبلاد آسيا الصغرى فى تلك الاعصار من كثرة الاهالى والسكان وما كان يوجد فيهم من الغيرة على حفظ حريتهم وبقائهم على حالة استقلالهم بانفسهم كانوا لا يأذنون لاحد من الامم الاغراب ان يحدثوا فى بلادهم نزائل كبيرة بحيث تشبه النزائل الاستعمارية الحادثة من اهالى الاوطان الاجنبية فلذلك لم يتيسر للصيداويين ان يحدثوا لانفسهم نزائل استعمارية بتلك البلدان بل كانوا يفدون عليها فقط بوظيفة اغراب لقصد التجارة فيها لا غير وغاية ما هنالك انه ربما كان لهم فيها مجرد بعض اماكن عمالات تجارية من قبيل ما يعبر عنه الآن باسم (الفكتوريات يعنى اقلام العملاء التجارية ببلاد الهند) واما فى اراضى الجزائر اليونانية فقد كان للصيداويين اماكن تجارية ومواطن مالكية من نوع آخر ومحطات بحرية دائمة مستمرة ومراسى ثغرية قائمة بذاتها مستقرة على سند المالكية الحقيقية تلتجئ اليها سفنهم التجارية ومن اعظم ما كان لهم من هذا القبيل فى جنوب بحر الارخبيل وهو بحر جزائر الروم المذكور آنفا ما كان يوجد بجزيرة (رودس) وجزيرة (طيرا) المعروفة الآن بجزيرة (سنتورين) وجزيرة (سيتيرا) المعروفة الآن بجزيرة (سيريجو) من الاماكن التجارية والمواطن البحرية العظيمة التى كانت من الامور الضرورية لفلاح الاعمال التجارية والاشغال البحرية الفنيقية وحيث كان يوجد على البعد من تلك الاماكن الجزائرية الى جهة الشمال وعلى القرب من سواحل اقليم (طراقة) وهو ولاية الروملى الآن معادن ذهب يتحصل منها حواصل وافرة جدا كان قد انجذب الصيداويون فى تلك الاعصار ايضا الى جزيرة (طاشوش) وهى ما يعرف الآن فى لسان ارباب دولة بنى عثمان باسم (ولاية الجزائر) الكائنة على سواحل اقليم الروملى المذكور اعلاه وكانوا قد استولوا على ارض الجزيرة المذكورة وعملوا فيها لاستخراج تلك المعادن الكثيرة اعمالا جسيمة جدا بقيت آثارها بعد ذلك باكثر من عشرة قرون من الزمن الى العصر الذى كان قد وجد فيه المؤرخ اليونانى المشهور باسم (هيرودوت) وقد وصفها بتلك الاحقاب فى كتاب تاريخه الشهير مع غاية الاستغراب والاستعجاب ومن ثم كانت تسافر سفنهم التجارية الى السواحل الغربية من تلك الجزيرة فتشترى من سكان تلك الاقطار ما كانوا يلتقطونه من الذهب المستخرج من العروق الذهبية التى كانوا قد فتحوها بحث التجار الصيداويين المذكورين لهم فى ذات الصخر من جبل (بنجوس) الكائن فيما بين اقليمى (مقدونيا) و (طراقة) وهو

المعروف الآن بجبل (كاستانياتز) الكائن باقليم (طراقة) المذكور

مطلب — ذكر تجارة الصيداويين بولاية بحر بنطش او بنتكسان (وهو المعروف بالبحر الاسود الآن) — ولم يكن اخر الشطحات التجارية والاسفار الصيداوية البحرية فى تلك الاقطار ينتهى فى تلك الاعصار الى جزيرة (طاشوش) المذكورة فقط بل كانت بحارتهم بعد ان يقفوا بتلك الجزيرة ويأخذوا منها ما يلزم لهم من الازواد والذخائر اللازمة يخرجون منها و يسافرون الى جهة الشمال فيعملون تجارية كانت هى اكثر من ذلك اربا وفائدة فيعبرون كلا من بوغاز (هيليسبونى) وهو بوغاز الدردانيل او بوغاز (شنق قلعة) الآن و بوغاز (البوسفور) او بوغاز اسلامبول الآن) و يدخلون فى بحر (بنطش او بنتكسان (وهو المعروف بالبحر الاسود الآن) وكان غيرهم من الامم الاقل جرأة منهم يتوهمون ان ماهو كائن فى مدخل بوغاز (البوسفور) هذا من الجزائر الصخرية من خواصها انها تتباعد بعضها عن بعض ثم تنطبق على ما يمر بينها من السفن و يتخيلون انها مستحضرة لان تهلك كل من تجاسر على العبور فيما بينها فلم يكن يتجاسر احد غيرهم من الامم السالفين على المرور منها واما الصوريون فبواسطة زوارقهم التجارية وان كانت غير متقنة الصناعة بعد فى ذلك العصر كانوا قد تجاسروا على اقتحام اخطار زوابع البحر الاحمر وان كانت لم تزل خطرة فى كل زمان حتى على السفن الاوربية التى تسافر فيه لغاية الآن وكانوا يطوفون على السواحل البحرية الشمالية من بلاد (آسيا الصغرى) وان كانت سكانها لا يكرمون الاغراب وليس فيها مأوى مأمون للسفن فيلتقطون وهم سائرون كل ما عثروا عليه ويجمعون وهم مارون كل ما وجدوه من اعظم الحواصل الاصلية التى تخرج بتلك الاقطار حتى ينتهوا الى سواحل اقليم (كولشيده) (وهى ما يعرف الآن بمجموع بلاد (ايمير يسيا و منجر يليا) وكانوا يجذبون اليها بما يوجد فيها من المعادن التى توجد فى الاقليم المذكور وهى التى قد تلمح اليها فى الخرافات اليونانية بما يذكر فى حكاياتهم العامية بما معناه (جزة الذهب) وذلك ان سفن الصيداويين كانت ترحل الى تلك النواحى فتحمل منها من انفس انواع المعادن الثمينة والجواهر النفيسة ما لا يحصى ولا يحصر وهذا هو الذى كان قد جذبهم لاقتحام اخطار تلك الاسفار البعيدة و وجه قلوبهم لركوب تلك البحار الخطرة الشديدة وكانوا يجلبون من تلك الاقطار الذهب الذى كان (الكولشيديون) يستخرجونه بانفسهم من ذات مياه انهارهم مع ما كانت القوافل تجلبه من ذلك ايضا من جبال (اورال) و بلاد (الاريمسبيين) (وهم قوم كان اليونان يتصورونهم ببلاد اسيا لهم عين واحدة كائنة فى وسط رؤسهم و يتخيلون انهم يختطفون الذهب من الطير الموهوم المسمى بالعنقا على نهر كانوا يدعونه باسم (اريمسبيوس) وكان

الصيداويون يجلبون من تلك الاقطار ايضا القصدير اذ كانوا يحتاجون اليه حاجة ضرورية فى اصطناع التوج وهو مخلوط المعادن الثلاثة وهى النحاس والتوتيا والقصدير وكان القوم (الايبيريون والالبانيون) يستخرجونه من جبال (قوقازة) فى تلك الاعصار ويجلبون منها ايضا الرصاص والفضة وقد كانا يوجدان مخلوطين ببعض الجهات من ذلك القطر ويأتون ايضا منها بالمعادن المصنوعة التى كان القوم المعروفون باسم (الشاليبيين) يعملونها فى جبالهم وكانوا قد اشتهروا بها فى جميع الاقطار بتلك الاعصار ويجلبون ايضا التوج المتقن الصنعة من اعلى ما يكون والحديد المصفى فى هيئة قضبان ولا سيما حديد الصلب الذى لم يكن يمكن لامة من الامم غيرهم فى ذلك العصر ان يصطنعوه وقد كان مخترعوه هؤلاء الذين كانوا اقواما بدويين واًمما يكادون ان يكونوا متوحشين فى فن صناعة المعادن يصطنعونه ويتقنونه منذ احقاب غابرة لا يعلم لها اول من الدهر

وقد كان تجار مدينة صيدا فى عين ذلك العصر يترددون ايضا على سواحل بلاد (الايبير) (وهى بلاد الارنؤط الجنوبية التابعة لمملكة اليونان الآن) وعلى جنوب بلاد ايطاليا وجزيرة (صقلية) غير ان الظاهر انهم لم يكونوا قد اتخذوا لهم مواطن ثابتة ولا اماكن تجارية فى تلك الجهات متمكنة

مطلب —— ذكر تجارة الصيداويين ببلاد افريقية —— ولم يكن الصيداويون يحصرون اكثر متاجرهم البحرية ويقتصرون فى اكثر سفراتهم السفرية على النواحى الشرقية من البحر الابيض المتوسط وبحار بلاد اليونان وبلاد بنتكسان فقط بل كانت الديار المصرية ايضا من اروج الاسواق الاصلية لطائفة التجار الفنيقية وكان مقدار وافر من تجار تلك البلدة البحرية يقيمون بمدن النواحى السفلى من الديار المصرية المعبر عنها فى ذلك العصر باسم (الدلته) وفى مدينة (منف او منفيس) وكان لهم فيها خطة مخصوصة (كما قد كان للتجار الاوروباويين فيها فى كل زمان) وكانت سفن التجار الصيداويين ومن تبعهم من اهالى المدن التى كانت لها بالتبعية ايضا تسافر على القرب من سواحل بلاد افريقية فيما وراء وادى النيل لغاية البلاد التى كانت تعرف عند قدماء الرومانيين باقليم (زوجيتان) وهى البلاد التى حدثت على مكانها فيما بعد ذلك من الزمان مدينة (قرطاجه) (مدينة تونس الآن) وكان الصيداويون قد اسسوا فى تلك الاماكن لداعى ترددهم عليها فى ذلك الزمان مدينتين قديمتين لقصدان تكونا ايضا لهم مخازن تجارية تسمى (احداهما) باسم (كمبه) (بفتح الكاف فى اوله) وكان موقعها على المكان الذى حدثت فيه (قرطاجه) فيما بعد و(الثانيه) باسم (هيبون) ومعنى هذا اللفظ فى اللغة الفنيقية المكان المحاط بالاسوار

مطلب —— ذكر سفر الصيداويين فى البحر الاحمر —— وقد كان اهل

صيدا ايضا هم الذين يركبون السفن الحربية التى كانت تنقل الجنود المصرية الى اقاليم بلاد العرب الجنوبية لتدخل اهلها او تمسكهم فى طاعة السلطنة الفرعونية وقد كانت تلك الاقطار من منذ تلك الاعصار هى محط رحال سائر الحواصل الصناعية والزراعية النفيسة التى تخرج ببلاد الهند من المعادن والجواهر والاخشاب الثمينة والاعطار وسن الفيل وغير ذلك وبهذه الوسيلة كانت السفن التجارية الفنيقية تتردد فيما بين الثغور المصرية وتلك الاقطار العربية التى هى كذلك اقطار ذات حظوة طبيعية يخرج بها النبات الطيب الرائحة المعروف بالحصالبان وينبت فيها الآس ومن ثم كان فتح البحر الاحمر واحتكار تجارته فى يد الصيداويين بالخصوص هو اعظم المزايا التى كانوا يختصون بها فى نظير دخولهم تحت طاعة الفراعنة السالفين

مطلب ذكر اسباب انحطاط درجة فن البحرية عند الصيداويين

على نحو وسط القرن الخامس عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام كان قد حصل تغيير احوال عظيم فى سائر الاقطار الكائنة فى حوض البحر الابيض المتوسط فى تلك الاعصار فكانت الاقوام البيلاجيون الذين هم من ابناء يافث (وهم اليونان او الهيلينيون) قد احدثوا لهم بحرية صارت فى مدة قريبة الى حالة هائلة بحيث يخشى منها على السلطنة المصرية وكان الاقوام الليبيون اليافثيون (وهم اهل الجبال الليبية المعروفة بجبال برقة الآن) قد اتوا من طريق البحر واستوطنوا على نواحى افريقية الشمالية مع الاقوام الهيلاجيين الوافدين من اهل جزائر الارخبيل اليونانية وبلاد اليونان الاصلية و بلاد ايطالية والفلسطينيين الخارجين من جزيرة (كريد) واهل جزيرة (صقلية) و جزيرة (سرديفيا) وعقد جميعهم عقد محالفة كانت بالاصالة محالفة بحرية اعنى انهم اجتمعوا بعضهم مع بعض على ان يكونوا على يد واحدة بحيث يتعاونون على السفر فى البحر وصار لهم بذلك مدة قرنين او ثلاثة قرون من الدهر الدرجة العليا واليد القصوى على سائر الاقطار الكائنة فى الجهة الشرقية من البحر الابيض المتوسط ولا شك ان مثل الحادثة المذكورة لا يمكن بالضرورة أن تتم على تلك البحار مع كون سفن الصيداويين كانت قد تسلطنت عليها واختصت باحتكار التجارة فيها دون غيرها الغاية تلك الاعصار بدون ان يحصل لشوكتها البحرية وقوتها التجارية مقدار عظيم جدا من الانهضام والانكسار فقد كان ذلك هو اصل مبادى اضمحلال حال تلك المدينة الفنيقية العظيمة واول علامات زوال صولة تلك الحاضرة الصيداوية الجسيمة وذلك ان الصيداويين قد صار لهم من ذلك العصر فى مادة السفر والتجارة فى البحر اخصام من احون واقوام يعملون فى البحر مثلهم وهم لهم مقاومون ولا شك فى انهم كانوا قد توجهوا الى تلك الوجهة اقتداء بهم وانتحلوا تلك الحرفة تبعا لهم وساروا معهم فى طريق كان الصيداويون من قبلهم قد ساروا فيها

وحدهم ولم يكن الاقوام الملاحون المستجدون هم اخصاما مزاحمين للجارة الصيدا و يين فقط بل كانوا هم اعداءهم الطبيعيين حيث كان هؤلاء الاقوام العاملون فى البحر معهم لا يمكنهم ان يقتصروا على ان يزاحموهم فى مواد معايشهم فقط بل لزمهم بالضرورة ان يكونوا معهم فى حرب مستمرة على الدوام و يجتهدوا كل الاجتهاد فى ان يسدوا عليهم من البحر سائر الطرق التى كانوا يترددون عليها بمفردهم قبل ذلك العصر ومن ثم كانت قد نسيت صناعة الصيال البحرية سائر بحار بلاد اليونان وصار السفر فيها غير مضمون الامان وسقطت سائر الاماكن البحرية والمواطن التجارية واحدة بعد واحدة بقوة صولة سكان الجزائر اليونانية البلديين وتعدى السفن القرصان على الاماكن التجارية الصغيرة التى كانت للصيدا و يين فيها من الاقوام البيلاجيين واما ما كان للصيدا و يين فى تلك الاقطار من العمائر التجارية والنزائل البحرية الكبيرة كالتى كانت لهم بالنواحى المسماة باسم (طيره) و (ميلوس) و (طاشوش) فانه الداعى عظمها ولكونها كانت يتيسر لها أن تدفع عن نفسها صولة الاقوام الصائلين قد أمكنها ان تبقى على حالها دون غيرها مدة مديدة من الزمان

مطلب ـــ ذكر غارة الاسرائليين على بلاد فلسطين ـــ وبعد هذه الحادثة بقليل كانت قد حدثت حادثة أخرى من تلك الحوادث الزمنية الكبيرة التى توقع الامم بعضهم على بعض وتوجب مهاجرتهم من ارض الى ارض فاخرجت الكنعانيين الفلاحين المتوطنين فى بلاد فلسطين من ديارهم وغيرت الاحوال السياسية من تلك البلاد بالكلية وهى حادثة غارة بنى اسرائيل على تلك الارض تحت قيادة النبى يوشع عليه السلام ولم تكن تلك الغارة قد توجهت على ذات الصيداويين بطريق المباشرة فان يوشع عليه السلام يظهر انه كان قد حرص على ان لا يخاصم اهل صيدا بالخصوص بل كان قد وقف بجنوده من بنى اسرائيل الذين كان قد استصحبهم لتباعة عصبة الملوك المتعصبين عليهم مع الملك (هاصور) عند حدود بلادهم كما هو فى التوراة مذكور ولكنهم مع ذلك كان قد لحقهم بالضرورة شؤم عواقب الحادثة المذكورة و بيان ذلك انه كان قد ترتب على غارة بنى اسرائيل ببلاد فلسطين فى ذلك العصر ان انقرضت دولة الكنعانيين فى احدى وثلاثين امارة صغيرة كانت موجودة لهم فى ذلك القطر واضطر سائر اهلها للمهاجرة من اوطانهم وانتقلوا الى جهة السواحل البحرية امام غارة بنى اسرائيل عليهم ولم يكن لهم ملجأ يأوون اليه ولا حمى يستندون عليه فى فرارهم هذا سوى ارض مملكة صيدا المذكورة ولم يكونوا يجدون فيها ما يكفى مؤنتهم الضرورية ولذلك اضطروا للانتقال منها الى بلاد أخرى يجدون فيها ما يلزم لراحتهم وسعادتهم بواسطة الاشتغال بزراعة الارض فيها ولقد كان ذلك هو الباعث على ان الفنيقيين كانوا قد اضطروا بضرورة مقتضيات الاحوال الراهنة وبواعث الضرورة المتسلطنة على ان

احدثوا لهم ما يطلق عليه على وجه الحقيقة لا المجاز لفظ النزائل الحقيقية اعنى تلك التوطنات الفلاحية بمعنى انهم كانوا قد انتقلوا الى بعض بلاد اجنبية واستولوا على سائر ارضها واجلوا منها اهلها البلديين واشتغلوا بزراعتها بدلا عنهم فى كل مكان حلوا فيه وذلك بخلاف النزلات التجارية التى قد كان من عوايد الفنيقيين ان يحدثوها على سواحل البحر

مطلب ــــ ذكر نزلة الفنيقيين فى ذلك الزمان بناحية (طيبة) من بلاد اليونان ــــ وقد كان اول نزلاتهم الحقيقية فى ذلك الزمان بناحية (طيبة) باقليم (بيوتيا) من بلاد اليونان فقد ذكر فى الخرافات اليونانية على حسب ما يحكى فى القصص العامية الهيلينية ان اول مؤسس لتلك البلدة هو بطل كان يدعى باسم (قدموس) واصل مدلول هذا اللفظ فى اللغة السامية القديمة بمعنى (المشرقى) ولم يزل يتصور فيه باذهان اهالى بلاد اليونان على الدوام والاستمرار لغاية الآن صورة اصل الملاحة البحرية التى كانت للقوم الفنيقيين فى عصر الصيداويين قالوا وقد كان هذا الرجل لم ينجح فى اول الامر عند نزوله مع اصحابه من الفنيقيين على البر من بلاد اليونان بل كان قد تلقاه سكان تلك البلدان بغاية العداوة والشنآن وكانوا قوما عديدين واخصاما الداء مجاهدين فحصل له فى سفره هذا مشقات عديدة ولقى اخطارا شديدة ثم انتهى امره بان مهدها واطفأ نارها وارقدها واستولى على تلك الناحية ونزل فيها واستعمرها

مطلب ــــ ذكر النزلات الفنيقية ببلاد افريقية ــــ وقد كانت النزلة الفنيقية الثانية اكثر عددا واعظم قوة ومددا وكان حالها بخلاف ما ذكرناه بشأن النزلة اليونانية المذكورة سالفا وكان نزولها بارض افريقية ودليل ذلك ان اهالى الاقليمين المعروفين عند السلف باقليم (البيزاسين) و (الزوجيتان) (وهما القطران اللذان كانت يتركب منهما فى سالف الازمان ما يعرف باسم (افريقية) الحقيقية وهى الارض التى تأسست فيها فيما بعد مدينة (قرطاجة) المشهورة وهى التى فى مكانها ولاية تونس الآن) لم يزالوا يفتخرون بانهم من ذرارى الكنعانيين الذين كانوا قد نزلوا ببلاد فلسطين الجنوبية ثم هاجروا من تلك الديار وانتقلوا الى بلاد افريقية بضرورة غارة بنى اسرائيل عليهم فى سالف تلك الاعصار ولم يتيسر لاهل التاريخ العثور على سند قوى يعارضون به قوة اعتمادية هذه الرواية الاهلية قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان اعلاه ما معناه وانه ليترجح عندى ان الصيداويين فى الواقع ونفس الامر كانوا قد اضطروا بالضرورة اقتضاء الاحوال فى ذلك العصر لأن انزلوا القوم الفنيقيين الملتجئين اليهم فى ذلك القطر حيث كانت قد ضاقت ارض بلادهم الشامية عليهم لاسيما وقد

كانوا هم ذاتهم قد أنشأوا ببلاد افريقية هذه من قبل كلا من مدينتى (هيپون) و (كبه) كما أوضحنا ذلك فى سالف الذكر (اه)

مطلب — ذكر الاقوام الليبيين الفنيقيين — وقد كان هؤلاء الاقوام الكنعانيون الفلاحون وهم غير القوم الفنيقيين الذين كانوا منهمكين فى الاكثر على صناعة التجارة والسفر فى البحر بذلك العصر قد امتزجوا فى تلك البلاد التى كانوا قد نزلوا بها واستولوا عليها مع بعض قبائل من الليبيين اليافثيين كانوا قد وردوا الى ذلك القطر من الاقطار المجاورة لبحيرة (تريتون) وهى البحيرة الكائنة فى جنوب افريقية الحقيقية وتعرف الآن ببحيرة (فارون) (بالفاء الموحدة فى اوله) او بحيرة (لودوه) ومن اختلاط هذين الجنسين من الناس تولدت تلك الامة الفلاحة الحربية الكبيرة المعروفة عند السلف باسم (الليبيين الفنيقيين) (بمعنى اهل جبال برقة المختلطين بالكنعانيين) وهم الذين كان منهم معظم القوة الجهادية التى امتازت بها فيما بعد ذلك مدينة (قرطاجة) الشهيرة وقد كانوا امة مختلطة وملة ممتزجة من القومين المذكورين غير ان تقاطيع وجوههم كانت اقرب الى الليبيين من الفنيقيين ولكنهم كانوا بطباع الكنعانيين متطبعين ولمذهب دياناتهم متبعين وكانوا لغاية العهد الذى كان فيه الحبر النصرانى المشهور باسم (سنتوجستان) ولى امر الكنيسة النصرانية بمدينة (هيپون) هم بغير اللغة الفنيقية لا يتكلمون وكانت تلك الامة قد فلحت ونجحت وارتقى حالها وصلحت على تلك الارض الخصبة التى كانت قد اقامت عليها وتربت فيها الى درجة قوية جدا حتى بلغ من شأنها انها بعد ان خرج منها جموع كثيرة نزلوا بعدة اقطار من بلاد (اسبانيا) (وهى المعروفة عند العرب بجزيرة الاندلس) والى بعض سواحل بلاد (الموريتانيا) وهى بلاد المغرب الاقصى) مع سواحل غربى بلاد افريقية لغاية رأس (نون) وانشأوا فى جميع تلك الاماكن البحرية عدة نزلات استعمارية كان لهم اكثر من ثلاثمائة مدينة عامرة وحاضرة كثيرة الاهل مزهرة على الارض الضيقة التى كان يتركب منها كل من اقليمى (البيزاسين والزوجيتان) اللذين كان فيهما مساكنهم لغاية العهد الذى قد كان فيه انعقاد الخصام بين مدينة (رومية) و (قرطاجة) كما يأتى ذكر ذلك فى موضعه فيما بعد ان شاء الله تعالى

مطلب — ذكر غارة الفلسطينيين وخراب مدينة صيدا (فى سنة ١٢٠٩ م ق) — وقد اعقب غارة بنى اسرائيل على بلاد فلسطين فى عهد قريب جدا غارة قوم آخرين يعرفون بالقوم (الفلسطينيين) وهم قوم كانوا قد خرجوا بطريق البحر من جزيرة (كريد) فى العصر الذى كان فيه فرعون رمسيس الثالث مستوليا على ديار مصر وكان اول نزولهم على السواحل الشامية حول نواحى (غزة) و (اسدود) و (عسقلان) و (غاطه)

و (اكارون) ولاشك فى انهم كانوا قد هاجر اليهم اقوام آخرون فيما بعد ذلك من جزيرة (كريد) المذكورة ايضا فكثرت بهم عدتهم وعظمت قوتهم وصولتهم فى اسرع وقت وانتهزوا الفرصة فى ذلك الوقت من حادثة انحطاط الدولة المصرية فى عهد الملوك الكسالى من ملوك العائلة الملوكية المتممة للعشرين وبعد مدة نحو مائة سنة من عهد نزولهم على البر كانت قد اشتدت قوتهم وامتدت شوكتهم حتى تعلقت اطماعهم بان يستولوا على سائر بلاد (سورية) الجنوبية وتجاروا على ان شنوا الغارة على بنى اسرائيل واهل صيدا معا حيث ارادوا ان يدخلوا كلا من القومين المذكورين تحت طاعتهم فاغاروا عليهما فى آن واحد ووقعت لهم معهما عدة وقائع حربية كان لهم فيها عليهما عدة نصرات ظاهرة وبذلك استولوا فى اقرب مدة من الزمن على سائر بلاد بنى اسرائيل وأذاقوهم اشد الجور والظلم مدة اكثر من نصف قرن وعلى نحو اول العهد الذى كان قد ابتدئ فيه عهد هذا الظلم من القوم الفلسطينيين على بلاد فلسطين او قبله ببعض سنين اعنى فى سنة ١٢٠٩ قبل ميلاد المسيح عليه السلام بيقين كان قد قام من مدينة (عسقلان) اسطول من سفن القوم الفلسطينيين المذكورين ووقف على حين فجأة امام مدينة (صيدا) واهلها فى غفلة آمنون ولم يكونوا قد اخذوا حذرهم من قبل فتحصنوا دون هؤلاء القوم الصائلين فنزلت السفن الفلسطينية على مدينة (صيداء) الفنيقية العظيمة هذه التى كانت هى بنت كنعان البكرية واخذوها بالقوة القهرية واخربوها وازالوها من ظهر الدنيا بالكلية وقد كانت هذه الحادثة هى خاتمة هذا العصر الاول من تاريخ بلاد الفنيقية وهو المعبر عنه عند المؤرخين بعصر الصيداويين اى وقت ان كانت مملكة (صيداء) هى مركز قوة الفنيقيين

الفصل الثانى

فى تاريخ عصر الصوريين اى وقت ان كانت مدينة صور هى مركز قوة الفنيقيين

مطلب —— ذكر مبادى اخذ مدينة صور فى حيازة درجة الاعلوية على سائر المدن الفنيقية (من سنة **١٢٠٩** الى سنة **١١٥٨ ق م**) —— وقد كانت جموع الاقوام المهاجرين من اهل مدينة (صيدا) قد اجتمعوا فى مدينة صور حول هيكل المعبود الاصلى الذى كان للقوم الفنيقيين فى ذلك العصر وهو المدعو باسم (ميلكارت) والتجئوا اليه واحتموا بحماه من صولة الاقوام الاغراب الصائلين عليهم فى ذلك القطر وكانت مدينة صور لغاية ذلك الوقت من المدن ذات الدرجة الثانية فى جملة المدن الفنيقية وبواسطة هذه الحادثة تحولت حالها وتغيرت صفتها وارتقت حالتها دفعة واحدة وبلغ مقدار سكانها الى اكثر من اضعاف ما كانوا عليه مرتين وصارت هى الكرسى الاصلى والمركز السامى.

لسائر المدن الفنيقية بعد ان كانت لهم هى المركز الدينى فقط وخلفت مدينة (صيدا) فى كل ما كانت عليه من السعادة والرفاهية ودرجة الاعلوية

وبوقوع حوادث (سنة ١٢٠٩ ق م) هذه حدث فى تاريخ بلاد الفنيقية عهد جديد وهو عصر اعلوية الصوريين على غيرهم من سائر الفنيقيين وقد مكث ذلك العهد مدة خمسة قرون ومن اول العصر المذكور فقط كانت قد تكونت الامة الفنيقية الحقيقية واما قبل ذلك فلم يكن الفنيقيون الاعبارة عن القوم الصيداويين لاغير وبيان ذلك ان الكنعانيين بمهاجرتهم الى بلاد سورية فى سالف الازمان كانوا قد مكثوا امدة مديدة وهم المستولون على اكثر تلك البلاد حتى جاء القرن الرابع عشر قبل الميلاد وفى اثناء هذا القرن وفى القرن الثالث عشر الذى يليه كانوا قد احاط بهم ونزل عليهم من كل جانب جموع من الاعداء استلبوا منهم اكثر اراضيهم واغتصبوا منهم اغلب تلك الاماكن التى كانوا قد استوطنوا فيها واستولوا عليها وانتهى حال تلك المصائب العظيمة والنكبات الجسيمة الى أن اتعظ منها بعض القبائل الكنعانيين التى كانت قد بقيت فى شمالى بلاد فلسطين واستيقظوا الى ان فهموا انهم اذا بقوا على حالة تفرق الكلمة وعدم تعاون بعضهم ببعض صاروا غنيمة باردة محققة لصولة الصائلين واقمة حاضرة مأمونة موثقة لاكل الآكلين من الاغراب وانهم لاسبيل لحفظ حياتهم الخاصة بهم ولا لبقاء مادة ملتهم واستبدادهم الذاتى لهم غير ان يجتمعوا على قلب رجل واحد ويلتئموا فى هيئة جسم متحد بواسطة توثيق روابط سياسية شديدة فيما بينهم ولذلك اتحد بعضهم مع بعض وتعاقدوا على أن يكونوا يدا واحدة على سائر اعدائهم الاجنبيين ومن ثم حدثت امة الفنيقيين المشهورين فى عداد الامم الاقدمين

مطلب — ذكر كيف كانت حادثة المحالفة الفنيقية — وذلك ان جميع المدن ذات الدرجة الاولى من بلاد الفنيقيين كمدينة (سميره) ومدينة (الجبل) و (بيروت) و (صيدا) اذ كانت هذه المدينة الاخيرة قد رجعت للعمارة بالثانى بعد الخراب الاول كلها كانت قد اجتمعت وتعاهدت والتئمت وتعاقدت على ان تكون كلها فى هيئة اجتماعية متحدة مع بقاء كل واحدة منها على حالة الاستقلالية المحلية التامة وهيئة ولاية امورها السابقة العامة اعنى انهم اشترطوا ان تبقى مع ذلك كل مدينة منها تحت ولاية ملوكها السابقين كما كانت عليه قبل ان تدخل فى عصبة القوم الفنيقيين المحالفين وقد كان نوع ولاية كل مدينة منها من قبيل الدولة الملوكية المطلقة بعقد مجالس جمعيات شورى عمومية تجتمع من اعضاء يؤخذون من اكثر الاهالى ثروة واعلاو باستشارة بعض اناس مخصوصين من آحاد طائفة امناء الدين والقضاة ذوى الجاه ونفوذ الكلمة بين الناس وكان هؤلاء المستشارون يمشون فى مواكب الاحتفالات العمومية بمساواة ذات الملك وهم الذين يستشيرهم فى بعث من يلزم بعثه من

السفراء او النواب الذين ينوبون عن المملكة فى مجلس الشورى العمومية بمدينة صور حيث كان فيها مركز الملة الفنيقية

ومع ذلك فقد كان ملوك سائر المدن الفنيقية كلهم تحت طاعة ملك (صور) وهو الذى كان له اليد العليا عليهم وكلهم له بالتبعية وكان هو الرئيس الفريد والمولى الحقيقى الوحيد على سائر الملة الفنيقية ولذلك كان دون غيره هو الذى يتلقب بعنوان (ملك الصيدا و يين) وكان بمقتضى تقلده بهذه الوظيفة الولائية العليا واتصافه بهذه الصفة السياسية القصوى هو الذى يأمر وينهى ويقضى فى سائر الامور المتعلقة بمصلحة الفنيقيين العامة ويقطع فى كل ما يتعلق بمواد تجاراتهم ونزائلهم الاستعمارية الكائنة فى جميع الاقطار الدنيوية ويعقد العهدنامات مع الملل الاجنبية ويتصرف فى سائر القوى البحرية والعسكرية التى كانت موجودة للامة الفنيقية فى تلك الحقبة العصرية وغاية ما هنالك انه كان يستشير فى ذلك مجلس شورى نواب سائر المدن الاخرى فقط

مطلب — ذكر ما كان للفنيقيين من النزائل الاستعمارية والقبائل المتوطنة ببلاد افريقية وجزيرة صقلية و بلاد اسبانية (من سنة ١١٥٨ الى سنة ١٠٥١ ق م) — يلزم ان تكون حادثة اجتماع سائر المدن الكنعانية المتنوعة فى هيئة ذات اجتماعية اهلية واحدة وصورة ملية متحدة تحت عموم ولاية ملك (صور) قد وقعت فى ظرف مدة الخمسين سنة التى اعقبت حادثة خراب مدينة (صيدا) وان كانت تلك المدة من تاريخ الفنيقيين لم يتكلم عليها احد من مؤرخى السلف من اليونان والرومانيين وغيرهم من الامم الاقدمين المتبعة اقوالهم فى المدارس الاوروبية ولا وجد شئ بعد مطلقا من الآثار المشرقية القديمة يدل على شئ من احوالها البتة والدليل على ذلك هو ما نراه فى الواقع ونفس الامر من انه فى وسط القرن الثانى عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام كانت قد حدثت حالة جديدة فى مادة ترتيب هيئة الفنيقيين الاجتماعية وعادت الاخبار توجد عن احوالهم بالثانى فى ضمن اخبار الامم السالفين واضحة بان مدينة (صور) الفنيقية قد صارت من ذلك الحين ثابتة على ارضها الاصلية وعادت بالثانى الى ما كانت قد تشبثت به فى سالف العصر من الاسفار البحرية الكبيرة بعد ان كان ذلك قد انقطع مسافة فترة من الدهر يسيرة بما كان قد حصل لمدينة (صيدا) من الخراب بغارة الامم الاغراب

ولكن لزم بالضرورة ان تكون الجهة الاصلية التى توجهت اليها هذه الاسفار البحرية الجديدة غير التى كانت تتوجه اليها الاسفار البحرية الفنيقية القديمة بوقت ان كانت درجة الاعلوية عليهم بيد اهل صيدا فى سالف الايام وصار بالنسبة اليهم الامل فى استرداد ما كان لهم من السلطنة العظمى دون غيرهم على بحر الارخبيل وبحار بلاد اليونان فى سالف الزمان

من قبيل الاحلام او الاوهام ولذلك فلاجل امداد اسواقهم بالمواد الضرورية وحفظ قوتهم البحرية لزمهم ان يوجهوا انظارهم و ينهوا افكارهم واسفارهم نحو بحار جديدة واقطار بعيدة اخرى يتيسر لهم فيها ان يحصروا فى ايديهم حواصلها الزراعية والصناعية بحيث لا يشاركهم فيها احد من الامم الاخرى و يمكنهم بدون ان يخشوا من مزاحمة غيرهم لهم ولا من بأس صولة القرصان الصائلين عليهم ان يحصلوا على ما يلزم لهم من المعادن اللازمة لمتاجرهم الملية وصنائعهم الاهلية فكانت توجهاتهم فى ذلك العصر الجديد الى الجهات المغربية بواسطة سفر سفنهم على سواحل افريقية حيث كانوا فى العصر السالف اعنى عصر الصيداويين قد سبق لهم انهم انشأوا فى تلك النواحى نزلتين تجاريتين وهما كل من مدينتى (هيبون) و (كمبه) وانزلوا فيها ايضا الاقوام النازلين منهم بتلك الجهات الذين حدث منهم اصل الامة الليبية الفنيقية كما اسلفناه ذكر ذلك فيما تقدم

ومن ثم كان الصوريون (فى سنة ١١٥٨ ق م) قد اسسوا ايضا بتلك البلدان مدينة عظيمة اخرى على سواحل ولاية (زوجيتان) وهى المدينة المسماة باسم (اوتيكة) و بذلك تيسر للفنيقيين ان يعملوا بسفنهم تجاريد سفرية جديدة واسفارا بحرية بعيدة تتوجه من مين تلك الاقطار المغربية الى اقطار ابعد منها اذ صار يمكنهم ان يأخذوا منها ازوادهم وميرتهم وشرعوا من ذلك العصر فى ان يترددوا على سواحل ولايتى (نوميديا) (وهى ولاية قسنطين) و جزء من النواحى المسماة باسم (بيليك تونس) وعلى ولاية (المورينانيا) وهى ولاية (فاس) من سلطنة (مراكش) مع جزء من بلاد الجزائر المغربية

ولم يزالوا يتدانون شيئا فشيئا حتى كشفوا سواحل بلاد (اسبانيا) (المعروفة عند العرب ببلاد الاندلس) وانشأوا فيها المدينة التى كانت تسمى فى ذلك العصر باسم (قاذيس) (بامالة الدال المهملة على الياء المثناة من تحت يليها سين مهملة ايضا) ولم تزل تعرف لغاية الآن باسم (قادس) وقد كان تأسيسها من بعد عهد تأسيس مدينة (اوتيكة) السالفة الذكر بمدة يسيرة جدا

مطلب — ذكر استيلاء الفنيقيين على ولاية (بيتيكة) من بلاد اسبانيا —

ولم تمض من بعد انشاء مدينة (قادس) المذكورة الا مدة قرن واحد من الزمن حتى تيسر للصوريين ان يتمكنوا بصفة الاسياد من غير منازع لهم فى سائر النواحى الاكثر ثروة والاجزاء الاكبر خصوبة وحظوة فى ولاية (بيتيكة) اعنى فى سائر وادى النهر الذى كان يدعى فى ذلك العصر باسم (بيتيس) ومنه سمى ذلك القطر باسم (بيتيكه) وهو الذى صار يعرف منذ الاعصار المتوسطة بلفظ (الوادى الكبير) وهذا القطر هو ما يعرف الآن باقليم (الاندلس) الاصلى الحقيقى مع مملكة (غرناطة) من بلاد اسبانيا وقد كان اهل ذلك

القطر الاصليين الذين استولى الفنيقيون الصوريون عليهم فى ذلك العصر هم القومين الذين كانا يدعيان باسم (التورديتانيين والتورديليين) وكان الصوريون ايضا قد استولوا على سائر طول بلاد القوم المسمين باسم (البستوليين) ونقلوا الى تلك الاقطار فى تلك الاعصار كثيرا من الليبيين الفنيقيين الذين كانوا متوطنين بسواحل افريقية ليعملوا الهم فى حراثة الارض فامتزجت تلك الامة بالاهالى البلديين الاصليين حتى نص العالم الجغرافى اليونانى الشهير باسم (استرابون) فى كتاب جغرافيته المشهورة على ان اكثر سكان اقليم (التورديتانية) فى عصره كانوا من ذرارى الكنعانيين وكان سكان السواحل البحرية الكائنة حوالى مدينتى (ملقه) و (ابديره) لم يزالوا يدعون فى عهد الدولة الرومانية باسم (البستوليين الفنيقيين) او (الليبيين الفنيقيين) وقد عثر فى تلك الاماكن على بعض قطع من نوع الآثار القديمة المعبر عنها فى اللغة الفرانساوية بلفظ (ميداليه) (وهى لويحات متخذة من المعادن الذهب والفضة او النحاس او التوج او غير ذلك ينقش عليها بعض كتابات تدل على بعض حوادث عظيمة لقصد تخليد ذكرها) فحصل الاستدلال بها حيث وجدت مكتوبة باللغة الفنيقية على انه فى ذلك العصر بعينه قد كانت اللغة المذكورة هى التى يتكلم بها فى مدينة (قادس) ومدينة (ملقه) ومدينة (سكس) ومدينة (ابديره) من تلك المواطن الاندلسية

مطلب ــــ ذكر جزيرة مالطه ــــ وحيث كانت تجارة الصوريين على سواحل افريقية واسبانيا هى الغرض الاصلى من اسفارهم البحرية صار لهم من الزم اللوازم الضرورية ان يتخذوا لسفنهم فيما بين بلاد الفنيقية وتلك الاقصار البعيدة مكانا من البحر ترسو سفنهم فيه وتأخذ ازوادها وما يلزم لها من الميرة والمؤونات منه وقد كان ذلك بطبيعته يلزم ان يكون هو جزيرة مالطة اذ كانت لداعى ما منحها الله سبحانه وتعالى به من حسن مواقع مينها العجيبة وجمال مواضعها الغريبة هى مفتاح البحر الابيض المتوسط فى كل عصر ولذلك كان الصوريون على نحو اواخر القرن الثانى عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام قد استولوا عليها وعلى الجزيرة المجاورة لها التى كانت تسمى فى ذلك العصر باسم (جولوس) وتعرف الآن باسم جزيرة (جوتزو) ثم خلفهم عليهما بعد ذلك القرطاجيون ودليل ذلك ما عثر عليه فى اماكن هاتين الجزيرتين ولم يبق محفوظا لغاية عصرنا هذا غيره من آثارهيا كل الفنيقيين

مطلب ــــ ذكر جزيرة صقلية ــــ وقد كان اسلاف اهل جزيرة صقلية من جملة عصبة الاقوام الليبيين البيلاجيين اى اليونانيين الكبيرة وكانوا يشاركونهم فى اسفارهم البحرية وتدخل سفنهم فى ضمن تجار يدهم السفرية التجارية ثم انقطعت علائق اهالى بلاد (ليبية) مع جزيرة (صقلية) دفعة واحدة لاسباب لم تزل مجهولة لنا بعد وانتهز الصوريون فرصة ذلك التقاطع فيما بينهم فاستولوا على تجارة جزيرة (صقلية) وانشأوا

من مناقدهم التجارية ماملأ سائر سواحل تلك الجزيرة الغنية ولم يكن احد من الامم الاخرين فى ذلك العصر يزاحمهم عليها اذ كان اليونان لم يأتوا اليها الا بعد ذلك بمدة ثلاثة قرون من الزمن

مطلب ـــــ ذكر جزيرة سردينيا ـــ واما جزيرة (سردينيا) فقد كانت ارباب السفن الصورية قد وجدوها على طريقهم فى اسفارهم البحرية ورأوا ان من اعلى اصلح مصلحتهم وانفع منفعة امنية تجارتهم ان يتخذوا فيها مكانا للنزول واخذ الميرة اللازمة لتجارتهم منها ولم يكونوا ايستغنون بالضرورة عن ان يحدثوا لهم مناقد تجارية على سواحل تلك الجزيرة ايضا اذ كانت اما كنها فى ذلك الزمان اوفق للصحة مما هى عليه الآن وكانت معمورة فى ذلك العصر باهال كثيرين يربون مواشى كثيرة من الاغنام كانت اصوافها من انفس اصناف التجارة المتداولة فى تلك الايام وكان يوجد فى بلادهم ايضا معادن عظيمة من النحاس والرصاص الممتزج بالفضة ولذلك كان الصوريون قد اسسوا فيها مدينة (كاراليس) وهى التى على مكانها الان المدينة المعروفة باسم (كجلياري) وانشأوا ايضا على الساحل الغربى من الجزيرة المذكورة امام بلاد (اسبانيا) مدينة كانت تسمى باسم (نوره)

وما سردناه هنا فى المطالب المذكورة اعلاه من الاماكن التجارية والمواطن البحرية هو مجموع النزائل الاستعمارية التى كان اهل مدينة (صور) قد انشؤها فى اثناء القرن الثانى عشر والحادى عشر قبل الميلاد فى سائر الاماكن المهمة من البلاد الكائنة على السواحل الغربية من حوض البحر الابيض المتوسط (بحر سفيد) وكانت قد استحوذت بذلك على درجة شوكة بحرية وقوة تجارية ليست دون ما كانت قد استحوذت عليه من قبلها مدينة (صيدا) من هذا القبيل فى سالف الجيل

مطلب ـــــ ذكر محالفة مدينة (صور) مع بنى اسرائل (فى سنة ١٠٥١ ق م) وقد كان نزول القوم البحريين المعروفين باسم (الفلسطينيين) النازلين من اهل جزيرة (كريد) على سواحل برالشام فى سالف الايام وما حصل لهم من النجاح والظفر على سكان تلك الاقطار فى ذلك العصر وتعلقت اطماعهم بان يستحوذوا لانفسهم على سائر النواحى الجنوبية من اقطار بلاد (سورية) قد ترتب عليه تبديل احوال العلائق التى كانت توجد بين بنى اسرائيل والفنيقيين فى ذلك الجيل وذلك ان الاسرائيليين فى اول مبادى فتحهم لبلاد الشام كانوا اعداء للصيداويين كما كانوا كذلك بالنسبة لسائر الاقوام الكنعانيين ثم لما رأى بنو اسرائيل والفنيقيون ان القوم الفلسطينيين قد شنوا الغارة عليهم دفعة واحدة فظفروا بهم وغلبوهم وصاروا بحيث يخشى عليهم من ان يستولوا عليهم

ويستعبدوهم استعبادا مخلدا وترآءى لهم من جهة اخرى ان (الآراميين) على نحو ذلك الوقت كانوا قد اخذوا بجهة شمال (سورية) فى ان يستفحل امرهم ويعظم شأنهم اعوزتهم ضرورة الدفع عن انفسهم من عدو واحد على ان يتقارب كل من القومين المذكورين ويتحبب كل من هذين الخصمين الكبيرين وان كانا لغاية ذلك الوقت متعاديين وتمكنت فى اذهان الطرفين شدة لزوم عقد محالفة بين الجانبين

ولذلك كان الملك (هرام) ملك صور فى ذات السنة التى كان (داود) عليه السلام قد اخذ فيها مدينة (اورشليم) من يد القوم المعروفين باسم (اليوبيزيين) وجعلها قاعدة المملكة العبرانية (اعنى فى سنة ١٠٥١ ق م). قد بعث اليه رسلا من طرفه عقدوا معه عقد محبة بين الملكين المذكورين

مطلب — ذكر العمارات والاعمال النافعة التى انشأها الملك (هرام) الثانى بمدينة صور (من سنة ١٠٣٨ الى سنة ٩٩٤ ق م) — وكان قد صعد الملك (هرام) الثانى ابن (ابى بعل) على سرير مملكة الصوريين فى سنة ١٠٣٨ ق م) فبادر من اول مبادى مدة عهده بان شرع بمدينة صور فى انشاء عمارات عظيمة وابتناء اعمال جسيمة تغيرت بها حالة منظر هذه المدينة بالكلية فجدد عمارة هيكل معبودهم المسمى باسم (ميلكارت) وكان قد انشئ فيها من قبله بالف سنة فهدمه واقامه بالثانى على وجه من الابهة والزينة لا نظير له فى سائر المبانى وردم الخليج الفاصل من البحر بين الجزيرة التى كانوا يعتقدون حرمتها المسماة باسم جزيرة (ميلكارت) والجزيرة الاخرى التى كانت عليها حاضرة (صور) البحرية الاصلية بحيث صار كل من الجزيرتين المذكورتين جزيرة واحدة وضم اليها ايضا مسافة من قاع البحر تزيد عن اصل مساحة مجموع ارض هذه الجزيرة الاصلية واجرى ردمها وتجفيفها فى الجهة الجنوبية منها وانشأ فيها محلة مساكر جديدة واحاط مدينة (صور) البحرية هذه من جميع جهاتها بعد ان صارت بتلك الاعمال فى حالة جديدة بجسور تقيها من امواج البحر وبنى عليها سورا محصنا باقوى الاعمال الاستحكامية وانشأ على سائر محيط الميناالقديمة ارصفة عظيمة واحدث على الساحل الغربى من تلك الجزيرة مينا اخرى جديدة تسع من السفن ما يكاد يزيد عن ضعفى ما كانت تسعه الميناالقديمة وانشأ ايضا فى تلك المدينة الجزيرية قصرا ملوكيا عظيما حتى صارت بذلك كله هى مدينة (صور) الحقيقية الاصلية وحازت درجة الاعلوية والاهمية على سائر المدن الفنيقية فى تلك الحقبة العصرية واما مدينة (صور) البرية التى كانت تسمى باسم (پاليتوروس) ومعناه (صور القديمة) فقد كانت اخذت فى الانحطاط والتخرب بالكلية

مطلب

مطلب — ذكر علائق الملك (هرام) الثانى ملك صور مع سليمان عليه السلام

— وبينما كان الملك (هرام) ملك صور المذكور مشتغلا بهذه الاعمال النافعة العظيمة اذ توفى (داود) عليه السلام وخلفه على سرير مملكة بنى اسرائيل (فى سنة ١٠١٩ ق م) ولده سليمان فبادر ملك (صور) المذكور بأن بعث الى القدس الشريف سفارة لقصد تهنئة ولد حليفه بحادثة تقليده بملك بنى اسرائيل وكان داود عليه السلام قد عهد قبل وفاته الى ولده سليمان ان يبنى هيكل بيت المقدس لعبادة الله الواحد الاقدس فطلب من الملك (هرام) ان يعينه على تحصيل هذا المرام ولداعى ان ملك صور المذكور كان ملتهيا باعمال العمارات التى كان مشتغلا بها فى بلاده لم يمكنه ان يسعف سليمان على الفور بما كان قد طلبه منه ولزم ان لا يشرع فى عمارة بيت المقدس الا (فى سنة ١٠١٨ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروى عنه اعلاه ما معناه وقد قصصنا قصة عمارة القدس الشريف فى كتابنا (تاريخ القوم اليهود) فمن اراد ان يطلع عليها فليراجعه (اه) ثم قال المؤرخ المذكور بعد ذلك ما هو بعده مسطور

ومن بعد ذلك بمدة يسيرة كان الملك (هرام) الثانى وسليمان عليه السلام قد اتحدا وتعاهدا على ان يعملا باعصار بشف مشتركة من طرفهما الاعمال اللازمة للشروع فى الاسفار البحرية بمينا (اوفير) على البحر الاحمر

وقد ذكرنا قصة تلك الحادثة ايضا فيما سلف فلا حاجة للرجوع اليها كما لا حاجة ايضا للعود على قصة عمارة بيت المقدس وانما ينبغى لنا أن ننص هنا على ان من الحوادث التاريخية الثابتة والوقايع الدهرية المقررة انه من مدة مديدة واعصار قديمة عديدة قد كانت بضائع الهند النفيسة من اعظم المواد الجارى عليها مدار تجارة الفنيقيين وكانوا يجلبون اكثرها الى مركز بلادهم ثم ينشرونها من البر بواسطة قوافل تجارية تسافر الى الديار المصرية والى بلاد وادى الفرات ومن طريق البحر الى سائر سواحل البحر الابيض المتوسط ولذلك كان جم غفير وقوم كثير من التجار الفنيقيين متوطنين بنواحى بلاد جزيرة العرب الجنوبية حيث كان يأتى اليها من الاقطار الهندية بعض سفن خليطة الانشاء والعمارة من صناعة اهل الهند كانت تدفعها الرياح الهندية الدورية المعروفة فى اصطلاح ارباب السفر فى البحر باسم (الموسون) فتأتى اليها مشحونة بحواصل تلك الاقطار فيأخذها منهم التجار الفنيقيون وينقلونها فى العادة الى بلادهم الاصلية بواسطة قوافل تسافر فى اثناء صحارى بلاد العرب الوسطانية عملما شرع كل من الملك

(هرام) الثانى ملك صور وسليمان عليهما السلام فى انشاء اسطول بحرى عينا (اوفير) المذكورة كان ذلك اصل منشأ عمل الاسفار البحرية المستقيمة من مين آخر الخليج العربى (البحر الاحمر) الى سواحل بلاد الهند وكان قد تم لهم الحصول على هذا المرام كل التمام غير انه لم يستمر الا لغاية وفاة سليمان بن داود عليهما السلام فقط

مطلب — ذكر من خلف الملك (هرام) الثانى على مملكة (صور) من الملوك الفنيقيين (من سنة ٩٩٤ الى سنة ٨٧٦ ق م) — ذكر مؤرخ اليهود المشهور باسم (يوسف) قائمة الملوك الذين تقلدوا بمملكة (صور) من بعد (هرام) الثانى المذكور مدة قرن ونصف من الدهر وبقيت محفوظة لنا لغاية هذا العصر واكثرهم لا فائدة فى ذكره بالنسبة لعلم التاريخ ولذلك نقتصر منهم على ذكر الملك المسمى باسم (ايتبعل) حيث ذكر فى نصوص التوراة انه هو ابو المرأة المشهورة باسم (هازابيل) التى كان قد تزوج بها ملك بنى اسرائيل المسمى باسم (احؤب) وكان قد صار له تأثير كبير على عقل صهره هذا وترتب على ذلك ما ترتب من اسوأ العواقب لمملكة بنى اسرائيل حيث نشأت فيهم بدسيسة هذه المرأة القبيحة ديانة عبادة الاصنام الصريحة وقد كان الملك (ايتبعل) هذا هو اول عائلة ملوكية حادثة كانت قد استقرت على سرير المملكة بمدينة (صور) بعد فتن سياسية شديدة ومحن اهلية امتدت مدة من الزمن مديدة

مطلب — ذكر ملك صور المشهور باسم (بيجماليون) واخته المسماة باسم (الياسار) المسماة ايضا باسم (ديدون) (من سنة ٨٧٦ الى سنة ٨٦٩ ق . م) — وقد كانت مبادى عهد الملك الرابع من ملوك هذه العائلة الملوكية الجديدة قد اشتهرت بحادثة فتنة شديدة ترتب عليها ان حدثت على سواحل افريقية فيما بعد ذلك العهد مدينة (قرطاجنة) الشهيرة التى صارت هى قرينة مدينة (رومية) الكبيرة وتفصيل ذلك ان ملك صور المسمى باسم (ماتان) كان قد توفى وقد خلف ولدين (احدهما) ذكر يبلغ من العمر احدى عشرة سنة يدعى باسم (بيجماليون) و (الثانى) انثى كانت اكبر منه سنا ببعض سنوات تسمى باسم (الياسار) وكان ابوهما قد عهد اليهما بان يجلسا على سرير المملكة بطريق الشركة وكان عوام الرعية يرغبون فى تغيير صورة ولاية الاسر الفنيقية من هيئة الحكومة الملوكية السيادية او الاعيانية بمعنى كون ولاة الامور من الطبقة العليا من الاهالى التى كانت عليها لغاية ذلك العهد ويبدلونها الى هيئة دولة اهلية فاثاروا فتنة داخلية وولوا على سرير المملكة الصورية (بيجماليون) بن (ماتان) وحده دون اخته (الياسار) واتخذوا له مجلس شورى من ارباب المناصب الدولية المساعدين

على هيئة الدولة الاهلية وبذلك اخرجوا عن حوزة المملكة اخته (الياسار) المذكورة فانها كان منها الا انها تزوجت برئيس طائفة خدمة ديانة معبودهم المسمى باسم (ميلكارت) واسمه (زيشار بعل) وقد كان من اصول ترتيب درجاتهم السياسية انه ثانى ذات من أرباب الرتب السياسية بعد ذات الملك فكان بحسب درجة منصبه هذا هو رئيس اهل العصبة السيادية وحيث كان الملك (بجماليون) قد نشأ مربى على الميل للعصبة الاهلية كان بعد تقليده بقلادة الملك ببعض سنوات قد قتل (زيشار بعل) المذكور اذ كان يرى انه مزاحم له على سرير المملكة فاشتدت فى قلب اخته (الياسار) هذه حرارة بغية الانتقام وغية الاخذ لزوجها من اخيها بالثار ولذلك صارت رأس عصبة اهلية قوية كبيرة تعصبت لقصد عزل اخيها هذا عن سرير الملك واعادة ما كانت عليه صورة الدولة الصورية من الهيئة السيادية وسعوا فى الحصول على الغرض المذكور فلم ينجح سعيهم بمدينة (صور) فصمموا على ان يهاجروا من اوطانهم الاصلية ويخرجوا من ديارهم الصورية استنكافا من ان يبقوا فيها تحت ذل العصبة الاهلية وقاموا جميعا فوجدوا فى ميناء تلك المدينة عدة سفن متجهزة للاقلاع فاستولوا عليها على حين غفلة من اهلها وركبوا فيها وكانوا عدة الوف عديدة وسافروا فى البحر تحت قيادة (الياسار) السالفة الذكر ليبحثوا لهم عن مكان آخر يحدثون فيه مدينة (صور) اخرى فى بعض الاقطار حتى نزلوا بسواحل افريقية واختطوا فيها مدينة (قرطاجنة) الشهيرة ولداعى واقعة هذه المهاجرة اشتهرت (الياسار) المذكورة باسم (ديدون) ومعناه فى اللغة الفنيقية (الهاربة) وكان وقوع هذه الحادثة التاريخية الكبيرة فى سنة (٨٦٩) قبل ميلاد المسيح عليه السلام وهى السنة السابعة من عهد تقليد الملك (بجماليون) بمملكة الصوريين

مطلب — ذكر كيفية تأسيس مدينة (قرطاجنه) (فى سنة ٨٦٩ ق م)

— وقد كان اتجاه سفر هؤلاء القوم المهاجرين من الصوريين نحو سواحل افريقية حيث كان لاوطانهم الاصلية فى تلك الاقطار من سالف الاعصار من قبل مواطن تجارية ومنازل بحرية قد كانت لم تزل تزداد وكانوا يرون انهم اذا نزلوا بتلك البلاد لا يعدمون من ابناء اوطانهم الاصليين واخوانهم الفنيقيين السالفين من لابد وان يكون فيه الاستعداد لقبولهم فيها والاعانة على نزولهم عليها ولذلك نزلوا من اقليم (زوجيتان) على المكان الذى كان قد نزل عليه من قبلهم ببعض قرون زمنية سالفة اخوانهم الصيداويون وكانوا قد اختطوا فيه مدينة (كمبه) وكانت فى ذلك العصر قد أخذت فى الانحطاط التام وكانت تلك البلاد بوقت ان نزل عليها الصوريون المهاجرون اليها يليها ملك للقوم الليبيين يقال له (يايون) فجاءت (ديدون) واشترت منه قطعة ارض لتنزل فيها انزالتها هذه المركبة

من القوم الصوريين الفارين معها اوختطت فيها مدينة سميت باسم (قرطاجة) وهو لفظ مأخوذ من اللغة الفنيقية من كباتر كيبا وصفيا معناه فى الاصل (المدينة الجديدة) ثم حرفه اليونان بلفظ (قارشيدون) وجاء الرومانيون ايضا فحرفوه الى لفظ (قرطاجة)

مطلب — ذكر استيلاء الملوك الاسوريين على بلاد الفنيقيين (من القرن التاسع لغاية القرن السابع ق م) — ومن بعد مهاجرة (الياسار) على الفور اعنى فى ذات مدة عهد الملك (بيجماليون) كانت مدينة (صور) وسائر المدن الفنيقية الاخرى قد اضطرت للدخول تحت سيادة ملوك بلاد الاسورية اذ كانت دولتهم فى ذلك العصر قد استفحلت كل الاستفحال مع غاية السرعة والاستعجال وشوكتهم قد استكملت وبلغت الى غاية أوج الكمال وكان بعض ملوكهم السالفين من قبل هذا العصر قد اغاروا على بلاد الفنيقية مرتين (احداهما) من ملكهم المشهور باسم (تجلاتفلسر) فى القرن الثانى عشر و (الثانية) من ملكهم المسمى باسم (آسورنازيرپال) فى القرن العاشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام غير ان الاسوريين فى تلك الاعصار كانوا قد ظهروا ببلاد الفنيقية ظهورا قصيرا فلم تطل مدتهم ولم تستقر فى تلك البلاد دولتهم حتى جاءت مدة تملك الملك (بيلوخوس) الثالث ومن ابتداء ذلك العهد لغاية زوال المملكة النينوية كانت وطأة الدولة الاسورية قد ثقلت على الدوام والاستمرار على اعناق اهل تلك الاقطار

ومع ذلك فقد كان الفنيقيون قد هموا على عدة مرات بان يلقوا عن اعناقهم كرب الطاعة للدولة الاسورية اذ كان ذلك اثقل عليهم من بذل الطاعة لسيادة الدولة المصرية بكثير جدا وكان البطل الذى قام بتدبير هذه المقاومات الاهلية فى النصف الاخير من القرن الثامن قبل ميلاد المسيح عليه السلام هو رجل من الملوك الصوريين يقال له (ايلولى) مكث مدة ثلاثين سنة وهو يقاتل الاسوريين مع غاية المواظبة التى لم يقطعها قاطع ولم يمنعها مانع فكان قد جاء اولا الملك (سرجون) واقام على حصار مدينة (صور) مدة خمس سنين (من سنة ٧٢٠ الى سنة ٧١٥ ق م) فلم يزل الملك (ايلولى) هذا يدفع هجوم الاسوريين عن مدينته بطول تلك المدة مع الشجاعة وحسن التدبير حتى خاب امل الملك (سرجون) ولم يظفر بمراده من الاستيلاء على تلك المدينة البحرية غير انه فى مدة الحصار المذكور كان اليونان قد انتهزوا الفرصة من تلك الحادثة واخربوا سائر النزلات الاستعمارية التى كانت للصوريين بجزيرة (طاشوش) وجزيرة (كريد) واكثر الاماكن التجارية الصورية التى كانت عامرة بجزيرة (صقلية) ثم جاء الملك (سنحاريب) بعد ذلك بمدة من الزمن فظفر به وغلبه وعزله عن سرير المملكة

الصورية واستولى هو على مدينة (صور) الكائنة فى وسط امواج البحر وقد كان ذلك فى مبادى الغزوه الحربية الكبيرة التى كان قد شرع فيها القتال (حزقيا) ملك بنى اسرائيل (فى سنة ٧٠٠ ق م) وكان هذا الملك الفاتح الاسورى قد جرد مدينة (صور) التى هى كعبة الصنم المعروف باسم (ميلكادت) فى هذه الغزوة جزاء لها وتنكيلا بها مما كان قد تقرر لها من درجة الاعلوية السياسية على سائر المدن الفنيقية منذ خمسة قرون زمنية واما ملك الاسوريين المسمى باسم (اسورادون) فكان قد شن الغارة ايضا على مدينة (صيدا) اذ كانت قد خرجت ايضا عن طاعة الدولة الاسورية فاوقع بها كما وقع بمدينة صور واخذها عنوة وعاملها بغاية الجبر والقسوة

مطلب — ذكر تخريب بختنصر لمدينة صور (من سنة ٥٨٩ الى سنة ٥٧٤ ق م) — ولما كان فرعون مصر المعروف باسم (نيخاوس) قد انتهز فرصة اخذ الدولة الاسورية فى الزوال فاستولى مؤقتا على بلاد (سورية) كانت سائر المدن الفنيقية قد تلقت الجنود المصرية مع غاية الفرح والسرور به اذ كان قد تراءى لهم انهم لهم منقذون من اسر القوم الاسوريين فلما جاء (بختنصر) المشهور فهزم ملك مصر المذكور على نهر الفرات (فى سنة ٦٠٦) كما اسلفنا ذكر ذلك فى موضعه من هذا الكتاب كانت قد سقطت جميع هذه الامصار فى قبضة ذلك الملك الجبار وكانت مدينة (صور) وان كانت فى ذلك العصر قد اضاعت [illegible] الاعلوية على سائر المدن الفنيقية غير انها كانت لم تزل فى اقوى [illegible] وكانت لم يزل لها املاك [illegible] متسعة فى غربى البحر الابيض المتوسط وتجارة بحرية جسيمة تجمع من انواع الغنى والثروة ماله صورة عظيمة

ثم (فى سنة ٥٩٠ ق م) كانت مدينة (صور) قد حثها فرعون مصر المسمى باسم (ابريس) على القيام على (بختنصر) كما حث كذلك الملك (صدقيا) ملك يهودا على الخروج عن طاعة الدولة المصرية فعصى كل منهما عليه وخرجا عن طاعته فى آن واحد فما كان من بختنصر الا انه بعد السنة التى كان قد اخرب فيها بيت المقدس (سنة ٥٨٧ ق م) التفت الى تلك الحاضرة الفنيقية العظيمة وجاء اليها ونصب الحصار عليها فكانت عواقب تلك الثورة على القوم الفنيقيين مشؤمة واى مشؤمة وذلك ان بختنصر ظفر اولا بمدينة (صور) البرية المسماة باسم (باليا تير) اى صور القديمة واخذها اخذ عزيز مقتدر واخربها بالكلية واما مدينة (صور) البحرية فكانت قد قاومته مدة ثلاث عشرة سنة وابدت فى الدفع عن نفسها منه اعجب المدافعات واغرب المعجزات ثم انتهى امرها بان اخذها بالقوة القهرية واباحها الاستلاب لقومه العسكرية

وآخرب بعضها وابقى على بعض (فى سنة ٥٧٤ ق م) واصابها من جبروته بمصائب شديدة ونوائب عديدة بحيث صارت تلك الحاضرة الفنيقية ذات الانفة والكبرياء العنيدة من سوء الحال والجهد الى درجة انحطاط لم تقم منها بعد وصارت من العيش النكد انما تنبت كما ينبت حميل السيل فى اسفل الوادى لاغير اعنى انها لم يتيسر لها بعد ذلك العهد ان تعود لما كانت عليه من اصلاح شأن مادة بحريتها بالثانى ولا ان تسترجع ما كانت قد اشتهرت به من سعة تجارتها ولا ان تعين ما كان لها من النزائل الاستعمارية والاماكن الزراعية والتجارية بنواحى (اسبانيا) وجزيرة (سردينيا) وسواحل افريقية وكانت مدينة (قرطاجنة) الشهيرة قد خلفتها على او توارثتها عنها

مطلب — ذكر حال بلاد الفنيقية فى عهد التحاقها بالتبعية للدولة الكلدانية والدولة الفارسية — وقد كانت صارت بلاد الفنيقية منذ ذلك العصر ميدانا للحرب بين فرعون مصر (ابريس) وبختنصر ملك الاسوريين واصاب مدينة (صور) من ذلك اتلافات جسيمة جدا (فى سنة ٥٧٣ ق م) وبقيت تحت يد الدولة العراقية بمدة اقامة دولتهم الثانية حتى جاء ملك فارس المشهور باسم (كيرش او قيروس) فازالها واستولى على سائر الاقطار التى كانت تحت ولايتها فاذعنت بلاد الفنيقية كلها لسيادة الملك الفارسى المذكور بعد اخذه لمدينة (بابل) من دون ادنى مقاومة ولا مدافعة عن نفسها ومن ذلك الوقت صارت بلاد الفنيقية ولاية ملحقة بالدولة الفارسية قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور فى آخر هذا الفصل من تاريخه الكبير المشهور ما تعريبه بتمامه هكذا ولما اخذ الملك (كيرش) مدينة (بابل) كانت جميع المدن الفنيقية قد انزلقت من تحت طاعة الدولة الكلدانية الى طاعة الدولة الفارسية واذعنت للدولة الفاتحة الجديدة بدون ان يحصل منها ادنى اهتمام بمقاومة ولا مدافعة عن نفسها بالكلية واظهر القوم الفنيقيون للقوم الغالبين تمام الطاعة والامتثال وبذلوا لهم مثل ما كانوا يبذلونه للدولة القديمة من مرتب الاموال وصاروا يؤدون اليهم ايضا ما يلزم لهم من السفن اللازمة لغزواتهم الحربية حسبما كانوا يرغبون ويعطونهم من ذلك ما كانوا يطلبون كما فى غزوة الملك (قمبيزش) لديار مصر غير ان الملك الفارسى المذكور لما اراد ان يشن الغارة ايضا فى ذلك العصر على مدينة (قرطاجنة) امتنعت السفن الفنيقية من التوجه اليها وابت ان تسعى فى استعباد اخوانهم القرطاجيين اذ كان اصلهم من ابناء اوطانهم الاصليين كما اسلفنا ذكر ذلك فيما تقدم ولذلك بقيت مدينة (قرطاجنة) بحالة الحرية من اسر الدولة الفارسية (اه)

الفصل الثالث

فى ذكر درجة تمدن الفنيقيين واخلاقهم وعوايدهم وما كان لهم من التأثير على احوال الامم المتقدمين

مطلب ـــ ذكر تجارة الفنيقيين البحرية ـــ قد فهم مما اسلفناه فى ضمن الفصلين السابقين من مختصر تاريخ الفنيقيين ان صناعة التجارة على وجه العموم ولاسيما التجارة البحرية قد كانت هى الشغل الشاغل الاصلى والعمل الغالب الاولى على القوم الفنيقيين و يصح ان يقال ان تواريخهم الاهلية اذا صرفنا النظر عما يوجد فيها من بعض حوادث عارضية حربية وقعت منهم فى بعض الاحيان لقصد الدفع عن اراضيهم الخصوصية قد كانت كما هى فى الحقيقة فى سائر طول اعمارهم التاريخية عبارة عن سيرة دار تجارة متسعة جدا لا غير وقد كانت هذه الوظيفة هى التى تدعوهم اليها طبيعة وضع بلادهم الاصلية وتقتضيها ضرورة احوالهم المكانية وبيان ذلك ان اما كنهم كانت على نهاية الارض القارة من بلاد آسيا على سواحل بحر ملح عظيم يصل بطريق المباشرة بينها و بين القارة الافريقية والاوروبية فلزم بالضرورة ان تكون بلاد الفنيقية بحسب حسن موافقها هذا السعيد هى مركز التجارة بين بلاد المشرق والمغرب ولذلك لزم ان يكون التواصل بين بلاد آسيا واوروبة وافريقية من اول الامر قد حصل بواسطة اساطيلها البحرية دون غيرها من الامم من منذ اعصار طويلة من سالف الدهر

ولا يصعب على الاذهان ان تتصور مع غاية الوضوح والبيان حقيقة انواع البضائع الاصلية وكيفية الاعمال التجارية الاولية التى كان عليها مدار تجارة الفنيقيين بطريق البحر فى تلك الازمان وذلك ان جميع الامم والاقوام الذين كان الفنيقيون يرحلون للمبادلة معهم كانوا لم يزالوا بعد اقواما متوحشين. وأمما بدويين لا صناعة عندهم ولا تفنن لديهم وكانوا على حالة اشبه بما كان عليه سكان بلاد (الاوقيانوسية) (جزائر البحر المحيط) البلديون بوقت ان نزل عليهم اول السياحين الاوروباويين وقد كان الكنعانيون من وجه آخر عندهم من التقدم فى الصناعة بقدر ما كان لهم من الحذق والمهارة فى التجارة تقريبا وكانوا قد بلغوا فى بعض اعمال الصنايع والفنون الى اعلى درجة الكمال فان مصنوعاتهم من المواد المعدنية قد ذكرت فى نصوص الآثار المصرية من اول عهد العائلة الملوكية المصرية الثامنة عشرة مع غاية الاطراء والايغال واشتهرت منسوجاتهم فى سائر اقطار الدنيا القديمة وكان فى ايديهم بالخصوص احتكار بعض الوان صباغية يصطنعونها ويتجرون فيها

لاشاركهم فيها احد من الامم الاخرين كصناعة اللون الاحمر الارجوانى وهو صبغة حمراء بنفسجية تتنوع من السواد والسمرة الى الوان مختلفة كانوا يتخذونها من باطن نوع من القوقع اوالودع المعروف بالمحار وهو نوع من الحيوانات البحرية كانوا يصطادونه من سواحل بلادهم وقد حصل العثور على عدة نموذجات عديدة منه فى الآثار الفنيقية القديمة التى حصل العثور عليها ولم تزل توجد فى الانتيقخانات الافرنجية الموجودة الآن وكانوا يصطنعون ايضا من اصناف الزجاج ما يضاهى ما خرج من معامل القزاز التى كانت مشهورة بمدينة (البندقية) ببلاد اوروبة فى الاعصار المتوسطة بل كان السلف يقولون بان الفنيقيين هم اول من اخترع صناعة الزجاج واذا كان الحال كما توضح اعلاه فقد ظهر ان الفنيقيين لم يكونوا مجرد سماسرة يعملون بالتوسط فى الأخذ والعطا بين الامم المتمدنين والاقوام الآخرين الذين كانوا على انواع الصنايع والفنون متمرنين اعنى المصريين والاسوريين فقط بل كانوا كذلك قوما يصطنعون بايديهم بعض الصنايع وينتحلون بانفسهم بعض الحرف والفنون وكان لهم معامل ابتداعية وحواصل صناعية يروجونها فى تلك الابواب التجارية التى كانت مفتوحة لهم بواسطة نشاطتهم البحرية وبهذه المثابة كانت تجارتهم كلها تعمل بطريق المبادلة فكانوا يسافرون اولا الى بلاد اليونان ثم الى بلاد (اسبانيا) ثم الى بلاد (الغولة) (وهى ما عليه مكان بلاد فرانسة الآن) ثم الى بلاد (ايطاليا) ثم الى بلاد (ليبيا) (وهى بلاد افريقية الغربية) وقد كانت سائر هذه الاقطار فى تلك الاعصار كلها بلادا متوحشة وسكانها أقواما بدوية متقشفة لا يحسنون شيئا من الصنايع البشرية ثم بعد ذلك صاروا يسافرون الى الجزائر الابريطانية (وهى جزائر انجلترة) حتى بلغ من شأنهم ايضا انهم كانوا يسافرون مدة حقبة من الدهر فيما بعد الى بلاد الهند ومن سكان جميع تلك الاقطار كانوا يأخذون ما كان يتيسر لهم من كل قطر فى ذلك العصر من انواع المعادن واصناف الاخشاب وسائر المواد الاولية الطبيعية التى تخرج من تلك البلدان ويعطونهم بدلا عنها من حواصل معاملهم الصناعية ونتائج اعمالهم الابتداعية فيبيعون لهم فى نظير ذلك من الآلات والادوات المتخذة من المعادن والاقمشة وانواع الاوانى والامتعة المتخذة من الفخار والزجاج وقد كان سائر سكان تلك الاقطار لداعى مخالطتهم بالفنيقيين قد انتشرت فيهم معرفة تلك الآلات والامتعة المعاشية واحسوا بضرورتها ومهالهم مع كونهم قد كانوا فى تلك الاعصار لا يحسنون صناعتها بانفسهم

واما فى الاعصار الاقرب عهدا منا فقد كانت حالة تجارة الفنيقيين المذكورة قد تغيرت بالضرورة

بالضرورة ولاشك فى انهم قد كانوا هم الذين ساعدوا اكثر من كل ملة اخرى على نشر اسباب التمدن المادية فى سائر اجزاء حوض البحر المتوسط الابيض (بحر سفيد) وكانت احوال سكان تلك الاقطار قد ترقت بمخالطتهم وتقدمت بمعاشرتهم وصاروا بالنسبة لما كانوا عليه فى الاعصار السالفة أمما متحضرين واقواما متمصرين ومع ذلك فقد كانت تجارة الفنيقيين معهم وان كانت منذ ذلك العهد مع اقوام متمدنين لم يعتورها فتور بعد بل كانت قد بقيت على ما كانت عليه فى سالف العهد من النشاط والاجتهاد وغاية ما هنالك ان كيفية اعمالها وانواع البضائع التى كانت تدور عليها دائرة اشتغالها هى التى كانت قد تغيرت فقط وذلك ان امدن الامم المتمدنة بالاقطار المغربية واهل الامصار الاوروبية واولهم اليونان انما كانوا يأخذون من بلاد آسيا كل ما كان يلزم لهم من امتعة الزينة والرفاهية بحسب ما صاروا اليه وتعودوا عليه من الاخذ فى اسباب الحياة التمدنية والمعيشة الشهوانية وقد كان سكان تلك الاقطار المغربية وان كانوا قد بلغوا من درجات الترقيات العمرانية فى تلك الاعصار ايضا الى انهم صاروا يتقنون بعض الصنايع والفنون ويخرج من ايديهم بكثرة من ذلك حواصل ما يحسنون لم يزالوا يرغبون ولم يفتأوا يطلبون كثيرا من حواصل فروع الصناعة المشرقيه

مطلب — ذكر التجارة الفنيقية البرية — وقد علم بالضرورة ايضا انه كان قد انضم لتجارة الفنيقيين البحرية المتسعة تجارة برية بطريق القوافل السفرية لم تكن دونها فى الامتداد والسعة فقد كان لهم عدة طرق تجارية عظيمة وجملة خطوط سفرية قديمة على البر ايضا تسافر فيها التجار الفنيقيون ويخترقون بها قارة اوروبة فى سالف تلك الحقبة فيأتون منها بحواصل صناعية نفيسة تخرج ببعض اقطار شاسعة لم يكن يتيسر لهم ان يصلوا اليها بواسطة اسفارهم البحرية وكان اعظم تلك الطرق هو الذى كانوا يسافرون فيه فى خلال بلاد (الغولة) (وهى بلاد فرانسة الآن) فيجلبون الى مصاب نهر (الرون) بنواحى البحر الابيض المتوسط ما يخرج باقليم (كرنوالية) (ببلاد انجلترة) من القصدير قبل ان يظهر القرطاجيون ويسافروا فى البحر سفرا مستمرا الى حد الجزائر البريطانية بمدة مديدة جدا وكان التجار الفنيقيون ايضا يجلبون العنبر الاصفر وهو الكهربا والكهرمان من سواحل بحر (بلتيق) (وهو جزء عظيم من البحر المحيط الشمالى) وكان هذا الصنف هو اعظم الاصناف التجارية التى كانوا يجلبونها فى اسفارهم البحرية الى الاقطار الآسية ولا يصح عقلا ان يقال بان سفن مدينة (صيدآء) او (صور) كانت فى عصر من الاعصار مطلقا تسافر بحرا الى حد بحر (بلتيق) وتتردد على سواحل بلاد (البروسنيا) التى هى الموطن الاصلى

للعنبر بل الظاهر انهم كانوا يأتون به بطريق البر و يشحنونه فى سفنهم من عند مصاب النهر الذى كان يدعى فى ذلك العصر باسم (الاير يدان) والمدعو الآن باسم نهر (البو) (بباء فارسية مفخمة يليها واو ساكنة فى آخره) حتى ان اليونان مكثوا مدة مديدة من الزمن يظنون انهم انما كانوا يلتقطون العنبر من ذلك النهر وليس الحال كذلك بل كانوا يأتون به من سواحل بحر (بلتيق) المذكور و يسافرون به على البر فى قوافل تخترق سائر بلاد (جرمانيا) او (المانيا) و يأتون فى عودتهم ببضائع يجلبونها من مصنوعات بلاد آسيا ثم صاروا بعد ذلك يأتون فى عودتهم ببضائع من صناعة بلاد (الايترورية) (وهى ما يعرف ببلاد التوسكانة من بلاد ايطاليا الآن) و يرجعون من ذات الطريق التى جاؤا منها فينتشرون فى سائر بلاد (المانيا) و (اسكانديناوه) ببلاد اوروبة وكان قد حصل بخلطتهم مع اهالى تلك الاقطار البلديين تأثير عظيم على اول ما كانوا قد تشبثوا به من الاخذ فى مبادى الصنايع والفنون بتلك الاحقاب السالفة

وقد كانت اسفار التجار الفنيقيين البرية كثيرة جدا خصوصا بداخل بلاد آسيا حيث كانت قوافلهم ترحل اليها فتأتى منها الى مين الكنعانيين البحرية بالبضائع الطبيعية او الصناعية التى كانت سفنهم تأتى بها من صنايع البلاد المغربية وتنشرها بدلا عنها فى تلك الاقطار الآسية و كان لسير قوافلهم التجارية هذه فى داخل الاقطار الآسيه ثلاثة دروب اصلية فكانوا يخترقون (اولا) صحارى بلاد العرب ويذهبون الى بلاد اليمن حيث يجدون هناك السفن الواردة من بلاد الهند ترسو على سواحل تلك الجهات وكانوا يسافرون من طريق آخر ايضا فيذهبون من بلاد (آرام) (وهى بلاد الشام) ويمرون ببلاد الجزيرة الفراتية حتى يصلوا من تلك الطريق الى بلاد الاسورية وبابل و من ثم يأخذون فى مبدأ طريق تجارية أخرى تمر بخلال بلاد الميدية وفارس و بلاد (اريان) حتى يصلوا بطريق البر الى بلاد الهند وكان لقوافلهم طريق ثالث يسافرون منه الى بلاد الارمن ومنها الى الاقاليم الكائنة فى سفح جبال (قوقازة) فيجلبون منها ما كانت تلك الاقطار مشهورة به من قديم تلك الاعصار من المعادن والمصنوعات المعدنيه

مطلب —— ذكر ما كانت قد أشتهرت به مدن الفنيقيين من الغنى والثروة وكثرة الاموال —— وقد كانت جميع هذه المتاجر المتنوعة باستمرارها فى القوم الفنيقيين المذكورين مدة عديدة من القرون براو بحرا قد تراكم منها فى المدن الفنيقية اموال جسيمة وخيرات عظيمة جدا فكانت كثرة تلك الاموال هى السبب الموجب لكون تلك المدن قد سقطت الى اسوأ حال اذ كانت هى التى هيجت اطماع الملوك الاسوريين والكلدانيين اليها

اليها وكانت ايضا هى السبب فى ان اهالى تلك المدن قد غلب عليهم من غاية ارتكاب الرذائل والفواحش ونهاية فساد الاخلاق ما يؤدى دائما الى تطرق يد الغلبة والفتح من الامم الاغراب الى كل امة كانت بهذه الحالة الذميمة ودليل ذلك ما ورد فى نصوص التوراة من ان احد انبياء بنى اسرائيل المسمى باسم (حزقيل) صاح على الصوريين بما معناه بالعربية هكذا (قد كنتم فى لذات جنة الرب وكانت ملابسكم محلاة بسائر انواع الجواهر والاحجار النفيسة وكان يبرق عليها فى جنب الذهب حجر الظفر والياقوت الاصفر واليشم والزبرجد او الجزع والياقوت الازرق والبهرمان (او الياقوت الاحمرى) والزمرد وتضرب بين ايديكم الطبول والمزامير . . . . غير انكم قد تدنستم بكثرة مظالمكم ومظالم تجارتكم ولذلك اردت ان اخرج من بينكم نارا قد اكلتكم واصارتكم الى رماد (انتهى ما نقل من التوراة)

مطلب ــــ ذكر ما كان قد حصل من الفنيقيين فى سالف الاعصار من توطين النزائل الاستعمارية فى كثير من الاقطار ــــ وقد كان الفنيقيون لاجل تسهيل متاجرهم وتأسيسها على اقوى قدم من الثبات والامان ينشئون مناقد صيرفية مستمرة ومعامل تجارية دائمة مستقرة فى سائر الاماكن التى اعتادت سفنهم وتجارهم على التردد عليها من قبيل ما هو حاصل فى عصرنا هذا على سواحل افريقية وما انبنى عليه فى اول الامر تأسيس عمارات الاستيطانات الاوروبية بالاقطار الهندية وقد ذكرنا من ذلك على ترتيب تواريخ سلسلة النزائل الاستعمارية وجملة المعامل التجارية الاصلية التى كانت متصلة للفنيقيين من غير انقطاع على سائر سواحل البحر الابيض المتوسط (بحر سفيد) لغاية المكان المعروف عند السلف باسم (عمودى هرقول) (وهو المعروف الآن ببوغاز جبل طارق) غير انها كان اكثرها عبارة عن مناقد تجارية لا نزائل استعمارية حقيقية ولم يعهد لبنى كنعان انهم هموا بانشاء نزائل استعمارية حقيقية اعنى اماكن زراعية تشتمل على متسع عظيم من الارض انزلوا فيه سكانا فلاحين لقصد حراثة الارض وكان لهم ولاية الامر عليهم غير دفعتين اثنتين فقط (احداهما) نزلة ولاية (بيوتيا) ببلاد اليونان حيث اختطوا هنالك مدينة (طيبة) و (الثانية) نزلة (افريقية) التى كانت قد نشأت منها بتلك الاقطار الامة المعروفة عند السلف بالامة الليبية الفنيقية وفيما عدا هاتين النزلتين المذكورتين لم تكن سائر النزلات الاستعمارية التى انشأها الفنيقيون فى عصر بلوغهم لاعلى درجة من الفلاح والنجاح اعنى فى الوقت الذى كان بيدهم احتكار المعاملات التجارية البحرية فى سالف تلك الحقب الدهرية دون غيرهم من الامم الا عبارة عن مجرد مناقد تجارية فقط

مطلب — ذكر ما حصل من تأثير النزائل الفنيقية على احوال سائر الامم الذين كانت قد تأسست عندهم — وكانت جميع هذه المناقد التجارية قد نتج عنها تأثير عظيم جدا على احوال البلاد التى كانت قد تأسست فيها وكل منقد منها صار مركزا لاختلاط حاضرة عظيمة حدثت حوله فى تلك الدنيا القديمة وذلك ان اهالى كل بقعة من تلك البقاع البلديين وسكانها الاصليين كانوا فى تلك الاعصار اقواما متوحشين وامما بدويين فكانوا يأتون من كل جانب ويجتمعون حول كل مكان فيه عمالة تجارية من العمالات الفنيقية المذكورة وينجذبون اليها بجاذبية ما يجدونه عندها من الفوائد المعاشية ويغترون خصوصا بما يجدونه حولها من اسباب المعيشة الحضرية ولذلك كانت جميع تلك المناقد التجارية مراكز ذات حركة ونشاط لانتشار اسباب التمدن المادية وبالضرورة متى اختلطت امة متوحشة مع نشاط الحركة والاستمرار بامة متمدنة فلا تلبث ان تتعود بعوائدها وتتخلق باخلاقها وطباعها فى اقرب وقت خصوصا اذا كان الامم المتوحشون المخالطون للامم المتمدنين اقواما أولى فهم وفطانة وانسالا من الامم مستعدين للتقدم فى طريق التمدن والعمران كما كان ذلك هو شأن الامم الاوروباويين فى كل زمان وبذلك تحدث فى الامة المتوحشة حاجات جديدة وضرورات شديدة تبعثها على ان ترغب وتتطلب مع الشراهة حواصل صناعة الامة المتمدنة التى تجتلبها اليها حيث يظهر لها فيها من دقيق الصنعة وجديد البدعة مالم يكن يخطر لها على بال من قبل ثم لا تتأخر ان يحدث فيها التشوق لأن تقف على اسرار اصطناعها وتعرف طرائق عملها وابتداعها فتجتهد بنفسها فى ان تستخرج المنافع اللازمة من ذات موارد ارضها بدلا عن ان تسلمها الا يادى الامم الاغراب فيستفيدون منها وينتفعون بها دونهم

ومن المعلوم ان ديار مصر وبلاد الاسورية قد كانا فى ذلك العصر هما أول مركز نقطة التمدن والحضارة وأول منشأ التقدم فى العمارة وقد كان الكنعانيون بالنسبة اليهم فى ذلك العصر بمنزلة السفراء المرسلين والدعاة العاملين فكانت لا توجد بلدة من الاقطار السواحلية من أول جزائر بلاد اليونان الى حد جبل الطارق (ببلاد اسبانيا) فى مبادى تلك الاعصار التى لم يكن يتضح فيها تمام الوضوح ما كان حاصلا فيها من حسن تأثير تلك الاسفار البحرية غير انه كان أشير اليها فى خرافات اليونان بما يعبر فيها عندهم باسفار البطل (هرقول) الذى هو المعبود الاهلى والاله الملى لاهالى مدينة (صور) الا وقد اقتبست أشياء من انوار تمدن الفنيقيين وتعلمت منهم جزءا من علوم هؤلاء القوم المتمدنين وبواسطة تأثيرهم عليهم ونتيجة انتشار اعمالهم فيهم كانت بلاد اليونان وايطاليا وبلاد (الغولة) (بلاد فرانسا)

واسبانيا

واسبانيا كل تلك البلاد فى مبادى خروجها من الحالة التوحشية متخلقة باخلاق الامم الاسيين ومتعودة بعوايد الملل المشرقيين واقاموا على تلك الحال مدة من السنين حتى جاء الوقت الذى كان فيه سكان تلك الاقطار الاوروباوية قد احسوا بانهم قد تقدموا فى طريق التمدن والعمران الى درجة عظيمة بحيث يمكنهم بواسطة اقتراح قرائحهم الشخصية واغتذائهم من لبان تلك التربية الاجنبية ان ينزعوا اقطتها ويخلعوا البستها ويظهروا بمظهر حالة تمدنيه وكيفية عمرانية يظهر عليها طابع هيئة خاصة بهم ولقد صدق من قال فى هذا المقام ولو بالغ ما بلغ قوله من درجة الغلو والايغال وبالغ فى المقال بما كان للفنيقيين على سائر الامم السالفين من فضل وظيفة التعليم وما كان لهم من الحظ العظيم فى ارشاد اقدام نوع الانسان فى اول عصر طفوليته الى طريق التمدن والعمران فانهم هم الذين كانوا اول من نشر بالخصوص فى سائر الاقطار والجهات بدعة الكتابة الهجائية التى هى اعظم الابتداعات البشرية وانفع الاختراعات الانسانية وكانوا قد بلغوها الى درجة كمال بحيث يصح ان يقال انهم لها هم المخترعون الحقيقيون وذلك ان جميع انواع حروف الهجا التى تكتب بها جميع الامم فى سائر اقطار الدنيا بتمامها انما هى مأخوذة من الحروف التى كان يكتب بها الفنيقيون وهى اثنان وعشرون حرفا اصلية وسائر حروف غيرهم من الامم ترجع اليها وتنبنى عليها مع بعض حروف اخرى هى بينها واسطة ولكنها متولدة عنها بكيفية توليد يمكن تصورها بطريقة محققة .

وقد كان فن الفنيقيين يأخذ من فن المصريين وفن الاسوريين معا فكان عبارة عن توفيق اشكال فنى الامتين المذكورتين وتطبيق اصول الصناعتين السابقتين وصار له كذلك تأثير عظيم وعمل جسيم على فن اليونان

مطلب — ذكر ديانة الفنيقيين وما كانوا يعبدونه من الاصنام المعبودين — وقد كانت ديانة الفنيقيين قريبة جدا من ديانة الاسوريين والبابليين وكانت آلهتهم الاصليون ومعبوداتهم الاهليون عبارة عن ذاتين اصليتين (احداهما) ذكر كان يسمى عندهم باسم (بعل) وكانوا يعبدونه على صور مختلفة كثيرة ويدعونه باسماء متنوعة عديدة فكانوا يعبدونه فى مدينة (صور) باسم (ميليكارت) وفى مدينة (الجبل) باسم (آدونيس) وفى سائر الجهات الاخرى من بلادهم باسم (مولوخ) او (مولوك) و(الثانى) انثى ويسمونها باسم (استرته) وهى التى منها تولدت الالهة المعبودة عند اليونان باسم (الزهرة) التى كانت تعبد بمدينة (بافوس) بجزيرة (قبرص) وقد كانت صورة عبادتهم لهذه الاصنام المعبودة لهم تشتمل على أعمال تعبدية من أرذل ما يكون وافعال تنسكية من اقبح ما يخل بمكارم الاخلاق كما كان الحال كذلك بمدينة (بابل) ولكن كانت تختص

عبادة الكنعانيين بالخصوص بما كان منطبعا فيها من طابع القساوة والجبر الذى كان يظهر على قواعد اعمالهم التعبدية ولم توجد أمة من الامم السالفين تقرب منهم فيما كانوا يعملونه على حسب ما كانوا يزعمونه تقربا لاصنامهم من الاعمال التنسكية المشتملة على سفك الدماء البشرية وتعاطى الفواحش الدنيئة قال المؤرخ (كروزير) المشهور مانصه (معربا) ان الفزع قد كان هو الاساس الاصلى والباعث القوى الاولى لديانة القوم الفنيقيين وكان دينهم دائما شديدا الظمأ لسفك الدماء محاطا باظلم ظلمات التخيلات السوداء (اه) وفى الواقع ونفس الامر من تأمل فيما كان الفنيقيون يلتزمونه فى تنسكاتهم الدينية من انواع الصوم والاحتماء عن تعاطى بعض المواد الغذائية وما كانوا يفعلونه باجسامهم من انواع العذاب الاختيارية ولاسيما ما كانوا يتجاسرون عليه من التقربات القبيحة بقتل النفوس البشرية التى كانوا يعتقدون وجوبها على الاحياء تعبدا لاصنامهم المعبودة لهم لايستغرب من كون امواتهم كانوا اولى بان يحسدوا على الممات من احيائهم على الحياة ولقد كان من اصول دينهم ان ينتهك اشد الاحساسات الطبيعية حرمة ويحط مرتبة الارواح البشرية الى ادنى الدرجات الدنيئة باوهام فاسدة وافهام كاذبة من افحش الفواحش وافسق انواع الفسق الفاحش وينتهى حال المتأمل فى أحوال تعبداتهم هذه الى ان يقول ياهل ترى ماذا كان يترتب على ذلك من سوء العواقب الاخلاقية على اخلاق الامة الفنيقية قال المؤرخ المروى عنه اعلاه بعد ذلك مامعناه وكان ابشع جميع التنسكات التعبدية واشنع الاعمال التنسكية فى ديانة الامة الفنيقية هو ما كانوا يعملونه من التقرب لمعبودهم المدعو باسم (بعل مولوخ) بحرق اولادهم وهم على قيد الحياة بفعل ذات والديهم أملا لاعتقاد الحاقهم بالحضرة الالهية المعبودة لهم اولقصد اطفاء نار غضبها عليهم (اه) وكان الفنيقيون قد نقلوا معهم تلك العادة الشنيعة الى سائر النزلات الاستعمارية التى كانوا قد احدثوها فى سائر الاقطار التى نزلوا فيها ولاسيما بنزلة (قرطاجنة) اذ كانت قد بلغ فيها هذا الامر الدينى الى ان صار من جملة الترتيبات الدولية الاصلية والشعائر السياسية الملية

ومن المعلوم بالضرورة ان دين كل امة وخصوصا كيفية اعمالهم التعبدية لابد وان يكون عليه طابع قريحتهم الخاصة بهم ولذلك كان ما نقل الينا عن السلف من وصف اخلاق الفنيقيين ليس مما يمدح فقد روى لنا انهم كانوا قوما اولى جبر وقسارة ودناءة نفس وكآبة واناسا فاسقين سفاكين للدماء يتحكم فيهم حب النفس وشدة الاطماع لارحمة فى قلوبهم ولا يفون بعهودهم والظاهر ان روح ديانتهم بانضمامه الى حالة وجودهم التى كانت محض تجارية وصناعية قد اجتمعا على ان اغلقا ابواب قلوبهم عن الشعور باحساسات الكرم والمروءة وعن ضرورة الترقى

الى

الى مرتبة اعلى من تلك المرتبة فانهم ولو بلغوا اما بلغوا من الحذق والمهارة واظهروا اما اظهروا من الاتقان والشطارة فى تحصيل الاشياء المادية قد كانوا فيما يتعلق بالمواد المعنوية والاشياء العقلية فى الحقيقة انما هم ذرارى ذلك النسل الملعون بالخصوص فيما يروى عن نوح عليه السلام انه دعا باللعنة العامة على ذرية ولده حام (انتهى هذا الباب معربا من مختصر الامم المشرقية والهند للمؤرخ فرنسيس لونورمان)



مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم فى هذا الباب السادس من الفوائد والافكار

١ — ما اصل مأخذ هذا الباب

مقدمه

٢ — ما اصل الفنيقيين
٣ — ما اصل الكنعانيين وما كيفية مهاجرتهم من الاوطان التى كانوا فيها فى اول الامر متوطنين
٤ — ما المراد من لفظ الفنيقية وما جغرافية ما كان يوجد فيها من المدن الاصلية

الفصل الاول

٥ — كيف كانت مبادى اخذ الصيداويين فى الاشتغال بالسفر فى البحر فى سالف العصر
٦ — ما تاريخ استيلاء الدولة المصرية على بلاد الفنيقية
٧ — كيف كانت حادثة توسع الصيداويين فى الاسفار البحرية بتلك الحقبة العصرية
٨ — كيف كان سفر الصيداويين فى بحار اليونان بتلك الازمان
٩ — كيف كانت تجارة الصيداويين فى بحر بنطش او بتنكسان
١٠ — ما تاريخ تجارة الصيداويين ببلاد افريقية
١١ — ما قصة اسفار الصيداويين بالبحر الاحمر
١٢ — ما اسباب انحطاط درجة فن البحرية عند الامة الصيداوية
١٣ — ما تاريخ غارة بنى اسرائيل على بلاد فلسطين
١٤ — ما قصة نزلة الفنيقيين فى ذلك الزمان بمدينة (طيبه) من بلاد اليونان
١٥ — ما قصة النزلات الفنيقية ببلاد افريقية
١٦ — ماذا يذكر عن القوم المعروفين عند السلف المتقدمين بالقوم الليبيين الفنيقيين
١٧ — ما تاريخ غارة القوم المعروفين عند السلف المتقدمين بالفلسطينيين وما قصة خراب مدينة صيدا بغارة هؤلاء القوم الصائلين

(الفصل

الفصل الثانى

١٨ — كيف كانت مبادى اخذ مدينة صور فى حيازة درجة الاعلوية على سائر المدن الفنيقية
١٩ — كيف كانت حادثة المحالفة الفنيقية وما كيفية هيئتهم الاجتماعية
٢٠ — ماقصة ماكان للفنيقيين من النزائل الاستعمارية والقبائل المتوطنة ببلاد افريقية وجزيرة صقلية وبلاد اسبانية
٢١ — ماقصة استيلاء الفنيقيين على اقليم (بيتيكة) ببلاد اسبانية
٢٢ — ماتاريخ جزيرة (مالطة) فى سالف الاعصار
٢٣ — ماتاريخ جزيرة (صقلية) فى سالف تلك الحقبة العصرية
٢٤ — ماتاريخ جزيرة (سردينيا)
٢٥ — ماقصة محالفة بنى اسرائيل مع مملكة صور وكيف كانت معاملة الملك (هرام) مع داود عليه السلام
٢٦ — ماقصة العمارات والاعمال النافعة التى انشأها الملك (هرام) الثانى بمدينة صور
٢٧ — كيف كانت علائق الملك (هرام) الثانى مع سليمان بن داود عليهما السلام
٢٨ — ماتاريخ من خلف الملك (هرام) الثانى على مملكة صور من الملوك الفنيقيين
٢٩ — ماتاريخ الملك المشهور باسم (بيجماليون) واخته (الياسار) او (ديدون)
٣٠ — ماقصة تأسيس مدينة (قرطاجة) على سواحل افريقية
٣١ — ماقصة استيلاء الملوك الاسوريين على بلاد الفنيقيين
٣٢ — ماقصة تخريب (بختنصر) المشهور لمدينة (صور)

الفصل الثالث

٣٣ — كيف كانت تجارة الفنيقيين البحرية
٣٤ — كيف كانت تجارة الفنيقيين البرية
٣٥ — ماذا يحكى عما كانت قد اشتهرت به المدن الفنيقية من كثرة الغنى والثروة ووفرة الامتعة المالية

٣٦ — كيف كانت نزلات الفنيقيين الاستعمارية

٣٧ — كيف كان تأثير تمدن النزائل الفنيقيين على سائر الامم المتقدمين وما حقيقة ما كان لهم من الصنايع والفنون

٣٨ — ما حقيقة ديانة الفنيقيين وما كيفية عبادتهم لاصنامهم المعبودين وماذا نقل عن السلف من صفة اخلاقهم التي كانوا بها مشهورين



الباب السابع

فى تاريخ السوريين والليديين وسكان بلاد آسيا الصغرى والارمن السالفين

(معربا من كتاب تاريخ بلاد المشرق القديم للمؤرخ (جيلمان)
وفيه عدة فصول

---

١٠ الفصل الاول

فى تاريخ بلاد سورية

ذكر جغرافية تلك البلدان واصل اهلها وما كانوا عليه من الاديان

مطلب — ذكر ما المراد من لفظ (سورية) فى هذا الباب من سالف الاحقاب وما اوضاعها الجغرافية وبيان اقسامها الطبيعية والسياسية — قال المؤرخ (جيلمان) فى كتاب تاريخ بلاد المشرق القديم ما تعريبه بعد حذف قوم ان المراد من بلاد (سورية) من سالف الاحقاب الدهرية هى البلاد المشمولة فيما بين ولاية (سيليسيا) (ولاية سيلفته وادنه) وبين بلاد (يهودا) (بلاد فلسطين الآن) والبحر الداخل فى البر (بحر الخزر) ونهر الفرات وحيث كانت تلك البلدان تخترقها عدة فروع من جبل (طوروس) (جبل كوزان) وجبل (امانوس) (جبل الماداغ) وجبال لبنان كانت تشتمل على اودية نزيهة وسهول خصبة كثيرة توجد دائما فى سفح تلك الجبال الكبيرة وذلك بخلاف نواحى الشرق منها حيث ترى صحارى قفرا وبوادى حفرا جفرا لانبات بها تمتد فيما بين نهر الفرات وشمال بلاد (سورية) المذكورة وليس فى تلك الاقطار من الانهار الاصلية غير نهر (الاورنط) (وهو المعروف بنهر العاصى الآن)

وكانت تنقسم تلك الاقطار بالقسمة الطبيعية الى قسمين عظيمين (احدهما) سورية العليا وهى الكائنة فى جهة الشمال (والثانية) كانت تعرف باسم (كوليسورية) ومعناها سورية الفارغة وهى الكائنة فى جهة الجنوب

واما اقسامها السياسية فقد كانت تختلف بحسب اختلاف الاعصار وفى عهد الدولة الرومانية كانت تنقسم على هذه الكيفية الآتية بعد وهى

(اولا) ولاية (الكوماچين) فى جهة الشمال وكانت قاعدتها مدنية (ساموزات) وهى موطن الفيلسوف الشهير باسم (لوسيانوس)

(ثانيا) ولاية (لاسيريستيك) الكائنة فى جنوب الولاية المذكورة قبلها وقاعدتها مدينة (هيرابوليس) بمعنى المدينة المقدسة وهى مدينة (بنبيج الآن) وقد كان فيها معبد شهير لصنمهم المسمى باسم (استرته) وكان فيها مدينة كبيرة اخرى تدعى باسم (زوجه) كان بها قنطرة مصطنعة من سفن على نهر الفرات تصلها بمدينة (آبامه) الكائنة على الجانب الآخر من النهر المذكور

(ثالثا) ولاية (البييريه) فى جهة الغرب وهى مصاقبة من جهة الشمال لولاية (سيليسيا) المذكورة اولا وكانت مدينتها الاصلية تدعى باسم (ميريانذروس) واصل عمارتها من نزلة فنيقية قديمة كانت قد نزلت على القرب من مضائق جبال (سيلسيا) و (ايسوس) (اواجاسيوم)

(رابعا) ولاية (سيلوسية) على القرب من البحر الملح (البحر المتوسط الابيض او بحر سفيد) وكان بها قلعة حصينة تدعى بقلعة (سيلوسيه)

(خامسا) ولاية (كالسيديس) على الشرق من الولاية المذكورة قبلها وكانت قاعدتها مدينة (كالسيس) فاشتق اسمها منها

(سادسا) ولاية (شاليبونتيد) وهى على اقصى من الولاية المذكورة قبلها الى جهة الشرق تصل الى نهر الفرات بواسطة الصحراء حيث يوجد المكان المسمى باسم (تبساك) وكان اكثر عبور المسافرين على نهر الفرات فى تلك الازمان من ذلك المكان

(سابعا) ولاية (البلميرين) وهى عبارة عن واحة فى وسط الصحارى كانت توجد فيها مدينة (پلمير) (وهى مدينة تدمر المشهوره)

(ثامنا) ولاية (كوليسورية) فى جهة الجنوب بوادى نهر العاصى بين سلسلة جبال لبنان الاصلية وسلسلة جبال لبنان الموازية لها وكانت قاعدتها من سالف الزمان هى مدينة

(دمشق) الكائنة على النهر المسمى باسم (كريزورواس) (وهو المعروف بنهر دمشق الآن) وهو يتوزع الى عدة جداول اوغدران صغيرة كثيرة تروى ضواحى تلك المدينة الشهيرة وهى كائنة فى وسط وادنزيه جميل جدا وقد كان فى تلك الولاية ايضا مدينة (هيليوبوليس) المسماة باسم بعلبك الآن وكان بها فى سالف الزمان معبد بديع الصنع والبنيان لعبادة الشمس (وهى ما كان يدعى عندهم باسم (بعل) فى قديم الزمان) لم يزل يتردد عليه السواحون يتفرجون على هيئة بعض الآثار الباقية منه لغاية الآن وتلك الاطلال كائنة على متسع من الارض تبلغ مساحته من اربعة كيلومترات الى خمسة من آثار عمارات عهد الدولة الرومانية والاغلب على الظن انها من عهد قيصر الروم المسمى (انطونينوس) التقى واما آثار مدينة تدمر الشهيرة فانها من حيث مجموعها هى اعظم شأنا واهول واجسم بنيانا واجل غير انها من حيث بعض تفاصيل ودقائق هى دون اطلال هيكل الشمس المذكور قبل

(تاسعا) ولاية (لاوديسينيه) على حدود بلاد الفنيقية وقاعدتها مدينة (لاوديسه)

(عاشرا) ولاية (آباميئيه) على شمال الولاية المذكورة قبلها وقاعدتها مدينة (آبامه) وكانت قلعة حصينة عظيمة كائنة فى قطر ذى خصوبة جسيمة ومن مدن هذه الولاية ايضا مدينة (حمص) وقد كانت مشهورة من سالف تلك الازمان بما كان يوجد فيها من هيكل للصنم المشهور باسم (بعل) وكذلك مدينة (حماه) وكانت تدعى ايضا باسم (ابيفانيا) واخر اقسام بلاد سورية السياسية الولاية المسماة فى تلك الاعصار باسم (كاسيوتيد) فى جهة الغرب على سواحل البحر الابيض المتوسط وكانت قاعدتها مدينة (انطاكية) وموقعها فى وسط سهل خصب جدا على شواطئ نهر العاصى وعلى البعد منها بمسافة قليلة غابة اشجار من الغار (اوالدفلى) والسرو تلى قرية كبيرة هناك كانت تعرف باسم (دفنه) مشهورة بما كان يوجد فيها من هيكل الصنمين المعروفين عند اليونان باسمى (ابو اللون) و (ديانه) ومن مدن هذه الولاية الاخيرة ايضا المدينة التى كانت تسمى فى تلك الاعصار باسم (لاوديسة) وهى المعروفة باسم (لاطاخيه) الآن

مطلب ذكر اصل السوريين واحوال سكان بلاد الشام السالفين — وقد كان اصل السوريين من نسل (آرام) خامس ابناء سام بن نوح عليه السلام ولذلك قد يعبر عنهم بالآراميين وقد يعبر عن بلاد سورية ايضا كما فى التوراة ببلاد (آرام) وحينئذ فقد كانوا هم الاقارب الاقربون للقبائل السامية التى كانت تحيط ببلادهم غير انهم لما كانت

مواطنهم على ارض خصبة واقطار متسعة غير جدبة لم يضطر والليحل والارتحال ولم يكونوا قبائل اولى انجاع وانتقال كاخوانهم العرب ولا اقواما بحارة كما قد كان ذلك شأن القوم الفنيقيين بل كانوا قوما اهل فلاحة وتجارة وذلك انهم كانوا فى ذلك العصر من جهة مصاقبين انهر الفرات ومن اخرى على سواحل البحر الملح فكان هاتان الجهتان بابين مفتوحين لهما ينتفعان بهما وطريقين متسعين يرتعان للاستفادة منهما وكانت القوافل التجارية التى تجلب البضائع المشرقية الى بلاد الفنيقية تمر بالضرورة فى خلال بلادهم فتدعو سكان الاقطار السورية للمشاركة فى اسفارهم البرية حيث كانوا يكسبون معهم منها ويقتسمون ما ينتج من الارباح عنها

مطلب ذكر ديانة السوريين وما كان لهم فى الاعصار السالفة من الاصنام المعبودين

— واما ديانة السوريين السالفين فقد كانت نظيرة من عدة وجوه كثيرة لاديان الامم الذين كانوا لهم مجاورين فكانوا يعبدون الصنم المشهور باسم (بعل) و يعتقدون انه هو ربهم الاعلى وهو عين الصنم الذى كان يعبده جيرانهم الكلدانيون مع تحريف خفيف فى اسمه وكان فى نظر عامتهم هو ذات الشمس اوكوكب المشترى اوغير ذلك من الكواكب السيارة والظاهر انهم كانوا يعبدون ايضا القمر باسم (بعل جاد) وقد كان من معبودات بلاد سورية الاهلية المعبودة المسماة باسم (آتار جاتيس) او (ديرسو) وكان التعبد لها فى الاكثر بمدينة (بنبيس) ولا شك انها فى الاصل كانت تختلط بمعبودة القوم الفنيقيين المسماة ايضا باسم (ديرستو) وهى فى اعتقادهم عبارة عن الهة نصفها امرأة ونصفها سمكة كان لها معابد متعددة بمدينة (يوبة) و(عسقلان) و(ازوت) وكان لكيفية عبادتها فى تلك الاماكن مشابهة كبيرة مع كيفية عبادة الالهة المسماة باسم (سيبيله) التى كانت تعبد كذلك باقليم (افريجيا) (ببلاد آسيا الصغرى) حتى انتهى الحال باتحاد كل من الصنمين المذكورين وجعلهما الها واحدا وكان كل من طائفتى قسسهما فى ايام مواسمها الدينية ينهمكون على انواع وحشية من الرقص على نغم المزامير والطبول ويجلدون انفسهم بالسياط حتى يبرز الدم من ابدانهم و يقطعون اطرافهم فى احوال جنونية واعمال سرسامية يعملونها فى تلك المواسم الدينية ومن اخص الاعمال التدينية الخاصة باديان السوريين السالفين انهم كانوا يمتنعون من اكل السمك ويحترمون الحمام وأما ما كان يوجد فى بلاد الفنيقيين من عوايد التقرب لالهتهم باسالة الدماء والاعمال المحزنة والتنسك بانواع الفواحش المسترذلة وخلط انواع العذاب الاليم

بقضاء الشهوات الجسمانية فقد كان ذلك يوجد ايضا عند كثير من الامم المتوطنين ببلاد آسيا الغربية

ذكر ممالك سورية المستقلة

مطلب —— ذكر اصل منشأ الدول والممالك ببلاد سورية من أوائل تلك الاحقاب الدهرية —— قد كان السوريون فى أول الامر منقسمين الى عدة قبائل لكل قبيلة شيخ أو رئيس مخصوص يقوم بولاية امرها على وجه الاستبداد والاستقلال ثم تقوى بعض تلك القبائل على بعض وتعالى امرهم على غيرهم فتغلبوا على القبائل المجاورة لهم وادخلوهم تحت طاعتهم وصار لهم الدولة على تلك القبائل المستضعفة بعد ان كانت كل واحدة منها مستقلة ومن ثم نشأ فى بلاد سورية عدة ممالك أو دول صغيرة لا تعلم لاهل التاريخ الا بذكرها فى الكتب المنزلة ولم يقف احد من العلماء بالتواريخ القديمة على حقيقة المواقع الجغرافية التى كانت لكل واحدة من تلك الممالك الكثيرة وهى مملكة (سويا) ومملكة (حماه) ومملكة (ارپاد) ومملكة (معاشة) ومملكة (جاسور) ومملكة (روهوب) ومملكة (دمشق) ولم يعلم لجميع هذه الممالك والدول السورية حقيقة احوال تاريخية لغاية ان خرج بنو اسرائيل من بلاد (فلسطين) فى عهد كل من الملك (شاول) والملك النبى (داود) عليه السلام حيث كان قد صار بنو اسرائيل فى ذلك الجيل قوما اهل جهاد فتوجهوا لقتال اهل تلك البلاد وتلاقوا مع بعض ملوك الاقوام السوريين فذكر فى سفر (صموئيل) من التوراة ان (شاول) حارب ملوك (سوبا) وكان الملك (حدادعزر) معاصرا لداود عليه السلام فاراد هذا الملك السورى ان يفعل ببلاد (سورية) كما فعل ملوك بنى اسرائيل ببلاد يهودا اعنى انه يجمع سائر القبائل السوريين المتفرقين ويجعلهم عصبة واحدة ودولة متحدة مركبة من جميع القوى الملية والجنود الاهلية لقصد منع تقدم ما كان قد حصل من الشروع فيه من افتتاح تلك البلاد بجهاد الاسرائيليين فلم يتم له ذلك المرام بل كان داود عليه السلام قد توجه اليه فهزمه كل الانهزام وكان قد رغب فى المحالفة مع ملك بنى اسرائيل عدة رؤساء صغيرين من ملوك الطوائف السوريين واراد اهل مملكة (دمشق) ان يأخذوا بثار ما حصل من الانهزام للملك السوريين المذكور فانتدب لهم داود عليه السلام وشتت جموعهم وهزمهم شر هزيمة واضطروا الى الامتثال له والدخول تحت طاعته واجبر هؤلاء الاقوام السوريين على دفع خراج الى دولة بنى اسرائيل بمدينة (اورشليم) (بيت المقدس)

مطلب ـــ ذكر حروب الملوك السور يين مع بنى اسرائيل ـــ ومما علم من التوراة أيضا انه كان قدهم هؤلاء الاقوام السوريون مرة أخرى بحرب جديدة على بنى اسرائيل أرادوا أن ينتهزوا فيها فرصة قيام القوم العمونيين على الاسرائيليين فخاب كذلك أملهم ولم ينجح عملهم ومع كون ملكهم المدعو باسم (حدادعزير) المذكور آنفا قد استعان على بنى اسرائيل فى هذه الحرب بسائر القبائل السوريين المتوطنين بالجانب الايسر من نهر الفرات هلك منهم فيها ٤٠٠٠٠ رجل فى سهل (هيلام) حيث كانت واقعة تلك الحرب ومن وقت آن سقط القوم السوريون فى هذه الواقعة لم يؤثر ملكهم هذا ذكر بل كان قد ظهر رجل آخر من جملة خدمه يقال له (ريزون) فلم يرض بهذه الهزيمة وكان قد احدث له مملكة بمدينة (دمشق) وجاء احد خلفائه عليها وكان معاصر الملك يهودا المدعو باسم (آفيا) بن (رحبعم) بن سليمان عليه السلام فمد حدود مملكة (دمشق) على اكثر بلاد سورية

وبينما كانت هذه الدولة ذات الشوكة القوية قد تأسست ببلاد سورية كانت دولة العبرانيين قد سقطت فى حالة الاضمحلال بما كان قد اعتراها فى ذلك العصر من الفشل والاختلال فجاء صاحب مملكة (دمشق) هذه المدعو باسم (ابن حدادالاول) وانتهز فرصة ما كان واقعا فى اسباط بنى اسرائيل من التفرق والشقاق واجبر ملكى دولتى (يهودا) وبنى اسرائيل المتخاصمين على ان يشتريا منه مزية محالفته معهما باغلى الاثمان وقام ملك دولة يهودا المسمى باسم (آسا) فسلم اليه سائر خزائن بيت المقدس وصار عضدا مساعدا له على دولة بنى اسرائيل الاخرى وقام السوريون فسلبوها ونهبوها واتلفوا حالها واخربوها واستولوا منها على عدة مدن واجبروا الملك (عمرى) على ان يأذن للتجار السوريين فى ان يدخلوا مع غاية اطلاق العنان والحرية فى مدينة (سمرية) و يبنوا بها ديارا اليهم يوافيها وجاء الملك (ابن حدادالثانى) ولد (ابن حدادالاول) وخليفته على سرير مملكة (دمشق) فى نحو (سنة ٩٠١ ق م) فاراد ان يزيل مملكة بنى اسرائيل بالكلية وحضر امام مدينة (سمرية) يتبعه ٣٢ ملكا أو رئيس قبيلة من طوائف السوريين ووضع عليها الحصار غير انه تحكم الفشل والاختلال فى معسكره فاضطر للفرار مع العار والشنار وذكر بالتوراة أيضا انه كانت قد توجهت بعد ذلك غارة اخرى من السوريين على بلاد الاسرائيليين فترتب عليها وقوع واقعة حربية قتل فيها كما قيل ١٠٠٠٠٠ رجل من السوريين وكان قد امكن للملك (احؤب) ان يأسر ملك (دمشق) فى هذه الواقعة

ويقتلهم

ويقتله لكنه اختار ان يبقى عليه ويعقد معه عهد محالفة ولا شك فى ان واقعة نصره عليه لم تكن تامة كما ذكر حيث لم تلبث الحرب ان قامت على ساقها بينهما بالثانى ووقعت بينهما واقعة حربية اخرى قتل فيها (احوب) مع انه كان قد انضم للملك (يهوشافاط) ملك يهودا فاعانه عليه وخلف (احوب) على سرير مملكة بنى اسرائيل ولده (يهورام) فشن عليه الغارة بمدينة (سمرية) ملك دمشق وحصره فيها اضيق الحصر حتى اصاب تلك المدينة اشق المجاعة والكرب ولم ينقذها من غائلة تضييق الجنود الآراميين عليها غير حالة فزع قامت بهم وتمكنت منهم ثم كانت عاقبة الملك (ابن حداد) هذا ان قام عليه بعد ذلك بقليل رجل من قواد عسكره يقال له (هازاييل) وخنقه ومع ما حصل فى مدة عهد الملك (ابن حداد الثانى) المذكور من بعض مصائب الدهور فقد كان لمدة تملكه على مملكة دمشق من البهجة والظهور ما بعث الاقوام السوريين على ان اتخذوه آلها لهم بعد موته وعبدوه

واما القائد (هازاييل) فانهم بعد ان قلدوه بمملكة دمشق وعلى منصب الملك اقروه قد كان اخذ منه الاسرائيليون فى اول امره مدينة (راموت) ببلاد (جلعاد) او (شالاد) (وهى البلاد الكائنة على شرقى الجبال الواقعة على نهاية حوض نهر الاردن الاسفل) ثم حارب الملك (ياهو) وابنه (يهوياحاز) فظفر بهما وغلبهما واخرب عليهما مملكة بنى اسرائيل اشد الخراب والتفت بعد ذلك الى محاربة الملك (يؤاش) ملك يهودا فشن الغارة عليه واجبره على ان يفتدى مدينة القدس منه بتسليم جميع ما فى خزائن البيت المقدس من الاموال والامتعة النفيسة اليه وبعد ان قتل الملك (يؤاش) الحبر الاكبر (زكريا) بسنة واحدة كان الملك (هازاييل) ملك دمشق المذكور قد عاد الى مدينة بيت المقدس بالثانى وانتزعها من يد بنى اسرائيل واباحها للسلب والنهب ولم ينقذهم الله سبحانه وتعالى من شدة هذا الكرب الا بموت عدوهم هذا الشديد الصعب

مطلب ـــ ذكر زوال دولة السوريين وانضمامها الى دولة الاسوريين ـــ

وخلفه على سرير مملكة الآراميين ابن له يدعى ايضا باسم (ابن حداد) فاسترد بنو اسرائيل منه سائر القلاع والحصون والمدن التى كان ابوه قد اخذها منهم بل يظهر ان (يربعم) الثانى ابن (يؤاش) ملك بنى اسرائيل كان قد استولى على مدينة (دمشق) والحقها بدولة العبرانيين فى ذلك الجيل وذلك ان حين انصباب المصائب على رؤس السوريين كان قد حان أوان زوال دولتهم كان قد آن وكان قد ظهر فى بلاد المشرق فى ذلك الزمان دولة ذات

شوكة قوية كانت قد اخذت فى ان تدخل تحت طاعتها سائر الامم الآراميين كما ادخلت كذلك تحت ربقة سلطنتها بنى اسرائيل والفنيقيين (وهى دولة القوم الاسوريين) وكان آخر ملوك دمشق المدعو باسم (رزان) اراد ان يتدارك هذا الخطر بان يتعصب مع ملكى يهودا و بنى اسرائيل على دفع غائلة هذا الامر فاجابه لذلك الملك (فاقح) صاحب مملكة بنى اسرائيل وامتنع (آحز) بن (يوثم) ملك يهودا ولما أغار على مملكته كل من صاحب مملكة بنى اسرائيل وملك (دمشق) معا التمس الامداد عليهما من الملك (تجلاتفلسر) ملك الاسوريين فبادر ملك (نينوى) هذا باجابة دعاه وحضر بجنوده (اولا) امام مدينة (دمشق) ووضع الحصار حواليها فأخذها واستولى عليها وقتل (رزان) المذكور وانتزع جملة نفوس من اهلها واجلاهم الى شواطئ نهر (قيروس) (وهو نهر يصب فى نهر العاصى) وانزل بدلا عنهم فى بلاد سورية نزائل استعمارية من الاقوام الاسوريين ووضع بها جنود المحافظين وعم الامن طرفه ومن ذلك الوقت صارت بلاد سورية كلها ولاية تابعة للدولة الاسورية ولم يترتب على انحطاط مدينة (نينوى) فائدة ما للاقوام السوريين بل كانت دولة الفراعنة المصريين قد توجهت اليهم بالتهديد وبانتقال الدولة العراقية القديمة الى مدينة بابل تعدت صولتها كذلك اليهم ونزلت الجنود الكلدانية عليهم فهزمتهم مع العبرانيين فى واقعة (ماجدو) وتتبعت فرعون مصر فهزمته ايضا فى واقعة (قرقازيا) او (فرقيش) واجبرته على ان يفر الى ديار مصر ومن ذلك العهد صار السوريون غنيمة باردة ولقمة حاضرة محضرة لكل من جاء فاستولى على بلاد آسيا من الملوك الفاتحين فى كل عصر كبختنصر وكيرش والاسكندر وغاية ما هنالك انه فيما بعد ذلك من الزمن كانت قد حدثت ببلاد سورية دولة جديدة تعرف فى التواريخ القديمة بدولة (السيلوسية) او (السيلوقية) وفى تلك القرون الاخيرة لغاية عهد السلطنة الرومانية كانت مدينة (بلمير) او (تدمر) التى هى مدينة سليمان عليه السلام القديمة لم تزل ظاهرة فى اقصى درجة ابهتها باهرة بابهى حلل بهجتها

الفصل الثانى

فى تاريخ بلاد آسيا الصغرى

مطلب ـــــ ذكر ما المراد من لفظة (آسيا الصغرى) وما اوصافها الجغرافية

ـــ المراد

ـــــ المراد من قولهم (آسيا الصغرى) هو هذه الجهة جزيرة البارزة فى البحر الابيض المتوسط (بحر سفيد) على هيئة رأس عظيم جدا من الارض القارة التى يطلق على سائرها اسم (آسيا) على وجه الاطلاق فهى الجزء البارز من ذلك البر فيما بين بحر بنطش او بنتكسان وبحر جزيرة (قبرص) على وجه بحيث يدفع امامه امواج بحر الارخبيل (او بحر جزائر الروم) وسواحلها الجنوبية مستورة بجبال شامخة من ضمن سلسلة جبال (كوران) لم تزل فى كل عصر من الاعصار مأوى لامم غير مضبوطين واقوام بروابط قوانين الملل غير مربوطين فهم دائما مستعدون للنزول على البحر وعلى السهول الكائنة تحت ارجلهم ينتهبون التجار المسافرين ويستلبون اموال الاقوام الفلاحين ويتكون من هذا القطر الكثير الجبال من المشرق الى المغرب كل من الاقاليم التى كانت تعرف عند السلف بهذه الاسماء القديمة وهى (كاريا) و (ليسيا) و (بنفيليا) و (سيليسيا) وهذه الاقاليم تنحرف الى جهة الجنوب نحو البحر ثم (ابسيديا) و (ايزوريا) و (ليكاوونيا) وهذه الاقاليم تنزل الى جهة الشمال من اعلى الجبال الى داخل تلك البلاد وعلى الغرب من آسيا الصغرى المذكورة كل من ممالك (تروادة) و (ميزيا) و (ليزيا) و (ايوليده) و (يونيا) وهى بلاد اليونان الكائنة بسواحل (آسيا) و (دوريدة) وكل هذه الاقاليم كائنة على ساحل من البحر كثير الهضبات والوهاد جدا تخترقها عدة مجار من المياه تكسب تلك الارض خصوبية عظيمة ولا يوجد فى البحر امام الساحل الجنوبى منها غير جزيرتين عظيمتين وهما جزيرتا (رودس) و (قبرص) واما فى داخل البحر من الساحل الغربى فيشاهد عدة عديدة وسلسلة مديدة من جزائر جميلة وهى جزائر (لمنوس) و (لسبوس) و (شيو) و (ساموس) و (كوس) وجزائر (اسبورادة) ولم تزل تلك الجزائر كلها من قديم الزمان معمورة بالناس الذين فيها يأوون وملجأ للتجار الذين اليها يلتجئون وفى جهة الشمال من آسيا الصغرى الى جهة بحر (بنطش) المتصل ببحر الارخبيل بواسطة كل من بوغاز (هيليسپون) (وهو بوغاز (الدردانيل اوشنق قلعه) وجون (الپروپونتيد) (وهو بحر مرمرة) وبوغاز (البوسفور) (وهو بوغاز اسلامبول الآن) يوجد كل من اقليم (ميزيا) و (بيثنيا) و (بفلاجونيا) ومملكة (بنطش او بنتكسان) وفى وسط آسيا الصغرى يوجد اقليم (افريجيا) و (القابادوسية) ومملكة اخرى حدثت ايضا فيما بعد يقال لها (جالاسيا) وكل هذه الاقاليم الاخيرة كائنة فى ادنى نواحى هذا القطر نعما خلقية واقلها كرامة طبيعية

ثم ان بلاد آسيا الصغرى هذه تنفصل عن باقى بلاد آسيا العليا او الكبرى بجبل (امانوس) (جبل الماداغ) وهو جزء من سلسلة جبال (كوران) يمتد الى جهة الشرق وتتكون منه تلك

البحيث جزيرة على وجه طبيعى مضبوط جدا بحيث لايمكن الدخول منها الى بلاد (سورية الامن بابين ضيقين مسافة ما بينهما بقدر ٣٥ كيلومترا يدعى احدهما وهو الكائن فى جهة الشمال باسم باب (الماداغ) والثانى وهو الكائن فى جهة الجنوب باب (سوريه)

واعظم الانهار ببلاد آسيا الصغرى هو النهر المسمى عند السلف باسم (هاليس) وهو المعروف الآن باسم (قزيل يرمق) وهو الحد الفاصل بين نوعين متباينين من الانسال البشرية القاطنين فى تلك الاقطار الارضية اما سكان الجانب الغربى من ذلك النهر وهم (الليديون و(الافريجيون) و(الميزيون) و (الكاريون) فقد كانوا على وجه العموم من جنس نسل اهل اقليم (طراقة) الاوروبيين وأما سكان الجانب الشرقى منه وهم (ألقابادوسيون (السيليسيون) و (البنفيليون) و (السوليميون) وهم سكان اقليم (ليسيا) و (بيسيديا السالفون فهم من جنس النسل السورى العربى وقد كان نهر (قزيل يرمق) هذا فاصلا بين فرقتين مختلفتين من اللغات التى يتكلم بها هؤلاء الاقوام بتلك الجهات (احداهما على الجانب الايمن منه وقد كانت كلها من طائفة اللغات السامية الاصل و (الثانية) على الجانب الايسر وهى من طائفة اللغات الهندية الجرمانية وذلك فيما عدا بلاد الارمن فا خارجة عن آسيا الصغرى والظاهر انه الداعى ما عليه طبيعة لغة اهاها يقتضى أن تعد من جملة الفرع الهندى الجرمانى أيضا وسنتكلم عليها فى فصل مخصوص يأتى بعد

مطلب — ذكر احوال سكان بلاد آسيا الصغرى السالفين — ومع مايوجد بين الامم القاطنين على غربى نهر (قزيل يرمق) من القرابة الشديدة من حيث اللغات التى كانوا يتكلمون بها فقد كانوا مختلفين من وجوه عديدة فكان (الكاريون و (الليديون) و(الميزيون) منهم يعترفون بانتسابهم الى اصل واحد ويتعبدون جميعا على وجه الشيوع بعمل قربانات الى معبودهم العام المدعو باسم (زايوس كاريوس) بمدينة (ميلازة) بخلاف القوم (الليكاونيين) فانهم مع كونهم كانوا يتكلمون بعين اللغة التى كان يتكلم بها (الكاريون) كانوا الايشاركونهم فى ذلك وكان كل من الامم (البيثنيين) و(الماريانديينين) و (البفلاجونيين) يتكون منهم فى جهة الشمال الشرقى من الامم المذكورين قبلهم طائفة ثانية كان دليل رجوعهم الى أصل الطراقيين الاوروباويين اقوى وافصح واظهر واوضح مما يشاهد فى احوال هؤلاء الاقوام المذكورين وذلك ان سكان الجانبين من بوغاز (البوسفور) كانوا يتكلمون فى العصر المذكور بلغة واحدة وكانت اخلاقهم وطباعهم متحدة وهى شدة الشغف بالحرب وسفك الدماء والانهماك على السلب والنهب

فكان

فكان الفرق بين كل من (الكاريين) و(الليديين) وبين (البيثنيين) و (البفلاجونيين) عظيما جدا وكان (الميزيون) و (الافريجيون) هم الذين تحقق فيهم درجة الانتقال بين الاصلين المذكورين وتنعقد فيهم عروة القرابة بين جميع هؤلاء الامم المذكورين ولقد صدق من قال من اهل التاريخ ان واسطة عقد الانتقال بين الامم الآسيين والاقوام الاوروپيين المذكورين كانت بلاد (افريجيا)

وقد اتفقت الروايات المنقولة عن المؤرخين المتقدمين مع ما يظهر من احوال اللغات التى كان هؤلاء الاقوام يتكلمون بها على كل من جانبى بوغاز (البوسفور) المذكور على ان سائر هؤلاء الامم كانوا متحدى الاصل والنسب مختلطين بعضهم مع بعض وهل كان اصلهم من بلاد آسيا ثم انتقل منهم اقوام مهاجرون الى بلاد اوروپا ام كان الحال بالعكس قال جمهور المؤرخين السالفين ان (الافريجيين) كانوا فى الاصل من الاوروپاويين وكانوا قاطنين بسفح الجبل المدعو باسم (برميون) بتلك الاقطار وكانوا يدعون حينئذ باسم (البريجس) ومعناه فى لغة (الليديين) الرجل الحر وقال المؤرخ الرومانى المشهور باسم (استرابون) ان (الاطراقيين) و (الميزيين) كان اصلهم من البلاد التى كان الرومانيون يدعونها ببلاد (ميزيا) وهى الكائنة على شواطئ نهر (طونة) ببلاد اوروپة ثم هاجر جميع هؤلاء الاقوام من بلاد اوروپة الى بلاد آسيا وقال المؤرخ (اكسانتوس) الليدى ان انتقال القوم (الافريجيين) من شواطئ اوروپة الى شواطئ آسيا قد كان بعد حرب مدينة (تروادة) المشهورة وقال المؤرخ (هيرودوت) اليونانى بعكس هذه القضية فذكر فى كتاب تاريخه المشهور ان جماعة كثيرين من (التوكريين) وهم قدماء الترواديين ومن (الميزيين) الذين هم من قدماء الاقوام الآسيين المذكورين كانوا قد انتقلوا من بلاد آسيا الى اوروپة قبل تلك الحرب المذكورة فطردوا (الاطراقيين) من مواطنهم الاصلية واجبروهم على أن عبروا بوغاز البوسفور وتوطنوا باقليم (بيثنيا) وتقدموا الى حد نهر (بينوس) وهو المعروف الآن باسم (سلامبريا) بولاية (تيساليا) وقال بعض السلف من اهل التاريخ أيضا ان (الميزيين) هم فى الاصل نزلة من القوم الليديين كانوا قد بعثوا الى تلك النواحى لقصد تسكين الغضب الالهى وفى الحقيقة قد كانت لغة (الميزيين) نصفها ليدى ونصفها افريجى وبالجملة فقد كان يوجد بعض روايات عامية وخرافات اهلية متحدة بسواحل اوروپة وآسيا معا كقصة الملك (ميداس) ملك نواحى نهر (البكتيول) وهو نهر (سرد) او (سرت) الآن حيث كانت تلك القصة الخرافية تحكى بين سكان (افريجيا) و (مقدونيا) معا ومن هذه الوقايع كلها ينتج اتحاد

اصل جميع سكان اقليم (طراقة) وبلاد آسيا الصغرى اعنى قرابة سكان بلاد اليونان مع امم آسيا الكبرى على وجه العموم

واما بلاد (القبادوسية) و (بنطش) و (بيثنيا) و بلاد (الجالاسيين) فحيث كانت قد تكون بها بعض ممالك ودول صغيرة أو كبيرة فى الحقبة العصرية المنقضية فيما بين عهد الاسكندر الاكبر وعهد السلطنة الرومانية فسيأتى الكلام عليها فى مواضعها

ولا يعرف لاهل التاريخ شئ من اخبار بلاد (الليكاوونيين) غير انها بلاد متكونة من هضبات جبلية باردة الهوآء تكثر فيها المواشى الحيوانية كان فيها من قديم الاحقاب الزمنية المدينة المسماة باسم (انكيوم) (وهى قونيه الآن) ولا من اخبار بلاد (ايزوريا) وهى خطة من جبال كوران كثيرة القلاع والحصون الصغيرة من قديم الزمان ولا من اخبار بلاد (الابسيديين) الكائنة على قبة جبال كوران المذكورة وقد عثر بعض السواحين من الافرنج المتأخرين على اطلال عظيمة وآثار جسيمة لمدينتين قديمتين للقوم (الابسيديين) المذكورين كانت تدعى (احداهما) باسم (سلجه) وكانت موضوعة على رأس جبل وعر جدا و (الثانية) باسم (ساجالاسوس) كائنة كذلك على قبة صخرة شامخة تشرف اشرافا زأسيا على واد منسفل ذى ثروة وخصوبة بليغة يشتمل على عدة قرى عديدة

وأما (الليسيون) فسيأتى الكلام على تاريخهم فى باب تاريخ الاقوام اليونانيين واما (البنفيليون) و (السيليسيون) فلا تاريخ لهم يذكر ولا اثر عنهم يؤثر غير انه حصل العثور على آثار مدن قديمة كثيرة ببلاد (سيليسيا) ولا سيما آثار مدينة (سوليس) دالة على ما كانت قد بلغته تلك الولاية فى قديم الاعصار من علو مرتبة التمدن والاحتضار ولما كان موقع تلك البلاد فى عين باب بلاد اسيا العليا لزم بالضرورة ان يكون قد مر بها فى خلال سهولها ومضائق جبالها سائر الملوك الفاتحين للممالك القديمة من عهد الملك (نينوس) لغاية الاسكندر الاكبر ومن خلفه من الملوك السالفين ولذلك عثر بعض السواحين المتأخرين فى الدربند أى المضيق بين الجبلين المعروف الآن باسم (جلوك بوغاز) وهو المشهور عند السلف باسم (بيلكس سيليسيا) يعنى ابواب سيليسيا على نقوش بارزة مصطنعة فى الصخور يظهر عليها طابع فن تصوير الاسوريين ومنها نقوش اخرى تراءى لبعض العلماء الاوروباويين انها من الاعمال الاثرية التى انشأها (كسرى) ملك فارس فان جميع هذه الآثار تثبت مرور هؤلاء الملوك الاقدمين الفاتحين لممالك المشرق وتؤكد بقاء ذكرهم فى تلك البلاد

واما

واما البفلاجونيون فلم يحدثوا لهم دولة الا مسافة حقبة قصيرة من الدهر قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمدة قرنين من ذلك العصر وكانوا غنيمة يتنازعها كل من ملك (بنطش) وملك (بيثنيا) فى سالف الاعصار وليس لاهل التاريخ معلومات صحيحة الا ماندر جدا فيما يتعلق بحقيقة احوال بلاد (الكارية) وبلاد (افريجية) واما مملكة (تروادة) ومملكة (ليديا) فانهما اوضح حالا من جميع بلاد هؤلاء الاقوام الآسيين لداعى انهما كانا اكثر علاقة ومعاملة مع بلاد اليونان فى تلك الازمان

اما (الكاريون) فمن اخبارهم مايظهر من انهم كان قد حدث لهم فى الاعصار الغابرة دولة عظيمة ظاهرة وكانوا يدعون فى تلك الاعصار القديمة باسم (الليجيين) وانهم كانوا قد ملأوا بحر جزائر الارخبيل (بحر جزائر الروم) وما فيه من الجزائر بسفنهم البحرية وكان قد استولى عليهم الملك (كربزوس) ملك (الليديين) وضم بلادهم الى مملكته حتى جاء الملك (كيرش اوقيروس) ملك فارس ففتحها واستولى عليها ونصب عليها من طرفه ولاتها الاصليين ومن اخبار الكاريين المذكورين انهم قد كان لهم حظ عظيم ومدخل جسيم فى ثورة المدن اليونية او اليونانية الكائنة بسواحل بلاد آسيا الصغرى على الدولة الفارسية وانهم كانوا قد صار رفع عصيانهم ومنع طغيانهم وادخالهم معهم تحت الطاعة الفارسية بالثانى وكان التجار فى النوع البشرى بتلك الاعصار يجدون سهولة فى اخذ الرقيق الذى كانوا يتجرون فيه من سكان تلك البلدان حتى صار لفظ (الكارى) مرادفا للفظ الاسير فى تلك الازمان ويرى انهم كانوا دائما يخدمون الدول الكبيرة ذوات الشان بالاجرة كدولة مصر واليونان ودولة العبرانيين فى عهد داود عليه السلام

واما بلاد (افريجيا) فقد كان من مدنها الاصلية فى تلك الازمان مدينة (الاووديسة) وهى المعروفة الآن باسم (اسكى حصار) ومدينة (آبامه سيبوتوس) وهى المسماة الآن باسم (دينابس) وغيرهما ومن اشهر الاماكن المشهورة بهذه الولاية ايضا المكان المعروف باسم (تنبره) وهو السهل الذى هزم فيه الملك (كيرش) جيش الليديين والقرية المشهورة باسم (ابسوس) وهى البقعة التى وقعت فيها واقعة الحرب الكبيرة بين خلفاء الاسكندر الاكبر ولما اقتسموا بلاد سلطنته فيما بينهم كما سيأتى ايضاح ذلك فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

وقد كانت ولاية (افريجيا) هذه مشهورة عند السلف بجودة مايخرج بها من صنف الصوف الجيد فيؤخذ الى مدينة (ميلبت) وهى اكبر المدن اليونية او اليونانية ببلاد آسيا

الصغرى و يصطنع فيهامنه اجود الاقمشة الفاخرة وكانت مشهورة ايضا من سالف الازمنة بالفلاحة المتقنة وما كان يخرج فيهامن أنواع الجبن المستحسنة وانواع الاطعمة المملحة

ندكان بهذه البلدة من سالف الاعصار الغابرة ايضا مملكة مزهرة ودولة كبيرة ظاهرة تواترت اخبارها الى عصرنا هذا او بقيت آثارها عندنا بما تواتر لدينا من الروايات التى تناقلها الناس من الامم والاقوام المتوطنين على جوانب بوغاز (البوسفور) (بوغاز اسلامبول) مما يحكى عن بعض ملوك تلك الولاية وهو الملك المشهور باسم (ميداس) من انه كان اذا لمس شيئا ما استحال الى ذهب فى الحال ولاشك فى ان ذلك من قبيل الخرافات العامية والتخيلات الوهمية وانما من الثابت المحقق والمعلوم الصادق المصدق انه كان يوجد فى تلك الولاية دولة كانت قد سبقت فى السلطنة على بلاد آسيا الصغرى دولة (الليديين) ولربما كانت هى الواسطة فى التمدن والتقدم فى المواد الدنيوية الذى كان قد جاء من بلاد آسيا العليا الى مملكة (ليديا) ومملكة (ترواده) وسائر بلاد اليونان فى سالف الزمان ولكن من سوء البخت ضاعت عنا اخبار ذلك التمدن القديم واندرست آثار ذلك التقدم العظيم ولم يبق لنا منها غير ما علم من بعض روايات عامية قديمة متهمة و بعض آثار واهية مبهمة شوهد عليها بعض نقوش بارزة هى لغاية الآن غير منفهمة وجدت خصوصا على وادى (سنجاريوس) وهو المعروف الآن بنهر (ساكاريا) ببلاد آسيا الصغرى يصب ببحر (بنطش)

وقد كان ايضا من جملة دول بلاد آسيا الصغرى القديمة العظيمة ومما الكها المستقلة الجسيمة مملكة (ترواده) ولكن تاريخها مما يتعلق بتاريخ بلاد اليونان وسيأتى فى بابه من هذا الكتاب



الفصل الثالث

فى تاريخ الليديين

مطلب ــــ ذكر اين كانت مواطن الليديين وما اخبار بيوت ملوكهم السالفين

ــ انه فيما بين سفح جبل (تمولة) او (تمولوس) ونهر (هرموس) الكائن على الجانب الايمن من النهر المسمى باسم (بكتول) او (بكتولوس) وهو المسمى بنهر (سارد) او (صرت) او (باجوليت) الآن يرتفع جبل شامخ جدا يشرف على سهل رحب خصب ينفتح فيه من جهة الشرق